

دولة خلافة داعش بين النظرية والتجربة

د. عبد الله أحمد قصير



دولة خلافة (داعش)

بين النظرية والتجربة



دولة خلافة (داعش) بين النظرية والتجربة

تأليف

د. عبد الله أحمد قصير

مراجعة وضبطه وعادك عليه
إمامنا العراقي توثيقنا للتطويق
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

هوية الكتاب

اسم الكتاب: دولة خلافة (داعش) بين النظرية والتجربة

المؤلف: د. عبدالله احمد قصير

الناشر: المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف / العتبة العباسية المقدسة

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

الايداع في المكتبة الوطنية:

التصميم و الإخراج: كرار عبد المهدي حميد تويج



للتواصل مع المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف

يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني

e.c.d.s.center@gmail.com

تنبيه: ان الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا

تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أرواح الشهداء الأبرار الذين دفعوا عنا غائلة الظلم والطغيان
وعن مجتمعنا أخطار الذبح والقتل والدمار وعن نساتنا ذلة السبي
والمهانة

إلى أصحاب اليقين.. أصحاب العقول الواعية والقلوب
المبصرة.. وإلى أبي وأمي اللذين زرعا في نفسي وعقلي ووجداني حب
التعلم والبحث عن الحقيقة.

وإلى زوجتي وأولادي الذين شجعوني وأعفوني من الكثير من
واجباتي تجاههم لاسيما في أخذي للوقت المخصص لهم لصالح
الكتابة والبحث...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المركز

من الأحداث الخطيرة التي عصفت ببلدان عديدة كالعراق وسوريا وأفغانستان واليمن ومصر وغيرها هو هيمنة كيان إرهابي تحت مسمى له جلالته لدى عدد كبير من المسلمين أعني الخلافة الإسلامية؛ إذ استطاع كيان داعش الإرهابي من خلال توظيف هذا المسمى كسب تعاطف عدد كبير من الشباب الإسلامي فأطلق على الأراضي التي احتلها وبسط نفوذه عليها اسم (دولة الخلافة أي الدولة الإسلامية في العراق والشام) وعلى زعيم عصابته اسم الخليفة! وقد استمر هذا الكيان باسماً لنفوذه على مساحات شاسعة من الأراضي في العراق وسوريا لسنوات ولعلَّ أحد تلك الأسباب هو انضمام أعدادٍ ممن جذبهم وخدعهم عنوان الخلافة وأنها على منهاج النبوة، وهو ما يُوجب التصدي لبيان حقيقة الأمر ومدى زيفه وزيفه وهو ما جعل المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرّف في قسم الشؤون الفكرية والثقافية التابع للعتبة العباسية المقدسة أن يتبنّى طباعة ما كتبه المبدع الدكتور عبد الله أحمد قصير من تأليف مهم حري بكلّ باحث أن يطّلع عليه ويرتشف من معينه، موسوماً بـ «دولة خلافة (داعش) بين النظرية والتجربة» في ستة فصول وخاتمة، بيّن في الفصل الأول التأسيس النظري والتاريخي للدولة والخلافة، ثم عرض السلفية وداعش وجذورهما وتجاربهما وعلاقتها بمفهوم الخلافة والدولة، أما الفصل الثالث فكان يتحدث عن خلافة داعش منذ التأسيس إلى آليات الحكم، ثم لم يغفل عن بيان

سوسيولوجيا المجتمع الواقع تحت هيمنة داعش في الفصل الرابع، أما الفصل الخامس فقد سلّط الباحثُ فيه الضَّوءَ على إشكاليات تجربة الحكم وتحدياتها بدءاً من الشرعية والمشروعية مروراً بإشكالية التسرع في إعلان الخلافة وختاماً بالإشكاليات الإدارية والتنظيمية، ولم ينسَ الباحثُ مواقف داعش اتجاه الآخر المختلف وتناقض مواقفها في الفصل السادس ثم جعلَ لكتابه خاتمة بيّن فيها أهمّ النتائج والتوصيات فلله دره وعلى الله أجره، آمليْن أن نكون قد أضفنا إصداراً جديداً ينفَعُ القارئ الكريم ويرفدُ المكتبة العربية، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وأهل بيته الطاهرين.

رئيس المركز
د. عباس عطية القرشي

المقدمة

إنَّ النظرة إلى المجتمع وطبيعة النظام الاجتماعي وكيفيات السياسة الاجتماعية دائماً كانت مشارِجِداً بين الفلاسفة والمفكرين والعلماء، ولكنهم أجمعوا على مقولة إن الاجتماع الإنساني ضروري، لأنه لا بقاء للإنسان إلاّ به.

ويرى علماء التاريخ أن الخلية الأولى للبشرية هي الأسرة، وأن أول مجتمع في التاريخ تكوّن من بين أفراد الأسرة الواحدة، وبتطور الأسرة الواحدة وزيادة عدد أفرادها، وتطور العلاقات بين الأسر بسبب عوامل وظروف بيئية تكونت العشيرة^(١).

وتسود بين أعضاء العشيرة علاقات القرابة، إضافة إلى روابط نفسية-اجتماعية وثقافية تُطلق عليها تسمية العصبية. وبذلك «تعدّ العشيرة المرحلة الثانية من التنظيم الاجتماعي الذي يعلو الأسرة، ولها خصائص مشتركة تقوم على أساس تجمعات بشرية من ذات النسب الواحد»^(٢).

في هذا السياق، أشار علماء الاجتماع السياسي إلى القبيلة بوصفها أول شكل من أشكال الدولة، إذ يرون أن الشكل الأول للمجتمع الكلي هو القبيلة.

في المقابل، يحضر الإنسان في تصورات الفلاسفة، كونه حيوان اجتماعي ولا يعيش منفرداً، والبيئة الإنسانية قبل كل شيء آخر، هي المجتمع الذي ينتهي إليه

(١) راجع (سهيل الفتلاوي: تاريخ القانون، مكتبة الذاكرة، بغداد، ١، ٢٠١٠، ص ١٧).

(2) Francis Fukuyama: The Origins of political order prehuman times to the French Revolution Farrar, Straus Giroux Newyork 2011p-56.

فقد وصف [أرسطو] الإنسان بأنه حيوان اجتماعي سياسي، واعتبر [الفارابي] أن الواقع الاجتماعي يجب أن يحظى بالاهتمام المطلوب والفهم المتعدد الجوانب لوظيفة المجتمع في قيام الدولة العادلة^(٢).

ونقل [أفلاطون] عن [سقراط] رؤيته بأن الدولة تنشأ عن عجز الفرد لسد حاجاته بنفسه وافتقاره إلى معونة الآخرين، ولما كان الإنسان محتاجاً إلى معونة أخيه الإنسان، ولكلِّ منّا حاجات كثيرة، فلزم أن يتعاون عدد كبير منّا، من أصحاب ومساعدين في مقر واحد، لنطلق على ذلك المقرّ اسم المجتمع، أو المدينة أو الدولة، فيتبادل هؤلاء الأشخاص سائر الحاجات فيما بينهم^(٣).

ورأى [أفلاطون] أنّ «كل العناصر الخيرة والحقة يجب أن تجتمع من أجل تحقيق عدالة تصون حقوق الأفراد كافة لكي نصل إلى تنظيم اجتماعي يوصل إلى الانسجام والعدالة، وبالتالي يحصل على الدولة الفاضلة المثالية التي تجعله ينال سعادة الدنيا والآخرة»^(٤).

وهذا ما يعكس سياقاً اجتماعياً وسياسياً ينسجم تماماً مع الحكمة والفلسفة في البناء الكوني للإنسان والمجتمع وما بعد الطبيعة.

ويؤكد [أرسطو] الأمر بقوله «بما أن الإنسان اجتماعي ومدني بالطبع، لهذا

(١) راجع (محمد حسن الدخيل: علم الاجتماع السياسي، مكتبة السنهوري، بيروت، ١، ٢٠١٧، ص ٥٣).

(٢) راجع (محسن صالح: الفلسفة الاجتماعية وأصل السياسة، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٩).

(٣) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٩١-٩٢).

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٥٧.

يجب أن يوفر الأسباب اللازمة ليؤمن وجوداً حقيقياً للمدينة والمجتمع بشكل يقلل من المخاطر ويزيد من أشكال السعادة»^(١).

وهو يحدد في مؤلفه السياسة الملامح العامة للطبيعة الإنسانية وضرورة الاجتماع البشري وحاجته إلى المدينة-الدولة، وهي أولى المؤسسات التي تشكل الجسم المدني للمجتمع وهي المسؤولة عن تطبيق القيم والقوانين.

ومع [ابن خلدون] الذي يرى أن الاجتماع الإنساني ضروري، والإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة ويأخذ معنى العمران، يصبح «امتداد المدن وتنوع العصبية يتطلب دولة لديها سلطان تستطيع أن ترد اعتداءات الناس على بعضها البعض»^(٢).

وكذا استمرت النظرة إلى ضرورة وجود الدولة كتنظيم اجتماعي سياسي للمجتمع مع مفكّري الغرب أيضاً؛ فينطلق [هوبز] -على سبيل المثال- من اختلاف الناس عن المخلوقات الأخرى بأنه حيوان ناطق وعاقِل، وإن تنظيمه الاجتماعي والسياسي ليس كباقي المخلوقات، وإن غريزة الإنسان قائمة على حب البقاء وهي التي تسيّر الحياة الإنسانية، وإن الناس بحاجة إلى عقد يقوم على قواعد لعلاقات تحفظ جميع الأفراد وتضمن أمنهم، كما يعطي للسلطة حقاً في تقرير المعتقدات الدينية والقواعد الأخلاقية وحسم الخلافات لإقرار النظام معتبراً أن دين الدولة وتشريعاتها واجب محتوم على كل موظف ومواطن أن يتقيد به كي لا يسيء إلى السلطة والمجتمع»^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٧١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٤١.

(٣) راجع (محسن صالح: الفلسفة الاجتماعية وأصل السياسة، مصدر سابق، ص ١٣٠-١٣٢).

وإذا كان [هوبز] انطلق من اعتبار حالة الإنسان الطبيعية تميل إلى السيطرة والتنافس الدائم مع أقرانه، فإن [جون لوك] على عكسه، إذ اعتبر أن الحالة الطبيعية هي الحالة السلمية لدى الإنسان وليست المفترسة، وإن حالة الإنسان الطبيعية تعتمد على الأمن، وتتجه نحو الكمال، والملكية الخاصة موجودة في حالة الطبيعة وسابقة على المجتمع المدني، ولهذا تحتل الملكية مكانة خاصة في فكر [لوك]، لذا فهو يعتبر الملكية تمنح الإنسان السعادة، وأكثر سعادة هي التي تتوافق مع أكبر سلطان (ملكية)، وغاية الحكومة أي حكومة إنما هي الحفاظ على الملكية والتشريع والقضاء والأمن، لأن ذلك ما ينقص الناس في الحالة الطبيعية.

إن الحكم السياسي - بنظر [جون لوك] - هو نوع من الأمانة أو العهد حيث يسلمها المالكون إلى مالكين آخرين، والحكام بناءً على ذلك هم إداريون في خدمة الجماعة ومهمتهم تقوم على تأمين الراحة والازدهار. كما يقسم [لوك] السلطة إلى نوعين: تشريعية وهي السلطة العليا، وتنفيذية وهي محددة بشكل أدق وتمنح للأمر الموكل إليه رعاية المصلحة العامة^(١).

ويوطد [جان جاك روسو] في كتابه في العقد الاجتماعي أو الحق السياسي أن النظام الاجتماعي حق مقدس وهو بمثابة الأساس لجميع الحقوق الأخرى، ومع ذلك فإن هذا الحق لا يصدر قط عن الطبيعة بل يُبنى على تعاقدات.

يضيف [روسو] بأن كل واحد منا يسهم في المجتمع بشخصه وبكل قدراته تحت إدارة الإدارة العامة العليا ويتلقى كل فرد ليصبح عضواً من هذه الهيئة الكلية جزءاً لا يتجزأ من الكل، كما وإن هذا العقد الجمعي يصبح على شكل هيئة معنوية وجماعية فاعلة ومتحدة وذات مشتركة، وإدارة تسمى مدينة-دولة

(١) راجع المصدر السابق نفسه، ص ١٣٤-١٣٥.

أو حاكم، والمشاركون فيها أي الشعب يصبحون مواطنين ومساهمين في السلطة السياسية وهي في الوقت نفسه تضم رعايا بصفتهم خاضعين لقوانين الدولة^(١). مما تقدّم يتبين أن الأنظمة السياسية المتمثلة بالدولة نشأت تحت تأثير الحاجة لإدارة شؤون المجتمع وتحصينه وتوفير شروط العيش الكريم لأبنائه، كما وتنظيم العلاقات المختلفة بين أفرادها، كي لا تقع الفوضى والصراعات بينهم وتقضي على وجودهم^(٢).

وتعرّف الدولة (من خلال أركانها أو عناصرها) بكونها شعب يشغل بصفة دائمة إقليمًا محددًا، ويرتبط بالقوانين العامة والعادات والتقاليد في هيئة سياسية واحدة، ويمارس عن طريق أداة حكم منظمة ذات سيادة مستقلة ومسيطرة على جميع الأشخاص والأشياء داخل حدوده، ويستطيع أن يعلن الحرب ويعقد السلم وأن يدخل في جميع العلاقات الدولية مع شعوب الكرة الأرضية^(٣).

ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه ويمهّد إلى موضوع الدراسة هو: ما هي نظرة الإسلام إلى انتظام البشرية؟ وأين موقع الدولة في ضرورات الدين؟

يُجمع العلماء والمفكرون المسلمون على أن الإسلام دين الفطرة الإنسانية، التي تقضي عقلاً بأن الاجتماع البشري لا يستقيم دون نظام وانتظام، ورئيس وإمام، ولذا أرسل الله الرسل والأنبياء هداية للمجتمعات وإدارة شؤونهم، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (سورة

(١) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ١٤٠-١٤١).

(٢) راجع (محمد حسن الدخيل: علم الاجتماع السياسي، مصدر سابق، ص ١٤٥).

(٣) راجع (منيرة السويحلي: القانون الطبيعي وعلاقته بالتشريع السياسي، منشورات اللجنة الشعبية العامة، طرابلس الغرب، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٣٣).

الحديد - الآية ٢٥). يقول [محمد باقر الصدر] «إن الدولة ظاهرة اجتماعية تسعى إلى تحقيقها الأنبياء... وإن الناس كانوا أمة واحدة في مرحلة تسودها الفطرة ويجدّ بينها تصورات بدائية للحياة وهموم محدودة وحاجات بسيطة، ثم نمت هذه الحاجات من خلال الممارسة الاجتماعية للحياة نتيجة المواهب والقابليات وبروز الإمكانيات المتفاوتة واتسعت آفاق النظر وتنوعت التطلعات وتعقدت الحاجات فنشأ الاختلاف وبدأ التناقض بين القوي والضعيف وأصبحت الحياة الاجتماعية تتطلب موازين تحدد الحق وتجسد العدل وتضمن استمرار وحدة الناس في إطار سليم.. وفي هذه المرحلة ظهرت فكرة الدولة على يد الأنبياء، وقام الأنبياء بدورهم في بناء الدولة السليمة، ووضع الله تعالى للدولة أسسها وقواعدها»^(١).

يستند [الصدر] في ذلك إلى الآية القرآنية، التي يستند إليها أيضاً صاحب موسوعة الميزان في تفسير القرآن [محمد حسين الطباطبائي] في نفس المضمون تقريباً^(٢)، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢١٣). وهكذا تولى عدد كبير من الأنبياء عملية الإشراف المباشر على الدولة كـ [داوود] و[سليمان] وغيرهما، واستطاع الرسول [محمد] ﷺ أن يتوجّه جهود سلفه بإقامة دولة شكّلت منعطفاً في التاريخ الإنساني وقدمت نموذجاً وجسّدت مبادئ الدولة الصالحة تجسّيداً كاملاً ورائعاً^(٣).

(١) صدر الدين القبانجي: الفكر السياسي عند الامام الشهيد الصدر، لا طبعة، بغداد، منشورات المكتب الإعلامي لجماعة العلماء المجاهدين في العراق، لا تاريخ، ص ١١-١٢.

(٢) راجع [محمد حسين الطباطبائي]: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٩٧٣، ج ٢، ص ١٣٠.

(٣) راجع (صدر الدين القبانجي): الفكر السياسي عند الامام الشهيد الصدر، مصدر سابق، ص ١٣.

يقول [محمد باقر الصدر] بهذا الصدد «إن الدولة تشكل ضرورة اجتماعية وشرعية لإقامة حكم الله على الأرض. وإن الدولة هي الكفيل الوحيد بنجاح التطبيق الإسلامي لمبادئ وقواعد النص الإلهي والتجسيد الحقيقي لدور الإنسان في خلافة الله»^(١).

أمّا [الطباطبائي] فيرى أن السبب في بعث الأنبياء وإنزال الكتب (أي علّة الدعوة الدينية)، هو أن الإنسان بحسب طبعه وفطرته سائر نحو الاختلاف كما أنه سالك نحو الاجتماع المدني، وإذا كانت الفطرة هي الهادية إلى الاختلاف، فإنها لم تتمكن من رفع الاختلاف. وكيف يرفع شيء ما يجذبه إليه نفسه، فرفع الله سبحانه هذا الاختلاف بالنبوة والتشريع، بهداية النوع إلى كماله اللائق بحالهم المصلح لشأنهم^(٢).

وكذا [محمد مهدي شمس الدين] في كتابه في الاجتماع السياسي الإسلامي، إذ يذكر أن فكرة الدولة والحكومة في الإسلام هي ضرورة تنبثق من طبيعة الشريعة الإسلامية، وليست مجرد تشريع منفصل من جملة تشريعاتها، وهي استجابة للفطرة والضرورة التي يقتضيها الاجتماع البشري الذي لا يعقل تحققه من دونها... لهذا يرى أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد تضمنتا التعبير عن فكرة الدولة والنظام والحكومة في التشريع الإسلامي، وأن هذه الحقيقة النظرية في الواقع التكويني والاجتماعي والتشريعي الإسلامي قد وجدت بالفعل في الواقع التاريخي الموضوعي للإسلام^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٥.

(٢) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٠.

(٣) راجع [محمد مهدي شمس الدين]: في الاجتماع السياسي الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٧٩.

هذا بالعموم ما يشير إلى نظرة الإسلام حول فكرة الدولة والنظام والحكومة، ولكن، ماذا عن الخلافة الإسلامية؟ وكيف نظر إليها المفكرون الإسلاميون؟ في التاريخ الحديث، يمكن ربط بدايات النقاش في الدولة الإسلامية والخلافة عموماً في الأجواء والظروف التي أعقبت سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤؛ ولعلّ أبرز من كتب حول الموضوع هو [أبو الأعلى المودودي]، وفي أشهر مؤلفاته التي تناول فيها هذا الموضوع كتاب نظرية الإسلام السياسية وقد ربط [المودودي] إسلامية الدولة بعنصر «الحاكمية» التي تتجلى بحسب رأيه في الخصائص التالية: الحاكم الحقيقي هو الله، التشريع لله، الحكم بشرع الله^(١).

وتزامن مع [المودودي]، ما كتبه [عبد القادر عودة] في كتابه المال والحكم في الإسلام، إذ يتعد في كتاباته كثيراً عما طرحه [المودودي]، حيث وصف تحقق الدولة الإسلامية في كونها حكومة قرآنية تحكم بشرع الله بحكومة شورى وحكومة خلافة^(٢).

أما [تقي الدين النبهاني] فكان أكثر تمسكاً بالتراث الإسلامي ومحاكاةً للخلافة الأولى في الإسلام، فكتب في كتابه نظام الإسلام تعريفه للدولة الإسلامية بأنها دولة الخلافة، التي وضع لبناتها الأولى رسول الإسلام [محمد] ﷺ وأتمّ بناءها الخلفاء من بعده، واعتبر أن المهمة الأساسية لهذه الدولة هي حمل الدعوة الإسلامية إلى الناس، وقد نظر لنظام الحكم فيها «بأنه يقوم على أربع قواعد هي: السيادة للشرع لا للشعب، السلطات للأمة، نَصْبُ خليفة واحد فرضٌ على

(١) راجع (أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام السياسية، لا طبعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٩).

(٢) راجع (عبد القادر عودة: المال والحكم في الإسلام، مطبوعات المختار الإسلامي، ط ٥، القاهرة، لا سنة، ص ١٩٢).

المسلمين، وللخليفة وحده حق تبني الأحكام الشرعية، فهو الذي يسنّ الدستور وسائر القوانين في الدولة-الخلافة»^(١) هذه الكتابات تحاكي بأبعادها، تجربة الدولة من مدخلية الخلافة، ولا شك بأن الطروحات الفكرية وتراكمها ساعد في بلورة صورة واقعية، أسهمت ظروف ومتغيرات مرحلية في إنضاجها، وإن شابهها بعض التساؤلات.

(١) تقي الدين النبهاني: نظام الإسلام.. حزب التحرير الإسلامي، ط٦، لا دار نشر، لا مكان، ٢٠٠١ م، ص ٩٤-٩٦.

أسباب اختيار الموضوع

لعل إعلان إقامة دولة الخلافة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام [داعش]^{١*} وتداعياتها العنيفة واتخاذها مجموعة من الإجراءات الميدانية التي تشي بإرهاصات لتأسيس دولة، دفع الكثير من مراكز الأبحاث والدراسات والعديد من الباحثين والدارسين الاجتماعيين خصوصاً، للنظر في هذه الظاهرة في محاولة لفهمها وتحليلها والبحث عن أبعادها وخلفياتها الفكرية والعقدية، والاجتماعية والسياسية، فباتت دراسة هذه الظاهرة في أولوية الموضوعات المستجدة والملحة، نظراً لتداعياتها الخطيرة والهامة على المجتمع، وهي التي استدعت حراكاً سياسياً واجتماعياً ودينياً كبيراً داخل المجتمعين الإسلامي والعربي كما استدعت نوعاً من الاستنفار والتحرك على المستويات السياسية والأمنية والعسكرية محلياً وإقليمياً ودولياً؛ وقد تجسد ليس فقط في تشكيل تحالف دولي ضد [داعش] بل أخيراً في تشكيل تحالف عربي إسلامي، فضلاً عن إثارتها لنقاشات وسجلات فكرية وعقدية داخل الساحة الإسلامية والحركات والتنظيمات الإسلامية (الجهادية وغير الجهادية) نفسها.

لذا يأخذ هذا الموضوع في دراسته أهمية خاصة، فهو موضوع حديث

* داعش: بعد توسع الدولة الإسلامية في العراق وتمدها إلى سوريا ودمج جبهة النصرة بالدولة، صار مصطلح [داعش] هو الأكثر استخداماً، لاختصاره عبارة: الدولة الإسلامية في العراق والشام، وبالإنكليزية استخدم الاختصار للأحرف الأولى الأربعة ISIS حيث استبدلت الشام بسوريا، بعد أن كان الاستخدام في البداية ISIL لفترة من الزمن. ومع إعلان الخلافة من الموصل عام ٢٠١٤، بدأ استخدام دولة الخلافة بدلاً عن الدولة الإسلامية.

وجديد، ليس في جوانبه النظرية والفكرية فقط، بل في أبعاده السياسية والاجتماعية لحظة إنبناء مشروعه العملي على الأرض والميدان، وإعلان قيام هذا المشروع في العام ٢٠١١، حيث إعلان الدولة الإسلامية في العراق، في منطقة حساسة وهامة بين العراق والشام، وإقدامه على إلغاء الحدود بينهما، وفي العام ٢٠١٣ إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام، ثم إعلان دولة الخلافة عام ٢٠١٤. لقد برزت أهمية هذا المشروع في قدرته على جذب الآلاف من الشباب المسلمين للالتحاق به والقتال دونه حتى الموت، كما في تحقيقه لإنجازات هامة وتوسع في السيطرة بشكل دراماتيكي لافت، وفي حجم ردود الفعل التي أنتجها على المستويين العالمي والإقليمي، فضلاً عن بنائه لمنظومته الاجتماعية والسياسية والإدارية والقضائية الخاصة داخل ساحة دولته المعلنة والمنعزلة عن محيطها، هذا فضلاً عن كونه تجربة مميزة عن غيرها من تجارب الحكم الإسلامي التي شهدتها المنطقة سواء في إيران أو السعودية أو السودان أو باكستان أو أفغانستان أو غيرها من دول المنطقة، حيث لم يطرح أحد منهم أو يُقدم على إلغاء الحدود القائمة بين الدول أو يعلن دولة خلافة تريد أن تمتد إلى دول ومناطق عربية وإسلامية وغربية حتى.

وبعيداً عن ما يتم تداوله إعلامياً ويتم استشهاده في عوالم السياسة المحلية والإقليمية والدولية، بات من الضروري البحث في خلفية هذه الظاهرة وفهم أبعادها ومركزاتها الفكرية وطرح إشكالات العلاقة في دينامياتها بين جذورها العقائدية وممارساتها السياسية والإدارية، والعسكرية التي طغى عليها صورة العنف المؤدلج دينياً.

لذا كان لا بد من تناول هذه الظاهرة بالبحث من خلال ثلاثة أبعاد، هي:

- منطلقاتها الدينية والأيدولوجية.
- التجربة من الداخل كإدارة لدولة الخلافة المزعومة وممارسات اجتماعية.
- أهدافها السياسية وعلاقتها بالسياسيات الإقليمية والدولية.

الدراسات السابقة ومناقشتها

رغم حداثة هذه التجربة، إلا أن صدمها للواقع دفع العديد من الباحثين والدارسين إلى الإسراع بتناولها والكتابة عنها، فضلاً عن من كتب عن [تنظيم القاعدة] سابقاً وعن [أبو مصعب الزرقاوي] في بدايات تكوّن الظاهرة في الساحة العراقية.

ومن خلال مراجعة ما صدر من كتب وأبحاث حول الموضوع وتصنيفها بعد الاطلاع عليها يمكن تقسيمها إلى قسمين:

- **القسم الأول:** هو إصدارات وكتب بأقلام كتّاب صحفيين. أو باحثين استخدموا في كتاباتهم الوصف للتعريف والإضاءة على الموضوع من خلال جمع معطيات بعضها غير منشور وآخر منشور في المواقع والنشرية الصادرة عن الدولة الإسلامية أو التنظيمات السلفية الجهادية، مع بعض التحليلات والربط بين المعطيات للوصول إلى استنتاجات حول ما يمكن أن يشي به المستقبل لهذه الدولة «الظاهرة»، وأبرز هؤلاء هم:

١. [غوين داير] وكتابه باللغة الإنكليزية - ترجمه [رامي طوقان] إلى العربية ويقع في ٢٤٦ صفحة تحت عنوان «فوبيا [داعش] وأخواتها» صادر عن الدار

العربية للعلوم ناشرون - بيروت عام ٢٠١٥.

٢. [هيشم المناع] (ناشط حقوقي) وكتابه «خلافة داعش» يقع في ١٨٤ صفحة، صدر بالفرنسية أواخر عام ٢٠١٤، ثم بالعربية في كانون الثاني ٢٠١٥، صادر عن دار بيسان للنشر والتوزيع.

٣. [أحمد صلاح عثمان] و[خليل القاضي]: كتابان اشتركا في كتابة كتابهما ما لم يكتب عن [داعش] رؤية من الداخل.. الخطر القادم. صدر عن دار أبعاد في بيروت في العام ٢٠١٥، ويقع الكتاب في ٢٥٠ صفحة ويحوي ١٣ فصلاً.

٤. [عبد الباري عطوان] وكتابه الدولة الإسلامية (الجزور-التوحش-المستقبل)، يقع في ٢٣٥ صفحة، وصادر عن دار الساقبي في بيروت عام ٢٠١٥.

٥. [نيكولا هينان] (مراسل لصحيفة لوبوان الفرنسية وقناة ART) وكتابه أكاديمية الجهاد - أخطاؤنا في مواجهة الدولة الإسلامية-، يقع في ٢٧٥ صفحة، صدر عام ٢٠١٥، عن منشورات أسود أبيض إلى آخره -عربه عن الفرنسية [عصام الشحادات]- وقدم له [سلام الكواكبي].

٦. [باتريك كوكبيرن] وكتابه داعش.. عودة الجهاديين. تعريب ميشلين حبيب، صدر عن دار الساقبي في بيروت، في العام ٢٠١٤.

٧. [ناجح إبراهيم] و[هشام النجار] وكتابه داعش - السكين الذي يذبح الإسلام، والصادر عن دار الشروق في القاهرة عام ٢٠١٤.

٨. [هلا رشيد أمون] في كتابها رحلة العنف المقدس من الوهاية إلى الدولة الإسلامية، يقع في ١٢٨ صفحة، صادر عن شركة الشرق الأوسط لتوزيع المطبوعات، عام ٢٠١٤.

٩. [مازن شندب] في كتابه داعش (ماهيته-نشأته-إرهابه-أهدافه-استراتيجيته)، صادر عن الدار العربية للعلوم ناشرون في بيروت عام ٢٠١٤، ويقع الكتاب في ١٨٠ صفحة.

• القسم الثاني: وهي كتب لباحثين أكاديمين اعتمدوا المنهج العلمي الأكاديمي في بحوثهم ودراساتهم وتناولوا الموضوع من زوايا متعددة لها علاقة بالأمن العالمي أو بصورة الإسلام عند الآخرين ومنهم:

١. [ياسر عبدالحسين] في كتابه الحرب العالمية الثالثة (داعش والعراق وإدارة التوحش) صادر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت في العام ٢٠١٥.

٢. [محمد علوش] في كتابه داعش وأخواتها من القاعدة إلى الدولة الإسلامية. يقع في ٤٢٠ صفحة، من إصدار دار رياض الرئيس للكتاب والنشر عام ٢٠١٥.

٣. [نصيف جاسم حمدان]: وكتابه داعش وحرب العقول (كيف سخر [داعش] الدبابة الإعلامية) صادر عن دار الكتب العلمية في بغداد، في العام ٢٠١٦، ويقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات.

٤. [فؤاد إبراهيم] وكتابه داعش من النجدي إلى البغدادي - نوستالوجيا الخلافة-، الصادر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق في بيروت، في العام ٢٠١٥، ويقع في ٣٠٠ صفحة.

٥. [غسان الخالد] وكتابه داعش -من خلافة الدولة إلى دولة الخلافة-، الصادر عن الفرات للنشر والتوزيع في بيروت العام ٢٠١٥، ويقع الكتاب في ١٣٦ صفحة.

٦. [محمد أبو رمانة] و[حسن هنية] وكتابهما تنظيم الدولة الإسلامية-الأزمة السنية-والصراع على الجهادية العالمية، الصادر عن مؤسسة [فريدريك ايبرت]

٧. [لباتريك بي. جونستون]، و[جيكوب إن. شيبيرو]، و[هاورد جي. شاتس]، وآخرون: دراسة صادرة عن مركز [RAND] الأميركي للدراسات، استناداً إلى وثائق داعشية ولوائح مالية وإدارية حصلت عليها القوات الأميركية بعد قصف مراكز لقيادات [داعش] المالية والإدارية. وقد جرى تحليلها في المركز من قبل سبعة باحثين.

٨. [آن سبيغارد] و[أحمد س. يايلا]، ودراستهما حول جهاز الأمن في [داعش]، واستناداً إلى شهادات هاربين من تنظيم [داعش] ومنشقين عنها ومقابلات مع هؤلاء ضمن دراسة علمية وموضوعية استخدمت المقابلة مع ٤٢ حالة، فضلاً عن اعتمادها على وثائق صادرة من الشخصية الثانية في [داعش] هي [العقيد بكر] الذي اعتبر لفترة هو مؤسس [داعش] في سوريا، والمسؤول الأمني الأول فيها.

في مجمل الدراسات السابقة، يتضح بأنها محاولات لفهم ظاهرة [داعش]، والإضاءة عليها من زوايا مختلفة ومنهجيات متعددة ومتشابكة الأبعاد والمقاربات (الفكرية والسياسية والسوسيولوجية) وقراءة أدبيات الدولة ومنظريها في محاولة لفهم النصوص الأساسية الدالة التي تركز عليها وتميزها عن غيرها من الاتجاهات الأخرى داخل [السلفية الجهادية] لا سيما بالمقارنة مع [تنظيم القاعدة] (الأب الشرعي لـ [داعش])، وتميُّز [داعش] عنه ببعض الممارسات والتكتيكات، لا سيما في كون [داعش] لم يكتفِ كما القاعدة في حمل حلم الخلافة

الإسلامية ودولتها المؤجلة، بل أرادها واقعاً عملياً ينطلق منه ميدانياً للتمدد نحو الخلافة الإسلامية، كما تطرق البعض إلى حياة المجتمعات في ظل دولة [داعش]. ولقد جرت الاستفادة منها في مجالين رئيسيين:

١. اعتمادها كمراجع ومصادر في عدة عناوين من البحث وفصوله، خصوصاً فيما تناولته من معطيات ومعلومات متقاطعة شكلت محل إجماع أو شبه إجماع بين الكتاب والباحثين.

٢. تعزيز الاطلاع والمعرفة بالموضوع (الظاهرة) من مختلف الأبعاد والزوايا وبأقلام متعددة المعرفة بالموضوع وعزز الحماسة للبحث فيه والكتابة عنه، خصوصاً في الجوانب التي لم يتطرق لها الباحثون في دراساتهم وكتبهم.

الأمر الذي دفع إلى تكوين اتجاه للبحث لم يتطرق إليه الكتاب، وهو ما تبلور في الإشكالية وبعدها في الفرضية الأساسية للبحث - كما سيمرّ - التي تُفصح عن وجود التباسات وتناقضات وفجوات بين التجربة والنظرية، وبالتالي عدم امتلاك التجربة لمقومات الاستمرار والبقاء في ظل ما تواجهه من تحديات داخلية على مستوى البيئة الشعبية، وخارجية على المستويات السياسية والأمنية والعسكرية، فضلاً عن الكثير من الفجوات في اتجاهات المنظومة الفكرية والعقدية السلفية التي أُريد إسقاطها من التاريخ على الحاضر، دون أية مراجعات أو تغيير في الأدوات والأساليب.

الإشكالية والتساؤلات

لسنا في صدد الاستغراق في البحث الفكري والنظري وخلفيات وامتدادات الظاهرة تاريخياً، ولكن لا بد من الإشارة إليها والتعرف عليها بشكل عام وسريع انطلاقاً من كون الهوية السلفية كمرجعية دينية لدولة الخلافة - كما تعلن هي وتدّعي - هو موضوع خارج اختصاص البحث، وقد أشبع دراسةً في كتب ودراسات فقهية وفكرية عدة قديماً وحديثاً - كما تبين معنا فيما سبق.

إن الهدف المباشر من هذا البحث هو دراسة تجربة دولة الخلافة الإسلامية المعلنة كاسم لاحق وجديد لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام [داعش] تحديداً، والإضاءة عليها من مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والفكرية وحتى الاقتصادية، لفهمها وتحليل مسار نشوئها وتكونها وبلورة مشروعها في الحكم والسلطة ضمن منطقة وحدود جغرافية ما زالت غير ثابتة وتعرض للتمدد والانحسار بحسب ظروف المعركة والمواجهة التي تخوضها على أكثر من جبهة.

ولا بد هنا من المقارنة بين مستنداتها الفكرية والعقدية ومرجعيتها الفقهية وبين التطبيق والممارسة العملية في تجربتها ومشروعها السياسي كدولة خلافة جديدة ومعلنة.

ولأن المعرفة تبدأ بالتساؤل - بحسب ما يقوله أفلاطون -، فإن طرح مجموعة من التساؤلات التي تفرضها دراسة هذه الظاهرة تشكل مدخلاً طبيعياً لبلورة إشكاليات البحث، والتي ستنتقل من السؤال المركزي التالي:

إلى أي حد استطاعت دولة الخلافة الإسلامية [داعش] أن تقدّم نموذجاً يعكس قدرًا من الانسجام بين النظرية والتجربة الذي يؤهلها للبقاء والاستمرار بعيداً عن ما أثير من إشكاليات؟

إن هذا السؤال يستولد مزيداً من التساؤلات المكتملة على مستوى المعالجة المنهجية، ومنها:

١. ما هي حقيقة دولة الخلافة الإسلامية؟ وما هي منطلقاتها الدينية وأيديولوجيتها السياسية؟ وما علاقتها بالتيارات السلفية والجهادية؟

٢. في المقابل، كيف صنعت تجربتها العملية؟ وهل ينطبق ما هو معلن عنه كدولة للخلافة (عند داعش) مع مفهوم الدولة والخلافة الذي شهده المسلمون في تاريخهم أو في نظريات الحكم والإدارة في الإسلام؟

٣. هل استندت في ممارستها العملية إلى اجتهادات فقهية محددة وواضحة في الفقه السلفي؟ وما هي مساحات هذه الاجتهادات؟ وهل هناك مجموعة من الظروف أملت بها البيئة التي نشأت فيها هذه التجربة أو نشأ فيها قادتها أثرت في هذه الاجتهادات ونحت بها خارج الأصول والضوابط الفقهية المعروفة تاريخياً أم لا؟ وهل تأثرت التجربة بعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية خارجية محيطية بها لنتج هذه الاجتهادات؟ ومن هم الفقهاء والمنظرون المعتمدون لديها؟ وما هو مستوى قدرتهم على إنتاج مثل هذه الاجتهادات؟ أم هل ترك للقادة الميدانيين التصرف وفق ما تقتضيه المصلحة بنظرهم أو وفق تقديراتهم الخاصة بهم ليعملوا ويتصرفوا؟ وأين هذا من الأصول الفقهية والنظرية؟

٤. ما هي المؤسسات التي أنشأتها دولة الخلافة [الجديدة] وما هي أدوات وأساليب عملها وتكتيكات الحكم والسياسات المعتمدة لديها واستراتيجيتها العملية وممارستها في الإدارة والحكم؟ ومن أين استقت هذه السياسات

والاستراتيجيات؟ وكيف برّرت لنفسها استخدام هذه الأساليب والوسائل في الإدارة والحكم؟

٥. كيف تكوّن مجتمع داعش؟ وما هي العناصر المساهمة في تكوينه؟ وكيف يمكن قراءته سوسيولوجياً لفهم خصوصيات المكونات الداخلية له؟ وهل استطاع توفير مستلزمات التماسك والصمود ليتحول إلى حاضنة اجتماعية للدولة، أم أنه لم يرقّ إلى أداء هذا الدور؟

٦. هل شكّلت هذه التجربة خروجاً عن النمط السائد في مسارات الحركات الإسلامية والجهادية لا سيما [القاعدة] أم هي نتاج طبيعي لها؟ وهل هي نمط جديد في تجربة الحكم قدّم نفسه كنموذج يفرض على هذه الحركات والتنظيمات التي ستجد نفسها مضطرة إلى التماهي والالتحاق بهذه التجربة؟ أو أنها ستواجه هذه التجربة وترفضها وتستنكر أساليبها وتجعلها عرضة للتشطي، وبالتالي ستضع منهاجاً لمواجهة فكرياً وفقهياً وسياسياً؟ وكيف ستكون أشكال هذه المواجهة والتصادم؟

٧. هل تملك دولة الخلافة [الجديدة] مقوّمات الاستمرار والصمود والثبات كدولة؟ وما هي المؤشرات التي تدل على ذلك؟ وما هي العناصر التي تعتمد عليها للاستمرار والبقاء؟ وما هي العوامل التي قد تؤدي إلى إضعافها وزوالها لاحقاً في ظل العلاقة المضطربة مع الآخر على مختلف الصعد؟

هذه بعض الأسئلة فرضها سياق المعالجة، وكان لا بد من الإجابة عليها ومعالجتها بمنهجية محددة وبموضوعية وبأسلوب علمي، بعيداً عن التحيز أو التعاطف معها أو ضدها.

الفرضية الرئيسية والفرضيات الفرعية

إن الاسئلة المطروحة أعلاه تستوجب فرضية أساسية وعدداً من الفرضيات الفرعية التي يمكن بلورتها في بداية البحث لإثباتها أو نفيها عبر البحث والتمحيص والدرس، وبعد الاطلاع الوافي تقريباً على جوانب الظاهرة وملاحقة تداعياتها على أكثر من صعيد، ومن خلال الكثير من المصادر المتنوعة والمختلفة، يمكن الانطلاق من الفرضية الأساسية التالية:

إن ممارسات دولة الخلافة [داعش] يشوبها الكثير من الالتباس والغموض والتناقض مع المرتكزات والقيم الإسلامية في الانسجام بين النظرية والتجربة، مما يفتح الباب أمام فرضية استحالة استمرار هذه الدولة وبقائها.

٣٠

إن هذه الفرضية الأساسية تستولد عدد من الفرضيات الفرعية، بالإمكان إجمالها في النقاط التالية:

١. إن ادعاء الدولة الإسلامية [داعش] بأن مشروعها يهدف لقيام الخلافة الإسلامية على منهج النبوة، لم يجد في الواقع مصداقية شرعية أو عملية له.
٢. إن تعدد المرجعيات في السلفية الجهادية تنعكس صراعاً وتشظيً داخلي يجعل من تجربة [داعش] محل انتقاد واهتزاز لشرعيتها الدينية.
٣. إن عموم النموذج المؤسساتي والخدمي الذي صنعه الدولة الإسلامية [داعش] لم يستطع أن يُشكّل بديلاً حقيقياً للمؤسسات الرسمية التي تعطلت في المناطق التي سيطرت عليها.

٤. إن القراءة السوسولوجية لمنظومة القوانين الاجتماعية المتشددة التي فرضتها الدولة الإسلامية [داعش] على المجتمع تؤكد أنها ولّدت نفوراً وابتعاداً عن تأييدها وبالتالي أفقدتها الحاضنة الشعبية لها.

٥. إن الخلافات بين الدولة الإسلامية [داعش] والقاعدة ومختلف الفصائل المسلحة الأخرى، لم يكن وليد الخلاف الديني أو العقدي، بل الصراع على السلطة والنفوذ واحتكار المرجعية الدينية والسياسية معاً.

٦. إن الممارسات التي انتهجتها الدولة الإسلامية [داعش] مع المحيط من حولها (دولاً وفصائل) لم تبين علاقات سوية، مما فتح باب الصراعات مع الجميع، وأدى إلى استنزافها، فضلاً عن مجابتهها لتعارضها مع القوانين الدولية.

المناهج المعتمدة

إن الهدف من دراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية هو تنمية وتطوير الحياة الاجتماعية والسياسية ويتم دراستها انطلاقاً من بناء نظري خاص ومنهجية خاصة وما يمكن الوصول إليه من نتائج وقوانين علمية تساعد في التنمية السياسية والاجتماعية في المجتمع، وهي لا يمكن إدراكها إلا من خلال تأثيرها على تلك المجتمعات.

في تعريف المنهج بحسب [عبد الله إبراهيم] في كتابه علم الاجتماع (السوسولوجيا) يرى أن المنهج يمثل «منحى أو منطق في رؤية الأمور ومعالجتها، أو نظام من المواقف والعادات الذهنية التي تمكّن الباحث من تحديد السلوك

العلمي الملائم لكل وضعية ملموسة»^(١)... ويعتبر المنهج أحد العناصر الأساسية للمعرفة العلمية.

لذا، فالمعالجة العلمية والموضوعية لهذه الظاهرة استدعى الاعتماد على عدة مناهج بحثية في آنٍ واحد، نظراً لتنوع الزوايا والإضاءات التي احتاجها البحث على الظاهرة من مختلف جوانبها، وقد جرت الاستعانة بعدد من المناهج حسب تنوع جوانب المعالجة في البحث. والمناهج التي استُعين بها هي:

- المنهج التاريخي: لربط موضوع البحث بالسياق التاريخي حيث ساعد على فهم الوقائع الزمنية المتتالية، فالاستفادة كانت من هذا المنهج على أكمل وجه في قراءة الأحداث وإدراك مؤثراتها بما يصب في خانة قراءة طبيعة دولة الخلافة المستحدثة [داعش] وملابسات تشكلها وفق مقتضيات الراهن المتولّد عن تراكمات السابق.

- المنهج الوصفي التحليلي: حيث ساعد على «دراسة الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها في مجتمع معين بقصد جمع الحقائق واستخلاص النتائج»^(٢). وأهمية هذا المنهج برزت في البحث من خلال رصد وتحليل الحركة الداخلية الاجتماعية- السياسية- الاقتصادية... والتي تعكس مستوى التفاعل الداخلي مع منطلقات النظرية التي انبنت عليها واستخراج دلالاتها التي أظهرت الكثير من خصوصيات التجربة في تقاطعاتها مع النظرية.

- المنهج البنيوي: بالنظر إلى الظواهر السياسية وقضاياها من خلال البنية

(١) عبد الله إبراهيم: علم الاجتماع (السوسيولوجيا)، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص ١١٧.

(٢) أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، ط ٥، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩، ص ٢٨.

التي تكوّنوها وتحكمها كما في الهيكلية التي اعتمدها الدولة الإسلامية، كانت الاستفادة من المنهج البنيوي في الولوج إلى واقع الظاهرة، ومعرفة طبيعتها والأجزاء المكوّنة لها في ظل نمط العلاقات الناظمة والمتبادلة لعناصر الفعل والتأثير الداخلي لاكتشاف ديناميات الحكم والتجربة.

التقنيات المستخدمة

تمثل التقنيات التي يمكن استخدامها في إنجاز البحث الأدوات التي يستعين بها الباحث لتساعده على إتمام بحثه، من خلال الاستفادة من الأدوات المناسبة في مراحل دراسته لجمع وتحليل المعلومات التي قد تم التوصل إليها. وفي سياق المعالجة للظاهرة، كانت الاستفادة من تقنية [تحليل المضمون]، كون مادة البحث تتناول شكلاً من أشكال الحكم المرتبط بتجربة الخلافة الإسلامية مع ما شهدته من إرهابات؛ كما تتناول الكشف عن حقيقة المفاهيم التي انطلقت منها الإشكاليات فتحتاج إلى مقارنة تحليلية لمضمون الخطاب والأدبيات الصادرة عن المنظرين والقادة عند [داعش]؛ كما أن تقنية [المقابلة] قد شكلت إضافة في هذا السياق، حيث تمت الاستفادة منها عبر لقاء عدد من الكتّاب والنقاد المتبعين لمسار تطور الظاهرة بشكل رئيسي.

فصول الكتاب

انسجماً مع ما تقدم في الفقرات السابقة وسعياً لتنظيم البحث فقد جاء تقسيم البحث بما يخدم الموضوع وفقاً للإشكاليات المطروحة والفرضيات الموضوعية، ويتدرج في الولوج بالبحث من العام إلى الخاص، متوقفاً عند العناوين التي تساعد على إيفاء البحث حاجته لمقاربة الإشكالية والتساؤلات والإجابة عليها والتحقق من الفرضية الرئيسية والفرضيات الفرعية، وصولاً إلى تكوين نتائج تخدم البحث في كافة جوانبه.

وانسجماً مع التقسيم المنهجي اللازم، توزعت فصول الكتاب على ستة عناوين بالإضافة إلى خاتمة على الشكل التالي:

• **الفصل الأول:** قدّم التأسيس النظري والتاريخي للدولة والخلافة في ثلاثة مباحث: الأول تحدث عن الدولة في تأسيساتها النظرية وفي الفهم الإسلامي سواءً لجهة ماهيتها في الفكر الإسلامي أو لجهة اختلاف تجسّداتها بين الإمامة والخلافة، فضلاً عن النظرة للاجتماع السياسي وضرورته، ومن ثم التوقف عند موارد التقاطع والاختلاف بين الدولة في الإسلام والدولة المعاصرة.

والثاني عن الخلافة في التاريخ، بدءاً من ارهاصات النشأة وإشكالاتها*، وصولاً إلى شروط انعقادها ومواصفات الحاكم في الإسلام. أما الثالث فقد تناول انتقال الخلافة من المجال الديني إلى الدولة كملك وسلطة بعد المرور باستعراض مرحلة الخلافة الراشدة وانتهاءً بما أثّرت من إشكالات حول الخلافة بعد المرحلة الراشدية.

• **الفصل الثاني:** وقد عالج [السلفية الجهادية] وتمثلاتها في القاعدة وداعش في مقاربة للجذور والنشأة وإرهاصات التجربة الأفغانية، من خلال ثلاثة مباحث أيضاً: الأول عالج الفكر السلفي التكفيري عند [داعش]، وبناءه المعرفية والمنهجية، إضافة للعوامل الاجتماعية والسياسية المساهمة في النشأة، كما تطرق لـ [الوهابية السعودية] لجهة الخلفية والدور، فضلاً عن ماهية [الوهابية]، وكيف تزاوجت مع مشروع السلطة عند الأمير ليتتج عن هذا التزاوج ولادة الدولة السعودية في مراحلها الثلاثة، والثاني يعالج مسار السلفية الجهادية وتنظيراتها وصولاً إلى نشوء [تنظيم القاعدة] مع التوقف عند أبرز منظريها المعاصرين، عارضاً للتجربة الأفغانية كنموذج معاصر. أما الثالث فتحدث عن هوية ونشأة القاعدة وفقه الخلافة الإسلامية الذي

* للتمييز بين الإشكال والإشكالية، جرى البناء على تمييز كل منهما عن الآخر انطلاقاً من كون الإشكال يمثل قضية استفهامية تتضمن أطروحتين أو أكثر، وتوجد بينهما مفارقة أو اختلاف أو تعارض، وتقتضي الإجابة استدعاء أطروحة أو أكثر بالذات، للبحث عن نتيجة معينة، انطلاقاً من معطيات معروفة سلفاً. أما الإشكالية، فهي إشكالات يمكن طرحها بصدد مجال من مجالات التفكير، وهي الطريقة النوعية التي تطرح بها تلك الإشكالات، بالإضافة إلى شبكة الأسئلة التي توجه التساؤل. -راجع (موقع philoclub.net، نقلاً عن Henri Pena Ruiz: La Dissertation -Methode.Exemple.Exercie، تعريب عبد

بدأت نظيراته إبان التجربة الأفغانية، مع التوقف عند الاستراتيجية التي وضعها [بن لادن] وأصحابه هناك بالانتقال من العدو القريب إلى العدو البعيد.

• **الفصل الثالث:** فقد جاء تحت عنوان: دولة الخلافة الإسلامية [داعش]: التأسيس والهيكلية والمؤسسات وآليات الحكم، حيث توزع على مبحثين. المبحث الأول تناول إرهابات ومراحل التأسيس بدءاً من المفاهيم والأفكار المؤسسة، مروراً بالجانب العملي من خلال استعراض بنية الدولة وهيكلتها، وصولاً إلى الجغرافيا التي تحرك فيها المشروع وأسباب اختيارها لهذه المنطقة، فضلاً عن رصد الفروع الإقليمية للدولة. أما الثاني فقد استقرأ الهيكليات والمؤسسات وآليات الحكم، من خلال تعدد مؤسسات الدولة العسكرية والأمنية والهيئات الشرعية والقضائية وتكامل الأدوار بينها ومدى تطورها في المراحل التي مرّت بها الدولة.

• **الفصل الرابع:** عالج سوسيولوجيا مجتمع [داعش] من خلال ثلاثة مباحث؛ الأول تناول الإعلام والدعاية وآليات الاستقطاب والتجنيد وتعدد أدواتها وفعاليتها من خلال قراءة مضامين الإصدارات الإعلامية الرئيسية. والمبحث الثاني تطرق إلى مناهج التربية والتعليم عند [داعش]، والمدارس والجامعات، وفي قراءة سوسيولوجية لمضامين الكتب المدرسية ومحتوياتها الأيديولوجية الصارخة. أما المبحث الثالث فقد تناول موضوع المرأة، واقعها ودورها في [داعش]، وكيف تجاوزت [داعش] الإشكالات الشرعية في فقه المرأة، الأمر الذي جعل مئات النساء من أوروبا وأميركا يلتحقن

بمجتمع [داعش] وينخرطن فيه فضلاً عن العربيات والمسلمات وصولاً إلى قيام بعضهن بأدوار خطيرة كالعاملات الانتحارية.

• **الفصل الخامس: عالج الاشكالات والتحديات التي واجهتها [داعش]**

في الحكم والتجربة، وذلك في مبحثين؛ الأول تناول إشكالات الشرعية والمشروعية سواء في الساحة الإسلامية السنية عموماً، أو في داخل البيئة السلفية الجهادية، مع المقاربة للتوترات الداخلية في السلفية الجهادية وقابليات التشظي في الممارسة والميدان العملي، خصوصاً في التحديات السياسية، حيث برزت الانقسامات والاختلافات، في ظل تعدد المرجعيات وغياب المرجعية الواحدة الحاسمة للموقف. أما المبحث الثاني فقد برز إشكالات ممارسة السياسة في تجربة [داعش]، سواءً في داخل البيئة المجتمعية الحاضنة أو مع العشائر والفصائل السنية الأخرى الجهادية منها وغيرها، انطلاقاً من التسرع في إعلان الخلافة وتداعيات ذلك، ليتوقف بعدها عند إشكالات الحكم والتجربة، في السياسة الداخلية للدولة وفي أنماط الحكم وأسلوبه، فضلاً عن تحديات البيئتين الإدارية والتنظيمية في الدولة.

• **الفصل السادس والأخير: تطرّق إلى علاقة [داعش] مع الآخر (الخارج) وذلك**

في ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول بيّن الموقف من الشرعية القانونية الدولية والنظام العالمي، حيث إنكار مبادئه، بدءاً بإنكار سيادة الدول وكل مترتبات القوانين الدولية. أما المبحث الثاني فقد تناول العلاقة الملتبسة بين [داعش] والغرب، والتي تتراوح بين الاستثمار والتصادم، والثالث فتناول بالمقابل إشكالية العلاقة من خلال تقاطع المصالح عند الآخر ضد [داعش]، على المستويات المحلية والاقليمية والدولية.

تبقى الخاتمة، والتي خُلصت إلى النتائج التي توصل إليها البحث، والمستقاة من المعالجة المنهجية في العرض انطلاقاً من الأسباب الكامنة في عدم قدرة [داعش] على الاستمرار في مشروعها وفشلها في البقاء على قيد الحياة كدولة خلافة، وذلك ربطاً بالمقدمات التأسيسية والمقاربة السوسيولوجية، وصولاً إلى آفاق المستقبل لعملها بعد فقدانها للتواجد الجغرافي في العراق وسوريا. في نهاية المقدمة، لا بد من الإلفات إلى أن دراسة موضوع البحث جاءت بدافع الكاتب الباحث عن الحقائق، والساعي لمراكمة الرصيد المعرفي، وأي خلل قد يطال هذا العمل، فهو ضريبة حتمية لمسار البحث والتحقيق لإغناء حقول العلم والمعرفة.

الفصل الأول

الدولة والخلافة: التأسيس النظري والتاريخي

المبحث الأول / الدولة في الفهم الإسلامي

- ماهية الدولة في الفكر الإسلامي

- الدولة بين الخلافة والإمامة

المبحث الثاني / الخلافة في التاريخ

- إرهاصات النشأة وإشكالاتها

- شروط انعقاد الخلافة ومواصفات الحاكم

المبحث الثالث / الخلافة من الدين إلى الدولة

- النظام السياسي لحكم الخلفاء الراشدين

- إشكالات أُثيرت حول الخلافة

الفصل الأول

الدولة والخلافة: التأسيس النظري والتاريخي

قبل الولوج للتعرف على الظاهرة ودراستها من خلال الإضاءة على جوانبها من زوايا متعددة، عقدية وسياسية واجتماعية، وتحليل مسارها، ووفقاً لما طرحته الإشكالية من ضرورات تطال دراسة تجربة دولة الخلافة الإسلامية وآليات الحكم والسلطة في هذه التجربة، ومن ثم مقارنتها مع تجربة الدولة والخلافة في الإسلام، كان لا بد من البدء ببلورة مفهوم الدولة بشكل عام، والخلافة بشكل خاص، والتأسيس النظري والتاريخي لكل منهما، واستعراض مفهوم الدولة بين اللغة والاصطلاح والتجربة التاريخية، ووجوب العمل لقيامها في العقل والشرع وآليات عملها القانونية والشرعية.

إن ما كُتِبَ حول الدولة عند الفلاسفة القدماء، وما جاء في النص القرآني حول الدولة والخلافة، يحتاج إلى استقراء يطال تجربة الدولة عند رسول الإسلام محمد ﷺ في المدينة المنورة، وتجربة الخلافة الراشدة، كما يحتاج إلى الوقوف على الوقائع التاريخية في تجربة الخلافة، والتي تحولت لاحقاً إلى نصوص مقدّسة، فاستُخدمت كمرجعيات شرعية في ما كتبه فقهاء السياسة الشرعية، ك[المارودي] و[ابن حجر] وغيرهما، وصولاً إلى ملامسة أشكال انعقاد الخلافة وطرقها ومواصفات الخليفة والشروط اللازمة في اختياره ونصبه وعزله، والآراء المتعددة عند فقهاء المسلمين في هذا الموضوع؛ هذا فضلاً عن اختلافهم في النظرة إلى مفهوم الخلافة والإمامة بين من يرى لزوم العصمة في الشخص، وبين من يعتبر العصمة هي للخلافة كموقع ومنصب ومكانة.

والأمر هنا لا يقتصر على ذلك، فالمقاربة المعاصرة - وبحسب الإشكالية- تحتاج إلى قراءة الأدوات المساعدة على الربط، من خلال تظهير النشأة والنظريات تمهيداً للربط بينها وبين مخرجات النظرة إلى الدولة في الإسلام.

واستكمالاً لمعالجة الإشكالية والتحقق من الفرضيات التي انطلق منها البحث، تبرز الحاجة إلى التعرف على تجربة الخلافة تاريخياً، ليتسنى معرفة مدى انطباق تجربة [داعش] في دولة الخلافة عليها، أو اختلافها عنها، وبالتالي هل رافق التجربة التاريخية للخلافة نقاش وجدال في الشرعية والمشروعية كما يجري مع التجربة المعاصرة لها.

والأمر يستدعي التعرف على إرهاصات النشأة للخلافة تاريخياً والإشكالات التي رافقتها وتركت بصماتها في المسيرة الطويلة لتاريخ الخلافة فضلاً عن المرور بالنظريات المتعددة لشروط وطرق انعقاد الخلافة ومواصفات الحاكم (ال خليفة) ومدى تساهل البعض فيها، أو تشدد البعض الآخر، وهل التزمت [داعش] بهذه الشروط ومواصفات في تعيين الأمراء والخليفة أم لا.

كما سيتطرق هذا الفصل إلى الإشكالات التي أثرت على الخلافة تاريخياً، وأبرزها تحويلها بعد المرحلة الراشدية إلى [ملك عضوض] عندما اعتمدت التوريث والعصبية بعيداً عن الشروط ومواصفات الشرعية للخليفة، والتي أدت إلى توسل الشرعية الدينية من خلال استخدام الدين لخدمة الحاكم وإضفاء الشرعية على خلافته، فبدل أن يكون حارساً للدين يصبح الدين مطلوباً لحراسة الخليفة في منصبه، وبالتالي كيف تم انتقال الخلافة من منصب يحمل الصبغة الشرعية الدينية إلى منصب سياسي وملك وراثي يتوسل الشرعية الدينية من خارجه ليبرر مشروعيته في مجتمع إسلامي.

وسيتّم تناول كيفية دمج التاريخ الإسلامي مع تاريخ الخلافة، وحجم الانتقائية التي قام بها البعض في قراءة التاريخ الخاص بالخلافة وعدم التفريق بين الوقائع التاريخية والأمور العقديّة مما أدى إلى الإساءة للعقيدة الإسلامية التي مارس الخلفاء حكمهم باسمها وتحت رايتها، ولكنهم في كثير من الأحيان كانوا يناقضون أحكامها وتشريعاتها الإلهية الحاكمة.

هذا بالمجمل ما ستتمّ معالجته في هذا الفصل، على أمل أن يساعد في تعيين المقدمات الأولية وتكوين الرّؤى الواضحة والممهّدة للدخول في صلب الدراسة وتناول أبعادها وجوانبها المتعددة والمرتبطة بخصوصية التجربة المعاصرة لدولة الخلافة الإسلامية.

المبحث الأول الدولة في الفهم الإسلامي

١ - ماهية الدولة في الفكر الإسلامي:

في بداية الحديث عن ماهية الدولة في الفكر الإسلامي، لا بد من تعيين مفهوم الدولة، لغة واصطلاحاً، للانطلاق منها في تعيين الارتباط بالنظرية الإسلامية الخاصة بنشأة الدولة، وما هي طبيعة أنظمة الحكم القائمة في الإسلام، وصولاً إلى تعيين وظائفها.

أ. الدولة لغةً واصطلاحاً

جاء في لسان العرب (الدولة) بالفتح في الحرب أن تدار أحدى الفئتين على الأخرى؛ ويقال كانت لنا عليهم الدولة. والجمع الدول. الدولة بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه.

والدولة بالفتح الفعل. وفي حديث أشراف الساعة: إذا كان المغنم دُولاً جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم.

وفي قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (سورة الحشر - الآية ٧).

والدولة برفع الدال في الملك والسنن التي تغير وتبدل عن الدهر، فتلك الدولة والدول.

قال [الزجاج]: والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال. وتداولنا الأمر أخذناه بالدول؛ وقالوا دوايك أي مداولة على الأمر. وقال سيويه: وإن شئت

حملته على أنه وقع في هذه الحال؛ ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس^(١).

قال [أحمد بن فارس] في مقاييس اللغة في مادة (دَوَّلَ): «الดาล والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحوّل شيء من مكانٍ إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضعفٍ واسترخاء»^(٢). وفي لسان العرب: «الدَّولة والدَّولة: العقبة في المال والحرب سواءً، وقيل: الدَّولة، بالضمّ، في المال، والدَّولة، بالفتح، في الحرب، وقيل: هما سواءٌ فيها، يَضْمَانُ ويُفْتَحَانُ»^(٣). وعن الزجاج أن «الدَّولة» بالضمّ: اسمٌ للشيء الذي يتداول، و«الدَّولة» بالفتح: الفعل والانتقال من حالٍ إلى حال. وهو ما ذهب إليه [أبو عبيد]، كما في تاج العروس، وينقل الأزهري في تهذيب اللغة عن الفراء أن الدَّولة، بالفتح، للجيشين يَهْزِمُ هذا هذا، ثم يَهْزِمُ الهازم. ودوايك من تداولوا الأمر بينهم، يأخذ هذا دولةً وهذا دولةً، وأنشد [ابن الأعرابي]:

إذا شقَّ بُردٌ شقَّ بالبرْدِ مثله دَوَالِيكَ حتى ما لِدَا الثوبِ لَابِسٌ^(٤).

وفي تاج العروس: «الدَّولة: انقلابُ الزمان من حال البؤس والضرِّ إلى حال الغبطة والسرور... والدَّولة في الحرب أن تُدال إحدى الفئتين على الأخرى،

(١) راجع (ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لا ط، لا ت، مج ١، ص ١٠٣٤، ١٠٣٥).

(٢) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مج ٤، ص ٤٤٤.

(٤) محمد بن أحمد الأزهري: معجم تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، مج ٢، ص ١٢٤٨-١٢٤٩.

يقال: كانت لنا عليهم الدولة»^(١).

والعرب تُفَرِّق بين المُلْك والدولة بأنَّ المُلْك هو السلطة أو السلطان، وما الدولة إلا شكل من أشكال السلطة؛ فالدولة قابلةٌ لأن تتغيَّر أو تتبدَّل أو تنتقل، إلا أن هذا التغيُّر أو التبدُّل أو الانتقال هو سُنَّةٌ طبيعية من سنن المُلْك (السلطان) الباقي؛ وبقاؤه بل ضرورته تتأتى من كونه «الاجتماع الضروري للبشر»^(٢). وهو ما أشار إليه [أبو هلال العسكري] في تفريقه بين «المُلْك والدولة»، فالمُلْك «يفيد اتساع المقدور... والدولة انتقالٌ حالٍ ساوَّة من قومٍ إلى قوم»^(٣). وهذا يُظهرنا على أنَّ بين السلطان والدولة علاقةٌ عُمومٍ وخصُوصٍ، والسلطان هو الأعمّ.

وقد ذُكر لفظ «الدولة» في القرآن الكريم مرةً واحدةً في قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (سورة الحشر - الآية ٧).

لكنَّ عدم تكرار ذكر الدولة بمعناها الحديث في الذكر الحكيم لا يعني عدم الاهتمام بها ولا المضاءة من شأنها، فقد عبَّر القرآن عن الدولة بألفاظ أخرى: القرية، والمدينة، والبلد، والبلدة^(٤).

(١) محمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ط ٢ الكويت، لا دار نشر، ٢٠٠٨، مج ١٤، ص ٢٤٥.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون أو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٦٧، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) حسن بن عبد الله العسكري: كتاب الفُروق، ط ١، طرابلس، دار جروس برس، ١٩٩٤، ص ٢٠٧.

(٤) انظر (ماجد راغب الحلو: الدولة في ميزان الشريعة، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، لا ط، ١٩٩٤، ص ٢٩ - ٣٤).

ب. الدولة كظاهرة اجتماعية قديمة

خلق الله الانسان مجبواً بفطرة الاجتماع الإنساني، لا تستوي معيشته إلا من خلال انخراطه في مجموعة يتبادل معها احتياجاته من خلال العلاقات الاقتصادية والمعيشية والعاطفية والسياسية وغيرها.

وهذا الإحتكاك بين أفراد المجتمع يحدث في ظل وجود سعي لدى كل فرد للسير نحو أهدافه وطموحاته الخاصة، ويستخدم أساليب متنوعة للوصول إلى هذه الأهداف والرغبات والطموحات، وهذا قد يحدث تعارضاً بين مساعي الأفراد داخل المجتمع، الأمر الذي يستدعي وجود قوانين وقواعد تضبط سلوكيات وتصرفات الأفراد في حياتهم الجماعية وتعاملهم الاجتماعي.

فالحياة الاجتماعية بحاجة لقانون عام اجتماعي وبحاجة أيضاً لقوانين فردية وراذع ذاتي نطلق عليه مصطلح الأخلاق، والتي تعطي الحياة طابعاً إنسانياً، وترفع مستوى العلاقات الاجتماعية إلى مستويات سامية تساعد على تطور المجتمعات ورفقيها وصولاً إلى تكوين حضارة شامخة ومجتمع قوي.

ويخبرنا التاريخ أن الحضارات قامت في بقاع الدنيا الخصبية، الدافئة، الغنية بعوامل الحياة: على ضفاف النيل وفي بلاد ما بين النهرين وفي رحاب الهند وفسيح الصين وأرض اليونان وحوض نهر التيبر في سهول إيطاليا حيث قامت روما والرومان. وهكذا نشأت الحضارات القديمة وفي قلب هذه الحضارات نشأت التشريعات التي أشارت إلى حقوق طبيعية للإنسان في الحياة (ونظمت العلاقات البينية داخل المجتمع في كل من هذه الحضارات)، كما نشأت قوانين وضعية سنها الإنسان لتطوير حياته، وبلوغ أهدافه⁽¹⁾، فالعقل والتفكير المنطقي

(1) M.Lombard: 'l' Islam dans sa premiere grandeur,Flamarion editeur,Par-
is1971 Page7- 11.

يحتج ضرورة وجود مرجعية أو سلطة عليا لإدارة الاجتماع الإنساني.

ولعل ما ذهب إليه [أرسطو] في كتابه السياسة يُبرز بعداً هاماً عندما اعتبر أن كل مجتمع إنساني وحتى يتحقق فيه شيء من الإستقرار يلزمه نوع من السلطة الواحدة المسيطرة، كائناً ما كانت طبيعة هذا المجتمع ومساحة أرضه وسكانه، وتمثل هذه السلطة بإقامة أنظمة الإدارة والعدل والدفاع عن الحياض، ومن خلال إثبات الدولة لقدرتها على تحقيق هذه المهام تنبع سلطتها وتؤكد سيادتها^(١).

وقد ربط القرآن الكريم بين الرسائل السماوية، وبعثة الأنبياء، وبين إقامة الحياة الاجتماعية للناس وتنظيمها وفق الكتاب المنزل على الأنبياء في هذه المجتمعات وأشار إلى الميزان كرمز للعدالة في حكم المجتمعات: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحديد - الآية ٢٥)، وقد أنزل الحديد ليمتحن عباده في الدفاع عن مجتمعهم الصالح وبسط كلمة الحق في الأرض مضافاً إلى ما في الحديد من منافع ينتفعون بها^(٢).

كما يمكن فهم المعنى هنا بالإشارة إلى حاجة السلطة وإدارة المجتمع لاستخدام القوة لفرض النظام داخلياً، والدفاع عن الأرض والمجتمع في وجه الاعتداءات الخارجية.

(1)E-Rabbath: Mahomet.publications of Lebanese University Beyrouth, 1981 -P.P285- 286

(٢) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤م، ج ١٩، ص ١٧١.

إن للدولة كشكل حديث من أشكال النظم الاجتماعي السياسي للمجتمع مهمات وواجبات، وإن ما أوجبه الله تعالى في كتابه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد والعدل وإقامة الحدود ونصرة المظلوم لا تتم إلا بوجود القوة والإمارة، وبالتالي الدولة^(١).

وقد طرح المفكرون والفلاسفة نظريات متعددة لتفسير مصادر السلطة، بين نظرية [أرسطو] وأفلاطون اليونانية التي تقول بالقانون الطبيعي والحقوق الطبيعية الثابتة. أو النظرية الرومانية التي تقوم على مبادئ العدالة بحسب ما يراها «الملك»، أو نظرية الحق الإلهي التي تعطي للملك الذي يمثل الموقع الأرفع وهو مسؤول أمام الله فقط وليس أمام الناس والشعب، فالقانون في «صدر الملك»، أو نظرية العقد الاجتماعي لـ [توماس هوبز Thomas Hobbes] ومن ثم نظرية [جان جاك روسو Jan Jack Rousseau] التي تقول أن الجماعة لها إرادة عامة تتبلور في عقد اجتماعي يشكل مصدر لنشوء الدولة، والحكومة هي وكيل يمكن أن تفوض إليها السلطات أو تنزع منها أو تعدل بحسب إرادة الناس، أو نظرية المنفعة التي قال بها كل من الفيلسوف والقاضي [بنثام Bentham] و[جون ستيورات ميل John Stuart Mill]^(٢).

ولعل البارز في هذا السياق ما قام به الفيلسوف اليوناني [أرسطو] بتحديد مفهوم الدولة باختصار على الشكل التالي: «الدولة هي صورة للمجتمع، وهي

(١) محمد كاظم مكي: النظم الإسلامية في إدارة الدولة وسياسة المجتمع - الطبعة الأولى - دار

الزهراء - بيروت - ١٩٩١م - ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه (بتصرف).

جمعية منظمة بقوانين^(١)، «وهي تتألف ليس فقط من أشخاص، بل من أشياء بدونها لا يقاد الأشخاص، وهي (الاقتصاد)، أو علم الثروات^(٢)، وتحدد أسس الدولة بالعائلة أو اجتماع المدن؛ ولأن الإنسان كائن مادي بالطبع فلا بد من سيادة الدولة على الأفراد. مع حتمية العدل الاجتماعي في هذا الكيان السياسي، فهي اجتماع لخير الناس ما دام يتم التحقيق مصالحهم»^(٣).

واسم الدولة (State) مشتق من اسم المدينة (City)، والمدن عادة هي أساس الدول وجوهر مركز النظام فيها، والدستور عماد الدولة فلا دولة بلا دستور، والدول اليونانية حفلت بدساتير حملت أسماء واضعيها (الدستور الكريتي - دستور مقدونيا -... إلخ) وهذه الدساتير حددت صلة الدولة بحقوق مواطنيها.

يضيف [أرسطو] إن وحدة الأرض ليست شرطاً لوحدة الدولة، أما النظام السياسي في الدولة أو نُظْم الحكم، فهي متعددة كالنظام الملكي أو الأرستقراطي أو الجمهوري، ويتفرع عن ذلك في داخل الحكم أنظمة عدة، قد تلتقي في تصنيفاتها ضمن أنظمة الحكم، لكنها تختلف في مضمونها، كالنظام الدكتاتوري

(١) أرسطو: السياسة، ترجمة بارتلمس سانتليز، تعريب لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٣٤.

(٢) يرى سانتليز أن علم الاقتصاد السياسي يعود لأرسطو وليس لأدم سميث في القرن الثامن عشر.

(٣) أرسطو: السياسة، مصدر سابق، ص ٩١.

والثيوقراطي* والأوليغارشي** وهناك فروع من هذه المفاهيم تتعلق بأسلوب الحكم فيها كالنظام الديمقراطي والاستبدادي إلى آخر ما هناك.

أما أرسطو، فينحاز إلى الديمقراطية، وهي تعني حكم الشعب، ويرفض الاستبداد ويؤكد ضرورة ارتباط السلطة الحاكمة بالدستور؛ ولكنه في الواقع وتبعاً لتقاليد عصره الاجتماعية - السياسية، يشترط في الحاكم العبقري والتفاف النخبة حوله، وضرورة وجود أو ترافق ذلك مع المؤسسات التي تقوم بالإشراف وممارسة السلطة، ففي رأيه إن المؤسسة كيان يبعد السلطة عن الاستبداد، بوجود التعددية والتشاور والصلاحيات المنتشرة وغير المركزة في يد واحدة.

هذا الإشكال المطروح في المعالجة المفاهيمية للمسألة، من اختلاط لمفهوم الدولة بالنظام السياسي، يطال [أرسطو] في كتابه السياسة عملية البحث عن الريادة في تفصيل ماهية كل من السلطة والدولة معاً، وغالباً ما يختلط المفهومان عنده؛ ولكنه عندما أشار إلى الجغرافيا فقد فصل أحد المفهومين عن الآخر.

واختلاط المفهومين مرده غالباً إلى أن لا نظام سياسي ينفصل عن كيان الدولة، فالنظام السياسي ينتسب إلى دولة، ولأن اليونان كانت في زمانه مشكّلة من عدة مدن، وكذلك معظم أوروبا، فقد أصبح النظام السياسي ملتصقاً بالدولة المدينة،

* الثيوقراطية (من أصل يوناني (Theocracy)) وتعني حكم الكهنة أو الحكومة الدينية أو الحكم الديني. تتكون كلمة ثيوقراطية من كلمتين مدجتين في اللغة اليونانية هما ثيو وتعني الدين وقراط وتعني الحكم وعليه فان الثيوقراطية هي نظام حكم يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الله.

** الأولىغارشية: أو حكم القلة: هي شكل من أشكال الحكم بحيث تكون السلطة السياسية محصورة بيد فئة صغيرة من المجتمع تتميز بالمال أو النسب أو السلطة العسكرية والكلمة مشتقة من أصل يوناني «أوليغارخيا».

ورغم أن الإسكندر المقدوني أقام إمبراطورية ممتدة إلى المشرق البعيد، (وتم ذلك، كما يعتقد المؤرخون، بوحي من أستاذه [أرسطو] الذي حمل أفكار العولمة مثل كل المفكرين الشموليين الذين يعتبرون الدولة والحاكم العبقري صاحب رسالة كونية)، رغم ذلك لم نجد في كتابه المتميز إشارة إلى الإمبراطورية.

وبالنظر إلى مفهوم الدولة انطلاقاً من الربط بمفهوم النظام السياسي، فإن مفهوم الدولة أشمل من مفهوم النظام السياسي؛ لأنها بالتعريف أو حسب مختلف التعاريف هي «جماعة من الناس استقر بهم المقام على وجه الدوام في إقليم جغرافي معين، وتسيطر عليه هيئة حاكمة تتولى شؤونهم في الداخل والخارج»^(١)، أو «إنها مجموعة من الأفراد مستقرة في إقليم معين، ولها من التنظيم ما يجعل للجماعة في مواجهة الأفراد سلطة عليا أمره قاهرة»^(٢).

التنظيم السياسي إذن جزء من الدولة، والأخيرة شعب وإقليم جغرافي وسلطة، وأضيف إلى ذلك من قبل المفكرين القانونيين مسألة السيادة، فلا دولة بلا سيادة على أرضها وسياستها الداخلية والخارجية. فللدولة أركان، بدونها لا يتحقق وجودها وهي: الشعب والإقليم الجغرافي، والسلطة السياسية، والسيادة، وبدون ذلك تصبح الدولة مجرد سلطة؛ لأن للدولة وظيفة اجتماعية، وإن تشابهت مع النظام السياسي، فإنها تحتويه انطلاقاً من وظائف اجتماعية وسياسية، ورسالة إلى الأمم والدول الأخرى، فهي تقتضي وجوده وإشرافه على المجتمع لينظم

(١) محمود حلمي: نظام الحكم في الإسلام مقارنة بالنظم المعاصرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

علاقاته تنظيمياً يحفظه من التفكك بفعل تصادم المصالح بين الأفراد^(١).
والسؤال الذي يمكن أن يُطرح بهذا الصدد، هل هناك حاجة للدولة؟

اختلف المفكرون حول مسألة الحاجة إلى الدولة، أو عدمها تبعاً لنظرتهم إلى النظام العالمي، وهنا لا بد من الإشارة إلى الفكر الماركسي الذي اعتبر الدولة سلطه قمعية لحرية الشعب، ولا لزوم لها ويستعاض عنها بسلطة المجالس في إطار الأمية، أي أن يصبح العالم دولة واحدة بكيانات سياسية صغيرة، يحكمها المتجون من عمال وفلاحين تماماً كما كان العالم في بدء نشوء الإنسان على الأرض^(٢).

وبعيداً عن نقد هذه النظرية، فإن الدولة أصبحت أمرة واقعة في العالم المعاصر وأصبح لها حدودها المعترف بها في إطار نظام عالمي، شرعة أمم متحدة، وإن هيمنت عليها الدولة الأعظم، فإن العولمة كما يبدو أصبحت سمة التقدم العلمي وثورة الاتصالات.

ج. الدولة في الفهم المعاصر

تعددت المذاهب والنظريات التي تناولت نشأة الدولة واختلف الباحثون في تفسير أصل نشوئها وكيفيته، ويمكن حصر أبرز المذاهب والاتجاهات في هذا الموضوع بأربعة اتجاهات رئيسية:

١. المذاهب الشيوقراطية: التي ذهب إلى تنسيب مصدر السلطة في الدولة إلى الله. وأشهرها: نظرية الحق الإلهي المباشر أو نظرية التفويض الإلهي، ونظرية العناية

(١) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٩.

(٢) كارل ماركس: بصدد الدولة، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٥، ص ٣٠٣ وما بعدها.

الإلهية^(١).

٢. المذاهب الديمقراطية: والتي ردت نشأة الدولة ومصدر السلطة فيها إلى الإدارة العامة للأمم، وأبرزها نظرية العقد الاجتماعي^(٢).

٣. المذاهب الاجتماعية: التي فسرت نشوء الدولة استناداً إلى فكرة تكوّن الأسرة وتطورها إلى العشيرة ثم القبيلة، والتزام فكرة القوة عند رئيسها^(٣).

٤. المذاهب التاريخية: التي فسّرت نشأة الدولة استناداً إلى مجموعة العوامل التي تجتمع وتتفاعل في ما بينها على مرّ الزمن، ومن ثمرة هذا التفاعل تتكون الدولة^(٤).

وفي الوقت الذي يتجه علماء الاجتماع إلى النظرة الاجتماعية المنطلقة من فكرة تطور الأسرة والعشيرة والقبيلة والحاجة إلى سلطة ناظمة في المجتمع تجسدها الدولة، يذهب الإسلاميون عادة إلى تبني النظرة الدينية في نشوء الدولة مع الأنبياء والرسول.

هذه الرؤية التي قدمها علماء الاجتماع لم تعف من قراءة حقيقة فهم الدولة كما يراها المفكرون والباحثون في شتى العلوم الاجتماعية؛ إذ قدّم علماء (١) راجع (جان توشار: تاريخ الفكر السياسي، تعريب علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨١، ص ١٤٣-١٤٧).

(٢) راجع (حسن شحاتة سعفان: أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية، دار النهضة العربية، مصر، لا ط، ١٩٦٦، ص ١٩٦-٢٠٢).

(٣) راجع (روبرت. م. ماكيفر: تكوين الدولة، ترجمة حسن صعب، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ص ٤١-٥٧).

(٤) راجع (محمد كامل ليلة: النظم السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٦٩، لا ط، ص ١٠٣-١٠٧).

الانثروبولوجيا معطيات هامة أدت ملاحظتها إلى بروز بعض خصائص الدولة الجوهريّة التي تُميّز الدولة الحديثة عن غيرها من الأشكال الأخرى للسلطة السياسية، وأهمها ما يلي:

١. تخصّص الوكلاء: ذلك أنّ كثيراً من المجتمعات البدائية تجهل تخصص الأفراد في ممارسة السلطة على مجموع أفراد الجماعة، وعلى الرغم من أن بعض الأفراد في هذه المجتمعات يتصدّون لممارسة نشاطات سياسية، فإنهم بصفة رئيسية يقومون بأدوار أخرى، دينية أو اقتصادية... على حين أننا نلاحظ في الدولة الحديثة ظهور مُحترفي السياسة.

٢. مركزية القهر: إذ أن المركزية المميزة للدولة الحديثة تتجلّى في انبثاق منظومة هرمية للحق تضمن لها القدرة على احتكار الإكراه الشرعي: الدستور، الذي يحدد اختصاص الاختصاصات يأتي في القمة، ثم سلطة القانون والأنظمة. وفي موازاة البنية الهرمية للحق، توجد بنية هرمية للإدارة والمصالح العامة، أو تراتبية إدارية: ففي القمة تأتي السلطة السياسية العليا، فالمدير العام، فَمَنْ دونه... حتى الوكيل الأدنى. إنَّ ثمة مصطلح يسميه الأنثروبولوجي البريطاني [بيلاي Bailey] تشابك البنى السياسية، بينما في مجتمعات ما قبل الدولة الحديثة لم تكن مركزية اللجوء الشرعي للقوة موجودة، بل أكثر من ذلك، كان السكان يرتبطون قانونياً بشبكات ولاءٍ عدّة مستقلة بعضها عن بعض، ومعقدة جداً، ومتباينة من حيث طبيعة المهام (تجارية، زراعية، دينية...)، وكذلك من حيث النظام القانوني الاجتماعي، أو العائلي للأفراد.

٣. الطابع المؤسسي: حتى إن بعضهم وصف الدولة بأنها مؤسسة المؤسسات^(١).

٤. الدولة الحديثة دولة ديمقراطية وحقوقية: بمعنى أن تصرّفات الحكومة فيها تخضع لقواعد ثابتة، يقول بعض رواد الفكر السياسي في هذا المجال: «إنَّ القدماء كانوا يتكلمون عن الحقوق بألفاظٍ سياسية، في حين أننا نتكلم اليوم عن السياسة بألفاظٍ حقوقية»^(٢)، وتعبّر هذه المقولة عن تعاضد دور العقيدة والعبارة الحقوقيّتين في الحياة السياسية والاجتماعية. والدولة الحديثة دولة حقوقية، لأنها تهدي بدستور شامل يتم فيه تركيز المبادئ العامة المتعلقة بتنظيم السلطات العامة ومهامها.

ويبدو أن تعيين مفهوم الدولة بوضع الحدود عليه وبلورة أركانها في صورتها الحاضرة لم يتشكل إلا في نهاية العصور الوسطى، وبداية ظهور الإدراك القانوني للدولة في شكلها الحديث وهي ارتبطت في الغالب بظاهرة القومية.

«ويُجمع مؤرخو الفكر السياسي على أن ظهور الدولة القومية التي حلّت محل الإقطاع للأسر المالكة كانت الحقيقة السياسية البارزة في بدايات القرن السادس عشر الميلادي»^(٣) حيث طرأ على مفهوم الدولة تحول كبير، فأخذت الحدود ترسم معالمها بشكل أوضح وأصبحت رمزاً للاستقلال الوطني وممارسة فعلية للسيادة، ويمكن تشبيه الدولة التي لا تحيط بها حدود، كمنزل لا جدران تحميه.

(١) راجع (فيليب برو: علم الاجتماع السياسي، تعريب محمد عرب صاصيلا، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ٧٨ - ٨٣).

(٢) جاك دوفابر: الدولة، تعريب سموحي فوق العادة، ط ٢، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٨٢، ص ١٢ - ١٣.

(٣) براق زكريا: الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص ٥٧.

وبناءً على ما تقدم، فإن الدولة الحديثة لها مفهوم اجتماعي وقانوني يتلخص في اجتماع أركانها الأربعة: الأرض والشعب والسيادة والسلطة، وهذه الأركان أكد عليها ميثاق [مونتيديو].

وبالخلاصة، يتفق معظم المفكرين والباحثين والمراجع القانونية والحقوقية بأن الدولة بالمفهوم الحديث لا تقوم إلا بمجموعة أركان هي: الشعب، والأرض، والسيادة (وتعني السلطة العليا) التي تفرض نفسها على الداخل وتمنع التدخلات الخارجية، والسلطة الحاكمة سواء كانت فردية أو جماعية، (ملكية أو ديمقراطية).

ويحتل الشعب صدارة هذه الأركان، حيث يشكل الموضوع الأساس لتكون الدولة وبدونه لا معنى لها ولا دوراً أما الأرض فهي الضرورة الجغرافية والحيز المكاني الذي يضم استقرار وتواجد الشعب وسكنه وإقامته، والسلطة هي الضرورة السياسية الاجتماعية لعملية النظم والانتظام للمجموعة البشرية المتواجدة على الإقليم الجغرافي وهي المسؤولة عن الدفاع والحماية للأرض والشعب داخلياً من الفوضى وخارجياً من الاعتداء عليه.

أما العلاقات مع الدول الأخرى، فهي حاجة سياسية واقتصادية للاستقرار المعنوي والأمني ولنسج حالة التواصل والتكامل مع الكيانات السياسية الأخرى المجاورة أو البعيدة، لتحقيق تبادل المصالح والتكامل في المجالات المختلفة للاجتماع البشري.

وبالعودة إلى ميثاق [مونتيديو] فقد حاول تقييد السياسيين بالقانون باشرطه «أن يكون الوجود السياسي للدولة مستقلاً عن الاعتراف بها من قبل دول أخرى... فليس هناك الكثير في ميثاق مونتيديو مما يرفض منح صفة الدولة

لـ [الدولة الإسلامية] أو أي جماعة عنفية أخرى لها القدرة على الاستيلاء على أراضٍ وترويع سكانها، فالميثاق يفتقر إلى أيِّ بعدٍ أخلاقي»^(١).

ولكن حتى هذا البعد الأخلاقي ليس شمولياً بأيِّ حال من الأحوال.

وفي جانب آخر، لا بد من الاجابة على التساؤل: كيف يصبح كيان ما دولة؟

يصبح بحصوله على عضوية الأمم المتحدة وهذا الهدف الأسمى للكيانات الطامحة بأن تصبح دولاً، وبحصوله على اعتراف من أكبر عدد ممكن من الدول، وبناء علاقات تجارية مع العالم الخارجي (إبرام عقود تجارية) أما الاعتراف السياسي فقد يأتي بعد ذلك إذا كان له ضرورة أصلاً.

وبالانتقال إلى موضوع البحث نجد أن الدولة الإسلامية أعلنت الخلافة من جانب واحد، وليست عضواً في الأمم المتحدة، وليس لها حدود معترف بها، بل لها سيطرة جزئية على بعض الأراضي، ولكن حكومتها لا تحظى باعتراف دولي وليس لها الحق في الدفاع عن أرضها (في القانون الدولي) لأنها مصنفة كإرهاب، فضلاً عن وجود عوائق سياسية وأخلاقية يتضمنها القانون الدولي وممارسات المؤسسات الدولية تمنع هذا المشروع (الدولة الإسلامية) من الحصول على شرعية دولية رغم توفر أغلب عناصر مكونات الدولة فيها.

د. النظرية الإسلامية في نشوء الدولة

خلافًا لما تقدم من نظريات في تفسير مصادر السلطة ونشوء الدولة، لقد فسرت النظرية الإسلامية نشوء الدولة تفسيراً جديداً مغايراً يختلف عن محاولات الفلاسفة النظرية، ويجد تفسيرها الإسلامي في تاريخ الشعوب سنداً موضوعياً،

(١) جو بويل/ موقع BBC / ٦ / يناير / ٢٠١٥.

فالدولة في نظر الإسلام ظاهرة اجتماعية أصيلة نشأت مع الأنبياء الذين قاموا بالدعوة لرسالات السماء ونشروها. والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف تكون الدولة ظاهرة اجتماعية نشأت على الأرض وترتبط بالأنبياء الذين هم رسل السماء؟

لقد فسرت النظرية الإسلامية نشوء الدولة والحكومات إنطلاقاً من الآية التي وردت في القرآن الكريم: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢١٣).

يعتبر المفسر [محمد حسين الطباطبائي] أن الآية تشير إلى أن الإنسان مفطور على الاجتماع والتعاون، وكان في أول اجتماعه أمة واحدة، يوم كانت همومه بسيطة، وحاجاته محدودة، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة أيضاً الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية عندما تنوعت الحاجات وتشابكت التطلعات وبرز الصراع، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة والمشاجرات في لوازم الحياة، فألبست القوانين الموضوعية لباس الدين، وشفعت بالتبشير والإنذار: بالشواب والعقاب عبر بعث النبيين لإحقاق الحق وتثبيت العدل على أساس الكتب المنزلة، فظهرت فكرة الدولة مع هؤلاء الأنبياء، الذين أشرف بعضهم إشرافاً مباشراً على الدولة وكان ذلك مع داوود، وسليمان، وموسى، ومحمد^(١) ثم اختلف الناس في معارف الدين أو أمور المبدأ والمعاد، فاختلف بذلك أمر الوحدة

(١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، المجلد

الدينية وظهرت الشعوب والأحزاب وتبع ذلك الاختلاف في غيره، ولم يكن الاختلاف الثاني إلا بغياً من الذين أتوا الكتاب وظلماً وعتواً منهم بعدما تبين أصوله ومعارفه وتمت عليهم الحجة.

فالاختلاف اختلافاً: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم وغريرتهم، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم^(١).

فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لسعادة هذا النوع الإنساني والمصلح لأمر حياته - يصلح الفطرة بالفطرة ويعدل قوامها المختلفة عند طغيانها وينظم الإنسان سلوك حياته الدنيوية والأخروية والمادية والمعنوية. فهذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع (الحياة الاجتماعية والدينية) على ما تعطيه الآية الشريفة^(٢) فالإسلام يعتبر أن الله تعالى (الخالق) هو مصدر السلطات جميعاً، وهذه الحقيقة تؤكد على حرية الإنسان، فلا سيادة لإنسان، أو لطبقة من الناس، أو لمجموعة على أي إنسان. وأن الشهادة بوحداية الله (لا إله إلا الله) ليست جزءاً من العقيدة فقط، بل هي عنوان للنظام السياسي في الإسلام، وإذا كان الله هو مصدر السلطات، فإن الشريعة الإسلامية هي: التعبير الموضوعي المحدد عن الله تعالى^(٣).

(١) عبد الله شبر: تفسير القرآن الكريم، الناشر مرتضى المرتضوي، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٦م، ص ٧٠-٧١.

(٢) الطباطبائي: تفسير الميزان، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤م - المجلد الثاني، ص ١١١-١١٢.

(٣) السيد محمد باقر الصدر: دراسة في الدستور الإسلامي، ١٩٧٩م، مقالة منشورة (ربيع الأول/ ٦/ ١٣٩٩هـ).

وعليه يمكن تسمية الحكومة الإسلامية بحكومة القانون الإلهي، وليس حكومة الأفراد.

والإسلام مجرد تصرفات الحاكم المخالفة للقانون الإلهي من كل قيمة ملزمة ولو كانت بموافقة أهل الشورى، إذا ما تعارضت مع القانون الأساسي أو الدستور الإسلامي. والحكام والمحكومون هنا مقيدون بمجموعة من القيم والتشريعات التي تكون إطاراً ملزماً للجماعة^(١).

د. أنظمة الحكم في الإسلام

يجمع المسلمون على أن الدين الإسلامي (دين حياة) بمعنى أنه جاء كرسالة سماوية لتنظيم حياة البشر في الدنيا وهدايتهم إلى حسن العاقبة في الآخرة.

وأن الدين كدستور للحياة هو الإسلام بحسب ما ورد في النص المقدس (القرآن الكريم) ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران - الآية ١٩)، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة النحل - الآية ٨٩)، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (سورة النحل - الآية ٩٧).

وكان نبي الإسلام [محمد] ﷺ قد مارس عملية الهداية إلى جانب إقامة الحكومة وتنظيم حياة الناس من خلال سن القوانين حتى تلك المتعلقة بالحرب فضلاً عن السلم والمعاهدات مع الآخرين (عهد المدينة)^(٢).

(١) راجع (النواوي عبد الخالق: العلاقات الدولية والنظم القضائية، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٨-٢٣).

(٢) عهد المدينة: وثيقة نظمت العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من سكان المدينة في عهد الرسول في السنة الأولى للهجرة.

رغم اعتماد النبي محمد ﷺ آليات وهيكلية محددة في إدارة الدولة وتنظيم شؤون المجتمع في المدينة المنورة. إلا أنه لا نص قرآني أو حديث نبوي يحدد شكل ثابت ومقدس وملزم لهذه الهيكلية وتلك الآليات في الحكم، والأمر متروك كمساحة اجتهاد للمجتمعات وتطورها وظروفها الخاصة.

نعم الشيء الوحيد الذي ينص عليه القرآن وتؤكد الأحاديث النبوية الشريفة هو ضرورة ووجوب وجود إمام أو خليفة للأمة بعد النبي ﷺ^(١). وهذا الأمر إلى جانب كونه ضرورة شرعية يقتضيها بقاء الدين وحفظه وإقامته في المجتمع، هو أمر عقلي أيضاً، فلا مجتمع دون قائد أو حاكم؛ ويتأكد ذلك من خلال الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء - الآية ٥٩).

هـ. الدولة ووظائفها في الإسلام

تحدد مصادرُ الفقه السياسي الإسلامي الأهداف الرئيسة الكبرى للسلطة السياسية في الإسلام بأنها: الحفاظ على وحدة الأمة، والحفاظ على دار الإسلام (الدعوة والجهاد)، والعدل في قسمة الفَيء. وقد رسم الإمام عليٌّ ع عليه السلام الخطوط العريضة لمهام السلطة، وذلك في رده على الخوارج حينما رفعوا شعار «لا حكم إلا لله!»، مشدداً على ضرورة السلطة وأنه لا مندوحة للناس عن أن يكون لهم إمامٌ يرفع شؤونهم الحياتية: «كلمة حق يُرادُّ بها باطل. نعم، إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله. وإنه لا بد للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به

(١) إنها وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون.

الفَيءُ، ويُقاتلُ به العدو، وتأمُنُ به السُّبُلُ، ويُؤخذُ به للضعيف من القويِّ، حتى يستريحَ برُّ ويُستراحَ من فاجرٍ^(١) كما بيّن [أبو يوسف] في كتابه الخراج لهارون الرشيد أنّ عليّ وليّ الأمر -رئيس الدولة- إقامة الحدود، وردّ الحقوق إلى أهلها، وإحياء السنن، ورفع الظلم عن الرعيّة^(٢). أمّا الماوردي، فعنده أن المقصد الأسمى الذي أقيمت الإمامة لأجله هو خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا^(٣)، وعلى الخليفة (رأس الدولة) -بحسب [الماوردي]- القيام بمهامّ عشرٍ يمكن دمجها في خمسٍ رئيسة:

١. حفظ الدين على أصوله المستقرّة.

٢. تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين (القضاء).

٣. حماية البيضة والذبّ عن الحريم، وتحصين الثغور، وجهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة وإقامة الحدود.

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار المعرفة، دار الكاتب العربي - دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، لا تا، مج ١، ص ٢١٤ - ٢١٥. وانظر: رضوان السيّد، الجماعة والمجتمع والدولة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧، ص ٢٨، ٣٢، ٤٨، و ٢٤٤.

(٢) انظر: يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف)، كتاب الخراج، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠٠٧، لا ط، ص ٨ - ٩.

(٣) والطريف أننا إذا ما استقرأنا التاريخ العربي الإسلامي، لتبين لنا أن الدين هو الذي كان يحرس الدولة ويدافع عنها متى بدا له أنّ مصالحه مهدّدة بتهدّدها. ومن ثمّ يمكن فهم حرص الخلفاء والأمراء على تقريب العلماء ومنحهم الحظوة لديهم، بل إن السلطة الإسلامية في بعض الحقب التاريخية أضرت بالدين بدلاً عن ان تحرسه. (انظر: رضوان السيّد، الجماعة والمجتمع والدولة، مصدر سابق، ص ٥٧ - ٥٨، و ٣٨٤ - ٣٨٤؛ وعلي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لا مكان، لا ط، ص ٣٥ - ٣٨؛ والفضل شلق، ((الجماعة والدولة، جدليات السلطة والأمة في المجال العربي الإسلامي))، مجلة الاجتهاد، عدد ٣، ربيع ١٩٨٩، ص ٦٦ - ٧٢).

٤. جباية الفَيء والصدقات، وتقدير العطايا وما يستحقُّ في بيت المال.
٥. استكفاء الأمناء وتقليد النُصحاء، وأن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفُّح الأحوال^(١). وإلى مثل ذلك ذهب أبو يعلى الحنبلي في الأحكام السلطانية^(٢). كما نصَّ الشهرستاني في نهاية الإقدام على أن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد وإنما هي من فروع الدين - وهذا ما أطبق عليه علماء أهل السنة - على أن إقامتها واجبٌ، إذ لا بدَّ للمسلمين من إمام «يُنَفِّذ أحكامهم، ويُقيم حدودهم، ويحفظ بيضتهم ويحرس حوزتهم... ويتحاكموا إليه في خصوماتهم ومناكحاتهم، ويراعي فيه (اقرأ: فيهم) أمور الجُمع والأعياد، ويُنصف المظلوم ويتنصف من الظالم، ويُنصّب القُضاة والوُلاة في كل ناحية، ويبعث القراءة (اقرأ: القُراء) والدُّعاة إلى كلِّ طرف»^(٣).

و. التقاطع والاختلاف بين الدولة في الإسلام والدولة المعاصرة

لا يخفى على باحث أو مختص بأن تقديم مفهوم الدولة في الإسلام أو في الأدبيات السياسية لدى الفلاسفة والمفكرين، سواء التاريخيين منهم أو المعاصرين، يتقاطع في بعض جوانبه ويختلف في أخرى؛ وما مرَّ حتى الآن، يُظهر ذلك ليؤكد على بدهة الدولة كإطار للاجتماع السياسي وبدهة المجتمع، وهو أمر فطري

(١) انظر تفصيل هذه المهام في (علي بن محمد البصري الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط ١، ١٩٨٩، ص ٢٢ - ٢٣).

(٢) قارن بـ: محمد بن الحسين [البغدادي] (أبو يعلى الفراء)، الأحكام السلطانية، صحَّحه وعلَّق عليه: محمد حامد الفقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٣، ١٩٨٧، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) عبد الكريم بن أبي بكر (الشهرستاني)، نهاية الإقدام في علم الكلام، حرَّره وصحَّحه: ألفرد جيوم، مكتبة المثني، بغداد، لا ط، لا تا، ص ٤٧٨.

ملازم للطبيعة الإنسانية التي تقضي بضرورة وجود سلطة عليا ناظمة للاجتماع البشري، وتشكل بدورها مرجعية للناس في تدافعهم نحو مصالحهم المتضاربة أو المتنافسة، وهذا ما ذهب إليه الفلاسفة والمفكرون الإسلاميون، إذ اعتبروا أن الضرورة العقلية (والتي اتفقوا بهذه الجزئية مع الفلاسفة القدماء والمفكرين من غير المسلمين) أضف إليها الضرورة الشرعية التي تحتم الحاجة إلى الدولة، لإقامة الحدود وفق ما جاء به الإسلام.

بالإضافة إلى ما تقدم، فإن كلا الفريقين من الإسلاميين وغير الإسلاميين، اعتبر أن القانون والنظام السياسي متلازمان مع وجود الدولة (بغض النظر عن مصدرهما)، لتنبثق عنهما السلطة القهرية التي تشكل الأداة اللازمة لفرض القانون والنظام العام، وهي حاجة أساسية في مشروع قيام الدولة وعملها واستمرارها.

ما يستند عليه الإسلاميون في تأكيد هذا التقاطع هو ما ورد في الآية القرآنية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾* (سورة الحديد - الآية ٢٥).

لقد تعددت النظريات الإسلامية في شكل وآليات الحكم نظراً لعدم وجود نصوص مقدسة بهذا الموضوع، وخضعت للاجتهادات والتجربة والظروف المكانية والزمانية وتطور حاجة المجتمعات (الممالك - الخلافة - ولاية الفقيه - ... إلخ)؛ في المقابل يحضر تعدد النظريات أيضاً في الدولة الحديثة تبعاً للفلسفات

* أجمع المفسرون على أن المقصود بالحديد هنا (القوة) وهي ذكرت بعد الكتاب والميزان كأداة لإحقاق العدالة (القسط بين الناس).

التي تقوم على أساسها والأيديولوجيات التي تتبناها (الديمقراطية - الدكتاتورية - الملكية الدستورية -... إلخ)؛ لذا يُمكن القول بأن تعدد النظريات في هذا المجال يُعتبر من نقاط التقاطع بين الاتجاهين.

هذا في الحديث عن أوجه التلاقي، أما في الجهة المقابلة، فإن أوجه الاختلاف بين الإسلام والنظريات الحديثة تبدأ من الحديث عن مشروعية السلطة ومصدرها.

يُعتبر التوحيد عند المسلمين الأصل الأول في الدين الإسلامي إلى جانب كونه أصل عقائدي، وهو عنوان للنظام السياسي الذي يُجسّد الوحدانية، والتي تعني أن الله هو مصدر السلطات جميعاً، وأن الشريعة التي هي التعبير الموضوعي المحدد من الله تعالى (القانون الإلهي) تمثّل المصدر الحاكم على كل السلطات، فالحكومة في الإسلام هي حكومة القانون الإلهي وهي ملزمة بالعمل وفق شريعة الله (النص القرآني + الحديث النبوي الشريف)، وكما ورد في القرآن الكريم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾* (سورة النحل - الآية ٢٥).

لذا فإن الحاكم في الإسلام عند معظم المسلمين، هو العارف والعالم بكتاب الله والعامل بسنة رسوله وبالتالي هو مؤتمن على تطبيق القانون الإلهي.

أما في الدولة الحديثة، فتتعدد نظريات الفلاسفة والمفكرين في مصدر مشروعية السلطة، وتتوزع الآراء عندهم بين القانون الطبيعي والحقوق الطبيعية الثابتة (أرسطو - أفلاطون)، حيث يقول [أرسطو]: «إن الدولة هي صورة للمجتمع وهي جمعية منظمة بقوانين»^(٢)، أو النظرية الرومانية التي تقول بالعدالة بحسب

* أجمع المفسرون على أن هذه الآية تؤكد على أن القرآن الكريم هو دستور الحياة للمسلمين.

(٢) أرسطو: السياسة، مصدر سابق، ص ٣٤.

ما يراها الملك، أو نظرية الحق الإلهي التي أعطت للملك السلطة المطلقة وهو مسؤول أمام الله وليس أمام الشعب، فالقانون في صدر الملك.

وتقابل تلك النظريات في الدولة الحديثة نظرية العقد الاجتماعي لـ [هوبز] ثم [جان جاك روسو]، التي ترى أن الجماعة لها إرادة عامة تتبلور في عقد اجتماعي يشكل مصدراً لنشوء الدولة، والحكومة هي وكيل لإرادة الناس الذين يفوضون إليها السلطة، وينزعونها منها عندما يشاؤون.

في الخلاصة، إن القانون في الدولة الحديثة هو قانون وضعي (غير إلهي) يضعه من يوكل إليه السلطة التشريعية سواء كان فرداً (ملكاً) أو مؤسسة دستورية أو تمثيلية منتخبة (البرلمان)، بينما تُجمع المذاهب الإسلامية على أن القانون الإلهي هو الحاكم على الدولة والمجتمع، وهو مصدر التشريع الأساسي للقوانين.

وعليه، فإن تعارضاً كبيراً سيظهر ما بين الخطاب المتبنى من قبل [داعش] والذي قدمته السلفية الجهادية التي تنطلق من فهمها الإسلامي للدولة والسلطة، وما بين خطاب الدولة الحديثة التي تتعارض في فهمها للدولة عن الفهم الإسلامي المطروح لدى تلك الجماعة.

٢- الدولة بين الخلافة والإمامة :

برز في الإسلام اتجاهان في تحديد شكل الدولة، الأول قائم على الخلافة، في حين أن الثاني قائم على الإمامة. وبعيداً عن المفاضلة أو التقييم لكلا الاتجاهين، فإن كل منهما ارتكز على جملة من المقدمات العقائدية والفكرية، وانطلق منها نحو واقع التجربة العملية؛ ولتبيان حقيقة هذان الاتجاهان، لا بد من شرح كل منهما على حدة.

أ. الخلافة: نغمة واصطلاحاً

في اللغة، جاء في لسان العرب، الخلافة: الإمارة^(١). وهي مشتقة من خَلَفَ، وخلف رفيقه أي صار خلفه وناب مكانه، والخلافة هي الامامة أو المارة، ويقال عاش في عصر الخلافة: أي عاش في المرحلة التي حكم فيها الخلفاء الراشدون ومن جاؤوا بعدهم قال الزجاج: جاز أن يقال للائمة خلفاء الله في أرضه، بقوله عز وجل: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾ (سورة ص - الآية ٢٦).

وقيل: في هؤلاء القوم خلفٌ ممن مضى أي يقومون مقامهم، وفي فلان خلفٌ من فلان إذا كان صالحاً أو طالحاً فهو خلفٌ. ويقال بئس الخلف هم، أي بأس البذل والخلف: القرن يأتي بعد القرن، وقد خلفوا بعدهم يخلفون.

جاء في التنزيل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (سورة مريم - الآية ٥٩).

أما في الاصطلاح، فهي الاصطفاء. أي إن الله اصطفى بني البشر من دون الخلق كله من الملائكة والجن والحيوانات، ليستخلفهم في الأرض ويعمرها بما فيه صلاحها. كما ان الخلافة هنا تكون باختيار الله لنبي ورسول يصطفيه من بني البشر جميعاً ليكون قائداً بوحى الله وينقل رسالات الله للبشرية.

يقول [الغراء] في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام - الآية ١٥٩)، أي جعل أمة محمد خلائف كل الأمم، وقال: قيل خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضاً.

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، ج ١ ص ٨٨٣.

يقول [ابن السكيت]: «فإنه وقع للرجال خاصة، والأجود ان يحمل على معناه، فإنه ربما يقع للرجال، وان كانت فيه الهاء، ألا ترى أنهم قد جمعوه خلفاء؟ قالوا ثلاثة خلفاء لا غير، وقد جمع الخلائف، فمن قال خلائف، قال ثلاثُ خلائف وثلاثة خلائف. فمرة يذهب به إلى المعنى ومرة يذهب به إلى اللفظ. وقالوا خلفاء من أجل أنه لا يقع إلا على مذكر وفيه الهاء، جمعوه على اسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفاء لأن فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء»^(١).

والمشهور عن الخلافة الإسلامية أنها نظام الحكم في الشريعة الإسلامية الذي يقوم على استخلاف قائد مسلم على الدولة الإسلامية ليحكمها بالشريعة الإسلامية.

والخلافة الإسلامية في الأصل اللغوي كلمة مشتقة من الفعل خَلَفَ أي تبع في الحكم ومصطلح الاستخلاف في العقيدة الإسلامية هو سبب من الأسباب الرئيسية التي وضع الله البشر على الأرض من أجلها، كي يعبدوه ويطبقوا أحكامه التي أرسلها بواسطة الأنبياء والرسل على مر الزمن.

ويعتبر معظم العلماء أنّ الخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهي عينها الإمامة، فإن الخلافة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية او الإمامة فقط، ومن هنا يُعلم ان مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة^(٢).

(١) لسان العرب - مصدر سابق - ج ١ ص ٨٨٣.

(٢) نظام الحكم في الإسلام (الخلافة)، الألوكة الثقافية - نشر في ١٠-١١-٢٠١٤ (دخول إلى موسوعة ويكيبيديا في ١٨-٠١-٢٠١٦ م).

وسميت خلافة لأن الذي يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين ويخلف النبي في إدارة شؤونهم، وتسمى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إماماً. ويرى علماء المنهج السلفي ان طاعته واجبة سواء كان برأاً أو فاجراً ما لم يأمر بمعصية الله، سواء اجتمع الناس عليه ورضوا به، أو غلبهم بسيفه^(١) ولأن الناس كان يسرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة.

ب. الإمامة

يتكرر استخدام مصطلحي الإمامة والخلافة في نفس المعنى والمصداق المقصود لدى معظم علماء التراث الإسلامي، ولكن الشيعة الامامية لديهم تفسير مختلف له، إستناداً لما ورد في القرآن الكريم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (سورة البقرة - الآية ١٢٤)، أي مقتدى يقتدي بك الناس ويتبعونك في أقوالك وأفعالك، فالإمام هو الذي يقتدي به ويأتم به الناس، «ولا يقصد به النبوة هنا - لأن المخاطب (إبراهيم) وكان رسولاً نبياً قبل هذا الخطاب»^(٢).

إماماً مفعول ثاني لعامله الذي هو قوله: جاعلك وإسم الفاعل لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي وإنما يعمل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، فقوله إني جاعلك للناس إماماً، وعد له بالإمامة، فليست الإمامة في الآية بمعنى النبوة.

وهذه القصة إنما كانت في أواخر عهد إبراهيم بعد مجيء البشارة له بإسحاق وإسماعيل، وإنما جاءت البشارة من الملائكة في مسيرهم إلى قوم لوط وإهلاكهم، وقد كان إبراهيم حينئذ نبياً مرسلًا، فقد كان نبياً قبل أن يكون إماماً فإمامته غير نبوته.

(١) صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ١٩٠٨ ص ٢٧٦.

(٢) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٠.

المفهوم للخلافة عند الشيعة الإمامية: هو الإمام الذي يجسد المرجعية الفكرية والزعامة السياسية في الوقت نفسه - وهو مبلغ الشريعة (القوانين والأحكام) بعد النبي وعبر الزمان - وهو النموذج للإنسان الكامل - ومن حقه فقط أن يترأس الأمة ويقود مسيرتها - ويتمتع بالعصمة التي تمكنه من تأدية دوره وإرشاد أبناء الأمة إلى المنهج الصحيح في الدين والحياة. والإمامة عموماً عندهم هي استمرارية لرسالة النبي إلى يوم القيامة وبها يتحقق الوعد الالهي ويظهر الدين كله»^(١).

يقول الإمام جعفر الصادق: «إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، واتخذة نبياً قبل أن يتخذه رسولاً واتخذة رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً واتخذة خليلاً قبل أن يتخذه إماماً»^(٢).

٧١

إن هذه المراتب التي أحرزها إبراهيم هي: العبودية، النبوة، الرسالة، الخلافة، الإمامة، حيث جاءت مرتبة تصاعديّة ترسم سلم الصعود والارتقاء إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الإنسان، وهي الدرجة العليا (الإمامة)؛ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة / ١٢٤).

يقول صاحب الميزان العلامة الطباطبائي: «أن الآية أخرجت الظالمين عن نطاق الإمامة بشكل مطلق ولم تحده - أي الظلم - بزمان دون آخر، وهو قيد تخرج فيه جميع الفئات من ذرية إبراهيم عدا الفئة التي لزمّت الصلاح وعاشت

(١) امتثال الحبش: الإمامة في القرآن والسنة، ط ١، ٢٠٠٠م، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ص ٢٧.

(٢) الكليني، الكافي، الجزء الأول، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام،

حديث (٢-٤)، ص ١٧٥.

العصمة منذ أول حياتها إلى نهايتها»^(١).

أما الخلافة فهي نحو من النيابة، وكذلك الوصية، والرئاسة نحو من المطاعية وهو مصدرية الحكم في الاجتماع، وكل هذه المعاني غير معنى الإمامة التي هي كون الانسان قدوة، يقتدي به غيره بأن يطبق أفعاله وأقواله على أفعاله وأقواله بنحو التبعية.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (سورة الأنبياء - الآية ٧٣) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة - الآية ٢٤)

فالإمامة ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر الله. فالإمام هادي يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم وهدايتها وايصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد آرائه الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه وتعالى بالنصح والموعظة الحسنة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة إبراهيم - الآية ٤).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (سورة الإسراء - الآية ٧١)، والمقصود إمام الحق دون كتاب الأعمال، فالإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم تبلى السرائر، كما أنه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها، والآية مع ذلك تفيد بأن الإمام لا يخلو عنه زمان من الأزمنة، وعصر من الأعصار لقوله تعالى: ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾.

(١) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، الجزء الأول، ص ٢٧٤ (بتصرف).

ويضيف الطباطبائي إن هذا المعنى أعني الإمامة، على شرافته وعظمته لا يقوم إلا بمعنى كان سعيداً الذات بنفسه، إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم والشقاء فإنما سعادته بهداية من غيره، والله يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ (سورة يونس - الآية ٣٥)، وهنا قابل في الآية بين الهادي إلى الحق والمهتدي إليه بغيره.

ويستنتج من هنا أمران:

إنَّ الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال والمعصية. هادي وليس مهتدي بغيره.

عكس الأول وهو أن من ليس معصوماً لا يكون إماماً هادياً إلى الحق البتة.

ويختتم بالقول: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، مطلق من صدر عنه ظلم ما، من شرك أو معصية، وان كان منه في برهة من عمره ثم تاب وصلاح.

ويخلص [الطباطبائي] مما تقدّم إلى عدة أمور:

إن الإمامة مجعولة.

إن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية.

إن الأرض وفيها الناس، لا تخلو من إمام حق.

إن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من الله تعالى.

إن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام.

إنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم.

إنه يستحيل أن يُوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس.

وهذه الأمور السبعة هي أمهات مسائل الإمامة - تعطيتها الآية الشريفة وبها ينضم إليها من الآيات^(١).

ج. الخلافة عند الشيعة الإمامية

أما في فهم الشيعة الإمامية للخلافة فينطلق من القرآن الكريم وآياته:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة فاطر - الآية ٣٩).

الخلائف جمع خليفة وكون الناس خلائف في الأرض هو قيام كل لاحق منهم مقام سابقه، وسلطته على التصرف والانتفاع منها كما كان السابق مسلطاً عليه وهم انما نالوا هذه الخلافة من جهة نوع الخلقة وهو الخلقة من طريق النسل والولادة فإن هذا النوع من الخلقة يقسم المخلوق إلى سلف وخلف.

٧٤

فجعل الخلافة الأرضية نوع من التدبير مشوب الخلق غير منفك عنه ولذلك استدل به على توحده تعالى في ربوبيته لأنه مختص به تعالى لا مجال لدعواه لغيره.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة ص - الآية ٢٦).

ظاهر الخلافة أنها خلافة الله فتطبق على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة - الآية ٣٠).

ومن شأن الخلافة أن يحاكي الخليفة من استخلفه في صفاته وأعماله فعلى

(١) راجع (محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، الجزء الأول، مصدر سابق، ص

خليفة الله في الأرض أن يتخلق بأخلاق الله ويريد ويفعل ما يريد الله ويحكم ويقضي بما يقضي به الله، والله يقضي بالحق، ويسلك سبيل الله ولا يتعدها.

ولذلك فرّع على جعل خلافته قوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (سورة ص - الآية ٢٦) وهذا يؤيد أن المراد بجعل الخلافة إخراجها من القوة إلى الفعل في حقه، لا مجرد الخلافة الشأنية لأن الله تعالى أكمله في صفاته وآتاه الملك يحكم بين الناس^(١).

وفي هذا الصدد، يُجمع مفكرو وعلماء الشيعة الإمامية على هذا المعنى، والذي يُشير إلى شرط العصمة في الخليفة-الإمام، ويقول محمد مهدي شمس الدين: «... والحقيقة التي نخلص إليها هي أن المبادئ الإسلامية لا يمكن أن تتفاعل وترسخ في النفوس إذا لم يخلف النبي من يقوم بعده على أمور المسلمين، إذ لا يرجى البقاء لرسالة ليس عليها قيم يحفظها ويضع الخطط لنشرها وإعلاء شأنها مع وجود من يعمل على محققها واستئصال جذورها... ونريد بالقائم على أمور المسلمين بعد النبي - الحاكم الذي يكون حكمه استمراراً لحكم النبي الديني الذي يستمد عناصره من المبادئ الإسلامية ويسير على هداها... والحاكم الذي يكون على هذه الشاكلة هو الرمز الحي للرسالة ووجوده يشكل عاملاً هاماً في تركيز المبدأ في النفوس»^(٢).

(١) المصدر نفسه، ج ١٧، ص ١٩٤.

(٢) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٣٤.

د. بين الخلافة والإمامة

وقد ورد كدليل نظام الخلافة أو الامامة واضحاً في الكتاب والسنة بلفظي الخليفة والإمام، واستخلاف الله البشر في الأرض نوعان: خلافة عامة وخلافة خاصة.

أما الخلافة العامة فقد بدأت مع آدم وكل ذريته، فهم مستخلفون عموماً في الأرض وسخرها الله تعالى لهم في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة - الآية ٣٠).

أما الخلافة الخاصة فهي الاستخلاف في الحكم والإدارة وهي نوعان: استخلاف الدول، واستخلاف الأفراد، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (سورة القصص - الآية ٥)، وقال ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة - الآية ٢٤)، واستخلاف الأفراد هو الاستخلاف في الرئاسة، وقد يسمى المستخلف خليفة كما سمي داوود ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص - الآية ٢٦).

يقول [المحقق النووي] في كتابه روضة الطالبين: «يجوز أن يقال للإمام: الخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين»^(١)، ويقول ابن خلدون: «وإذ بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، تسمى

(١) النووي: روضة الطالبين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٣، بيروت - عمان الجزء العاشر، ص ٤٩.

خلافة أو إمامة، والقائم به خليفة أو إمام»^(١).

وجاء في القاموس السياسي لـ [أحمد عطية الله]: الخلافة في الاصطلاح الفقهي الإسلامي، هي الإمامة الكبرى أو إمارة المسلمين والمقصود بها أصلاً الولاية العامة على شؤون المسلمين من دينية وديوية. ثم تطور مفهومها فأصبحت من الألقاب التي يتنافس عليها السلاطين لاسيما بعد أن أصبحت وراثية في أعقابهم^(٢).

الإمامة والخلافة هي من أكثر المواضيع التي تناولها المسلمون - على إختلاف مذاهبهم وتشعب آرائهم - بالبحث والتحقيق - والنقاش في الندوات واللقاءات العلمية، وقد ألفوا فيها العديد من الكتب والموسوعات التي أغنت المكتبة الإسلامية، ولعل السبب في ذلك أن الخلافة والإمامة تشكل ركيزة أساسية في المعتقدات الإسلامية عموماً وهي أصل من أصول الدين عند الشيعة الإمامية خصوصاً.

وهي في الوقت عينه محل خلاف لديهم، «فما اختلف المسلمون في شيء، اختلفوا في نظام الحكم في الإسلام وفي طبيعة هذا النظام، وقد شغلت طلائعته الأولى مسرح السياسة الإسلامية يوم قبض النبي بالذات وهو السبب الأول والأخير في إنشقاق المسلمين على أنفسهم إلى شيع وأحزاب»^(٣)، ومذاهب واتجاهات. وظهور المساجلات والجدل بينهم ليس فقط في العصور الغابرة، بل حتى في عصرنا الحديث والحاضر وقد يبقى هذا الموضوع محور خلافاتهم على مر العصور.

(١) ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص ١٩٠.

(٢) أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م، ص ٥٠٥.

(٣) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مصدر سابق، ١٩٩١م، ص: ٧.

مفهوم الخلافة عند أهل السنّة: قيادة المجتمع وإدارة شؤونه السياسية (الدينية) وحراسة الدين بمعنى (المجتمع المسلم) وتطبيق الأحكام والتشريعات الإسلامية، وهم يختارونه بأنفسهم بطرق متعددة وبغض النظر عن الطريقة التي يصل فيها إلى الحكم - لا يجوز خلعه بإرتكاب المعاصي.

«فالله تعالى ندب للأمة زعيماً خلف به النبوة وفوض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلاً استقرت عليه قواعد الملة، وإنقظمت به مصالح الأمة حتى إستتبت بها الأمور العامة»^(١).

ولقد ذكر «الماوردي» في مقدمة كتابه الأحكام السلطانية «أن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا. وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذّ عنه الأصم». وقد اختلف في وجوبها، هل وجبت بالعقل أو بالشرع؟

فقالت طائفة وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من المظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم ولولا الولاية لكانوا فوضى مهملين وهمجاً مضاعين.

وقالت طائفة أخرى بل وجبت بالشرع دون العقل لأن الإمام يقوم بأمر شرعية قد كان مجوزاً في العقل أن لا يرد التعبد بها فلم يكن العقل موجباً لها^(٢).

وقد جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليه في الدين. قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء - الآية ٥٠).

(١) الماوردي: كتاب الأحكام السلطانية، بدون طبعة، المقدمة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٠ م، ص ٧.

(٢) راجع المصدر السابق نفسه، ص ٨.

ويمكن إضافة إلى ما قاله [الماوردي] في أن العقل والشرع يوجبان وجود ولي وصاحب إمرة في أي مجتمع إنساني يراد له أن ينتظم في إدارة شؤونه وتسيير حياته الاجتماعية في مختلف وجوهها، وأيضاً ما ورد عن بعض الفلاسفة كـ [أرسطو]، فضلاً عن ما ورد عن رسول الإسلام محمد أنه قال: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»^(١).

وما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي عليه السلام في رده على الخوارج لما سمع قولهم «لا حكم إلا لله» فقال: «كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة، وأنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع بها الكافر، يبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويُقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر»^(٢).

وختام هذه الفكرة أن أصل وجود الدولة عقلاً وشرعاً مسألة مطلوبة لإدارة الاجتماع الإنساني ونظمه، بغض النظر عن مصدر السلطة فيها ومدى شرعيتها. فالدولة كمؤسسة اجتماعية تقوم بوظيفة الحماية للمجتمع وترعى الأمن والاستقرار فيه، وتأمين الحاجات الضرورية للإنسان وتسهل وتنظم أمور الحياة وتطور أساليب العيش وتؤدي كل وظائفها المقررة في النظام المعمول به أو المتفق عليه بين أفراد المجتمع، هي ضرورة اجتماعية وإنسانية لازمة في المجتمعات.

(١) أحمد الشيباني بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، بدون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، الخطبة ٤٠، تحقيق د. صبحي الصالح، مؤسسة دار الهجرة، قم ١٤١٤ هـ، ص ٨٢.

والإسلام يعتبرها «ضرورة رسالية» كما ورد في أقوال النبي ﷺ والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وغيرهم... فضلاً عن الآيات التي أمرت بإطاعة أولي الأمر وتحديث عن مواصفات ولي الأمر^(١).

إذا كان المسلمون قد اتفقوا في كل مذاهبهم وتياراتهم الفكرية والسياسية حول وجوب وجود الدولة إلا أنهم اختلفوا في مصدر الشرعية للحاكم أو الإمام أو الخليفة والولي (أي قائد الدولة) وصاحب السلطة فيها، حيث لم يكن للدولة في السابق الشخصية القانونية المستقلة عن الحاكم بخلاف اليوم. وهذا الخلاف ليس أمراً حديثاً عندهم بل هو نشأ مباشرة بعد وفاة النبي ومع انعقاد ما سمي «بالسقيفة» كما ذكرنا.

ويمكننا حصر أهم النظريات الإسلامية في الحكم ومرجعية السلطة كالتالي:

- مرجعية النص.
- مرجعية الأمة.
- مرجعية أهل الحل والعقد.
- مرجعية العهد.
- الغلبة والدعوة إلى النفس.

يعتبر علماء الشيعة الإمامية أن النص كان يشكل مرجعية وحيدة في تعيين الإمام خلال فترة الائمة المعصومين، أما في عصر الغيبة فللنص مكانته الخاصة أيضاً ولكن للأمة دورها في اختيار الحاكم ضمن أسس وضوابط معينة، مثلاً [ولاية الفقيه].

(١) «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون». آية ٥٥ سورة المائدة.

أما المذاهب الأربعة لأهل السنّة والجماعة فترى أن انعقاد الخلافة والإمامة بالطرق الأربعة الباقية (ما عدا النص) مع تركيزهم على نظرية أهل الحل والعقد والاستخلاف (العهد) ونظرية الغلبة والقهر (الاستيلاء)^(١).

ومع ذلك فإن هناك داخل كل فريق من الفريقين في العصر الحاضر آراء متعددة ونظريات مختلفة في تفاصيل كل مرجعية من المرجعيات المذكورة العامة.

فمثلاً يمكن القول ان علماء الإمامية في عصر الغيبة اختلفوا حول مساحة الولاية هل هي مطلقة أو محدودة في أمور معينة، فضلاً عن وجود نظرية أخرى برزت عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين تقول بولاية الأمة على نفسها^(٢).

في المقابل، فإن الإمام الخميني كان يرى ضرورة وجود [ولي فقيه] يقود الأمة في عصر غيبة الإمام المعصوم ويتمتع بصلاحيات واسعة دون أن يحوز درجة العصمة، وهو ما يُطلق عليه نظرية [ولاية الفقيه]، والتي تعود فكرتها إلى منظور عقلي معرفي ينطلق من الحاجة المجتمعية إلى قيادة تحمل مواصفات الألفية الفقهية والقدرة الإدارية، فضلاً عن التقوى ومخالفة الهوى، والإحاطة بتحديات ومجريات العصر السياسية، والشجاعة في اتخاذ القرارات^(٣).

أما عند أهل السنة والجماعة فكان الاختلاف حول تجسيدات أهل العقد والحل وفي شرعية القيام على الحاكم الظالم ومعايير هذا القيام ووجوبه أو حرمة،

(١) راجع (أبو حسن الماوردي: الأحكام السلطانية، مصدر سابق، ص ٧ وما بعدها)، و(ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص ١٢ وما بعدها).

(٢) راجع (محمد مهدي شمس الدين: في الاجتماع السياسي الإسلامي، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٠٧).

(٣) راجع (عبد الله قصير: حركة التجديد والاستنهاض - قراءة في الفكر السياسي للإمام الخميني -، ط ٢، دار المهادي، بيروت، ٢٠٠٦م، الفصل الرابع).

كما شهد في الموقف من ملوك المملكة العربية السعودية - وموقف الأخوان المسلمين والتنظيمات الإسلامية الجهادية الأخرى في مصر من النظام في عهد السادات ومبارك. أو ما نراه اليوم في العراق وسوريا في مواقف [داعش] والنصرة وغيرها من (التنظيمات الإسلامية). فضلاً عن موقف القاعدة من مجمل الحكام العرب والمسلمين، وحكمهم عليهم بالردة.

وباعتبار أن البحث سيكون متمحوراً حول مسألة الحكم عند الإسلاميين (من أهل السنة والجماعة) فسوف نكتفي بما ذكرناه حول آراء الإمامية الشيعة. ونذهب إلى التركيز والتفصيل في آراء أهل السنة والجماعة في مسائل الحكم والإمامة والخلافة.

لقد تأسست نظرية الخلافة والإمامة عند أهل السنة والجماعة على أساس عدم وجود أي نص في تعيين من يخلف النبي وترك أمر اختيار الخليفة للناس وبالإسلوب الذي يروونه مناسباً محتجين بتفسير وتأويل الآية القرآنية: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى - الآية ٣٨). ومتجاهلين كل ما ورد من أحاديث حول تعيين [علي بن أبي طالب] عليه السلام بالنص الصريح في [واقعة غدیر - خم] أو اللجوء إلى تأويل هذه الأحاديث بأنها لا تدل على الإلزام بخلافة [علي بن أبي طالب] عليه السلام للرسول صلوات الله عليه وآله وسلم.

يقول محمد سليم العوا: «إن النبي لم يعيّن أحد ولم يبيّن شكل الحكم أو طريقة اختيار الحاكم بل أوضح للمسلمين القواعد العامة التي يجب أن يراعيها الحاكم في سيرته، وبيّن بسيرته وأقواله المثل العليا التي يجب التمسك بها والمحافظة عليها من جانب الحاكم والمحكوم على السواء»^(١).

(١) محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص ٧١.

وإذا كان الاجتماع السياسي الذي تمثله الدولة ضرورة عقلاً وشرعاً بحسب ما تقدّم، لا سيما في النظرة العقلية عند الفلاسفة، وفي النص القرآني عند المسلمين الذين اتفقوا في كل مذاهبهم وتياراتهم الفكرية والسياسية على أصل وجوب الدولة والحاكم، سواء سُمِّي هذا الحاكم خليفةً أو إماماً، إلا أن النصوص القرآنية لم تورد شكلاً خاصاً للدولة وآليات الحكم وطرق اختيار الحاكم، الأمر الذي أدى إلى اختلافهم في الاجتهادات حول مصدر شرعية الحاكم (خليفة أو إمام)، وكان هذا الأمر من أبرز نقاط الخلاف بين المسلمين على مرّ العصور؛ فقد تعددت النظريات الإسلامية في الحكم ومرجعية السلطة بين مرجعية النص ومرجعية الأمة، ومرجعية أهل العقد والحل، ومرجعية العهد (تسمية الخليفة لولي عهده)، وبين من رأى بأن الغلبة بالسيف تكتسي شرعية دينية أيضاً.

وهذا ما سيظهر لاحقاً في عدد من تجارب الخلافة القديمة تاريخياً، وفي تجربة دولة الخلافة الإسلامية [داعش] بالتحديد، حيث البناء على الرأي كحجة شرعية من منطلق ما يخدم الموقف الآني في المرحلة، والذهاب باتجاه السجال ما بين بعض فقهاء السلفية، وتجلى ذلك (على سبيل المثال لا الحصر) في أولئك الذين طعنوا في شرعية تولّي [أبو بكر البغدادي] لمنصب الخلافة، ودحضهم لادعائه بأنه نُصّب من قبل أهل الحل والعقد.

المبحث الثاني الخلافة في التاريخ

١ - إرهاصات النشأة وإشكالاتها :

بدأت تسمية الخلافة بعد وفاة الرسول محمد ﷺ، حيث اختير أبو بكر (في اجتماع السقيفة الذي ضم بعض الوجوه من الأنصار والمهاجرين وقد بايعه خمسة منهم ولم يكن علي بن أبي طالب ﷺ حاضراً بينهم) ليكون الخليفة الأول للمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. لقد أجمع المسلمون على وجوب وجود الخليفة لرسول الله ﷺ بعد وفاته ليدير شؤون الأمة ويوضح معالم الدين، وإن اختلفوا حول آلية التعيين للخليفة بين النص والشورى.

ثم عُيِّن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عن طريق وصية مباشرة من أبي بكر الصديق واستمر في حكمه عشرة أعوام. ووضع عمر بن الخطاب الشورى لحل مشكلة الخلافة (اختيار الخليفة) ولم تكن تلك الفكرة آنية، فإن المصادر تدل على أنه فكّر طويلاً، وأنه تردد في تعيين خلفاً له، كما تردد في عدم تعيين خلف، وأخيراً إختار، فاستقر على الشورى بعد إلتحاح من الصحابة، وبعد أن طعنه أبو لؤلؤة، وإحساسه بدنو أجله، قام بتشكيل مجلس مؤلف من ستة أشخاص (مرضيين من قبل رسول الله في الإسلام) على أن يتم الاختيار من بينهم بالشورى. وهذا أول ما يمكن تسميته بانتخابات ضمن المجتمع الإسلامي الوليد للاختيار بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﷺ، وأسفرت النتائج كما تقول المصادر عن العملية الاستفتاءية التي قام بها عبد الرحمن بن عوف عن تسمية عثمان بن

عفان خليفة للمسلمين، واستمر في الحكم ١٢ عاماً^(١).

وكان لتقرير مبدأ الشورى، أسبابه وظروفه المهمة، فقد اختار عمر الستة، لأنه وجدهم (رؤساء الناس وقادتهم) كما قال، ولا تخرج الخلافة عن أحدهم، فعليّ سيد بني هاشم، وعثمان شيخ بني أمية، وطلحة سيد بني تميم، والزبير زعيم بني أسد، وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رئيسا بني زهرا، وكلّ له أنصاره ومؤيدوه... وهو أكد من ناحية إسلامية أن الرسول «قد توفّي وهو عنهم راضٍ».

ومن الملاحظ قوة الاتجاهات القبلية التي كانت في تزايد وأن التقاليد السياسية في هذا الاتجاه كان لها الأثر الأول في اختيار عثمان^(٢).

وبعد مقتل عثمان بن عفان في أول فتنة تشهدها الدولة الإسلامية، استلم علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة بمبايعة من قبل جمع كبير من الصحابة ليستلم بذلك دولة في حالة اضطراب شديد اضطر فيها لنقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، وقد رفض والي الشام وقتها معاوية بن أبي سفيان مبايعة عليّ تذرعاً بضرورة القصاص أولاً من قتلة عثمان مما أدى إلى فتنة بين المسلمين ومعارك بين الجانبين، واستمر علي في الحكم خمسة أعوام حتى استشهاده في مسجد الكوفة على يد عبد الرحمن بن ملجم الذي كان حينها من الخوارج.

وبذلك انتهى عهد الخلفاء الراشدين، وبشكل عام تعتبر بداية تولي معاوية

(١) موقع islam.com، الموقع الرسمي لوزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

(٢) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط

بن أبي سفيان هي بداية نهاية الخلافة وتحويلها لملكٍ عضوض وحكمٍ وراثي منحصر في أسرٍ حاكمة تتنافس فيما بينها على الحكم. وإن استمر هؤلاء باستخدام مصطلح الخليفة باطلاقه على الحاكم كجزء من عملية توسل الشرعية الدينية لحكمه.

وهكذا يقسم التاريخ الإسلامي إلى:

١. الخلافة الراشدة: وبدأت بتنصيب الخليفة أبو بكر عام ١١ هجري، وانتهت عام ٤١ بشهادة الخليفة الرابع علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. الخلافة الأموية: في سنة ٤١ هجرية، ابتدأت بحكم معاوية بن أبي سفيان، واستمرت حتى ١٣٢ هجرية، بعد توارثها من أبنائه وأحفاده، حيث انتهت في عهد مروان بن محمد الذي هُزم في معركة الزاب على يد العباسيين.

٣. الخلافة العباسية: وابتدأت في سنة ١٣٢ هجري بحكم أبو عبد الله السفاح، واستمرت قرون طويلة، وتخللها انشقاقات لعدد من الدول والأمصار، كما حصل مع الدولة الفاطمية التي حكمت مصر، وعدد من الإمارات والسلطنات والدول (كالسلاجقة والبويهيين والإدارسة والمرابطون والموحدون والأيوبيون والمماليك) وانتهى حكم العباسيين بشكل فعلي سنة ١٢٨٥ ميلادي، حين غزا هولاكو بغداد وأسقط الخلافة العباسية.

٤. الخلافة العثمانية: بعد العباسيين، كان حكم المماليك الذي لم يستمر طويلاً، حيث برزت قوة إسلامية جديدة (عُرفت وقتها بـ [العثمانية]) استطاعت هزيمة المماليك في الشام ومصر، والتي بدأ حكمها للأمة الإسلامية سنة ١٥١٧ ميلادية، وكان قد أخذ السلاطين العثمانيون لقب الخلافة منذ القرن الرابع

عشر واعترف بهم جمهور المسلمين. وبعد اتساع الامبراطورية العثمانية أخذ السلاطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يستغلون منصب الخلافة في الشؤون السياسية التركية وفي علاقاتهم بالدول الأوروبية، وبدا ذلك واضحاً في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٨ م). وعندما دخلت تركيا الحرب عام ١٩١٤ م حاول السلطان العثماني إعلان حرب الجهاد بصفته خليفة المسلمين إلا أن دعوته لم تلاقِ صدى، وقد طويت صفحة مصطلح الخلافة وانتهت عام ١٩٢٤ م بإعلان الجمهورية التركية من قبل مصطفى كمال أتاتورك، وتحت تأثير الحرب العالمية الأولى وحركات الانفصال العربية عن الحكم التركي مثل تلك التي قادها الشريف حسين في الحجاز.

ومن الجدير ذكره، وجود اختلاف في وجهات النظر التي تشرح وتفسر التاريخ الإسلامي، وزخمه بالأحداث والثورات والقلل والحروب والاعتبارات، وذلك حسب الأيديولوجيات والأدوات التحليلية المستخدمة.

وبحسب عبد العزيز الدوري، يمكن تصنيف العوامل التي تؤدي دوراً رئيسياً في النظر إلى تاريخ الخلافة الإسلامية^(١):

١. عوامل عقائدية: تؤدي فيها أمور الدين والعقائد دوراً أساسياً.
٢. عوامل ثقافية: فالثقافات والعادات المختلفة سواء الموجودة عند العرب مما يُدعى العادات القبلية والبدوية، أو العادات التي صادفوها أثناء انتشارهم في الأقاليم المجاورة مثل الموروث الفارسي (الكسروي) والموروث الروماني واليوناني، وأخيراً التركي.
٣. عوامل حضارية وفلسفية: تشكل مجموع العلوم والفلسفات التي تلقاها

(١) راجع (عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٢).

المسلمون عند اختلاطهم بالشعوب والحضارات الأخرى، والتي هي أساساً الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية.

٤. عوامل اقتصادية: فالمال والثروة، كانت ذات دور رئيس في الكثير من الحروب والنزاعات التي رسمت تاريخ البشرية ومنه تاريخ الخلافة.

ويعتمد [محمد عابد الجابري]، تصنيفاً مشابهاً في كتابه العقل السياسي العربي، حيث يقوم بدراسة التاريخ الإسلامي حسب محاور ثلاثة (العقيدة والقبيلة والغنيمة) كما يُدخل أيضاً المدخلات الغربية من عادات حكم وتقاليده فارسية ويونانية ورومانية^(١).

وإنطلاقاً من هذه الرؤية التاريخية واستناداً للامتدادات الجغرافية للخلافة، يرسم منظرو [داعش] والسلفية الجهادية حدوداً افتراضية لمشروع الخلافة الجديدة الذي يسعون للتمدد به إلى كل هذه الجغرافيا التي شملتها الخلافة الإسلامية في التاريخ، دون مراعات لكل المستجدات والتغيرات التي جاء بها التطور التاريخي في وضع الحدود الإقليمية للدول والإنظمة والقوانين الدولية الحاكمة والمتفق عليها في المؤسسات الدولية.

ففي الجغرافيا، وانطلاقاً من الجزيرة العربية، توسعت الخلافة الإسلامية إلى بلاد الشام وبلاد فارس وشمال أفريقيا ووصلت الفتوحات الإسلامية في مرحلة لاحقة إلى حدود الصين شرقاً ونحوم أوروبا شمالاً وصولاً إلى الأندلس غرباً.

وقد مرّت بحالات من المد والجزر جغرافيا وسياسياً نتيجة ما أصابها في المرحلة العباسية والعثمانية من اضطرابات وصراعات داخلية، الأمر الذي وصل أحياناً وفي مراحل تاريخية إلى قيام إمارات مستقلة ومنفصلة عنها.

(١) راجع (محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي - نقد العقل العربي ٣-، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٧).

شروط إنعقاد الخلافة ومواصفات الحاكم

تجمع كتب الفقه السياسي عند كبار المفكرين المسلمين (السنة) قديماً (الماوردي - ابن تيمية - الجويني - القرطبي - أبو حامد الغزالي) والمعاصرين من أتباعهم على انعقاد الخلافة بإحدى الطرق التالية:

اختيار أهل الحل والعقد: وهم بمثابة أعضاء مجلس شورى يمثل الأمة في عملية إختيار الخليفة، ولم يشترط في ذلك عدد معين منهم فضلاً عن الإجماع. ويذهب معظمهم إلى تجويز انعقاد البيعة للخليفة ولو بمبايعة شخص واحد له من أهل الحل والعقد*. بينما قال بعضهم:

- لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحل والعقد، ولكنهم أيضاً اختلفوا في العدد بين خمسة وأربعة (استدللاً بما حصل في موضوع بيعة أبي بكر وعثمان).

- عهد من الخليفة السابق: كعهد أبي بكر لعمر بن الخطاب

- الغلبة والقهر: بمعنى اخذ الخلافة بالقوة كالانقلاب العسكري (قهر الناس بشوكته).

ويضيف [الماوردي] أن هناك آراء لعلماء أهل الكوفة: أنها تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حكماً وشاهدين، كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين. وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد لأن العباس قال لعلي رضوان الله تعالى عليهما «أمدد يدك لأبايعك». فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان، ولأنه حكم، وحكم واحد نافذ^(٢).

* هذا ما ذهب إليه [الجويني] في شرح الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أحمد السقا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧، ج ١، ص ٤٣٤، و[القرطبي] في تفسير الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٣٥، ج ١، ص ٣٦٠.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٩ وما بعدها.

ومما تقدم يتبين أن استدلالاات الماوردي في طريقة انعقاد الخلافة جميعها استندت إلى وقائع تاريخية حدثت في عهد الخلافة الراشدة، بعيداً عن أي استدلال بنص قرآني أو حديث شريف - كما يتبين بأن كل طريقة من طرق الانعقاد تستند إلى واقعة معينة (عهد الخليفة أبو بكر لعمر بن الخطاب) (وتعيين عمر بن الخطاب للشورى) (وصولاً إلى واقعة لم يترتب عليها انعقاد، وهي قول العباس لعلي أمدد يدك لأبايعك) فأصبح حكمها نافذ، قادهما عند البعض ليكتفى فيه بواحد - هذا فضلاً عن تشبيه انعقاد الخلافة وصحته بثلاثة، بعقد النكاح الذي يصح بولي وشاهدين، ويُطرح السؤال هنا هل عقد النكاح (وهو عقد زواج بين رجل وإمرأة) يمكن أن يكون قياساً في الأهمية والخطورة كانعقاد البيعة لخلافة الأمة الإسلامية وقيادة المسلمين؟، الذي يترتب عليه ما يترتب من اعلان الحرب وعقد المعاهدات أو تدبير شؤون الناس بمختلف الساحات والموضوعات؟!.

ويغلب على تعريفات الخلافة أو الإمامة عند علماء السنة والجماعة قديمهم وحديثهم أيضاً، إعطاء الطابع التنظيمي والتنفيذي لرئاسة الدولة والحفظ وتحقيق مصالح الناس على هدي مبادئ الشريعة^(١).

وهذا يشمل إقامة الحدود وتدبير أمور الأمة وتنظيم الجيوش وسدّ الثغور وردع الظالم وحماية المظلوم، وقيادة المسلمين في حجهم وغزوهم وتقسيم الفياء بينهم^(٢).

ولا يعترفون بفصل الدين عن الدولة (نظرياً)، وسياستها وشؤونها الإدارية وينطلقون من ذلك إلى مفهوم الحاجة إلى القيادة الإسلامية.

(١) محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية (مصدر سابق)، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية (مصدر سابق)، ص ١٥-١٦.

يقول ابن تيمية: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم الواجبات في الدين بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدّ لحراسة الدين من رأس»^(١).

ونتساءل عن معنى حراسة الدين؟ الأمر الذي نجد جوابه عند الماوردي مبيناً دور الإمام الخطير بحراسة الدين «فليس دين زال سلطانه إلاّ بدلت أحكامه وطمست أعلامه، وكان لكل زعيم بدعة ولكل عصر فيه وهية أثر، وكما أن السلطان إن لم يكن دين تجتمع به القلوب حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضاً، والتناصر عليه حتماً لم يكن للسلطان لبث، ولا لأيامه صفو، وكان سلطان قصر أو مفسد دهر»^(٢).

في الاستتاج نجد أن الشرع عندهم ليس هو الذي ينصب الإمام أو الخليفة بل الأمر متروك للناس ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى - الآية ٣٨). ومن خلال التعريفات للخلافة نجدها في جوهرها منصب سياسي وتنفيذي مهمته حراسة الدين وتطبيق الشريعة وحفظ مصالح العباد ومحاربة الأعداء ولا تقع على هذا المنصب مسؤولية حفظ مضامين الدين أو تفسير ما غمض من حقائق أو تبيان حدوده وتوضيح معالنه وغير ذلك من الأمور المتعلقة بفهم الشريعة وتفهمها، كما هو وارد عند الشيعة الإمامية.

أما عبارة (حراسة الدين) التي يتحمل مسؤوليتها الخليفة فيقصد بها الدفاع عن وجود الدين، ضد أي تهديد سياسي أو عسكري قد يستهدف اجتثاثه أو الإطاحة بالنظام الحاكم باسم الدين، وهو بذلك دفاع عن نظام حاكم ومجتمع

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية (مصدر سابق)، ص ١٦٥.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية (مصدر سابق)، ص ١١١.

إسلامي تابع لهذا الحاكم ضد أي خطر داخلي أو خارجي ليس إلا.

وإذا أضفنا إلى ما تقدم من غياب شرط العصمة (الموجود عند الشيعة الإمامية) في الخليفة أو الإمام، وغياب مبدأ الأعلم بالحلال والحرام، والاعتصار على العلم المجمل الذي يكفيه أقله في معرفة الحلال والحرام، وتخفيف الشروط الأخرى في العدالة والورع مثلاً إلى الحد الأدنى بحيث يكون ممن تجوز قبول شهادته فقط. وليس شرطاً أن يكون الأفضل بين اهل زمانه ولا الأكفأ، نصل إلى عملية فصل الدين عن السياسة (عملياً على الأقل في شخص الحاكم) ويصبح الخليفة والإمام حارساً للدين وليس مبنياً له أو مجتهداً عالمياً به فضلاً عن كونه ليس الأعلم والأورع والأتقى... إلخ.

فـ [الرازي] مثلاً يعتبر أن العصمة هي للخلافة (كمنصب) وليس للخليفة أو الإمام كشخص، وهذا يعني إظفاء قدسية على المنصب وليس على الشخص شاغل له. فيصبح الشخص هنا (الحاكم) مستفيداً من قدسية المنصب ليدافع عن نفسه وعن منصبه تحت راية هذه القدسية وقد يؤدي الأمر إلى تجميع الجيوش وقتل وإزهاق الأرواح دفاعاً عن المنصب (الخلافة - وقدسيته المعصومة) دون مضمون لهذه العصمة يجسده بشخصه أو تصرفاته، فهو يخطئ ويصيب وليس معصوماً، والأمة هنا تصبح مرهونة لتصرفاته التي يغطيها بعصمة المنصب (الخلافة)^(١).

أما [الباقلاني] فيعتبر أن الإمام «لا يخلع بفسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبخار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخوينه، وترك طاعته في شيء مما يدعو

(١) راجع (فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٠ م، ص ٢٤٦).

إليه من معاصي الله»^(١).

وفي شرح العقيدة الطحاوية يورد الطحاوي ما نصّه «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا علينا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عزّ وجلّ فريضة ما لم يأمر بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة»^(٢)؛ وكذا قال [سعد الدين التفتنازي] في الشرح^(٣).

يورد الماوردي في الأحكام السلطانية الشروط المطلوبة في الخليفة المرشح للاختيار أو الانتخاب من أهل الحل والعقد فيقول: «وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة: العدالة على شروطها الجامعة، والعلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، سلامة الحواس (السمع والبصر واللسان) وسلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض، الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، والشجاعة والخبرة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو، وأخيراً النسب القرشي لورود النص فيه وانعقاد الاجماع عليه».

وقد ذكر [البغدادي] أيضاً هذه الشروط واعتبرها تمثل رأي غالبية العلماء عند أهل السنّة:

- العلم: وأقله ما يكفي منه ان يبلغ فيه مبلغ المجتهدين بالحلال والحرام.

(١) الباقلاني: التمهيد، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط ٣، ١٩٨٧ ص ١٨١.

(٢) الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠، ط ٢، ص ٣٩٧.

(٣) راجع (سعد الدين التفتنازي: الشرح، تحقيق محمد حين إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٨٥-١٨٦).

- العدل والورع: وأقله ما يجب فيه من هذه الخصلة أن يكون ممن يجوز قبول شهادته.
- الاهتداء إلى وجوه السياسة وحسن التدبير والمعرفة بمراتب الناس والحروب.
- أن يكون نسبه من قريش.
- ويضيف آخرون الذكورة - البلوغ - العقل - الشجاعة - الحرية وغيرها، ولا يشترط أهل السنّة في الخليفة أو الإمام أن يكون أفضل أهل زمانه.
- وفي استقراء للتاريخ الإسلامي وأحداثه وتوالي البيعات منذ «السقيفة» والخلفاء الراشدون، مروراً بالخلافة الأموية ثم العباسية ثم العثمانية. نجد أن ما قاله الشهرستاني (صاحب الملل والنحل) أبلغ وصف يمكن أن يختصر ما حدث في معظم تلك الفترات الزمنية عندما يقول: «وأعظم خلاف بين الأمة، خلاف الإمامة. إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان»^(١).

وهذا الاختلاف لم ينشأ بسبب غموض التعاليم الإسلامية، بل وقع هذا الخلاف بين المسلمين بدافع سياسي بحت. واتسع الخلاف عندما تدخلت السياسة في العلم، فاختلفت الأحاديث عن النبي، مناصرة للنزعات السياسية التي كانت تسيطر آنذاك^(٢).

ومن الواضح للمتبصر بالتاريخ الإسلامي حقيقة هذه المقولة، ففي عصر الخلافة الراشدة، لقي ثلاثة من الخلفاء حتفهم قتلاً (عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب عليه السلام)، وبعدهم كان الصراع دامياً على المنصب

(١) محمد عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٦.

(٢) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٢، بيروت، ١٩٩١م.

(الخلافة)، حتى داخل العائلة الواحدة، وبين الأخ وأخيه (الأمين والمؤمن) وكان القتل بالسيف أو بالسهم نصيب الأئمة المعارضين من نسل الرسول لإبعادهم عن المنصب.

وهذا يؤكد الخلفية السياسية للصراع المتلبسة بلباس الدين، حيث ليست المشكلة هي البحث عن الأعلم والأورع والأتقى دينياً. وقد لجأ الخلفاء في غالبيتهم إلى بطانة من العلماء تكتب وتستجلب النصوص والروايات لتدعيم شرعية الحاكم دينياً^(١).

إذاً المسألة في جوهرها سياسية تلجأ إلى تحصيل الغطاء الديني لكسب الشرعية الدينية التي تبيح له محاربة كل منازع أو معارض للحكم والخلافة.

ولعل النموذج العملي المعاصر لهذا الفهم، قد تجلّى في موضوع تنصيب الخليفة [أبو بكر البغدادي] في تجربة [داعش].

فلقد شكل الإعلان عن الخلافة وتنصيب الخليفة [إبراهيم البدري] (أبو بكر البغدادي) مفاجأة من العيار الثقيل ليس فقط للوسطين الإسلامي والعربي عموماً، بل حتى للسلفيين والجهاديين منهم على وجه التحديد.

ففي الشكل، أُعلن قيام الخلافة وتنصيب الخليفة من قبل الناطق الرسمي باسم الدولة [أبو محمد العدنان] بتاريخ ٢٩ حزيران/يونيو ٢٠١٤ في تسجيل صوتي نشرته مؤسسة الاعتصام: «من وعد الله عز وجل وما جاء على لسان نبيه ﷺ الذي قال: ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فما بعد إزالة هذه الحدود،

(١) يذكر الماوردي (٣٦٤ هـ - ٤٥٠ هـ) في مقدمة كتابه (الأحكام السلطانية- أدب الدين والدنيا) بأنه سعى لتأليف الكتاب بناء على طلب الخليفة العباسي القادر بالله المتوفي عام

حدود الذل وكسر هذا الصنم، صنم الوطنية، إلا خلافة على منهاج النبوة إن شاء الله، تحقيقاً لا تعليقاً، وعد الله» ويكمل العدناني في توجيه رسالة إلى التيارات والتنظيمات والخلايا الجهادية، وغيرها من الجماعات الإسلامية، يدعوهم فيها إلى وجوب مبايعة الإمام الخليفة: «ورسالة إلى الفصائل والجماعات على وجه الأرض كافة المجاهدين، والعاملين، لنصرة دين الله، والرافعين للشعارات الإسلامية، فإلى القادة والأمراء نقول: اتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في جهادكم، إن والله لا نجد لكم عذراً شرعياً في التخلف عن نصره هذه الدولة».

ويخاطب المقاتلين والجنود بقوله: «وأما أنتم يا جنود الفصائل والتنظيمات، فاعلموا أن بعد هذا التمكين وقيام الخلافة، بطلت شرعية جماعاتكم وتنظياتكم، ولا يحل لأحد منكم يؤمن بالله أن يبيت ولا يدين بالولاء للخليفة»^(١).

وفي ما تقدم إشارات واضحة لخلفية إعلان الخلافة، فهي تهدف لقطع الطريق على أي فصيل يريد استثمار النجاحات التي تحققت في العراق والشام، ولقطع الطريق على قيام صحوات جديدة على غرار ما حصل في العراق سابقاً، وللهدف الأهم هو سحب البساط من تحت أقدام الظواهري والقاعدة في قيادة التيار الجهادي العالمي، وكذلك إحراج كل التنظيمات الجهادية الأخرى خارج حدود الخلافة، ووضعها أمام خيار واحد لا يحصى عنه، وهو مباركة قيام الخلافة، وإرسال الوفود للمبايعة والقتال تحت رايتها. ومن تخلف عن ذلك فقد أوجب على نفسه القتال، لأنه يُعتبر من الطائفة الممتنعة أو المرتدة التي يجب

(١) راجع (صهيب عنجريني: تحقيق بعنوان العدناني يحيل [داعش] إلى التقاعد ويعلن الخلافة، جريدة الأخبار اللبنانية، العدد الصادر بتاريخ ٣٠ حزيران/يونيو ٢٠١٤).

قتالها^(١).

وبالتالي فإن الإسراع في إعلان الخلافة هو خطوة سياسية في صراع [داعش] مع القاعدة ونظائرها من الفصائل السلفية الجهادية، وهي خطوة يمكن قراءتها في التكتيك السياسي أكثر من قراءتها في المجال الديني.

لقد أعلنت الخلافة دون مشاورة أحد من الفصائل والجماعات الإسلامية خارج [داعش] (انتفاء مشورة أهل الحل والعقد)، وقد أثار إعلانها اعتراضات ورفض عدد من الفصائل الجهادية المسلحة في العراق وسوريا، وحججهم كانت متقاربة في الردّ عليها بأن أميرها مجهول الهوية والحال لأغلب أبناء الأمة الإسلامية، وأنه عاجز عن حماية نفسه والمنطقة التي أعلن عليها خلافته (انعدام التمكين)، وأنه لا يُعرف من هم أهل والعقد الذين استُشيروا في إعلان الخلافة، وقد احتج البعض منهم بكلام [ابن تيمية]: «إن النبي أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرّون على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم، ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان على شيء أصلاً»^(٢).

وقد أصدر أكثر من فقيه ومنظر في السلفية الجهادية ردوداً وبيانات ببطلان الخلافة وفقدانها للشرعية الفقهية، كـ [أبو محمد المقدسي]، و[أيمن الظواهري] و[أبو قتادة الفلسطيني]، الذي دعا إلى ضرورة التمهّل في إعلان الخلافة، فالحرب لم تنته، وإعلان الخلافة بالطريقة التي أعلنها [أبو بكر البغدادي] سيوحد

(١) راجع (محمد علوش: [داعش] وأخوانها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، ط ١، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠١٥، ص: ٣١٥-٣٢٥).

(٢) أحمد ابن تيمية: منهاج السنة، ط ١، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦، ج ١، ص ١١٥.

الأعداء، وسيجلب أمم الأرض لمواجهتها^(١).

وهذا ما حدث لاحقاً عندما تشكل التحالف الدولي العربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والذي بدأ حربه بغاراته الجوية على كل مناطق تواجد [داعش].

(١) راجع (محمد علوش: [داعش] وأخواتها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، مصدر سابق ص: ٣٠٧-٣١٢).

المبحث الثالث

الخلافة : من الدين إلى الدولة

١- النظام السياسي لحكم الخلفاء الراشدين :

تدرس المرحلة الراشدية على أنها كيان سياسي نشأ بعد رحيل رسول الله، وتداول السلطة فيها أربعة خلفاء للرسول. وتنطلق دراسة إسلامية هذا النظام على أسس مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية وتحليل حكومة الرسول، كونها تعتبر تطبيقاً للأحكام التشريعية التي وردت في القرآن حول الحكم، وكذلك أقوال النبي وأفعاله السياسية في إطار بناء النظام السياسي.

عند أهل السنة والجماعة، يعتبر «الماوردي» مرجعاً رئيسياً لإسناد شرعية هذا الكيان الراشدي، وبالنسبة للشيعة فإن نظرية النص على الإمامة هي الأساس، كونها مستقاة من كل تلك المصادر. علماً أن النظريتين اللتين تحاكم سلطة الراشدين على أساسهما، تتلاقيان وتفرقان في مواضع شتى. لهذا ظل النظام السياسي لدولة الراشدين منشأ للخلاف حول تقويم الشرعية الإسلامية التي استند إليها «كل خليفة على حدة»، من وسائل تداول السلطة (الشورى أو الوصية). وكذلك من مسألة البيعة، والعدالة ومدى الالتزام بالأسس التي صاغها الشرع الإسلامي كياناً إسلامياً اتجه نحو تحقيق الدولة الإسلامية بأبعادها القانونية، ليستحضر من خلالها: عناصر النظام السياسي، وتداول الخلافة وملامح المجتمع المدني، والبيعة، وحق الاختلاف، وحرية الرأي، وتشكل الأحزاب، وأهل الحل والعقد.

والسؤال الذي يُطرح هنا، ما هي حدود سلطة الخليفة؟

إن ما تبرزه وثائق تلك المرحلة أن الخليفة كان المرجع الأول والأخير في تقرير سياسة الدولة، بما في ذلك قرارات الحرب والسلم وما يتعلق بالاقتصاد والقضاء وغيرها. أما في الولايات، فإن سلطة الوالي المستمدة من سلطة الخليفة كانت على الدرجة نفسها من إطلاق الأحكام. كل ذلك يدفع إلى تأكيد انعدام الديمقراطية في التفاصيل. علماً أن جميع الخلفاء الأربعة، اعتمدوا على استشارة الصحابة، أهل الحل والعقد، كما يطلق عليهم، فلم يكن ممكناً ومسموحاً للخليفة أن ينفرد بالقرار في أجواء كهذه، وهو محاط بكل أولئك الكبار الذين عرفوا رسول الله وعرفهم وضحوا في سبيل الإسلام ونشروه وحققوا معه النصر.

وإذا جاز للباحث أن يعتبر هذه الرقابة اللصيقة لهؤلاء شكلاً من أشكال الديمقراطية قياساً على ذلك العصر، أمكن الجزم بأن الخليفة لم يستطع الانفراد بالقرار على الإطلاق، وأن الولاة أيضاً لم يستطيعوا ذلك لأسباب تتعلق أيضاً بوجود كثير من أصحاب رسول الله أو تابعيهم حولهم، واستمر هؤلاء في نقل الأخبار للمركز في المدينة، وبرزت قصص شهيرة حول محاسبة الخلفاء لولاتهم، وخاصة في عهد الخليفة الثاني والرابع وما قصة عمرو بن العاص وابنه، واضطهاد المصريين، ومقولة الخليفة الثاني الشهيرة «كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»^(١) ليست إلاً غيضاً من فيض تلك المرحلة.

وظلت سلطة الخليفة خاضعة لقانون الطوارئ طوال عهد الراشدين. فلم يتح للنظام الجديد استقرار معقول، ولم يكن مؤهلاً للاستفادة من التقدم الحضاري للدول المحيطة في هذه الفترة القصيرة من الزمن (٢٩ عاماً) (١١ - ٤٠ هـ) لقد

(١) راجع: تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، أحداث سنة ٢٢ هـ.

انفجرت حروب الردّة ثم حروب التبشير باتجاه الشمال والشرق والغرب. وبما أن هذا البحث ليس من شأنه تحليل الغايات الكامنة وراء هجوم الشمال إلا الغايات السامية للإسلام والانتشار، ويشكك في الآراء الأخرى -التي سيجري التطرق لها-، فإن أجواء الحشد والسلطات الاستثنائية هي التي حكمت. ولعل مرحلة الخليفة الرابع، قد أفرزت حرباً أهلية شغلت الدولة على امتداد خمس سنين، ظلت حتى العصر الراهن مصدر إثارة للجدل بين المفكرين الإسلاميين والمستشرقين حول مشروعية الغايات الكامنة التي سعت إليها الأطراف المنخرطة في القتال، بل وإنها أدخلت في الفكر السياسي الإسلامي الكثير من الاجتهادات الجديدة مثل نظرية (الحاكم المتغلب) وفتحت النقاش شرعية وإسلامية هذه النظرية التي يقرها الغالبية العظمى من الفقهاء من اهل السنة والجماعة، ويرفضها الفقهاء الشيعة.

لقد اعتبر معظم المؤرخين إن المراحل التالية للمرحلة الراشدية في النظام الإسلامي أسست على خطوات الخلفاء في مسائل الحكم عندما اعتبرتها جزءاً من السنة النبوية، وخاصة خلافة الخليفين الأول والثاني وحزبهما (كما ورد سابقاً)، لهذا يمكن اختصارها بدراسة الخطوات السياسية التي تم اتخاذها على صعيد التنفيذ، أما الخليفان الثالث والرابع (عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه)، فقد اعتبرهما المؤرخون امتداداً، وأهملوا التدقيق في التفاصيل الدستورية الناجمة عن الخصوصية والخطورة معاً، فالفتنة الكبرى (كما أطلقوا عليها) ظلت عندهم سمة المرحلة، وهذه الفتنة وما رافقها من نبوءات وردت في كتب الحديث المعتمدة لدى السنة والجماعة، دفعت المؤرخين إلى الإحجام عن تشريع خطوات الخليفين وإدخالها في الفكر السياسي الإسلامي إلا في مجالات بالغة المحدودية ويتحمل الجميع وزر هذا الخوف من إطلاق أحكام القيمة.

ومن المتفق عليه عند الغالبية العظمى من المفكرين والفقهاء المسلمين ان المرحلة التي تلت الخلافة الراشدة وبالتحديد مع قيام الخلافة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان والذي أورثها في حياته لابنه يزيد، قد حولت الخلافة إلى مُلك عضوض، فأصبح الحكم وراثياً في الأمويين وبعدهم في بني العباس ثم عند العثمانيين ولم تعد تراعى المواصفات والشروط الشرعية في تولي المنصب، وتحكمت العصبية في توارث الملك، كما عبر [ابن خلدون] في «المقدمة»^(١).

٢- إشكالات أثيرت حول الخلافة :

أ. حول ممارسة السلطة

يذكر [محمد سعيد العشماوي] في كتابه الخلافة الإسلامية أن هناك خلطاً عاماً بين تاريخ الدين، وبين الدين نفسه، وأن فهم التاريخ الإسلامي بنقاء وصفاء يستدعي الفصل بين الوقائع والعقائد - حيث أن الخلط بين تاريخ الدين والدين نفسه أمر خاطئ، وينظر إلى الأحداث التي وقعت في تاريخ الخلافة بأنها أحداث سياسية وليست دينية، وهي تحوي كل ألعيب السياسة، وأخطائها ومساوئها، وأن وصفها بأنها إسلامية، لم يكن وصفاً حقيقياً، حيث استخدم الدين لخدمة أهداف دنيوية لا غير؛ كما استخدمت الشريعة للإساءة إلى ذاتها.

ويُضيف بأنه يُقال إن الخلافة الأموية خدمت الدين الإسلامي بالفتوحات المتصلة والغزوات المستمرة، ونشر الإسلام بين غير المسلمين، ولكن لا يُقال أن الخلافة الأموية - مع ذلك - هي التي دنّست حرمة المدينة المنورة في عهد يزيد بن معاوية، وأهدرت حرمة مكة في عهد عبد الملك بن مروان، فأباحت لجنودها دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فقتلوا الرجال ونهبوا الأموال وهتكوا

(١) راجع: ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق.

أعراض النساء، كذلك لا يُقال أن هذه الخلافة ضربت الكعبة بالمنجنيق مرتين، وهدمتها في كل مرة، وأنها سمحت لجنودها بدخول مسجد الرسول بالمدينة بخيولهم فملئوه بالروث والقاذورات.

ويُقال أن عمر بن عبد العزيز ألغى الجزية، وقال: «أن محمداً أرسل هادياً، ولم يُرسل جابياً»، ولكن لا يُقال أن هذه الجزية التي ألغها، لا يفرضها حاكم أجنبي، وإنما فرضها الخلفاء الأمويين من قبله على رعاياهم من المسلمين غير العرب، وكأنهم رعايا دولة أخرى، أو كأنهم غير مسلمين.

أما في الخلافة العباسية، فيُقال أن الخليفة المأمون هو الذي أنشأ بيت الحكمة، ونشر الترجمة، وأن عهده كان عهد الحضارة الرفيعة والحرية الفكرية، ولكن لا يُقال أن المأمون هو الذي أثار فتنة خلق القرآن، وفرض على الناس اعتقاده بمرسوم خاص كالمراسيم التي تصدر عن المجاميع المقدّسة عند المسيحيين (مثل: مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ ميلادية، ومجمع خلقدونيا سنة ٤٥١ ميلادية) وهو أمر لا صلة له بالدين، ولا علاقة له بالحضارة، ولا وشيجة له بالحرية، غريب عن روح الإسلام وبعيد عن معنى الحضارة، وعلى الضد من فكرة الحرية.

ويُقال أن الأئمة [مالك بن أنس]، و[أبو حنيفة النعمان]، و[أحمد بن حنبل]، صمدوا لعدوان الحاكم الظالم، وتحملوا تعذيب الوالي الغاشم دون أن تلين لهم قناة أو يتغير لهم رأي، ولكن لا يُقال إن الحاكم الظالم أو الوالي الغاشم، لم يكن أجنبياً مستعمراً غير مسلم، بل كان هو الخليفة المسلم (أمير المؤمنين، ورأس المسلمين أو كان نائبه وواليه، فقد كان الذي عذب مالك بن أنس هو والي المدينة جعفر بن عبد الله بن العباس، عم الخليفة [أبو جعفر المنصور]، وكان الذي نكّل بـ [أحمد بن حنبل]، هو الخليفة المأمون ثم الخليفة المعتصم.

هكذا تتوالى الأمثلة ولا تنتهي، ومنها يُقطع بأن فهم تاريخ الخلافة الإسلامي كان دائماً وأبداً نتيجة فصام الشخصية يتبع أسلوب الشظايا المتناثرة والفسيفساء المتباعدة، وأن التاريخ في المفهوم الغالب هو تاريخ الحكام أو الأحداث السياسية، ولا يُعنى بتاريخ الفكر والاقتصاد أو تاريخ الفقه والتشريع والفن والعمارة أو ما شابه إلا عدد قليل، هذا فضلاً عن أن السياسة هي السلطة والثروة، وكان تأثيرها على الناس أسرع ونتائجها أوضح.

ويختم الكاتب بأن النزاع على الخلافة حوّلها إلى إرث يختلف حوله الورثة، أيهم أحق به، وهذا النزاع الذي نشأ عليها والصراع الذي دار من أجلها، بدد الإسلام فرقاً وشيعاً وأوجد الكثير من الفرق والمذاهب^(١).

ب- في كيفية تنصيب الخليفة

في قبالة ما تقدّم من إشكالات على الخلافة وأداء الخلفاء، فإن أبرز ما أثير من شبهات أو إشكاليات بنيوية جاءت على لسان مفكري الطائفة الشيعية، إذ يركز مفكرو الشيعة على نقد النظرية القائلة إن الرسول ترك مسألة تداول السلطة بعد وفاته دون تحديد، واعتبروا ذلك انتقاصاً من مكانته كرئيس للدولة ومشروع وملهم من الله، وإذا اعتبرنا أن [محمد مهدي شمس الدين] نموذج للفكر الشيعي حول هذا الموضوع، وخاصة في نقد نظرية السنة عبر معظم مفكريهم القدماء والمحدثين، فإنه يعتبر أن الأخذ بمبدأ تداول السلطة أمر دينوي ليس للدين فيه شأن، كما ينسب إلى أن رسول الله اقتصر في ذلك على تبريرين^(٢)،

(١) راجع (محمد سعيد العشماوي: الخلافة الإسلامية، ط ٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢، صفحة ٥ - ٢٣).

(٢) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢١٧.

أحدهما مجرد الإهمال، والثاني وجود مبررات دفعته إلى هذا الإهمال، وكلا التبريرين مرفوض، ذلك أن من أهم مقومات النظام والسلطة هو تحديد طريقة التداول حتى لا ينزلق المجتمع إلى الفوضى، وأن الشورى عبر النخب السياسية، لا تكفي للحديث عن اكتمال الدين بعيد رحيل المؤسس.

«لقد كان رسول الله أخوف ما يخافه على المسلمين الفتنة، وقد حذرهم منها كثيرة، والفتنة في اصطلاح العصر هي الفوضى، وسقوط النظام والاستهانة به، وقد كان النبي يحس بهذه الضرورة الاجتماعية تمام الإحساس؛ فكان يرى أن الأمة إذا عدت القيم عندها وقعت في الفتنة، ولأجل أن تتحرر من هذا الشر، فلا بد لها من إمام ولو كان جائراً»، فهو يقول: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار؛ فالفتنة شر والإمام الجائر شر ولكن شر الإمام الجائر الذي يحفظ النظام خير من الفتنة التي تعصف بقوى الأمة وتمزق أو اصرها»^(١).

ويقول [شمس الدين] بهذا الصدد: «فنحن لا نملك بعد الاطلاع على النصوص إلا أن نقول أن الحكونة الإسلامية جزء من الإسلام، فلماذا أهمل النبي أمرها هذا الإهمال المطبق؟ والحقيقة أن النبي لا يمكن أن يهملها وهو القادر على الاستخلاف أو تبين طريقة الاستخلاف على الأقل، وهو سيد الأنبياء وذو رسالة لم تترك شاردة ولا واردة»^(٢).

وبهذا الاعتبار قال رسول الله «لا يحل لمسلم أن يبيت ليلة واحدة وليس في عنقه بيعة لأحد». ويتابع [شمس الدين] حججه في أن الرسول لا يمكن أن

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٨.

يقصّر في تحديد الخليفة لمنع الفوضى والفتنة، خاصة في مجتمع اعتاد على الفوضى والتمرد كالمجتمع العربي في البادية، لهذا فلا يمكن للنبي أن يترك الأمر في يد القدر وتحت رحمة اختلاف المسلمين على الخليفة، حتى ولو أخذنا برأي المفكرين المحدثين الذين نظروا إلى أن غاية النبي من إهمال تعيين الخليفة نابع من أنه لم يرد أن تقيد الأمة بتشريع معين في اختيار القائد، وترك للعصور والظروف الأمر مفتوحاً للاجتهاد^(١).

يعتقد المفكرون الشيعة جميعاً أن الوصية لشخص بالخلافة، لا تعني تقييد الأمة، ذلك أن في الإسلام روحاً تطويرية قادرة على الاستجابة لتحديات الأزمنة كلها، وأن الخلافة جزء من الدين وخاضعة تعاليمه لمتطلبات المكان والزمان، فما الذي يمنع النبي من أن يسنّ للمسلمين تشريعاً في نظام الحكم، ثم يضع له الضوابط التي تكفل له ألا يكون متصلباً جامداً يستعصي على التحوير حينما تتغير حياة ويتبدل الحياء^(٢)، ونظراً للظروف الموضوعية في عهد النبي والقوى المعادية المحيطة بدولته، فلماذا لا نعتبر الوصية أمراً مرحلياً يكفل حفظ الدولة الإسلامية في تلك الظروف ثم يزول بزوالها؟

بالاستطراد فإن الشيعة يعتقدون أن السنة قد قبلوا فكرة الوصية في نهجهم السياسي، سواء في عهد الراشدين، أو كما عبر [الماوردي] في كتابه (وهو ما سيُعالج لاحقاً)، فلماذا يرفضون نسبة تلك الفكرة إلى النبي بأنه أوصى للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟

وبالنتيجة، فإن الظروف الموضوعية ذاتها تحتم على الرسول تعيين الخليفة،

(١) راجع المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٩.

وما كان ليترك قضية التعيين بعد وفاته لاختيار الأمة بأية صيغة من صيغ الاختيار^(١)، رغم التسليم بمبدأ ولاية الأمة على نفسها، لهذا كانت الوصية لـ [علي بن أبي طالب] عليه السلام حفاظاً على وحدة الأمة من التصدع. ورغم أن الإمام لم يتول الخلافة مباشرة إلا أنه قام بهذه المهمة (الحفاظ على الوحدة) خير قيام والتاريخ أبلغ دليل على ذلك.

الشيعة بالإجماع يعتقدون بالحكومة الإلهية، المشخصة بالإمام المعصوم الظاهر، حتى الإمام محمد المهدي الثاني عشر^{٢*}، استناداً إلى السنة النبوية الثابتة لديه فالخليفة والحال هذه، هو إنسان يعينه الله بواسطة النبي في هذا المنصب^(٣)، وأن علي النبي أن يبلغها للناس كأى شأن من شؤون الدين الأخرى؛ لأن الإمامة واجبة على الله، وأنها تشترط العصمة في الإمام، وأن الطريق الوحيد للتعين هو النص الواضح.

واستطراداً فإن تفسير الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة - الآية ٣)، يلتصق بالحدث، وأن الرسول تلقاها من الله بعد قيامه بالتبليغ مباشرة باعتبار تحديد الخليفة ركن من أركان الدين، وأنها تبارك تصرف الرسول، وتعلن التزام الإسلام بإعلان الولاية، إثباتاً لرسالة التبليغ التي كانت تعتبر ناقصة ما لم يؤد الرسول هذا البلاغ.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٩.

* الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام هم: علي بن أبي طالب، الحسن، الحسين، علي بن الحسين (زين العابدين)، محمد بن علي (الباقر)، جعفر بن محمد الصادق، موسى بن جعفر (الكاظم)، علي بن موسى (الرضا)، محمد بن علي (الجواد)، علي بن محمد (الهادي)، الحسن ابن علي (العسكري)، وأخيراً محمد المهدي المنتظر بن الحسن العسكري.

(٣) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مصدر سابق، ص ٢٧١.

تبقى إشارة بهذا الصدد إلى ما يتعلق بالشورى والوصية، فالغالبية الإسلامية المتمثلة بمن أطلق الباحثون عليهم أهل السنة والجماعة، رفضوا اعتماد التفسير المتعلق بالآيات السابقة، على أنها تتعلق بالشأن السياسي أو طريقة تداول السلطة في الإسلام، بل إن أبرز جامعي الحديث كالبخاري ومسلم، وهما اللذان يعتبرهما أهل السنة أصدق مجاميع الحديث النبوي، أو تفسير الطبري للقرآن وتفسير ابن كثير وغيرهما، ممن تم اعتمادها من قبلهم تتجاهل حديث الغدير وترفض تفسير الآيات السالفة كما فسرهما الشيعة، وتصر على أن الرسول ترك التداول شورى بين المسلمين، ويعتمدون في ذلك على التطبيق اللاحق لدولة الراشدين، باعتبار أن هذا التطبيق يقوم به أهل الحل والعقد، وهم غالبية الأنصار والمهاجرين من الصحابة، ولا يمكن أن يرتكبوا خطأً فاحشاً برفض تأويل الآيات والأحاديث على أنها بالوصية وأصروا على التشاور لتعيين الخليفة بعد رحيل النبي.

لهذا جاء انقسام المسلمين في جوهره، يتعلق بشكل تداول السلطة، باعتبار أن القرآن وهو الدستور الأول للسلطة لم ينص صراحة على ذلك من جهة وأن السلف الصالح لا يجوز للاحقين وصمهم بهذا التجاهل الفاحش ومخالفة الإسلام، وأن الأمة لا يمكن أن تجتمع على خطأ. هذا الرأي يعتبر من بديهيات الفكر السياسي الإسلامي في كل ما كتب عن أحداث السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي سنة غياب المؤسس.

وتم تصنيف المؤرخين والمفكرين على قاعدة السنة والشيعة تبعاً لذلك^(١)، وغني عن الذكر أن أبرز كتاب الفكر السياسي المعتمدين وعلى رأسهم [الماوردي]

(١) راجع (مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ط ١، مطبعة البابي والحلبي، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٦٩ وما بعد).

اعتبروا الشورى قاعدة لتداول السلطة، بينما اتهم الشيعة بأنهم نسبوا إلى الإمام علي عليه السلام ما لم يقله أو يفعله، وفسروا القرآن تبعاً لذلك. هذا وقد أبرز التاريخ الإسلامي هذا الصراع بوضوح لا مزيد عليه.

في خلاصة ما تقدّم في الفصل الأول، وبعد أن عرض في ثلاثة مباحث ماهية وموضوع الدولة في الفهم المعاصر والإسلامي لها، انطلاقاً من المحاكاة لنموذجي الخلافة والإمامة، يتبين أن الدولة تشكل ضرورة للاجتماع الإنساني ونظم المجتمعات، وأن السلطة ملازمة لها، نظراً للحاجة إلى مرجعية قهرية لفرض النظام السياسي والدستور والقانون بين أفراد المجتمع. هذا مع التأكيد على عناصر الدولة وتكوينها من الإقليم (الأرض) والسلطة والشعب والسيادة، وبرزت معها نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف في الفهمين المتقدمين للدولة.

من هنا، فإن النقاش الذي أنتجته تجربة الدولة/ الخلافة الإسلامية عند [داعش] يرجع في أهم جوانبه إلى مصدر شرعيتها كدولة، سواء عند الإسلاميين الذين يناقشون في التزامها بالشروط الشرعية لقيام الدولة/ الخلافة، أو عند غير الإسلاميين الذين يرونها اعتداءً على الدول التي تعرضت فيها السيادة للخرق والأرض للاحتلال من قبل المشروع.

وقد تبين من خلال تناول البحث لنشأة الخلافة في التاريخ، حجم النقاش والاختلاف بين المذاهب والتيارات الإسلامية حول نظريات الحكم في الإسلام وشروط انعقاد الخلافة، بين النص والشورى والتعيين، وبيعة أهل الحلّ والعقد، وتوليد الفرق والمذاهب الإسلامية استناداً لهذا الاختلاف.

وبعيداً عن ذلك الاختلاف النظري تاريخياً تنال المرحلة الراشدية إجماعاً من المسلمين على كونها مرحلة يصدق عليها تسمية الخلافة الإسلامية لجهة تلازم الدين والسياسة في معظم مراحلها، رغم بعض الملاحظات على أداء الخلفاء.

إلا أن معظم المفكرين والمؤرخين يجمعون في المقابل على تحول الخلافة إلى ملك عضوض بعد مرحلة الراشدية، وذلك ابتداءً من استلام [معاوية بن أبي سفيان] للحكم وتوريث ابنه [يزيد]، وعدم التقيد بمواصفات وشروط اختيار الخليفة، وعدم انطباق المواصفات الإسلامية المقررة على معظم «الخلفاء» في الفترة الأموية والعباسية، حيث تحول الدين لخدمة السياسة وليس العكس كما هو في العقيدة الإسلامية.

هذا فضلاً عن ابتعاد الممارسة السياسية عن الالتزام بالضوابط الدينية والشرعية، وارتكاب الخلفاء للكثير من التجاوزات الشرعية وتحول بعض العلماء إلى بطانة للحكم مهمتها توفير واضفاء شيء من الشرعية الدينية المزيفة لذلك الحاكم. الأمر الذي دفع بعض الباحثين للمطالبة بإعادة قراءة تاريخ الخلافة بشكل منصف وعدم الخلط بين تاريخ الإسلام وتاريخ الخلافة وعدم الانتقائية في قراءة هذا التاريخ، وإهمال الإشكالات التي أثيرت على أداء الخلفاء والتي تتضمن الإساءة إلى الدين والعقيدة، وكأن التاريخ يعيد نفسه في التجربة المعاصرة للخلافة لجهة استخدام الدين لتحقيق الغايات السياسية.

هذا فضلاً عن نقاش في جانب آخر يمس عناصر الدولة، وتكوينها حيث لا تعترف [داعش] بالوضع القائم، وبشرعيته، وتتهم الدول والأنظمة الحاكمة فيها بأنها تستولي على السلطة قهراً لمجتمع إسلامي من المفترض أن تحكمه القوانين الإلهية الإسلامية، وأن يستعيد زمام السلطة من مغتصبيها الذين تصفهم

[داعش] بأنهم أدوات في مشروع الهيمنة الغربية على بلاد المسلمين.

ورغم أن ثمة سجال يجري بين التيارات السلفية نفسها التي تنتمي إلى المنظومة الفكرية لـ [داعش] (على الأقل في الخطاب المعلن لديها) فإن حالة من اهتزاز مصدر شرعيتها يمكن تلمسه في هذا السجال حتى عند الإسلاميين السلفيين الجهاديين أنفسهم، فضلاً عن إنكاره بالكامل عند غيرهم.

هذا المشهد، ستعرض له الفصول القادمة بشيء من التفصيل، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن إعلان الدولة الإسلامية في العراق عام ٢٠٠٦ على يد [أبو عمر البغدادي] استدعى خلال أشهر قليلة سجلاً كبيراً حول شرعية الدولة وإعلانها، مما دفع دولة العراق الإسلامية إلى إصدار كتاب إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام* للرد على المشككين بشرعية الدولة وقيامها. ومع ارتفاع حدة السجال إلى مستويات عالية جداً عندما أعلنت الخلافة على يد [أبو بكر البغدادي] عام ٢٠١٤، اندفع عدد من المرجعيات السلفية للتبرؤ من المشروع، وصولاً إلى الانخراط في محاربه لاحقاً، كما حصل مع [جبهة النصرة] التي تمثل [تنظيم القاعدة] في سوريا حيث انضمت إلى جبهة الحرب والقتال ضد دولة الخلافة.

* إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام لمؤلفه [عثمان بن عبد الرحمن التميمي]، والصادر عن مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي وقد نُشر بين عامي ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨ دون ذكر تاريخ محدد للنشر أو حتى رقم للطبعة.

الفصل الثاني

السلفية الجهادية (القاعدة وداعش) الجدور، والنشأة والتجربة الأفغانية

المبحث الأول/ الفكر السلفي التكفيري عند [داعش]

- البنى المعرفية والمنهجية
- العوامل الاجتماعية والسياسية المساهمة في النشأة
- السلفية الوهابية في السعودية: التجاذب الديني السياسي

المبحث الثاني / من السلفية الجهادية إلى تنظيم القاعدة

- نشوء الظاهرة وخلفيتها
- المنظرون المعاصرون للسلفية الجهادية
- تجارب معاصرة من السلفية الجهادية (أفغانستان).

المبحث الثالث / [تنظيم القاعدة] وفقه الخلافة الإسلامية

- تنظيم القاعدة: الهوية وظروف النشأة.
- من العدو القريب إلى العدو البعيد

الفصل الثاني

السلفية الجهادية (القاعدة وداعش) الجدور، والنشأة والتجربة الأفغانية

بعد التعرف على مفهومي الدولة والخلافة في التاريخ والأدبيات المعاصرة وإجراء التقاطع بينهما، واستعراض التجربة التاريخية لدولة الخلافة وفهم ظروف نشأتها وتدايعات تنوع أساليب انتقالها من السلف إلى الخلف، ثم تحولها بعد الفترة الراشدية إلى ملك أموي عضوض وعباسي مشظى وعثماني تركي نحا إلى السلطنة واستخدام الخلافة كواجهة عند الحاجة، ومن كل هذا وصلنا إلى أن اقتران الخلافة بالنصوص الدينية، والتزامها مهمتها في حفظ الدين لم تتعد الفترة الراشدية، أما ما جاء من مراحل بعدها فكان الدين بخدمة الخلافة، الأمر الذي يستدعي التساؤل، فهل انتقلت العدوى هذه إلى التجربة المعاصرة عند السلفية الجهادية ودولة خلافة داعش؟

هذا ما ستجري معالجته في هذا الفصل من خلال بوابة البحث في الجدور العقدية والفكرية للسلفية التكفيرية وهو ما أُطلق عليه البنى المعرفية والمنهجية، ثم المرور سوسيوولوجياً على العوامل السياسية والاجتماعية التي ساهمت في تبلور نشأة التجربة المعاصرة للخلافة، مع التوقف عند المحلي والإقليمي والدولي ضمن هذه العوامل والمؤثرات؛ والهدف من ذلك تلمس مدى تقاطع أو اختلاف التجربة المعاصرة مع التجربة التاريخية للخلافة، والتعرف على أبرز تلك التقاطعات أو الاختلافات بين التجريبتين. من جهة أخرى، كان لا بد من استحضار التجربة الوهابية في بناء الدولة

كسابقة سلفية وهابية، يمكن اعتبارها بمثابة الأب الشرعي والروحي لتجربة [داعش] في الدولة.

وللتعرف عليها في لحظات إنطلاقها وتلاقيها كطرح ديني عقدي مع مشروع السلطة والإمارة عند آل سعود، وبالتالي إنعقاد الصفقة التي انتجت توسعا سلطوياً على معظم أنحاء الجزيرة العربية وتبلور من خلاله تأسيس المملكة السعودية، كنتيجة للتقاطع بين الديني والسياسي، هذا التقاطع الذي عاش حالة من التجاذبات والصراعات أحياناً ومازال على الدور والسلطة وشرعية القرار في الدولة.

وسعيًا لتلمس حقيقة العلاقة بين الوهابية وداعش التي وردت في إشكاليات البحث، جرى اعتماد مسار متدرج نظري وعملي متتابع للوصول إلى تعيين طبيعة هذه العلاقة. فبعد التعرف على البنى الفكرية للسلفية الوهابية التي شكلت مع القطبية الجهادية عنصري التزاوج الرئيسيين اللذين نتج عنهما السلفية الجهادية، يبرز هذا التزاوج في الساحة الأفغانية ليكون نقطة انطلاق لتشكيل جبهة إسلامية عالمية لقتال اليهود والمشركين بقيادة مشتركة بين بن لادن والظواهري.

كما يتبع الفصل إرهاصات البناء الفكري للسلفية الجهادية واستراتيجياتها العملية وانبثاق [تنظيم القاعدة] منها كجهة قيادية وريادية في الساحة الجهادية السلفية ومن خلال مجموعة من المنظرين المعاصرين الذين أرفدوها بالأفكار والاستراتيجيات لتتكون قناعة لدى قادتها لا سيما [أسامة بن لادن] و[أيمن الظواهري]، لتحديد هدف كبير وقضية تجمع شتات الجهاديين السلفيين وغيرهم وكان هذا الهدف هو [رأس الأفعى] - بحسب تعبيرهم - أميركا ومصالحها في كل

أنحاء العالم فتم رسم المسار الاستراتيجي للقاعدة: العدو البعيد بدل العدو القريب.

ومن أجل فهم عميق لما حدث في هذا المسار التاريخي الجهادي جرى استعراض الأحداث والتطورات التي سلكها هذا المسار وسط تهديدات وظروف استدعت التنقل من أفغانستان إلى السودان ثم التمدد إلى الصومال، والعودة إلى أفغانستان من جديد لتكون هذه المرة ساحة تدريب وإعداد وليس ساحة قتال.

وللوصول إلى ذروة البحث في تشكّل وقيام [داعش] في العراق كان لابد من المرور بهذا المخاض القاعدي الذي تخرّج منه الجيل الثاني للقاعدة، وتحديدًا [الزرقاوي] في معسكرات هرات في غرب أفغانستان ليحمل معه الفكر السلفي الجهادي، ولكن مع الاختلافات في الرأي تجاه ترتيب الأولويات، مثل عدم القناعة بأولوية قتال العدو البعيد، بل الأولوية لقتال العدو القريب، وهذا الاختلاف في الاستراتيجية بين [القاعدة] و[داعش] سيظهر بشكل أكثر وضوحاً في اضطراب العلاقة لاحقاً بين [الزرقاوي] و[القاعدة].

المبحث الأول

الفكر السلفي التكفيري عند داعش

١- البنى المعرفية والمنهجية :

في الحديث عن مرتكزات السلفية الوهابية التكفيرية والجهادية (التي أقامت دولة الخلافة الإسلامية-داعش)، تحضر الرؤى التي أنتجت الأفكار والعقائد في خط المواجهة، حيث تحورت حول نظرة تفرّدية تأسست بادئ ذي بدء على المرتكزات الآتية:

- أولاً: التزام المنهج السلفي المتشدّد في رفض التأويل اللغوي^(١) في النصوص الدينية، وحصره بما فهمه الصدر الأول من الصحابة والتابعين. ويمكن بالاعتماد على هذا التأسيس، فهم كيف دفعت هذه المرتكزات إلى مجموعة من العقائد والأفكار التي خالفت فيها الدولة الإسلامية [داعش] في الكثير منها الغالبية من أهل «السنة والجماعة»، ففي هذا المبدأ رفض للتأويل اللغوي، واعتباره تكديماً وباطلاً^(٢).

- ثانياً: اعتبار المرجعية التاريخية المؤسسة للفهم هي السلف الصالح، استناداً إلى الحديث «وخير القرون قرني ثم الذي يليه وثم الذي يليه»^(٣).

- ثالثاً: حصريّة المعرفة بالسماع دون إعمال العقل وتغليب النص عليه.

(١) راجع (ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض ط ١، ٢٠٠٥م. ج ١، ص ٣٨٤ و ٣٨٥).

(٢) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٦٤).

(٣) حديث شريف رواه مسلم والبخاري في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله.

- رابعاً: الادعاء بتعريف أنفسهم بأنهم المجسدون الحقيقيون للفرقة الناجية^(١).
- خامساً: المغالاة في تكفير من قال بأن القرآن مخلوق، وتكفير من قال بأن القرآن الكريم كلام الله الأزلي، واعتُبر من قال بأن لفظه مخلوق أو شكَّ في كفره، أنه كافر^(٢). وبالتالي بدَّعوا الأشعرية، ثم كَفَّروهم.
- سادساً: مرجعية السلف الصالح في العقائد والأفكار والسلوكيات هي الضامن الأساسي للإسلام، وبالتالي فكل ما صدر عنهم هو الإسلام نفسه، وكل ما لا يصدر عنهم في أي واقعة هو «بدعة» وفق تفسيرهم، الأمر الذي أدى بهم إلى «تكفير» و«تبديع» كل من أشكل على بعض الصحابة، أو أيدي أي اتجاه على آخر^(٣)، أو على كل من حصر المعرفة بالقرآن أو السنة كأبي حنيفة النعمان^(٤)، أو من انتقد أصحاب الحديث «فهو عندهم زنديق»^(٥).

ولهذا كان دينهم التزهيد في التحاكم إلى القرآن الكريم والمبالغة في الآثار، «وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، أو يرد الآثار، أو يريد غير الآثار فاتهمه على الإسلام»^(٦).

(١) راجع (محمد بن الحسين الأجرى: الشريعة، تحقيق عبدالله الديرجمي، دار الوطن، السعودية، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ١٤ - ١٨).

(٢) راجع (ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١٠، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لاسنة، ص ٢٨٦).

(٣) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٣٠١). وينقل بهذا الصدد حديثاً «سمعت أحمد بن حنبل يقول في إجابة عن سؤال رجل يفضل عمر بن عبد العزيز على معاوية بن أبي سفيان فقال أحمد: لا تجالس ولا تؤاكله ولا تشاربه، إذا مرض فلا تعدوه».

(٤) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ١٨٢ - ١٨٤؛ والبغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٧٩).

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٧.

(٦) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ١٢٢.

وبالتالي يمكن فهم ما ورد في نقاش بين أبي الحسن الأشعري والبرهاري أحد كبار الحنابلة «لما دخل الأشعري بغداد، قال رددتُ على المعتزلة والنصارى والمجوس... فقال البرهاري: ما أدري مما قلت لا قليلاً ولا كثيراً، ولا أعرف إلا ما قاله أحمد بن حنبل فخرج الأشعري. وصنّف له الإبانة فلم يقبله منه»^(١).

وأيضاً يمكن فهم أنماط السلوك عندهم من النقاش الذي دار بين «أحمد بن حنبل» مع زوجته أم ابنه عبد الله التي سألته «هل تنكر مني شيئاً، فقال: لا إلا هذا النعل الذي تلبسينه، لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، قال: فباعته»^(٢).

وفي حصرية الاتباع حتى في الترتيب الزمني للخلفاء فقد سئل أحمد بن حنبل عن رجل يقدم علياً على أبي بكر وعمر، تقديم أفضلية دون الطعن فيهما «أنصلي خلفه؟ قال: لا تصلّ خلف هذا».

هذا التقديم يقود إلى حصرية المعرفة بالسماح دون العقل، وقد أدت هذه الفكرة إلى الثوابت الآتية:

- عدم تأويل الحديث.
- رفض استعمال العقل، لأنه يؤدي إلى التأويل.

(١) صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، ٢٠٠٠ ج ١٢، ص ١٤٦ - ١٤٧ رقم ١١٩. راجع أيضاً (ابن تيمية: مجموع الرسائل والمسائل، دار الكتب العمليّة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣، ج ١، ص ٢١٨). وما نقله عن الإبانة وبما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون ولما خالف فيه مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق وعند ظهور الضلال وأوضح المنهاج وقمع به بدع المتبذعين، وزيّغ الزائغين، وشكّ الشاكين وحرمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين.

(٢) ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣١٠، وراجع (محمد أسعد طلس: تاريخ العرب دار الأندلس بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ١٢٥).

- أرجحية السنّة على القرآن ضمناً، وفق قاعدة أن القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن^(١)، وما عبّر عنه أحمد بن حنبل نفسه عندما قال له أحدهم: «حيّاك الله يا أبا عبد الله على الإسلام فأجابه: وعلى السنّة»^(٢).

«لا تفسّر شيئاً من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسّر شيئاً من هذا بهواه وردّه فهو جهمي*... إنه ليس في السنّة قياس، ولا تضرب بها الأمثال ولا تتبع الأهواء، هو التصديق بآثار رسول الله بلا كيف ولا شرح ولا يقال لم؟ ولا كيف»^(٣).

- الاعتقاد بأنهم الممثلون الحقيقيون للفرقة الناجية.

لقد برز الإمام أحمد بن حنبل المدافع الأكبر عن الإسلام والسنّة^(٤). وتم التأكيد على مرجعيته في العقيدة والسلوك، فقد ورد أن «الإجماع على أصوله التي اعتقد، والأخذ بصحة الأخبار التي اعتمدها، حتى من زاغ عن هذا الأصل كفرّوه، وحدّروا منه وهجروه»^(٥).

ومن «أظهر له عناداً وبغضاً، إلّا واتفقت الألسن على ضلّالته، وسفه في عقله وجهالته»^(٦).

(١) المصدر السابق نفسه: ج ١، ص ٧٩ - ١٢٢ و ١١٥.

(٢) المصدر السابق نفسه: ج ١، ص ٢٩.

* الجهم بن صفوان ثار على بني أمية وقتل سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م)..

(٣) ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٨.

(٤) الآجري: الشريعة، ص ١٤.

(٥) ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٩٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨.

بعد كل هذه المرجعيات الحاكمة على هذه المدرسة ورؤيتها الدينية للعالم والآخر، باعتبارها قواعد حصينة لحماية الإسلام وفق هذه العقلية، تبرز نشأة التكفير عند هؤلاء، وإن كان يغلب ذلك على العقائد والتبديع في مجالات أخرى. وابتعدوا كثيراً عن تكفير المسلمين على الذنوب والمعاصي.

وقد تطورت هذه المدرسة وتوسع مجال التكفير عندهم إلى مجالات متعددة ظلت متأرجحة أو غير واضحة إلى ما قبل القرن الرابع عشر ميلادي. مع صعود نجم تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ / ٣٢٧ م) في دمشق؛ ليوسع دائرة التكفير في المستوى العقدي ويحسم الكثير من القضايا المتأرجحة والتي لم يحسم تكفيرها أو تبديعها في المدرسة الحنبلية. مثل التوسل وزيارة القبور وغيرها الكثير.

وقد أسس مقولات تكفيرية عدت من أخطر المسائل في التكفير، وهما:

الأولى: التأسيس لمقولات ثلاثة في التوحيد^(١).

١. توحيد الألوهية: إفراض الله تعالى بالعبادة.
٢. توحيد الربوبية: إفراض الله تعالى بالخلق والرزق والملك والتدبير. والنفع والمنع هو سبحانه الذي له الأمر كله، وهو لا يكفي في الدخول في الإسلام، فالذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية.
٣. توحيد الأسماء والصفات: إفراض الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العظيمة بصفات الكمال وفق شرطين:

(١) راجع (يحيى فرحات: بحث حول التكفير عند جماعات العنف التكفيري - قراءة تاريخية وسوسيولوجية - منشورة في كتاب جماعات العنف التكفيري - الجذور والبنى والعوامل المؤثرة -، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط ١، بيروت، ص ٤٠٠ إلى ٤٠٥).

- الأسماء والصفات الواردة بالكتاب والسنة بدون تأويل ظاهري ولا باطني بلا تكييف.

- تنزيه الله تعالى عن التشبيه..

الثانية: وهي من المقولات التكفيرية وهي: مفهوم الأسماء والأحكام*، وهي أيضاً من المسائل التي جرّت ولا تزال الويلات فمن لا ينطبق عليه ولو تأويلاً أنه مسلم كُفّر، أو اعتبر مشركاً، وبالتالي يصدق عليه لقب الكافر، أو المرتد وما يستتبعه من أحكام القصاص، أو المسلم وفق الرؤية التيمية.

وعلى هاتين المقولتين أسس [محمد بن عبد الوهاب] دعوته، فالدار التي يحكمها دار إسلام، والتي لا يحكمها دار شرك^(٢)، وفي حوارية الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أخيه سليمان الذي قال له: إنك وضعت ركناً سادساً للإسلام، وهو من لا يتبعك فليس بمسلم^(٣).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فالذي يتخرج من تكفير أهل لا اله إلا الله، فهو كافر^(٤).

* المراد بأسماء الدين مثل مسلم ومشرك ومؤمن وكافر. فكل حكم علق بأسماء الدين من إسلام وإيمان وكفر وردّة. إنما يثبت لمن أثقّف بالصفات الموجبة لذلك وأن مسائل التكفير والتنسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام وتتعلق بها الموالات والمعاداة والقتل والحكمة. -راجع (ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج ٣٥، ص ٢٢٦، ج ١٢، ص ٤٦٨) و(علي الخضير: الحقائق في التوحيد)

(٢) الدرر السنية في أجوبة علماء النجدية، ج ١، ص ١٠ - ٨٦، ج ٩، ص ٢٠٥ - ٢٩١.

(٣) نجم الدين الطبرسي: السلفية والسلفيون، دار المصطفى العالمية، بيروت، ط ٤، ٢٠١٠ م، ص ٦١.

(٤) عبد الرحمن بن قاسم النجدي: الدرر السنية، ج ١٠، ط ٦، ١٩٩٦، ص ٣٩.

أي من أنبه ضميره ودينه في تكفير المسلم يأتي الحكم القاطع عن الشيخ محمد بن عبد الوهّاب بتكفيره؛ لأنه تحرّج في تكفير المخالف لدعوته.

٢- العوامل والظروف السياسية والاجتماعية المساهمة في النشأة:

إن التأمل الهادئ والعميق للأحداث والتطورات التي شهدتها المنطقة ودولها لا سيما العراق وسوريا ودول ما سُمي بالربيع العربي (مصر وتونس واليمن والبحرين و...)، خلال نهاية العقد الأول وبداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، إضافة إلى تضارب المواقف والأجندات الإقليمية والدولية وتدخلتها في هذه الأحداث والتطورات، يؤدي الى انطباع بأنها قد أثرت وساهمت بانبعث [داعش]، وانتشار الفصائل السلفية الجهادية في الساحتين العراقية والسورية وامتداداتها في ساحات عربية أخرى، مما يؤكد مساهمة مجموعة واسعة من الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية والأمنية، التي ساعدت في صعود هذه الظاهرة وتمدها، أو كانت قد شكلت فرصاً أمامها للانتشار والتوسع وترسيخ سلطتها بالعنف والقوة عبر استغلالها للمناطق الرخوة أمنياً وسياسياً، فضلاً عن الاستفادة من التضارب في الأجندات السياسية الإقليمية المتداخلة والمتداخلة في أوضاع العراق وسوريا (مثل: تركيا وإيران والسعودية وقطر وغيرها)، إضافة إلى الأجندات الدولية، وفي مقدمها الاحتلال الأميركي للعراق الذي أحدث تصدعاً في البنى السياسية والاجتماعية فيه.

«ورغم أن مكاسب [داعش] السريعة بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٤ فاجأت الولايات المتحدة الأمريكية والعراق وسوريا ودول مجاورة أخرى، إلا أن [داعش] لم يسقط من السماء، ولا قام من بين الأموات. لقد كانت التغيرات الظرفية هي الدافع الرئيسي وراء صحوة [داعش]، وأهمها على وجه الخصوص التطورات

الاجتماعية والسياسية الحادة في الحقبة الراهنة من تاريخ المشرق العربي، وفي مقدمها السياسيات التنموية الفاشلة وإخفاقات انتفاضات الربيع العربي^(١).

وبالإجمال يمكن الإشارة إلى أهم هذه الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية المساهمة في نشأة [داعش] من خلال التالي:

أ- الغزو الأميركي للعراق وتداعياته: إذا كان تمزق النسيج العراقي الاجتماعي-الاقتصادي قد زادت حدته مع الغزو الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، وارتفعت معه معدلات البطالة والفقر والسكن السيء بنسب عالية، وتآكلت البنى التحتية للمواصلات، فإنه وعلى الرغم من التقارير الإعلامية المصورة التي أظهرت الأفرح الشعبية العراقية بسقوط نظام صدام حسين، فلقد استمر الكثير من العراقيين بالنظر بعين الريبة والشك إلى مخططات الولايات المتحدة الأميركية في بلدهم.

فهم يتذكرون أن القصف الأميركي العنيف الذي تلا غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠، لم يستهدف البنى التحتية المدنية والعسكرية فحسب، بل كذلك المنشآت الكهربائية في البلاد، إضافة إلى مصافي المياه ومحطات معالجة الصرف الصحي، ما قاد إلى انتشار وباء الكوليرا والتيفوئيد.

وكان الرئيس الأميركي حينها جورج بوش الأب قد ناشد العراقيين للإطاحة بنظام صدام حسين، ولكن حين كادت انتفاضة الشمال والجنوب ضد النظام العراقي تؤتي أكلها في شباط ١٩٩١، لم تُترجم وعود الدعم الأميركي إلى وقائع على الأرض، مما سمح لقوات صدام الخاصة بأن تضع حداً للتمرد وقمع

(١) فؤاد جرجس: [داعش] إلى أين؟ - جهادية ما بعد القاعدة، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦، ص ٩٧-٩٨.

المتظاهرين بعنف بالغ، ولاحقاً أدت عقوبات الأمم المتحدة المدعومة أمريكياً وبريطانياً ضد النظام العراقي إلى انهيار أنظمة المياه والكهرباء والعناية الصحية والزراعية في البلاد، وإلى تضخم مالي جنوني، ومع استمرار التردّي الواسع للبلاد، جرى تسريح ثلثي جنود الجيش العراقي الذين واجهتهم بعودتهم إلى منازلهم أزمة بطالة حادة^(١). وانهار في السياق نفسه النظام التربوي في البلاد بسبب هجرة المدرّسين وفقدان التجهيزات المدرسية الضرورية، فسقطت البلاد من جديد في معدلات أميّة عالية.

لقد «انهارت البلاد كلياً بين حروب صدام وسياساته الكارثية، وبين حملات القصف الأمريكية وحصار الأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء). لقد ترك حصار الأمم المتحدة البلاد معزولة كلياً، والسكان في قبضة صدام الحديدية مع الشعور بأنهم متروكون ومخدوعون من الأسرة الدولية^(٢)، هذا هو السياق العام الذي نشأت فيه انتفاضة [الزرقاوي] من خلال تنظيم التوحيد والجهاد ضد احتلال قوات التحالف الأميركي الدولي (الاحتلال) و١٢٦ ضد السنة والشيعة في آن^(٣).

وهكذا جاءت [القاعدة] إلى العراق عبر [الزرقاوي] الذي رفع شعار مقاومة الاحتلال الأميركي، وسرعان ما تحوّل إلى الحرب الداخلية في ظل ارتفاع مستوى الانقسام الطائفي السني الشيعي، والذي ساهم الاحتلال الأميركي في تأجيجه، الأمر الذي عبّر عنه الزعيم القبلي في الأنبار [الشيخ أسامة الجدعان]

(١) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٩٨).

(٢) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٣٠).

(3) Revise (Nicholas Krohley: The Death of the Mahdi Army: The Rise, Fall, and Revival of Iraq's Most Powerful Militia (London: C. Hurst and Company, 2015).

بقوله: «لقد تبين لنا أن إرهابيين أجنب كانوا يخبئون خلف يافطة المقاومة العراقية الشريفة، فقد زعموا أنهم يضربون قوات الاحتلال الأميركي، بينما كانوا يقتلون في الواقع العراقيين المدنيين في الأسواق والمساجد والكنائس وفي مدارسنا»^(١).

ولقد زاد الطين بلة قرارات مجلس الحكم الذي شكله الاحتلال الأميركي في العراق بقيادة [بريمر] الذي اتخذ قراراً بحلّ الجيش العراقي السابق، وتشريد ضباطه ورتبائه، حيث التحق الكثير منهم بداعش في مرحلتي [أبو عمر البغدادي] و[أبو بكر البغدادي] والذين وصلت نسبتهم في مراكز القيادة في المجلس العسكري ٩ من ١٢، وفي عدد من المناصب القيادية الشرعية والإدارية والأمنية، ولعل اسم [العقيد حجي بكر] الذي أُطلق عليه خليفة الظل خير شاهد على النفوذ الواسع الذي حظي به هؤلاء داخل هيكلية الدولة الإسلامية (داعش).

لقد اعترف الأمريكيون بدورهم الأساسي في صعود [داعش] في أكثر من مناسبة وعلى لسان أكثر من مسؤول، وجاء في إحدى هذه المناسبات على لسان مديرَي الاستخبارات في عهد بوش الابن [بروتر غروس] و[جورج تينيت] للكونغرس: «إن الحرب في العراق قد ولّدت الموجة القادمة من الإرهاب التي سوف تستمر للأمد المنظور من المستقبل مع القاعدة أو بدونها»^(٢).

(1) Michael Eisenstadt and Jeffery White: Assessing Iraq's Sunni Arab Insurgency, Policy Focus (Washington Institute for Near East Policy), no. 50 (December 2005). <http://www.washingtoninstitute.org/html/pdf/PolicyFocus50.pdf>.

(2) Ramsfeld Questions Terror War Progress Associated Press 22 Oct. 2005 1 Nov. 2005, 25 Feb. 2005, and 26 April 2005.

ب- انتفاضات الربيع العربي وتداعياتها: لقد تعرضت دولة العراق الإسلامية التي أعلنها مجلس شورى المجاهدين وتسلم قيادتها أبو عمر [البغدادي] بعد مقتل [الزرقاوي] عام ٢٠٠٦، إلى حملة مضادة من «الصحوات السنية» بدعم أميركي وحكومي عراقي، أدى إلى تقليص نفوذها وتراجع قوتها إلى حدود كبيرة في حرب أضعفتها وأنهكتها مع نشوء الصحوات وما عرف آنذاك بمشروع [ديفيد بترايوس]* في خريف ٢٠٠٧، فتخلصت من سياسية الإمساك بالأرض، وأوقفت ملف التجنيد وتوقفت عن استقبال المجاهدين العرب وتراجع عدد مقاتليها من ٢٢ ألف إلى ألفين عام ٢٠١٠^(٢).

ورغم أن الظواهري كان قد امتدح «القاعدة في العراق» باعتبارها إمارة شرعية أنشئت على أيدي الشورى وفق قواعد شرعية صحيحة ونالت البيعة من معظم المجاهدين والقبائل في العراق^(٣). ولكن بحسب أبو علي الانباري (أحد قادة الثوار العراقيين فإن القاعدة في العراق قتلت (١٥٠٠٠ سني في محافظة الأنبار وحدها) إضافة إلى خطف النساء ونهب الممتلكات^(٤).

* للوقوف على تفاصيل المشروع، راجع الفصل الثالث من البحث، المبحث الأول: بنية الدولة وهيكلتها التنظيمية (مراحل تطور نشأة [داعش]) ص ١٧٤.

(٢) هشام الهاشمي: عالم [داعش] من النشأة إلى اعلان الخلفة، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٥، ص ٤٠-٤١

(3) A review of events: As- sahab's Fourth Interview with Shaykh Ayman al-Zawahiri" November- December 2007, <<https://archive.org/details/A-review-of-Events2>>

(٤) نبيل نعيم، معركة داعش: الإرهاب المقدس، القاهرة، دار مصر المحروسة ٢٠١٥ م، ص ١٤.

لقد تعمق الانقسام السني - السني اذاً مع انضمام عناصر محلية كثيرة إلى مليشيات الصحوات في حمل السلاح ضد «القاعدة في العراق» وخليفتها الدولة الإسلامية في العراق وطُرد مقاتلوها من المدن باتجاه الحدود العراقية-السورية^(١).

ورغم كل هذه التراجعات فقد شهدت سنوات ٢٠١٠-٢٠١٤ صعود نجم جديد اسمه أبو بكر البغدادي، الذي استفاد من الظروف والأجواء التي شكّلت القوة الدافعة لـ [داعش] في تلك الفترة الزمنية والتي وفّرتها الانفضاض العربية الواسعة النطاق التي بدأت عام ٢٠١٠-٢٠١٢ وتحولت إلى تحركات عنيفة في سورية ثم انزلت إلى حرب أهلية شاملة، أحسن [البغدادي] ومساعدوه الإفادة من تفكك مؤسسات الدولة في سوريا المجاورة من أجل مدّ شبكاتهم الاجتماعية والأمنية بين الجماعات السنية المحلية في بلد مزقته الحرب واستنزفت مصادره وثرواته الغنية، ونجاحه في احتلال مدن سورية كبرى سنة ٢٠١٤ سمح له بتدمير الحدود الدولية التي تفصل بين العراق وسوريا.

لقد كانت سوريا لـ [داعش] بأهمية العراق لأنها أعطت التنظيم عمقاً استراتيجياً ومكاناً واسعاً للمناورة وقد تبين لاحقاً أهمية ذلك، فلقد اتخذ من الرقة عاصمة له وتلقى [داعش] عائدات مالية ضخمة من إيرادات بيع النفط جرّاء سيطرته عليها في مناطق شرق سوريا، واستخدمها ليتوسع ويزداد قوة في العراق عام ٢٠١٤ في السيطرة على الموصل والمحافظات الشمالية^(٢).

(١) فواز جرجس: [داعش] إلى أين؟ جهاديو ما بعد القاعدة، مصدر سابق، ص ٩٥.

(٢) راجع: فواز جرجس، [داعش] إلى أين؟ مصدر سابق. ص ١١٥-١١٦.

أما في العراق فإن الحركة الشعبية المطلبية التي شهدتها المحافظات السنية الشمالية تحديداً شكلت فرصة لعودة [داعش] وبسط نفوذها في النسيج الاجتماعي وصولاً إلى تسليح الحركة المطلبية وجزّها إلى الصدام العسكري مع القوى الأمنية والعسكرية الرسمية.

وبعد وصف التظاهرات في العراق بأنها أتت في سياق الربيع العراقي ينقل الباحث فواز جرجس «أنه في مطلع ٢٠١٣ قد بات من الصعب معرفة من يقود التظاهرات، إذ اختلط المسلحون بالمدنيين، بينما كان عنف قوات الأمن لا يفرق بين الاثنين. قفز «داعش» إلى مقدم المشهد هذا، وأعلن في خطوة ذكية تأييده للسنة ومطالبهم ما سمح له بانخراط سهل بين أوساط المجتمع المحلي»^(١).

وانطلاقاً من نجاحاته في سوريا فقد عزز [داعش] قوته في العراق، وزاد من قوته لاحقاً تعاونه الوثيق مع جماعات وطنية بعثية قوية مثل «المجلس العام» و«جيش النقشبندي»، ولكليهما قواعد تأثير صلبة في المناطق الريفية التي كان طُرد إليها [داعش] في أثناء بروز الصحوات وانتشارها.

لقد استغلت [داعش] أجواء وتداعيات الربيع العربي على حساب فشل السياسات المحلية وضعف السيطرة المركزية على مناطق الأطراف في سوريا والعراق. فمن الموصل أعلن الخليفة [البغدادي] نفسه خليفة للمسلمين في كل مكان وطالبهم بإعلان الولاء لسلطانه والهجرة إلى أراضي الخلافة في العراق وسوريا باعتباره فرضاً دينياً إلزامياً^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٢.

في أواخر آذار/ مارس ٢٠١٣ اجتمع ممثلو ساحات الاعتصام في ست محافظات في مدينة الرمادي، وشكلوا وفداً تفاوضياً مع الحكومة لتنفيذ ما يسمونه «حقوق أهل السنة والجماعة» وأصدروا بياناً عقب الاجتماع أكدوا فيه «سلمية التظاهرات والاعتصامات».

كانت أطراف متطرفة تحيط بالحركة بكل تأكيد من قبيل «دولة العراق الإسلامية» التي كانت تحاول أن تستغل ما يجري لإطلاق عمل عنفي واسع وحثّ التنظيم المحتجين على حمل السلاح ضد المالكين لأن السلام والصبر لا طائل من ورائهما في التعامل مع «حكومة التي يقودها الشيعة» بحسب تعبير أبو محمد العدناني المتحدث باسم التنظيم^(١).

بالنهاية، لقد نجحت [داعش] في تأسيس دولة الخلافة الإسلامية السنية عندما عمت الفوضى دول الربيع العربي والثورات وعندما اهتزت حدود هذه الدول وتصدعت^(٢).

صراع الأجناس الإقليمية والدولية في العراق وسوريا: بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ حصل انتقال لمركز الثقل السياسي والعقائدي من الجغرافية العربية السنية (التاريخية) إلى الجغرافية الإيرانية والتشيع عندما رفعت هذه الثورة شعار تحرير فلسطين والوحدة الإسلامية والاستقلال عن الشرق والغرب، في مقابل ذلك وقبل سنة واحدة فقط (١٩٧٨ م) من انتصار هذه

(١) نقلاً عن صحيفة الحياة ٣١/١/٢٠١٣ «القاعدة تدعو المحتجين في العراق لحمل السلاح» وردت في مقال حيدر سعيد من كتاب تنظيم الدولة المكنى داعش/ مجموعة مؤلفين، المؤسسة العربية للسيايات والأبحاث- بيروت- ط١- ٢٠١٨ ص ١٧٧ خري.

(٢) طلال عترسي: دولة [داعش] وفشل استعادة [الإسلام السني]، مجلة شؤون عربية، العدد ١٥٩-٢٠١٤ م.

الثورة، كانت المنظومة العربية الرسمية (الجامعة العربية) قد تعرضت إلى تصدع كبير مع خروج مصر منها (أكبر وأهم الدول العربية) بعد توقيعها اتفاقيات السلام في كامب دايفيد مع إسرائيل، برعاية أميركية مباشرة^(١).

منذ ذلك التاريخ إلى اليوم جرت محاولات، ترافقت مع صعود الثورة الظاهرة الإسلامية في العالم بعد سقوط الاتحاد السوفياتي لاستعادة «الإسلام السني» موقعه وقيادته. وهذا الإسلام لم يكف يوماً عن الحنين لاستعادة الخلافة الإسلامية التي يعتبرها أساس منظومته الفكرية السياسية لنوع السلطة التي يتطلع إليها^(٢).

وعلى خط مواز كانت هواجس المملكة العربية السعودية من تأثير انتصار الثورة الإسلامية في إيران وتداعياتها على المجتمعات العربية والإسلامية في أوجها الأمر الذي ترجمته المملكة بصرف مليارات من الدولارات لدعم عملية نشر الوهابية في هذه المجتمعات عبر ما سُمي بـ [منظمة المؤتمر الإسلامي] التي شكلت واجهة قوية لهذا المشروع.

لقد أجمعت التقارير والبيانات على أن الحركة الإسلامية الجهادية التي حققت الانتصار على السوفيات في أفغانستان كانت تحظى بدعم وتسليح أميركي وتمويل سعودي كبير، وهي شكلت المحطة الرئيسية للتزاوج الإخواني القطبي - مع السلفية الوهابية وولادة القاعدة (الأم الشرعية لداعش) التي انتقلت عبر [الزرقاوي] إلى العراق لتأسيس الدولة الإسلامية وثم عبر مسار زمني من (٢٠٠٦-٢٠١٤) وصلت إلى دولة الخلافة بزعامة الخليفة [أبو بكر البغدادي].

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) طلال عتريسي، مصدر سابق.

هذا الإعلان جاء في وقت «فشلت فيه تنظيمات الاعتدال الإسلامي في تحقيق أي مشروع لنظام حكم إسلامي بعد الانتفاضات العربية في مصر وتونس واليمن وحتى في سوريا»^(١).

«فبينما دعم صناع السياسة الأميركيون التغيير الجذري في تونس واليمن وليبيا وسورية إلا أنهم كانوا مترددين جداً في فعل الشيء نفسه في الخليج (البحرين مثلاً) لأن المنطقة تحتوي على مصالح أكثر أهمية للمصالح الوطنية الأميركية. كذلك حاربت إيران وبكل ما تملك للإبقاء على نظام الأسد كما دعمت المالكي في العراق.. ووجدت إيران في روسيا حليفاً طبعياً لها وهكذا تدخل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في أيلول ٢٠١٥ مباشرة في الحرب الدائرة في سورية، وغدت سوريا ساحة لحرب عالمية بالواسطة بين القوى الغربية وروسيا التي استخدمت كل رصيدها العسكري والدبلوماسي لتحول دون التدخل العسكري الغربي في البلاد التي مزقتها الحرب»^(٢).

بالمقابل فإن الدعم الأميركي والغربي والسعودي والتركي للفصائل الجهادية في سوريا، كجبهة النصرة والجيش الحر والفصائل الأخرى، في الحقيقة، أعاد الروح لـ [داعش] أيضاً، «فالغرب الذي استعاد في سوريا التجربة الأفغانية نفسها، أي فتح الأبواب والمطارات والحدود أمام التنظيمات الإسلامية المتشددة للجهاد في سوريا ضد النظام العلوي [الكافر] على غرار ما فعلوا ضد الاحتلال السوفياتي [الكافر] في أفغانستان، وهو ما كان أطلق عليه بريجنسكي في تلك الفترة استراتيجية الحزام الأخضر، أي تطويق الاحتلال السوفياتي بحزام من الجهاد الإسلامي العالمي»^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) فواز جرجس، مصدر سابق . ص ٣٠ .

(٣) طلال عتريسي . مصدر سابق .

فقد تحدث المرصد السوري لحقوق الإنسان (المعارض) عن ٥٠ ألف من المقاتلين في صفوف [داعش] معظمهم من غير السوريين^(١).

ولفت [معهد بروكينغز]* إلى تنامي [تنظيم القاعدة] على الأراضي السورية والقلق من قدرته على نشر الفوضى والعنف في سوريا ومحيطها الإقليمي كالسرطان الذي يستشري في الجسم. وأضاف إنه على الرغم من تلقيها ضربات موجعة في مخابئها إلا أن وجودها في سوريا حالياً يعزز قدرتها على نشر الجهاد (بمفهومها) في قلب العالم العربي وإلى مناطق الحدود مع إسرائيل^(٢).

بالمقابل لقد غدت سورية والعراق وبلدان أخرى ساحات لحرب إقليمية بالواسطة بين السعودية وإيران مع قطر وتركيا وغيرها من خلال تسليح وتمويل الأطراف المتقاتلة سعياً إلى النفوذ والهيمنة، وفي النهاية كانت هذه الحرب بالواسطة والصراع على السلطة وسياسات الهوية (السنية ضد الشعية وعلى العكس) والصراع بين الهويات، القومية التنافسة، هي الهدية الإلهية التي قُدمت إلى [داعش] وفصائل القاعدة المختلفة في المنطقة، فقد أمكن [داعش] والنصرة مع بدايات الاضطرابات في سوريا الحصول من البلدان السنية المجاورة على التمويل والسلاح والغطاء الديني وكان ذلك عاملاً حاسماً في امتلاك [داعش] القوة التي ظهرت لاحقاً...

(١) جريدة السفير ٢٠/٨/٢٠١٤.

* معهد بروكينغز: مؤسسة أميركية مستقلة للأبحاث والتحليلات، تقدّم توصيات عملية ومبتكرة لصانعي السياسات العامة، مركزها في واشنطن ولديها فرع في العاصمة القطرية الدوحة.

(٣) مركز الدراسات الأميركية والعربية، المرصد الفكري البحثي، التقرير الأسبوعي لمراكز البحث الأميركي.

لقد تمكن [داعش] أن يتسلق كلاعب على أكتاف الدول الإقليمية الأساسية التي كانت تتقاتل على النفوذ في قلب المنطقة العربية. وليس بعيداً من القاعدة المركزية التي نشأت من رحم الصراع الأميركي-السوفياتي الشرس على أفغانستان في ثمانينات القرن الماضي، كذلك [داعش] بدا كوليّد للصراع الجيوستراتيجي والجيوطائفي وللتدخلات الخارجية في الوطن العربي^(١).

أضف إلى ما تقدّم، فإن تنظيم الدولة الإسلامية [داعش] سعى من خلال خطاب الشحن الطائفي إلى الاستفادة من العصبية الطائفية المتأججة جرّاء الشعور بالغبن اللاحق بالطائفة السنّية في الساحة العراقية بعد سقوط نظام صدام حسين، «فالطائفية هي الوقود الذي يتغذى منه [داعش]، وهي تتغذى من [داعش] بالمقابل»، وهذا ما ساعده على استخدام الساحة السنّية كبيئة حاضنة في فترات زمنية مختلفة، فضلاً عن استغلالهم لسوء السياسات الاجتماعية العامة (الخدماتية والإنشائية و...) لدى مؤسسات الدولة في العراق التي عانت من تداعيات الفساد والصراعات السياسية فيها.

(١) راجع: فواز جرجس، [داعش] إلى أين؟ مصدر سابق . ص ٣٠-٣١.

٣- السلفية الوهابية في السعودية : التجاذب الديني والسياسي :

أ. ماهية الوهابية

توصف [الوهابية] بأنها تيار سلفي أسسه [محمد بن عبد الوهاب] في نجد. وتمثل الوهابية الموجة الثالثة للسلفية بعد [ابن تيمية] و[ابن حنبل]. ونشأت الوهابية في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي في بلاد نجد في الجزيرة العربية، على يد [محمد بن عبد الوهاب] كحركة إصلاح ديني، ثورية إحيائية وقد ظهرت في تشكيلة اجتماعية أغلب سكانها كانوا من البدو الرحل^(١)، وهاجمت المفاهيم السائدة في العالم الإسلامي، ووصفتها بالبدع والشرك، وشنت حرباً لا هوادة فيها على مسلمي المناطق المجاورة في الجزيرة العربية وخارجها، على أساس أنهم مشركون تحلّ دماؤهم وأمواهم. فهي تضع معايير شديدة الصرامة، وتقوم منظومتها المعرفية على أن الأولوية للنص على حساب العقل. ورفض تأويل النص في الكتاب والسنة.

١٣٦

ويرفض بعض الباحثين التفسير الديني المحض للحركة الوهابية رغم أن جذورها كانت ذات طبيعة دينية، معتبرين أن دورها تجاوز في طبيعته الإصلاح الديني، فهي انبثقت من مجتمع قبلي، وإلى جانب الإصلاح الديني، كانت ذات طبيعة سياسية أدت بدورها إلى تشكيل دولة من خلال تجاوز البعد الديني الصرف إلى التأسيس ثقافياً وأيديولوجياً لمفهوم الدولة^(٢)، من خلال [اتفاق الدرعية] مع رئيس الدرعية الأمير محمد بن سعود. لذا فالتقاطع بين الديني والسياسي كان أمراً واضحاً في الاتفاق المؤسس للدولة السعودية الأولى.

(١) - خالد الدخيل: الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣م. ص ٢٠.

(٢) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٢٤).

وفي الوقت الذي كانت نجد وغيرها من حواضر الجزيرة العربية، عملياً خارج نطاق الدولة العثمانية آنذاك تماماً، أي من دون سلطة مركزية، وأن تعدد المدن والحواضر المستقلة في الوسط البدوي والقبلي كشف عن أن تصدّع القبيلة واهتزازها، مدعاة إلى انهيار النظام الأمني للمجتمع*، وقد سعى الأمير إلى الاستفادة من الدعوة الدينية لـ [محمد بن عبد الوهاب] لتوسيع سلطانه وامتداده إلى المدن الأخرى والسيطرة عليها، بالمقابل كان [بن عبد الوهاب] يريد الاستفادة من السلطة والقوة التي يمثلها [محمد بن سعود] لنشر دعوته الدينية ویرسخها في أوسع دائرة ممكنة، والتقاؤهما في ذلك أسس لمشروع الدولة وتوحيد المدن والحواضر وإخضاع القبائل البدوية تحت سلطة واحدة.

وبحسب [محمد بن عبد الوهاب] «فعلی مستوى المجتمع والأمة لم يكن تحقيق التوحيد بمعناه الشامل (توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات)، والذي يقابله الشرك، ممكناً إلا بتطبيق الشريعة، الأمر الذي يتطلب توحيد السلطة السياسية، والصحابة يرون أن الإسلام لا يتم إلا بها. ويضيف حول تلازم التوحيد الديني مع التوحيد السياسي، بالقول «ومن المعلوم بالضرورة من الدين: أنه لا دين إلا بالجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمام إلا بسمع وطاعة»^(٢).

* هذا ما يفسر أن السلفية الجهادية (المعاصرة) تنمو عادة في بيئة الفراغ الأمني أو التصدّع السياسي الأمني.

(٢) ابن قاسم: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، الرياض، ٢٠٠٤م، ج ٩، ص ٥، ط ٧.

والحقيقة أنه في البيئة الثقافية لمجتمع الحاضرة لم يكن هذا المفهوم معروفاً. بهذا المضمون الذي يقرن التوحيد الديني بالتوحيد السياسي... وقد أتى الاتفاق بهدف توحيد الحواضر كلها تحت لواء سلطتها السياسية باسم توحيد الشريعة^(١).

إن ما يميّز مسلك الوهابية عن سائر الفرق الإسلامية نابع من قراءتهم وفهمهم للتوحيد العبادي، حيث إن نتيجة مواقفهم هو الحكم على أكثر المسلمين بالشرك. وذلك أنهم يرون «إن كل شكل من أشكال التعبير عن الاحترام لميّت في قبره عبادة، ومن ذلك ما يقوم به الحجيج من زيارة قبر الرسول في المدينة المنورة أو ما يفعله عدد غفير من أهل السنّة المسلمين في مصر في جوار رأس الحسين»^(٢).

إن الوهابية إثر هذه القراءة، وكما هي حال الخوارج الذين حكموا على المسلمين المخالفين لهم بالشرك، وهدر الدم، كفّرت جميع المسلمين وحكمت عليهم بالشرك واستباحة الأموال والأنفس والأعراض^(٣).

تتميز الوهابية أيضاً عن غيرها من الفرق الإسلامية في فهمها للعبادة خلافاً للمعنى الاصطلاحي لها التي تعني الخضوع والتذلل والطاعة لله، وهم يعتبرون كل عمل مقرون بالخضوع والخشوع عبادة، بالنظر إلى المعنى الظاهري، وبالتالي اعتبروا أن فاعله مشرك ومن ذلك أنهم عدّوا التوسل وطلب الشفاعة، وتقبييل الأضرحة، والنذر، والاستغاثة، وطلب الحاجة من نبي الإسلام أو من أولياء الله،

(١) راجع (خالد الدخيل: الوهابية بين الشرك وتصعد القبيلة، مصدر سابق، ص ١٢٥ و ص ٥٥).

(٢) ابن باز: مجموعة الفتاوى والمقالات المتنوعة، ج ٢، ص ٢١.

(٣) راجع (محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات، تفاصيل في رأي الوهابية حول التوحيد والشرك، ص ١٦).

عبادة، وحكموا بشرك فاعل هذه الأمور كلها^(١). وتعود جذور هذا الفهم للتوحيد في الألوهية إلى ابن تيمية وقد فسّرت الوهابية الألوهية بمعنى العبادة، وبحسب قول فوزان «يطلق على هذا النوع من التوحيد: التوحيد العبادي»^(٢).

إن مفهوم التوحيد العبادي يختلف عما يفهمه المسلمون عن التوحيد، وبحسب زعم الوهابية، فإن مفهوم العبادة واسع جداً، حيث إنه مضافاً إلى شموله الصلاة والصوم والزكاة، والحج، فإنه يشمل النذور والذبح، والاستعانة والتوسل بأي نحو كان وبأي نيّة، فإن القيام بذلك لغير الله تعالى يُعدّ شركاً^(٣).

بل إن محمد بن عبد الوهاب ذهب إلى التشديد في ذلك بقوله: «إن شركهم أشد من شرك سائر المشركين، ولهذا السبب فإن دمائهم وأموالهم وأعراضهم مباحة كما هي الحال في خصوص المشركين قبل الإسلام»^(٤).

ويشير [محمد الكثيري] في كتابه السلفية بين أهل السنة والإمامية إلى أن محمد بن عبد الوهاب كان ابناً شرعياً للمذهب الحنبلي لكنه اختار استاذاه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وآمن بما استجد عن هذين الشيخين من أفكار وآراء، خصوصاً مفهومهما حول التوحيد وتصورهما لقضاياها، فلم يكن الشيخ مجدداً في

(١) راجع (مهدي علي زادة: السلفية والوهابية - المباني العقدية -، مكتب التبليغ الإسلامي، ط٧، قم، ١٣٩٣ هـ. ش.، ج ٢، ص ١١٣-١٢٨).

(٢) مهدي الموسوي: تفكيك التكفير، ترجمة محمد علي أيوب، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، بيروت، ٢٠١٨، ص ٣٢. - نقلاً عن (صالح بن فوزان: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ص ١٨).

(٣) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٣٢).

(٤) راجع (محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٣، الرياض، ١٤١٩ هـ، ص ٣٢-٣٣).

هذا الميدان بل مقلداً، وفضله ينحصر في بعض الشروحات والتفريعات، وإلباسه حُللاً جديدة لأفكار استاذة القديمة وتطعيمها بحجج إضافية، فضلاً عن بعثها وإحياء ما اندرس منها. والدعوة إليها بحد السيف ومحاولة جعلها ميزاناً يحاكم به عقائد خصومه من أهل نجد أولاً، وباقي العالم الإسلامي في آخر المطاف^(١).

ويمكن تلخيص ماهية السلفية الوهابية واعتقاداتها الخاصة من خلال تحديد الأسس التي تشكل المنظومة المعرفية التي تقوم عليها، وهي تتلخص بالعناصر الصلبة التالية^(٢):

- الأولوية للنص على حساب العقل، والتسليم الكامل بنصوص الكتاب والسنة، وتفسيرها بلا تأويل ولا هوى.
- اعتبار الأصول ثلاثة: وهي الكتاب والسنة وإجماع الأمة.
- عقيدة الولاء والبراء، وبمقتضاها ينبغي التبرؤ من أهل الأهواء والبدع والتأويل من المشبهة والمعطلة.
- التنزيه في التوحيد، وتأكيد كافة أشكاله من الربوبية والألوهية والصفات والأسماء ورد الخلق والأفعال إلى تقدير الله ومشيبته وقضائه وقدره.
- القول بالأصطفاء للجنة والنار، فضلاً ووعداً.
- الطاعة لولي الأمر، ودرء الفتنة، ورفض الخروج على الحاكم.
- الإقتداء بالخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، والإيمان بعدلهم، وعدم الخوض في خلافاتهم والحروب التي نشأت بين بعضهم البعض).

(١) راجع (محمد الكثيري: السلفية بين أهل السنة والامامية، الغدير، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤، ص٣٠٩).

(٢) راجع (عبد الغني عماد: الحركات الإسلامية في الوطن العربي، المجلد الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣، بيروت، ص٩٧).

- رفض البدع والشفاعة للأولياء والصالحين، واعتبار التوسل وزيارة القبور عبادة شركية، والإصرار عليها كفر يخرج صاحبها من الملة.

وبسبب هذا الفهم الخاص للتوحيد والشرك، هدمت الوهابية الآثار والقبب وقبور الأولياء والصالحين، كقبة مولد الرسول، وقيب مراقد أئمة الشيعة في البقيع، وقبة بئر زمزم والمباني المحيطة ببيت الله الحرام، ومآثر الصالحين والقبب الكثيرة في «المعلّى» المعروفة حالياً بالحجون عندما سيطرت على مكة والمدينة، ثم عندما هاجمت المراقد المقدسة في العراق فهدمت مرقد الحسين بن علي حفيد رسول الإسلام محمد^(١).

ب- بين الوهابية والدولة السعودية - ثنائية المشروع بين الشيخ (الدعوة) والأمير (الأنصار)

لقد تبادلت الفكرة الوهابية مع سلطة آل سعود القبلية المصالح والمنافع، وتكاملت مع بعضها البعض في ولادة مشروع سياسي ديني أطلق عليه لاحقاً [الدولة السعودية]، فالتحالف التاريخي بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٤٤م سوف يبقى ناقصاً ما لم يدخل عنصران آخران:

- أولاً: أيديولوجيا عليا عابرة للانتماءات الفرعية، وقادرة على صنع هوية جامعة.

- ثانياً: وجود كتلة اجتماعية متراصة (الأنصار) أو الجند، المؤمن بالتعاليم الوهابية والقادر على تسهيلها في منجزات ميدانية.

(١) محسن الأمين العاملي: كشف الإرتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠، ص ٢٣.

نجح ابن عبد الوهاب في انجاز المطلب الأول بصوغ ايديولوجية دينية تقوم على رؤية كونية (تكفير) للمجتمعات المجاورة والتكتيك (الهجرة) والاستراتيجية (الجهاد)^(١).

وفي ضوء هذا المشروع العابر للقبائل والمناطق جرى استقطاب الأنصار المؤمنين بتعاليمه والمستعدين للقتال تحت رايته، وبذلك تحقق العنصر الثاني، وهو ما تجسّد في جيش الغزو الذي أطلق عليه اسم [إخوان من أطاع الله] وهو جيش الوهابية الأولى العقائدية. و[الإخوان] هنا - كمنظمة - تأسست على يدي ابن سعود لتخوض معارك وتنتصر فيها باسم الدين، وبحكم أنهم كانوا من البدو، لا يمكن الاعتماد عليهم مطلقاً، ونظراً لأنهم أصبحوا إخوانا وتستعر داخلهم جذوة الدين، فقد أصبحوا لا يُقهرُونَ، ويمكن تشبيههم بمدركات «كرومويل أو قوات العاصفة الألمانية»^(٢).

لقد أسبغت العقيدة الوهابية مشروعية على الروح القتالية لدى أبناء الصحراء الذين لم تُتَح لهم فرصة تلقي العلم من مصادر أخرى خارجية، أو الاحتكاك بمجتمعات أخرى، فكان يرى [الإخوان] في قتل من يرفض الدخول في الإسلام حين تُتاح له الفرصة أنهم «أدوا خدمة للإسلام وأنهم يضعون اللبنة الأساسية في طريقهم الخاص إلى الجنة، حتى وإن كانت هذه اللبنة هي في واقع أمرها عظام ضحاياهم»^(٣).

(١) راجع (فؤاد ابراهيم: [داعش] - من النجدي إلى البغدادي -، مركز أوال للدراسات والتوثيق، ط ١، بيروت ٢٠١٥، ص ٢٦).

(٢) راجع (جون س. حبيب: الإخوان السعوديون في عقدين ١٩١٠-١٩٣٠، تعريب صبري محمد حسن، لاط، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٨م، ص ٥٨).

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٧٩.

ومن المنطقي أن تفرز التنشئة العقديّة الصارمة التي تلقوها على يد أشخاص لديهم معرفة دينية أفضل، تلك النزعة المتشددة التي تترجمها رغبة جامحة نحو قتل الخصوم والاعتداء على الممتلكات ونهبها وهدم البيوت باسم الامتثال الأمين لتعاليم الدين وانتظار المطافأة الأخروية الأجل^(١).

وبالخلاصة، فقد أوجد عبد العزيز بن سعود جيشاً عقائدياً تشرب الوهابية الأصيلة كما تشربها محمد بن عبد الوهاب لناحية تحقيق مشروع سياسي، أي إقامة دولة بإسمه، وبكلمات أخرى، فإن السياسي هو من أوجد الديني واستخدمه لتحقيق غايات سياسية، ولكن الديني لم يفهمه على هذا النحو، فبقي متمسكاً بالتعاليم التي تربي عليها ومضى في طريق تجسيدها فكان من الطبيعي أن يلتحم المشروع وعان الديني والسياسي.

ومضت التجربة الأولى بسلام بفعل الانسجام شبه التام بين الأمير والشيخ والقاعدة الشعبية، ولم يظهر ما يفيد بحصول تناقض أو تصادم بين الديني والسياسي فالجميع كان يعمل على ضوء رؤية كونية واضحة ووفق استراتيجية موحدة^(٢).

وميدانياً كان التوسع لسلطة الأمير وانتشار الدعوة يمر عبر الجهاد ضد المشركين، على قاعدة تكفير المجتمعات الأخرى خارج الدرعية، واستباحة الدماء والأموال والأعراض، لبسط السلطة الجديدة للأمير على الحواضر والمدن التي كانت إلى عهد قريب منافسة أو مناهضة لهذا المشروع. وفي هذا الأمر تمهيد وتبرير أيديولوجي وفكري لـ [التكفير] لسحق الأعداء والمخالفين من قبل الأمير وأنصاره.

(١) راجع (فؤاد ابراهيم: [داعش] - من النجدي إلى البغدادي -، مصدر سابق، ص ٢٩).

(٢) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٢٢).

ذهب بعض الباحثين في تفسير خلفية نشوء الوهابية إلى الظروف التاريخية والسياسية فاعتبر أن إحياء [محمد عبد الوهاب] لأفكار [ابن تيمية] بعد مئات السنين من وفاته جاء كردة فعل على ظروف تاريخية، فتأثير الإسلام على الساحة العالمية كان قد بدأ في الاضمحلال (الدولة العثمانية وضمور دورها) في وقت كان الأوروبيون يقومون بتوسعهم الاستعماري، وهو ما اعتبره ابن عبد الوهاب نتيجة لحياذ المسلمين عن تعاليم دينهم الحقيقية، وعندما التقى بابن سعود الذي كان صاحب طموح ورأى كيف يمكن أن تشكل تعاليم ابن عبد الوهاب تحدياً للقيم والثقافات العربية السائدة، وكيف يمكن أن تصبح أداة للوصول إلى السلطة خصوصاً أنها تتضمن القيام بالجهاد ضد أولئك الذين يرفضون الخضوع للمتطلبات الأساسية للتعاليم الدينية بحسب تفسير ابن عبد الوهاب لها^(١).

هنا بدأت قبيلة ابن سعود (التمرسة بالقتال أصلاً) تسيطر على القرى وتصادر البضائع باسم الجهاد وليس نتيجة عمل ينم عن مصلحة شخصية أو مجرد صراع بين القبائل المتنافسة، وكان هذا الأسلوب الجديد في خوض المعارك - باعتبارها جهاداً - نموذجاً جديداً سيتم اعتماده تكراراً فيما بعد.

وبحلول العام ١٧٩٠م كان معظم الجزيرة قد باتت تحت سيطرة تحالف ابن عبد الوهاب وابن سعود، باستثناء مكة والمدينة المنورة، كما شنّ هذا التحالف باستمرار غارات باتجاه الحدود مع سوريا والعراق بهدف توسيع نطاق سيطرته خارج الجزيرة، وكما تفعل «الدولة الإسلامية» حالياً، اعتمد هذا التحالف على عنصر الخوف لإرهاب أعدائه، ولم يتوان عن ارتكاب مذابح كما فعل بقرابة

(١) راجع (عبد الباري عطوان: الدولة الإسلامية - الجذور، التوحش، المستقبل -، دار الساقى، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ص ١٢٣).

خمسة آلاف شيعي تم قتلهم في كربلاء عام ١٨٠١ م، وبحسب عثمان بن بشير النجدي، وهو أحد مؤرخي الدولة الوليدة لتحالف آل سعود وابن عبد الوهاب «أخذنا كربلاء، وذبحنا وأخذنا أهلها سبايا، إذن الحمد لله رب العالمين، لن نعتذر عن ذلك ونقول لكل الكفار: ستلقون المعاملة نفسها»^(١).

وفي العام ١٨٠٣ م سيطر هذا التحالف على مكة والمدينة، واستسلمت المدينتان «بعد أن نهب الوهابيون الحجرة النبوية وما فيها من ذخائر وجواهر ومنع الحجاج المصريين والشاميين بدعوى أنهم مشركون، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا»^(٢).

وبسبب الهلع نظراً للسمعة المخيفة للمقاتلين الوهابيين الذين عرفوا حينذاك باسم [الاخوان] أو [اخوان من أطاع الله] والذين قاموا بهدم مزارات وقبور وقبب وآثار إسلامية تعود إلى قرون مضت، وفرضوا رؤيتهم هم لما يعتبرونه «الطريق الصحيح» التي يجب أن يتبعها المؤمنون. وقد مثل العنف الشديد وسياسة الهدم استراتيجية نفسية معتمدة لتحالف ابن سعود وابن عبد الوهاب، وهي استراتيجية يطبقها حالياً وفي شكل كامل مقاتلو [داعش]، فالخوف وليس أي تقدير عقلي آخر لحظوظه في المواجهة، كان السبب الرئيسي في تخلي الجيش العراقي والقوى الأمنية عن سلاحهم والفرار من الموصل في حزيران ٢٠١٤ م، عوض الاشتباك مع مقاتلي [داعش] المتقدمين نحو المدينة^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٤.

(٢) ابن سند البصري: مطالع السعود بأخبار الوالي داوود، اختصار أمين حلواني، من خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب عبد الله البسام ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) راجع (عبد الباري عطوان: الدولة الإسلامية، م. س.، ص ١٢٥).

بعد موت ابن عبد الوهّاب (الشيخ) ومحمد بن سعود (الأمير) واجهت الدولة السعودية إشكالية خطيرة ترتبط بدرجة أساسية بالخطاب والبنية الداخلية أي بتلك المتصلة بدوام الانسجام بين الشيخ والأمير والانصار والعقيدة^(١).

لذا فإن الدولة السعودية الأولى، لم تدم طويلاً، فبحلول العام ١٨١٢م، رأى العثمانيون التوسع السريع لنفوذ آل سعود تحت حكم ثالث ملوكهم سعود بن عبد العزيز، قد بات يشكل تهديداً لسلطتهم، فشنوا عليهم هجوماً معاكساً بقيادة إبراهيم نجل محمد علي باشا (حاكم مصر آنذاك) واستطاعوا إخراج الوهابيين وجيشهم من كل مدن ومداخل [الحجاز] - ما تعرف الآن بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية - وصولاً إلى الدرعية التي دمرها بعد ذلك، فسقطت التجربة الأولى للدولة السعودية على يد العثمانيين^(٢).

من جهة أخرى شهدت [نجد] - منطقة في وسط المملكة العربية السعودية - أوضاعاً اقتصادية واجتماعية بالغة الصعوبة، ويذكر في أحداث ١٨٧١م، «كان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الأباعر (جمع بعير) ويدقونها، بل كانوا يدقون العظام ويأكلون مسحوقها»^(٣).

وبدت الحاجة أشد إلحاحاً للخروج من الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي شهدتها [نجد] طيلة سنوات ما بعد سقوط الدولة السعودية الأولى. وتنبه [عبد العزيز بن سعود] إلى مكنم الفشل في تجربة آباءه وأجداده، فأنشأ جيشاً عقائدياً يعتصم حرفياً بكل التعاليم الوهابية الصارمة التي وردت في كتب

(١) راجع (فؤاد إبراهيم: [داعش] من النجدي إلى البغدادي، م. س. ص ٢٢).

(٢) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٢٣).

(٣) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط ١، بيروت، ١٩٢٨م، ص ٨٥.

[ابن عبد الوهاب] ورسائله وجعل من هذا الجيش أداة فتح أو بالأحرى رافعة لمشروع الدولة السعودية واعادتها وللخروج من المصاعب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها نجد طويلاً^(١).

لجأ [عبد العزيز] إلى إعادة إنتاج التحالف التاريخي بين أحد اجداده، [محمد بن سعود] و[محمد بن عبد الوهاب] فدخل في تحالف جديد مع [عبد الله بن عبد المطلب آل الشيخ]، وتزوج من إحدى بناته (والدة الملك فيصل، وجدة سعود الفيصل) وقد وصف [خير الدين الزركلي] [آل الشيخ] إنه «مرجع النجديين في أمور دينهم، وشارك في سياستهم وحروبهم»^(٢).

ج- التجاذب والصراع بين الديني والسياسي

على المستوى الديني خاض حراس المذهب الوهابي تحديات متعاقبة لجهة إبقاء الدولة السعودية داخل نطاق تأثير التعاليم الوهابية التي وضعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسائله ومصنفاته، وحين خرجت الدولة السعودية عن تعاليم ابن عبد الوهاب في مرات عديدة كانت تجري محاولات (فردية أحياناً وجماعية أحياناً أخرى) لجهة إعادة وهبة الدولة، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل (حركة جهيمان العتيبي ١٩٧٩) ولا تزال المحاولات جارية وليس مشروع [داعش] سوى واحدة من تلك المحاولات الجماعية.

فقد حذر علماء المذهب الوهابي أمراء الدولة السعودية الثانية من العواقب الخطيرة والوخيمة التي آلت إليها أمور الدولة السعودية الأولى، حين غير الأمير

(١) راجع (فؤاد إبراهيم: [داعش] من النجدي إلى البغدادي، م. س. ص ٢٤).

(٢) خير الدين الزركلي: الإعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين-، دار العلم للملايين، ط ٥، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٤، ص ٢٧٧.

سعود بن عبد العزيز بن محمد طريقة والده (وبغاها مُلكاً) بحسب تعبير الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، أي حين (طغت أمور الدنيا على أمر الدين) حسب قوله، أراد الشيخ عبد الرحمن تأكيد دور الدين في بقاء واستقرار وقوة الدولة ووحدتها وتمركزها النجدي ولذلك طالب بشدة أن يجعل الحكم أمر دين^(١).

وفي هذا التحدي يمكن قراءة ما يلي:

- الديني يطالب بمواصلة فريضة الجهاد، والسياسي يعطله بعد أن حقق هدفه منها.
- الديني يكفّر المجتمعات والسياسي يرى غير ذلك بعد أن حقق هدفه من التكفير.
- الديني يطالب بالالتزام الحرفي بكل التعاليم الوهابية الأصلية جميعاً بما فيها البدع المستحدثة والسياسي يرى غير ذلك.

وسوف يظهر التناقض بين الديني والسياسي باستعانة عبد العزيز بالشيخ الذي أُريد منه وظيفة أخرى، أي أن يصبح وسيطاً بين الديني والسياسي فيعيد شرح التعاليم الوهابية وفق رغبة السياسي، وليس كما بشر بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولذلك بدت حجج الديني أقوى من كليهما^(٢)... وهذا ما سوف يظهر في كل التجارب اللاحقة، من صحوة [جهيمان العتيبي] في الحرم المكي، إلى [الصحوة] في الاعتراض على الاستعانة بالأمريكان في حرب الخليج إلى نشوء [القاعدة] وجهادها العالمي، وصولاً إلى صعود [داعش] وتمردها على الأنظمة وتكفيرها للمملكة السعودية نفسها.

(١) راجع (ابن قاسم: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مصدر سابق، ج ١٤، ص ١٢٣-١٢٤).

(٢) راجع (فؤاد إبراهيم: [داعش] من النجدي إلى البغدادي، مصدر سابق، ص ٣٠).

كما سيظهر في القادم من البحث مدى التطابق في الأفكار والإيديولوجيا بين التجربة الوهابية في بناء الدولة السعودية، وبناء [داعش] لدولتها الإسلامية، مع كثير من التشابه في التكتيكات العنفية وإرهاب الآخرين والسيطرة على المناطق.

المبحث الثاني

من السلفية الجهادية إلى تنظيم القاعدة

١- نشوء الظاهرة وخلفيتها :

في التحليل السوسيولوجي لظاهرة مجموعة من الناس تميزت عن غيرها في نواحٍ عدة، وكونت لنفسها حضورها الخاص والمميز كمجموعة اجتماعية، يعتبر [موريس دوفرجيه] في كتاب علم اجتماع السياسة، أن المجموعة الاجتماعية ليست تراكماً بسيطاً للناس الذين لهم سمة مشتركة.. بل تتكون المجموعة الاجتماعية من أناس لديهم علاقات في نطاق معين (وتكون هذه العلاقات أكثر عدداً وأشد ترابطاً، من تلك التي يقيمونها في هذا النطاق مع أناس ينتمون إلى مجموعة أخرى) وفضلاً عن ذلك تكون العلاقات القائمة داخل المجموعة ذات بنية متشكلة في نظام وعي متعلقة كذلك بمجموعة ثقافية تحدد الأنظمة لأعضائها وأدوارهم وتصرفاتهم^(١).

لعل هذا ما يفسر سوسيولوجياً نشوء هذه الظاهرة لجماعات السلفية القتالية التي نشأت من رحم المجتمعات الإسلامية (التي تعرضت لهزات فكرية ومطالبات سياسية واجتماعية وإقتصادية متنوعة).

وبالتالي عملت على تمييز نفسها من خلال استعادة بناء منظومة فكرية (بغض النظر عن مدى سلامتها أو صوابيتها) وثقافة خاصة بها، وعلاقات

(١) راجع (دوفرجيه، موريس: علم اجتماع السياسة، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ٢٠٠١ م، ص ١٢).

تنظيمية معقدة، وصولاً إلى تكوين مشروع سياسي قائم على تلك الأفكار والثقافات والبنية التنظيمية، أطلقت اسم [دولة الخلافة] على مشروعها أخيراً كاسم جذاب يشكل حضوراً وجدانياً في نفوس وعقول معظم أبناء المجتمعات الإسلامية التي منها الأفراد المنضوون في هذا المشروع، فضلاً عن كونه يُشكل قضية كبرى وهدف مركزي لهؤلاء.

ولأن المجتمعات الإسلامية تعيش تحديات معاصرة متنوعة ومتراكمة في تاريخ غني بالصراعات الداخلية فهي ظاهرة متعددة المستويات ومعقدة في أسباب نشوئها المركبة والمتشعبة ولا يمكن تفسيرها في المنحى التاريخي الديني وتطوره فقط، كما لا يمكن عزلها عنه واعتبارها نتاج البيئة المعاصرة للمجتمعات الإسلامية والعربية التي تعاني التهميش السياسي والاقتصادي والاجتماعي للكثير من فئاتها المقهورة والغاضبة والفقيرة، فضلاً عن عدم إمكانية نفي وجود عوامل خارجية وتدخلات أجنبية (غربية وأمريكية مثلاً) ساعدت وسهلت واستغلت واستخدمت هذه الفئات لخدمة مصالحها واهدافها الاستراتيجية في المناطق العربية والإسلامية.

وفي السعي لملاسة هذه الأسباب والخلفيات في نشوء [داعش] لا بد من تصنيف هذه العوامل والاسباب والخلفيات في عناوين رئيسية كبرى: يُطرح السؤال:

ما هي الخلفية والأسباب الدينية - العقديّة؟

لقد أدى الدين الإسلامي ولا يزال دوراً بارزاً في تحديد الهوية الحضارية للمجتمعات العربية والإسلامية وبالتالي فهو يتصل مباشرة بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي شهدتها وتشهدها هذه المجتمعات. الأمر

الذي يمكن في ضوءه إعتبار الدين الإسلامي أكثر من أي دين آخر مظلة النظام الاجتماعي السائد في المجتمع العربي. لذا فإن العلاقة بين الدين والتغيير الاجتماعي في المجتمع العربي- الإسلامي يمكن إعتبارها مميزة ومعقدة ومتعددة الأبعاد.

نظراً للترابط الوثيق بين الدين والمجتمع بشكل عام والدين والدولة بشكل خاص^(١) والملاحظ أن نشأة الحركات الدينية وظهورها كثيراً ما كانا متلازمين مع الأزمات التاريخية التي يتعرض لها المجتمع، ولا شك إن هذا التلازم يكشف عن العلاقة الجدلية بين هذه الحركات وطبيعة الفترة التاريخية التي نشأت فيها.

لذا فإن كل حركة دينية تقوم بصوغ الرموز والأفكار الجديدة، ليس من عدم طبعاً، ولكن انطلاقاً من إعادة قراءة التراث^(٢) فمع الجذور الأولى لـ [المدرسة السلفية] التي هي امتداد لجماعة [أهل الحديث] خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، والذين نشأوا وتشكلوا في الاتجاه الإسلامي في سياق الاختلاف داخل المدارس والفرق الإسلامية وبصورة خاصة في الرد على اتجاه [أهل العقل] أو [أهل الرأي] حول المؤسسة المرجعية الصالحة وصاحبة الشرعية في تأويل النص القرآني والحديثي بعد وفاة النبي محمد ﷺ.

وتطورت السلفية في مواجهة تيار الرأي والاعتزال خلال الحقبة التأسيسية مع [الإمام أحمد بن حنبل] في القرن الثالث الهجري، وتعتبر محنة القول بخلق

(١) راجع (عاطف العقلة غضيبات: الدين والتغيير الاجتماعي -دراسة سوسولوجية-، الفصل الثامن، من كتاب الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠ م).

(٢) راجع (عبد الباقي الهرماسي: علم الاجتماع الديني - المجال، المكاسب، التساؤلات-، الفصل الأول من نفس المصدر السابق ص ١٥).

القرآن في زمن الخليفة العباسي المأمون لحظة تاريخية حاسمة في بلورة النزعة السلفية في مواجهة النزعة العقلية التي تقوم على مبدأ التأويل بدلاً من التعليم والالتزام بظاهر التنزيل، وقد تعرض [الإمام بن حنبل] للتعذيب والاعتقال هو وأتباعه نتيجة آرائه، ما أكسبه مكانة متميزة لدى أهل الحديث سابقاً والسلفيين لاحقاً^(١) ومن المعروف أن الفترة الزمنية التي عاشها ابن حنبل كانت شهدت صراعات سياسية دموية أبرزها بين الأمين والمأمون على الخلافة، وكانت الأمور العقائدية والآراء الدينية مادة يستخدمها الخلفاء في تشريع صراعاتهم وتبريرها أحياناً.

وشهد القرن السابع الهجري مع نهاية الخلافة العباسية وعقب سقوط بغداد على أيدي التتار (عام ٦٥٦ هـ) ظهور نزعة سلفية ثانية أكثر نضجاً ووضوحاً على يد أحمد ابن تيمية ومدرسته (٦٦١-٧٢٨ هـ) والذي بدوره حمل [أهل البدع] (من الجهمية والقدرية والباطنية والصوفية والفلاسفة) مسؤولية السقوط والتدهور العام الذي مُنيت به الدولة الإسلامية حينها (بسبب الغزو المغولي)، وكرّس جزءاً كبيراً من سجلاته الفكرية والمعرفية في الرد على الفرق الإسلامية الأخرى وقد طفحت تلك المرحلة بالصراعات داخل الإسلام ما بين المدارس المختلفة سواء الإسلامية الكبرى (الشيعة - الخوارج - المعتزلة - السنة) أو داخل البيت السني (بين أهل الحديث والأشاعرة والماتريدية) فجنّد [ابن تيمية] قلمه لتوضيح منهج أهل السنة في وجه التيارات الإسلامية الأخرى، ومن هنا اكتسب أهمية استثنائية داخل المدرسة السلفية^(٢).

(١) راجع (محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ط ٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٢٨-١٦١).

(٢) عبد الغني، عماد: الحركات الإسلامية في لبنان - إشكالية الدين في مجتمع متنوع -، دار الطليعة، بيروت، ص ٢٦٥-٢٦٨.

وهو اليوم يشكل مرجعية أساسية للسلفيين بمختلف توجهاتهم وتعد كتبه وفتاواه ومدرسته الفكرية التي تضم إليه: [ابن قيم الجوزية]، و[الذهبي]، و[ابن كثير]، وغيرهم ممن باتوا بمنزلة بوصلة فكرية للتيار السلفي سابقاً ولاحقاً.

فالحركة السلفية التي تنتسب إلى [أحمد بن عبد الحليم] (٦١١-٧٢٨هـ) المعروف بـ [ابن تيمية] بأفكارها المتمحورة على التوحيد الاعتقادي والعملي في آن واحد، والتي جاءت في نصوص وفتاوى شكلت إجابات على تحديات طرحها الواقع والبيئة التي خلفها الغزو المغولي للبلاد الإسلامية والعربية وسقوط بغداد على يد التتار (٦٥٦ هجري) وطغى عليها مصطلح [التكفير] الحاضر بقوة في نصوص [ابن تيمية] (أحصى أحد الباحثين مئات الاستخدامات لهذا المصطلح في فتاواه)^(١)، كما انها جاءت كرد فعل على بيئة اجتماعية كثرت فيها الخرافات والبدع واللجوء إلى الطرق الصوفية في العبادة كهروب من الواقع والإنعزال عنه، أو لتبرير السكون وعدم التحرك في تغيير الواقع المليء بالتحديات والضغط السياسية والاجتماعية. وبالتالي تحميلهم مسؤولية ما جرى على الأمة من ضعف وتراجع في المستويات السياسية والعامة وعادات السلفية للبروز من جديد بعد عشرة قرون تقريباً على يد [محمد بن عبد الوهاب]، وإذا كانت السلفية الوهابية خرجت من رحم السلفية التاريخية في مطلع القرن الثامن عشر وامتدت حتى مطلع القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢م) الذي يعتبر كتابه [التوحيد] بمنزلة مرجع أساسي لدى أغلب السلفيين، ويوضح

(١) أحصى المفكر الدكتور محمد حبش (٤٢٨ فتوى) لابن تيمية تمييزاً قتل المسلم لأخيه تحت عنوان «يُستتاب أو يُقتل»، مع ربط التكفير بموقف فقهي يقضي بقتل المخالف. راجع (موقع البيئة للدراسات والأبحاث الوهابية) تاريخ ٢٢، ٠٣، ٢٠١٨. www.elwahabiya.com

فيه العقيدة السلفية في مواجهة العقائد والفرق الإسلامية الأخرى^(١).

فقد التقى معه أو تأثر بدعوته علماء من شتى أنحاء العالم الإسلامي، منهم [محمد نوح اغلاطي] في المدينة المنورة (١٧٥٢-١٨٠٣م)، و[ولي الدين الدهلوي] في الهند (١٧٠٢-١٧٦٢م)، و[محمد بن علي الشوكاني] في اليمن (١٧٦٠-١٨٣٤م) ثم [شهاب الدين محمود الألوسي] في العراق (١٨٠٣-١٨٤٥م)، و[محمد بن علي السنوسي] في الجزائر (١٧٨٧-١٨٥٩م) و[محمد بن أحمد المهدي] في السودان (١٨٤٣-١٨٨٥)^(٢).

ورغم وجود خلافات جزئية بينهم إلا أنهم جميعاً اتفقوا على نبذ التقليد وفتح باب الاجتهاد، وقد أصبحت [السلفية] مع [الحركة الوهابية] ذات دلالات اصطلاحية على اتجاه معين وآراء مخصوصة في الساحة الإسلامية الحديثة. وتعتبر السلفية الوهابية من الناحية الدينية [دعوة إصلاحية تطهيرية] تسعى للحفاظ على الهوية، عبر التمسك بظاهر النص وتقوم على فهم شبه لفظي له في جوانب العقديّة والرمزية والشعائرية^(٣).

وأقامت الحركة الوهابية نموذجها العملي الأول في الحكم والدولة من خلال ما اتفق على تسميته في كتب التاريخ الحديث بـ [اتفاق الدرعية] قام التحالف التاريخي بين [محمد بن سعود] و[محمد بن عبد الوهاب] (١٧٤٤م)، نجح ابن عبد الوهاب في إنجاز هوية أيديولوجية عابرة للانتماءات الفرعية وقادرة على صنع

(١) راجع (محمد أبو رمان: السلفيون والربيع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، بيروت، ٢٠١٤، ص ٦٢).

(٢) راجع (ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩٣٩) تعريب كريم عزقول، دار نوفل، بيروت، ١٩٩٧، ص ٤٨-٥٠).

(٣) راجع (محمد أبو رمان: السلفيون والربيع العربي، مصدر سابق، ص ٦٢).

هويّة جامعة، وهي تقوم على مرتكزات دينية ورؤية كونية (تكفير) المجتمعات المجاورة والتكتيك (الهجرة) والاستراتيجية (الجهاد) واستناداً إلى قوّة وسلطة [محمد بن سعود] تم تكوين كتلة اجتماعية مترابطة (الأنصار أو الجنود) المؤمنين بالتحاليم الوهابية والقادرين على تسهيلها في منجزات ميدانية^(١) وإذا كان هذا مسار ومخاض الدولة السعودية وحالة التزاوج بين مشروع الأمير للسيطرة (العنف) وبين الوهابية التي احتاجت في انتشارها للاتكاء على قوة عنف رافعة (سلطة)، فكيف كان مسار ولادة السلفية الجهادية وإنتاج القاعدة كمشروع عالمي يهدف إلى إقامة دولة الخلافة؟

هذا ما ستجري معالجته في ما سيتقدم من عرض لتجارب معاصرة من السلفية الجهادية (أفغانستان).

٢- المنظرون المعاصرون للسلفية الجهادية :

إذا كان إجماع الباحثين والمحللين على وحدة الجذور الفكرية السلفية للقاعدة وداعش وكل التنظيمات التكفيرية القتالية، فإنّ من المؤكّد ان هناك مجموعة من المنظرين المعاصرين المشتركين بين القاعدة وداعش ومثيلاتها في المشرق والمغرب العربي والإسلامي.

ويتصدّر هؤلاء أسماء أصبحت مشهورة من خلال نتاجها المكتوب والمنشور على المواقع الالكترونية. وبالنظر إلى خصوصية توزع هؤلاء المنظرين بين من هو منظر شرعي وآخر استراتيجي؛ يمكن إبراز من بين الشرعيين كالتالي^(٢):

(١) وردت تفاصيل هذا المشروع في البحث الثاني من هذا الفصل في الحديث عن: بين الوهابية والدولة السعودية (ص ١٣٧ إلى ١٤١).

(٢) راجع (محمد علوش): [داعش] وأخواتها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، مصدر سابق ص: ٣٧٨-٣٩٠.

١. عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) أردني من أصل فلسطيني، صاحب كتاب [ملة إبراهيم] وأستاذ أبو مصعب الزرقاوي، التقاه في أفغانستان، وكان رفيقه في السجن في الأردن، ثم تحوّل إلى ناقد وناصح له، أرسل إليه [رسالة الوصفات]، ثم إلى متبرّء منه ومن تهوّره، وكتب كتاباً في تكفير نظام المملكة السعودية.

٢. أبو أنس الشامي (عمر يوسف جمعة صالح) أردني من أصل فلسطيني، تلميذ المقدسي، عمل مع [الزرقاوي] (وكان بمثابة الأمير الشرعي للجماعة).
مواليد ١٩٦٩ الكويت، قتل بغارة أميركية عام ٢٠٠٤ في أبوغريب - بغداد.

٣. أبو بصير الطرطوسي (عبد المنعم مصطفى حليلة) سوري من طرطوس ويعتبر أحد منظّري السلفية الجهادية، قدم مراجعات في ٢٠١٥ وانتقد القاعدة في عدم امتلاكها مشروع دولة، ووصف [داعش] بالخوارج، واقتصر بتأييده أخيراً على جبهة النصرة.

٤. الشيخ سيد إمام الشّريف عبد القادر بن عبدالعزيز (دكتور فضل)، مصري الجنسية، من مدينة [بني سويف]، يعتبر كتابه [العمدة في اعداد العدة] دستور [داعش] حالياً، وكان الكتاب يعتبر مرجعاً جهادياً في مخيمات التدريب، في أفغانستان.

٥. أبو قتادة الفلسطيني (عمر محمود - أبو عمر)، عاش في لندن وأعيد إلى الأردن في عام ٢٠١٢، وتمت تبرئته من قبل القضاء الأردني، من الذين اصدروا الفتاوى الجديدة وغطّوا العديد من التصرفات الدموية لـ [داعش] وللجزائريين في قتل المدنيين، ودافع عنهم وعن طالبان. (وهو مطلوب في عدة دول بتهمة الإرهاب). ولكنه انتقد [داعش] أخيراً بعد إعلان الخلافة ووصفهم بالخوارج.

٦. أبو عبدالله المهاجر، وكتابه المشهور [مسائل في فقه الجهاد]، وهو من المراجع الأساسية لتنظيم الدولة الإسلامية، وهو جزء من ٧ مجلدات كبيرة كتبها أبو عبدالله المهاجر، وكان [الزرقاوي] يعتمد عليه كمرجعية شرعية.

٧. عثمان بن عبد الرحمن التميمي، سعودي وهو صاحب كتاب [اعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام] وهو المسؤول الشرعي للتنظيم في عهد أبو عمر البغدادي، وقد استخدم في كتابه المراجع الإسلامية التقليدية لإثبات وجوب قيام الدولة الإسلامية والخلافة (مثل ابن تيمية والماوردي والجويني).

٨. أبي همام - بكر بن عبد العزيز الأثري، بحريني الجنسية، مؤلف لعشرات الكتب ومن أبرزها [مد الأيادي لمبايعة البغدادي].

ورغم وجود هذه الأسماء المذكورة وغيرها من الأسماء التي تنظر وتصدر فتاوى للدولة الإسلامية [داعش] ولكنها بالقياس إلى ما هو موجود في الساحة الإسلامية (السنية تحديداً) فإن هؤلاء لا يعتبرون من أعمدة الفكر والفقهاء في الساحة ومعظمهم من المغمورين والمشكوك بتحصيلهم العلمي والفكري والفقهي، وقد جاءت شهرتهم من خلال ارتباطهم بالقاعدة وبمشروع (الدولة الإسلامية) ومن خلال نشر نتاجاتهم في المواقع الإلكترونية التابعة لـ [داعش] وبعض المواقع الجهادية الأخرى.

أما أبرز المنظرين الاستراتيجيين، فيمكن إيرادهم وفق التالي:

١. أبو بكر ناجي (سيف العدل - محمد خليل الحكايمية) من عرب فلسطين ١٩٤٨، من الجماعة المصرية التي قادها [الظواهري] إلى أفغانستان. برز من خلال كتابه إدارة التوحش - أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمة-، (١١١ صفحة)،

ويعتبر المنظر العملي لاستراتيجيات العمل عند [داعش]، وقد قاتل في أفغانستان وباكستان ومصر وراقب الحوادث الجزائية في العقد الأخير من القرن العشرين. قُتل في وزيرستان عام ٢٠٠٨، بعد أن شهد الهجوم على نيويورك وهلل له، كما شهد أوائل الأعمال العسكرية في العراق والهجمات على الأميركيين والتحالف والقوات المحليّة العراقية والهجمات ضد الشيعة والاهالي ببغداد والفلوجة وبعقوبة والرماذي وتوقع لها مستقبلاً مجيداً^(١).

٢. أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم) من مواليد حلب ١٩٥٨، صاحب الكتاب الموسوعي [دعوة المقاومة الإسلامية العالمية] في ١٦٠٠ صفحة، منظر أساسي في تنظيم القاعدة، وبايع الملا عمر في أفغانستان، وهو سوري الجنسية. وعمل مع ابن لادن هناك منذ ١٩٨٧ ورحل من قبل الامريكان إلى سوريا عام ٢٠٠٥ وبقي في السجون السورية حتى ٢٠١٢ وقيل انه أطلق سراحه وانضم إلى داعش، وهناك غموض في مصيره وهو نظر لبنية تنظيمية لامركزية، ووضع لها أصولها وآليات عملها، وكان قد عارض العمليات الإرهابية في البلدان الغربية^(٢).

٣. عبد الله بن محمد - وكتابه [الجمع القيم لسلسلة المذكرة الاستراتيجية] منشور من قبل مؤسسة المأسدة الإعلامية، عام ٢٠١١، وهو كتاب يعتمد على اقتباسات من أفكار أبو مصعب السوري ويدل على إطلاع واسع لصاحبه على التجارب التاريخية والمعاصرة للدول والأحزاب والحركات، ويرسم الخطوط العريضة لمشروع دولة الخلافة، ويضع عدد من السياسات التي نراها

(١) فنستت الغريب: دولة الخلافة الإسلامية - التّظهير السّلفي الجهادي -، دار الولاء، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص ٢٠٨.

(٢) راجع (محمد علوش): [داعش] وأخواتها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، مصدر سابق ص: ٣٨٤-٣٨٥.

معتمدة في دولة الخلافة لـ [داعش] عملياً. كما يستشهد بعدد من التجارب لليهود وكيفية تأسيس دولة إسرائيل. ويعتبر الكتاب تنمة للرؤية التي حملها كتاب إدارة التوحش واستكمالاً لما وضعه في أسس وقواعد دولة الخلافة. وللمؤلف أيضاً كتابات ومقالات منشورة في عدة مواقع سلفية منها كتاب حرب العقول وكتاب حصن المجاهدين في سبيل الله.

ما يميز هذه المجموعة من المنظرين الاستراتيجيين عن أولئك الشرعيين هو أنهم خاضوا تجارب جهادية في مصر وسوريا وبلدان أخرى، وعاشوا التجارب العملائية في الجزائر وليبيا وسوريا واليمن وغيرها من البلدان، فضلاً عن مكوثهم في أفغانستان ومعاشتهم لابن لادن والظواهري هناك، وتقييمهم لمسار الحركات الجهادية وإنجازاتها وانتكاساتها، ليوثقوا من خلال ذلك نظيرهم لمستقبل هذا المشروع في إقامة دولة الخلافة.

٣- تجارب معاصرة من السلفية الجهادية : (أفغانستان) :

بعد مرور سنوات على الدخول السوفياتي إلى أفغانستان عام ١٩٧٩ م وخلال فترة الثمانينات، أرادت الولايات المتحدة الأميركية إيقاف زحف الاتحاد السوفياتي نحو المياه الباردة والوصول إلى منابع النفط في الخليج، فرّجوا لـ [الجهاد العالمي] ضد الإلحاد في أفغانستان الذي يجسده الاتحاد السوفياتي هناك؛ وبالتنسيق مع بريطانيا والسعودية وباكستان ومصر (حلفاؤهم في المنطقة)، شجعت الإدارة الأميركية النظم العربية التي تساندها في المنطقة على توجيه العلماء والأحزاب الإسلامية للقتال في أفغانستان، وهنا بدأ الدعم المالي وظهرت الخطب الحماسية وعقدت ألية للجهاد وفتحت المعسكرات في باكستان للتدريب، وتوجه الشباب المتحمس من عموم البلاد العربية لمحاربة الجيش الأحمر هناك^(١).

وإذا كان لكل شيء بداية، فإن أفغانستان كانت البداية لما يعرف اليوم بجماعات [السلفية الجهادية] وريثة جماعات الجهاد الأولى في العالم العربي. هناك بدأت تتفاعل التيارات الوافدة وتتعارف فيما بينها، إلا أن الأبرز فيها كان الزواج الذي عقد بين فكر الجهاد المصري (القطبي) والسلفية الوهابية التقليدية، ويعود هذا الزواج إلى ما كان يقوم به أسامة بن لادن، حين أسس مكتب خدمات المجاهدين عام ١٩٨٤م بالتعاون والتنسيق مع [عبدالله عزام] الفلسطيني الأصل وذو الخلفية الإخوانية القطبية، زعيم الأفغان العرب بلا منازع، وهو الذي حضر إلى أفغانستان عام ١٩٨٤م وكان حينها عدد العرب هناك لا يتجاوز ١٥ شخصاً، وقد تولى عزام فتح معسكر صدى العرب في منطقة القبائل الباكستانية المحاذية لحدود أفغانستان، وبلغ عدد المجاهدين في المعسكر في منتصف عام ١٩٨٦م أقل من ٢٠٠ مجاهد بقليل^(١).

ونشأت شبكة من العلاقات التي توطدت بينهم ومع الفصائل الأفغانية المقاتلة، لاسيما فصائل الاتحاد الإسلامي بقيادة [عبد رب الرسول سيّاف] الذي كان عنصراً جاذباً لهم بسبب خلفيته السلفية، والدعم الذي تلقاه من العلماء في الجزيرة العربية على ما يبدو، كما يحظى بدعم لا يخفى من المؤسسة الأمنية القوية في باكستان وقد ساعده كل ذلك بلا شك في استقطاب الكثيرين من العرب الراغبين في الجهاد إلى صفه أيضاً، رغم أنه لم يكن الفصيل الأقوى بين فصائل أفغانية أخرى مثل الجمعية الإسلامية بقيادة [رباني] وقائدها العسكري [شاه مسعود] الملقب بـ [أسد بانشير]، أو الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار صاحب الشخصية القوية والنفوذ الواسع في ولايات شرق أفغانستان تحديداً^(٢).

(١) راجع (كميل الطويل: القاعدة وأخواتها، دار الساقى، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٣-١٥).

(٢) راجع (أبو مصعب السوري: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مصدر سابق، ص ٧١٦).

ويبدو أن الباكستانيون مارسوا دوراً في إيجاد الفرقة بين العرب وأفغان، الأمر الذي دفع أسامة بن لادن إلى تأسيس مجموعة خاصة به منفصلة عن مكتب خدمات المجاهدين، أطلق عليها اسم [بيت الأنصار] في بيشاور عام ١٩٨٦م. ومنذ ذلك العام حتى العام ١٩٨٨ دخل المجاهدون العرب في خمسة معارك كبرى مع الروس، أشهرها معركة [جاجي] التي هزموا فيها وحدات روسية من أفضل الوحدات تدريباً وتسليحاً وقتل فيها عدد كبير من رجال الكومندس الروس، كما دخل المجاهدون العرب في مئات المواجهات والمناوشات الصغيرة، فكانت تلك الفترة من أفضل فتراتهم بسبب توفر الفرصة للقيام بالقتال والجهاد دون مضايقات من الحكام العرب والحكومة الباكستانية^(١).

ثم مع تكريس هزيمة الروس فعلياً في توقيعهم اتفاق جنيف في أيلول ١٩٨٨ م للانسحاب من أفغانستان، تاركين ورائهم حكومة شيوعية أفغانية، أسس بن لادن تنظيمه الخاص وأسماه «القاعدة».

وكان واضحاً الحضور السعودي القوي في كل أمور الدعم اللوجستي والمالي والطبي (عبر تواجد عدد من المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية السعودية كالهلال الأحمر السعودي ومنظمة العالم الإسلامي والجمعيات الخيرية الأهلية) فضلاً عن الحضور الدعوي السلفي في الساحة الأفغانية، رغم أن المجاهدين هناك كانوا من مشارب متعددة أهمها الإخوان المسلمين من مصر وسوريا، بالإضافة إلى دول عدة ك: تونس والمغرب وليبيا وفلسطين والأردن، فضلاً عن الدول الخليجية.

(١) راجع (فؤاد حسين: [الزرقاوي] - الجيل الثاني للقاعدة-، مصدر سابق، ص ١٤٧).

وبذلك تحولت أفغانستان ليس إلى ساحة جهاد ضد السوفيات فقط بل إلى ساحة تدريب وإعداد وتنظيم للإسلاميين العرب من دول مختلفة، لا سيما لأولئك الذين لم يكونوا سابقاً منتمين لتنظيمات جهادية أو مسلحة. وقد استثمرت القيادات الجهادية هذه الساحة، فحضر مثلاً [أبو مصعب السوري] في مجال التدريب في معسكرات القاعدة ما بين عام ١٩٨٠م وعام ١٩٩١م، كما حضر في المجالات المنهجية والسياسة الشرعية ودروس حرب العصابات وهو القادم من تجربة الطليعة المقاتلة للإخوان في سوريا، وقد حضر إليها مثله رموز وقادة ميدانيين لعدد من فصائل الحركات الإسلامية، وكلٌ من هؤلاء كان لديه مشروع التنظيمي والجهادي الخاص به، فابن لادن بحسب شهادة [جمال أحمد الفضل] (أبو بكر السوداني) قرر إنشاء مجموعته الخاصة لأن الجهاد في أفغانستان قد انتهى، وهو يريد إقامة الخلافة، وقال لأنصاره: «إننا نريد أن نغير الأنظمة العربية (...) ونقيم حكومة إسلامية». وكذا كانت توجهات السوريين والليبيين والجزائريين وغيرهم. وهناك عدد من الشهادات الأخرى التي ينقلها كمال الطويل في كتابه القاعدة وأخواتها، وهي تدل على أن كل مجموعة كانت تعمل على إعداد نفسها والتدريب للعودة إلى بلادها حاملة معها مشروعاً (جهادياً) يهدف إلى إقامة حكومة إسلامية وتحكيم الشريعة فيها^(١).

هؤلاء هم من أطلق عليهم من قبل الحكومات وأجهزتها المخبرانية والإعلامية اسم [الأفغان العرب] وهم كانوا محل ملاحقة واعتقال وتهديد من قبل الأجهزة الأمنية الرسمية في عدد من البلدان العربية والإسلامية فضلاً عن متابعة الأجهزة الاستخباراتية الأميركية والأوروبية، لأن غالبيتهم تورط في أعمال

(١) راجع (كميل الطويل: القاعدة وأخواتها، مصدر سابق، ص ٣٣-٤٢).

عسكرية وأمنية وتنظيم خلايا مسلحة أو القيام بأعمال عنف مسلحة في بلدانهم بعد عودتهم من أفغانستان.

ومن بين هؤلاء كان زعيم [تنظيم القاعدة] [أسامة بن لادن] الذي بايع [الملا عمر] كأمر للمؤمنين في إمارة طالبان في أفغانستان ببيعة إمامة، و[أبا عبدالله الصادق]، أمير الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، وبرنامجهم الرئيسي كان الجهاد لإسقاط نظام القذافي في ليبيا، وأبا عبد الله الشريف أمير الجماعة المجاهدة في المغرب (مراكش) وبرنامجهم جهاد الحاكم في المغرب الأقصى، و[أيمن الظواهري] أمير جماعة الجهاد المصرية وكان برنامجهم لم شتات التنظيم و جهاد النظام الحاكم في مصر، فضلاً عن تجمع المجاهدين في تونس (وكان فيهم كوادرس سبق لهم الجهاد في البوسنة)، وتجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين وأميرهم أبو مصعب الزرقاوي... وغيرهم من التجمعات والمعسكرات الخاصة لكل مجموعة، مثل معسكر أبو خباب المصري، المتخصص في تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها، ومعسكر خلدون العام وأميره مجاهد لبيبي وقد تدرّب فيه أكثر من عشرين ألفاً^(١).

بعد هذا كله، وفي العام ١٩٩١م خلقت استعانة المملكة السعودية بالقوات الأجنبية ولا سيما الأميركية لتحرير الكويت (التي اجتاحتها جيش العراق بأمر من رئيس الدولة حينها صدام حسين) تياراً سلفياً معترضاً عرف بـ [تيار الصحوة] ضم العشرات من العلماء والنخب، أمثال [حمود بن عقلاء الشيعي]، صاحب القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار، و[سفر الحوالي] و[سلمان

(١) راجع (محمد علوش: [داعش] وأخواتها - من القاعدة إلى الدولة الإسلامية-)، مصدر سابق، ص ٢٨-٢٩).

العودة] و[علي الخضير] الذي تطور موقفه إلى حدود تكفير النظام السعودي^(١).

تأزمت الأمور بين الحكومة السعودية وتيار الصحوة الذي كان [أسامة بن لادن] من أبرز شخصياته، ما دفع الأخير إلى الهروب سرّاً من السعودية، بعد إبلاغ وزارة الداخلية له بمنعه من السفر أو الحديث إلى الإعلام، وبعد ما أيقن أن مخاطبة المسؤولين بالخطابات والمذكرات أسلوب عديم الجدوى ولا بد أن يفكر بأسلوب بديل، فسعى إلى الحصول على فتوى بوجود الاستعداد للقتال من قبل كل مسلم وخاصة أهل الجزيرة، وأفتى [الشيخ بن العثيمين] فعلاً بتلك الفتوى التي استخدمها [بن لادن] لتشجيع الشباب من جديد للذهاب إلى أفغانستان للتدريب^(٢).

في ظل هذه الأجواء استعيدت نظرية [العدو القريب] إلى جانب [العدو البعيد] وتم توسيع الدائرة حتى شملت استهداف مصالح الدول الطاغية الكبرى كأميركا وبريطانيا في داخل أراضيهم وفي بلاد عملائهم في المنطقة وفقاً لطروحات القاعدة.

(١) راجع (المصدر السابق نفسه، ص ٣٠).

(٢) راجع (فؤاد حسين: [الزرقاوي] - الجيل الثاني للقاعدة-، مصدر سابق، ص ١٤٩).

المبحث الثالث

تنظيم القاعدة وفقه الخلافة الإسلامية

١ - تنظيم القاعدة: الهوية وظروف النشأة:

في ثمانينات القرن الماضي، في خضم معارك فصائل المجاهدين الأفغان ضد [الجيش الأحمر] وحلفائه الحكام الشيوعيين في كابول، نشأ جيل جديد من العرب، جيل يؤمن بأن لا سبيل سوى [الجهاد] لإقامة حكم إسلامي حقيقي يخالف الأنظمة العربية الحاكمة التي اعتبرها هؤلاء الجهاديون الجدد إما علمانية مرتدة، أو تحكمها ديكتاتوريات، أو أنها لا تُطبّق أحكام الشريعة تطبيقاً صحيحاً، وعرف هذا الجيل بأنه جيل [الأفغان العرب].

١٦٦

انطلاقاً من مناطق الحدود الباكستانية مع أفغانستان حيث نزح ملايين الأفغان الذين شكّلوا لاحقاً خزاناً بشرياً لا ينضب لفصائل المجاهدين وقاعدة خلفية لهم، بدأ [جهاد الأفغان] بطيئاً في السنوات الأولى من الثمانينات. فالمجاهدون، بفصائلهم المختلفة، لم يكونوا قد نظّموا قواتهم بعد في قاعدتهم الباكستانية في بيشاور وفي داخل أفغانستان*. والروس، أصلاً، كانوا قد جاؤوا بقوات ضخمة مزودة بأحدث الدبابات والطائرات الحربية، لتُضاف إلى قوات

* أسس [قلب الدين حكمتيار] الحزب الإسلامي في باكستان عام ١٩٧٥، وانشق عنه في ١٩٧٩ جناح برئاسة [يونس خالص]، في حين أسس [صبغة الله مجددي] جبهة التحرير الوطني الأفغاني في ١٩٧٩، وفعل الأمر ذاته [برهان الدين رباني] الذي شكّل الجمعية الإسلامية، في حين تولى [عبد رب الرسول سيّاف] رئاسة الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان في ١٩٨٠.

الحكومة المركزية الشيوعية في كابول*، لكن هذه البداية البطيئة لـ [الجهاد] سرعان ما انطلقت بسرعة كبيرة بعدما التقت مصلحة المجاهدين الأفغان في تحرير بلادهم من الشيوعيين مع مصلحة الولايات المتحدة في منع موسكو من الوصول إلى «المياه الدافئة» في بحر العرب، عبر الأراضي الباكستانية، وما كان يمكن أن يشكّله هذا الوصول من تهديد لمنابع النفط في دول الخليج. وقد عمل الأميركيون جاهدين، سراً وعلناً، في السنوات الأولى من الثمانينيات على توفير الدعم لـ [الجهاد الأفغاني]، سواء من خلال مد المجاهدين بالمال والسلاح، وهو ما كان يمر عادة عبر جهاز الاستخبارات الباكستانية المشتركة (آي. أس. آي.)، أو من خلال تشجيع دول عربية على تمويل الأفغان أو إرسال متطوعين للمشاركة في الجهاد معهم. وفعلاً، سارت دول عربية توصف بأنها «محافظة»، مثل دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، في هذه السياسة الأميركية، لاعتبارات عدة بينها بلا شك الخوف من «المد الشيوعي» صوبها وما يُشكّله من خطر على أنظمتها**.

* وصل الشيوعيون إلى السلطة إثر الانقلاب الذي أطاح به [محمد داود خان] في ١٩٧٨ وجاء به [نور محمد طراقي] محله. وكان [طراقي] يرأس جناح [برشم] (الراية) في صفوف الشيوعيين، في حين يرأس [ابراهيم كارمل] جناح [خلق] (الجاهير). وخلال فترة حكم الشيوعيين، احتدم الصراع بين [خلق] و [برشم]، وتطور صراعاً دمويّاً على السلطة في ١٩٧٩ عندما أطيح [طراقي] وتسلم رئيس الحكومة [حفيظ الله أمين] من جناح [خلق] الحكم. لكن فترة ولايته لم تدم سوى ١٠٤ أيام وقتلته القوات الروسية في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ ونصّبت مكانه [ابراهيم كارمل] الذي هو من جناح [خلق] أيضاً.

** لم تسر كل الدول العربية بالطبع في هذه السياسة الأميركية لمقاومة السوفييات في أفغانستان. فكثير من الأنظمة العربية في تلك الفترة (ثمانينيات القرن الماضي) كان مدعوماً من الاتحاد السوفيياتي، وكان من الطبيعي أن يقف مع موسكو في النزاع الأفغاني.

في البداية، كان دور العرب في «الجهاد الأفغاني» هامشياً إلى حد كبير. فنفر قليل فقط من العرب وهبوا في بداية الثمانينيات إلى باكستان، القاعدة الخلفية لفصائل المجاهدين، لتقديم يد العون إليهم، لكن نشاطهم كان محصوراً آنذاك وإلى درجة كبيرة في تقديم المساعدات لملايين النازحين في مخيماتهم التي انتصبت على الحدود الباكستانية مع أفغانستان. وقلة أيضاً من هذا النفر القليل اختارت دخول أفغانستان والالتحاق بهذا الفصيل الأفغاني أو ذاك والمشاركة فعلياً في القتال.

لكن هذا الوجود العربي المتواضع في أفغانستان سرعان ما بدأ في الازدياد، خصوصاً بعدما أسس [عبد الله عزام] و[أسامة بن لادن]* وآخرون مكتب خدمات المجاهدين للإشراف على تنظيم عملية التحاق العرب الراغبين في الجهاد بالفصائل الأفغانية المختلفة، وكان ذلك في نهاية ١٩٨٤.

* أسامة بن لادن من مواليد عام ١٩٥٧م، من أم سورية دمشقية، وهو السابع بين أخوته (الخمسون) ينحدر من أصول يمنية من حضرموت، كان والده محمدعوض بن لادن وصل إلى جدة من حضرموت عام ١٩٣٠م، وعمل في ميناءها حمالاً، وبسبب طموحه وجده ومثابرتة تحول تدريجياً إلى أكبر مقاول إنشاءات في المملكة، هذا الطموح لدى الوالد غذى عند أسامة روح المجازفة والجرأة، كما فعل والده عندما قدم نفسه إلى الملك سعود أنه الاقدر على المشاريع الصعبة ذات طابع التحدي ونجح فعلاً في تنفيذ كل المشاريع التي كلف بها، كما تمكن من بناء علاقة جيدة مع أفراد العائلة المالكة والحاكمة وكانت هذه العلاقة تؤهله للتدخل في شؤونهم الأكثر خصوصية، وكان الوالد شديد الحرص على إنضباط أبناءه (الخمسون) والتزامهم من الناحية الشرعية والاخلاقية، وقد توفي عام ١٩٧٠م، في حادث تحطم مروحية أثناء تفقده طريق الهدى المشهور، وكان عمر أسامة حينها ١٣ عاماً وقد تزوج أسامة لأول مرة في عمر ١٧ سنة من ابنة خاله السورية الدمشقية، وهو قواد إلى جانب عبد الله عزام مشاركة المجاهدين العرب في حرب أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي. (المصدر السابق نفسه، ص ١٤٤-١٤٥).

وعلى رغم الازدياد الملحوظ في عدد العرب المشاركين في القتال في أفغانستان آنذاك، إلا أن أمرين أساسيين لا بد من الإشارة اليهما، وهما أولاً أن العرب لم يكونوا سوى قطرة في بحر مقارنة بالمجاهدين الأفغان الذين كانوا الوجود الحقيقي الذي استنفد الآلة الحربية السوفياتية، وثانياً أنهم لم يكونوا سوى عنصر إضافي يقاتل مع عناصر هذا الفصيل الأفغاني أو ذاك، من دون أن تكون لديهم جبهة خاصة بهم مستقلة عن الأفغان. لكن في حين لم تتغير الحقيقة الأولى طوال فترة الجهاد الأفغاني، وهي أن العرب ظلوا نقطة في بحر المجاهدين الأفغان، إلا أن الحقيقة الثانية لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما بدأ العرب في تنظيم أنفسهم كقوة قتالية. فأنشأوا، بين ١٩٧٤ و ١٩٧٥، [مضافة أبي عثمان] في بيشاور، ثم أسس [عبد الله عزام] معسكر [صدى] للعرب في منطقة القبائل الباكستانية قرب الحدود الأفغانية. وقد بدأ هذا المعسكر بـ ١٢ رجلاً، وارتفع في ١٩٨٥ إلى ٢٥، ثم بلغ في منتصف ١٩٨٦ أقل من ٢٠٠ مجاهد بقليل*.

* يقول [عبد الله أنس] إن العرب بدأوا في تكوين تجمع خاص بهم بين ١٩٨٤ و ١٩٨٥ عندما أنشأوا مضافة [أبي عثمان] في بيشاور وكانوا قرابة سبعين إلى ثمانين شخصاً. وكانوا ينزلون حتى ذلك التاريخ في مضافة [الشيخ سياف] في قرية بابي الباكستانية. أما [مصطفى الست مريم نصار] (عمر عبد الحكيم المعروف بـ [أبي مصعب السوري]) فيقول: «إن الشيخ عبد الله عزام كان قد أنشأ معسكر صدى للعرب في منطقة القبائل الباكستانية قرب الحدود الأفغانية من أجل تدريب الشباب العربي الذي بدأت طلائعه تصل بأعداد قليلة في ١٩٨٤، وقد سمعت في بعض أشرطة الشيخ عبد الله عزام أن عدد الشباب الذين ثبتوا معه في معسكر صدى سنة ١٩٨٤ وصل إلى ١٢ مجاهد وتضاعف فقط خلال ١٩٨٥ فوصل إلى ٢٥ مجاهداً ثم بلغ في منتصف ١٩٨٦ أقل من ٢٠٠ مجاهد بقليل من مختلف الجنسيات ربما كان معظمهم من السعودية ومصر وفلسطين». راجع (ولادة الأفغان العرب، ص ٣١) و(عمر عبد الحكيم: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، صدر في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٤ ووزع على شبكة الانترنت في ٢٠٠٥، ص ٧١٦).

لكن التحوّل الأساسي في هذه الطبيعة القتالية للعرب -أي دخول المعارك في شكل مستقل وليس من ضمن فصائل المجاهدين الأفغان- لم يحصل سوى في ١٩٨٦، عندما أنشأ [أسامة بن لادن] جبهة خاصة بالعرب تضم أكثر من ٣٠ عنصراً على طريق إمداد يستخدمه المجاهدون الأفغان في منطقة جبلية وعرة المسالك في جاجي ولاية بكتيا القريبة من الحدود الباكستانية. وليس واضحاً مدى الدعم الذي لقيه إنشاء هذا الموقع -الذي ضم [العربين] وهي نقطة التجمع في أسفل الجبل و[المأسدة] في القمة- بين بقية العرب الذين كانوا حتى ذلك التاريخ موزعين على فصائل المجاهدين الأفغان. ولا شك في أن معركة [جاجي] كانت حافزاً للعرب المشاركين فيها لكي يسعوا إلى مزيد من الاستقلالية في نشاطهم عن فصائل المجاهدين الأفغان، خصوصاً أن هذه الفصائل غالباً ما كانت تتصارع على النفوذ في ما بينها، وأحياناً في شكل أشد عنفاً من صراعها ضد الروس.

أ. تأسيس تنظيم القاعدة

لم يكن ليمرّ عامان على معركة [جاجي] حتى كانت معالم الانتصار في الحرب ضد [الدب الأحمر] السوفيياتي الغارق في [الرمال المتحركة] الأفغانية، قد بدت واضحة، وقد تکرّست هزيمة الروس فعلياً في توقيعهم اتفاق جنيف في أيلول/ سبتمبر ١٩٨٨ للانسحاب من أفغانستان، وهو أمر سرعان ما نفّذوه في شباط/ فبراير ١٩٨٩، تاركين وراءهم حكومة شيوعية أفغانية كانت ما تزال تُحكم قبضتها على كابول وعواصم الولايات الأساسية، لكن سلطتها الفعلية كانت محصورة هناك فقط.

وفي ظل تلك الأجواء، أسس بن لادن تنظيمه الخاص الخارج من رحم [مكتب الخدمات] وسماه [القاعدة]^(١) لم يسمع كثيرون آنذاك بشيء اسمه [القاعدة]، وبالتأكيد لم يتصور كثيرون أن هذا التنظيم سيكون قادراً في غضون سنوات قليلة على توجيه [صفعة] مثل تلك التي تلقتها الولايات المتحدة في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١.

فكيف تأسس هذ التنظيم ولماذا؟

تأسس [تنظيم القاعدة] في نهاية الثمانينيات، وتحديدًا في ١٩٨٨، بعدما لاحظ [أسامة بن لادن] أن «حركة المجاهدين العرب قدوماً وذهاباً والتحاقاً بالجبهات بل وحتى كثرة الإصابات والاستشهاد قد ازدادت، من دون أن يكون لديه سجل عن هذه الحركة رغم أهميتها وكونها من ألف باء الترتيب العسكري»^(٢). وسبب نقص هذه المعلومات إحراجاً لـ [بن لادن] في كثير من الأحيان، خصوصاً عندما كانت تتصل عائلات هاتفياً من الخليج أو تُرسل رسولاً شخصياً للسؤال عن مصير أحد أبنائها ممن ذهب إلى أفغانستان للجهاد. وقد شعر [بن لادن] بأن نقص هذه المعلومات أمر مخجل، فضلاً عن أنه خطأ إداري مبدئي، ولذلك قرر ترتيب سجلات للأخوة المجاهدين العرب، وتوسعت فكرة السجلات لاحقاً لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل إلى أفغانستان بترتيب من أسامة ومجموعته^(٣).

(١) كميل الطويل: القاعدة وأخواتها - قصة الجهاديين العرب-، دار الساقى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ٣٠.

(٢) راجع (التقرير الصادر عن المرصد الإعلامي الإسلامي في لندن نهاية التسعينات عن تأسيس «القاعدة»). وبيّنت الأيام دقة معلومات التقرير عن التنظيم وعن أسامة بن لادن، إذ إن كثيراً مما أورده لم يُصبح معروفاً سوى بعد بدء الحرب الأميركية ضد الإرهاب في ٢٠٠١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وقد رُتبت السجلات بحيث تتضمن تاريخ وصول الشخص والتحاقه بـ [بيت الأنصار]* - وهو مركز ضيافة في بيشاور موازل لـ [مكتب الخدمات] - ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب وبعد ذلك بالجبهة، وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها. وهنا اتفق أسامة ومعاونوه على أن يسمّوها سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب والجبهات.

أما الإسلامي السوري [عمر عبد الحكيم] (أبو مصعب) الذي جاء إلى أفغانستان في نهاية الثمانينيات حاملاً معه تجربته «الجهادية» الميرورة في سورية (معارك حماة والمواجهات بين قوات الأمن و«الإخوان المسلمين»)، فيقول إن [بن لادن] أسس تنظيم [القاعدة] لأهداف جهادية في أفغانستان وفي خارجها (...). وكان له مشروعه الجهادي الخاص في اليمن الجنوبي ضد الحكومة الشيوعية السابقة....

لكن [جمال أحمد الفضل] المعروف بـ [أبي بكر السوداني]، وهو عضو في [تنظيم القاعدة] انشق عنها في منتصف التسعينيات إثر اختلاسه أموالاً منها، يُقدّم رواية مماثلة لكنها أكثر طموحاً من رواية الناشط السوري للهدف من تأسيس التنظيم. إذ يقول في شهادة قدمها مطلع العام ٢٠٠١ أمام محكمة [مانهاتن الفيدرالية] في نيويورك التي كانت تنظر في قضية تفجير سفارتي الولايات المتحدة في [نيروبي] و[دار السلام] في ٧ آب/ أغسطس ١٩٩٨، إن [بن لادن] أسس [تنظيم

* نشأ [بيت الأنصار] في أواخر ١٩٨٦ بعدما بدأ [بن لادن] يتأثر فكرياً على ما يبدو بأفكار الجماعات الجهادية ويتعد عن [الإخوان] ممثلين بالشيخ عبد الله عزّام.

القاعدة] بهدف قلب الأنظمة العربية وإقامة الخلافة*.

ويتابع إن بن لادن كان يريد إقامة خلافة وقال لأنصاره «إننا نريد أن نغيّر الأنظمة العربية (...) ونقيم حكومة إسلامية.

قبل تأسيس «القاعدة» وبدء نشاطها المستقل عام ١٩٨٩، كان «مكتب الخدمات» بقيادة الشيخ عبد الله عزّام، هو «مفتاح» العرب الراغبين في المشاركة في الجهاد الأفغاني. جاء هؤلاء في البداية مقتنعين بأن واجبهم الإسلامي يفرض عليهم نصرة إخوانهم في أفغانستان، وأنهم سيكافؤون بـ «إحدى الحسنين - النصر أو الشهادة».

في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، شعرت التنظيمات الجهادية التي قُمت في أكثر من دولة عربية في الثمانينيات، بأن ثمة فرصة سانحة لها في أفغانستان لإعداد مقاتلين وتدريبهم وإعادةهم إلى بلدانهم تمهيداً لبدء مشروع جهادي جديد.

* محضر جلسات إدلاء السوداني جمال أحمد الفضل (مواليد عام ١٩٦٣، مدينة الروفة جنوب الخرطوم) بشهادته أما محكمة مانهاتن. وعلى رغم التشكيك في صدقية الفضل من قبل محامي الدفاع عن المتهمين الأربعة في القضية، وهم اللبناني الأميركي وديع الحاج (سكرتير أسامة بن لادن في الخرطوم) والسعودي محمد راشد داود العوهلي والأردني - الفلسطيني محمد الصديق عودة والتنزاني خلفان خميس محمد، فإن هيئة المحلفين وجدت الأربعة مذنبين. وقد برع خلال المحاكمة المدعون وعلى رأسهم باتريك فيتزجيرالد الذي تحوّل في ٢٠٠٥ من محاكمة ناشطي «القاعدة» إلى محاكمة الإدارة الأميركية بسبب المزاعم في شأن كشف مسؤولين في إدارة الرئيس جورج بوش هوية عميلة لوكالة الاستخبارات المركزية (سي. آي. آيه) هي فاليري بليم، زوجة السفير السابق جوزيف ويلسون الذي حقق في مزاعم أن نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين يسعى لشراء يورانيوم من النيجر، ونفى صحتها. -نقلًا عن (كميل الطويل: القاعدة وأخواتها، مصدر سابق، ص ٣٤-٣٨).

كثيرون من هؤلاء انتقلوا إلى هناك بدعم من حكومات بلدانهم، كدول الخليج التي كانت تعتبر ما يحصل في أفغانستان «جهاداً» مشروعاً ضد احتلال شيوعي. دول أخرى غصّت الطرف عن مغادرتهم، ولسان حالها يقول «عساها أن تكون رحلة بلا رجعة»، فيتم التخلّص منهم في أفغانستان بدل «أوجاع الرأس» التي يسببونها في بلدانهم.

وكان الدكتور أيمن من بين هؤلاء الذين سافروا إلى أفغانستان. سبقه إلى هناك أشخاص هربوا قبل ١٩٨١ مثل الدكتور سيد إمام المشهور بعبد القادر بن عبد العزيز صاحب كتاب «طلب العلم الشريف».

وفي ساحة الجهاد الأفغاني حصل الالتقاء بين كل هذا الطيف من «الجهاديين»، واندلعت «حرب استقطاب» حددت نتيجتها مفهوم «الجهاد» الذي سيعتمده «الأفغان العرب» في مرحلة «ما بعد أفغانستان».

ب. فكر «الجهاد» ينتصر

كان الفكر الذي جاءت به «جماعة الجهاد» المصرية المنتصر الأكبر في ساحة الاستقطاب الأفغانية، باعتراف خصومها. فقد جاءت هذه الجماعة، في النصف الثاني من الثمانينيات، وهي تحمل أصلاً مجموعة متكاملة من الأفكار والمعتقدات التي لخصها عبد السلام فرج في «الفريضة الغائبة» وبرر بها [الجهاد] ضد الحكومات التي لا تُطبق الشريعة و [لا تحكم بما أنزل الله]. ولم يكتف مصريو «جماعة الجهاد» بكتاب فرج، بل لجأوا فوراً إلى إعادة تنظيم صفوف حركتهم وأصدروا كتاباً ضخماً أعده أميرهم الجديد الدكتور سيد إمام الشريف بعنوان [العمدة في إعداد العدة]. وصار هذا الكتاب الضخم مرجعاً أساسياً يُدرس في

معسكرات تدريب العرب الراغبين في المشاركة في الجهاد، وعلى وجه الخصوص في معسكر «الفاروق» الذي أسسه تنظيم «القاعدة» الحديث النشأة في خوست والذي يُشرف عليه أساساً فريق من المصريين من كوادر «جماعة الجهاد».

لكن فكر هذه الجماعة لم يقتصر على تقديم المبررات الشرعية لإطاحة أنظمة الحكم العربية، بل فتح النار أيضاً وبعنف شديد على التيارات الإسلامية التي لم تسر مع «جماعة الجهاد» في «جهادها المسلح» ضد نظام الحكم، ولعل هذا هو النفس والمنهج السلفي الذي ترك أثره في جماعة الجهاد في رفض الآخر وتكفيره.. وتمثلت هذه ((الحرب الفكرية الإسلامية - الإسلامية)) خصوصاً في كتاب أصدره الدكتور الطواهري في ١٩٨٨ بُعيد انتقاله إلى أفغانستان وأورد فيه سلسلة مآخذ لا تنتهي على جماعة «الإخوان المسلمين» بعنوان ((الحصاد المر: الإخوان المسلمون في ٦٠ عاماً))^(١)، وأيضاً في كتاب ((الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا)) الذي كتبه الإسلامي السوري عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري) وضمّنه أيضاً سيلاً لا ينتهي من الانتقادات لفكر جماعة «الإخوان» وحملها مسؤولية فشل ((الجهاد في سورية)) في مطلع الثمانينيات.

سرعان ما بدأ هذا الفكر «الجهادي» في الانتشار وسط ((الأفغان العرب))، في مقابل انحسار تيار «الإخوان» على رغم أن هؤلاء كانوا بلا شك القوة الأوسع انتشاراً بين الإسلاميين في الدول العربية.

(١) حمل كتاب الحصاد المر للدكتور الطواهري والصادر في ١٩٨٨ هجوماً لاذعاً على المنهج السلمي لـ «الإخوان المسلمين» في التعامل مع نظام الحكم، وأخذ على الجماعة خصوصاً تخليها عن شعارها «الجهاد سبيلنا».

وربما كانت البيئة التي انتشر فيها هذا الفكر - وهي ساحة قتال ومعارك - ملائمة أكثر لتيارات «الجهاد المسلح»، وليس «الإخوان».

ولعل النجاح الأول والأبرز الذي حققه هؤلاء «الجهاديون»، في النصف الثاني من الثمانينيات، تمثل في التأثير فكرياً في أسامة بن لادن وإقناعه بالاستقلال عن «مكتب الخدمات» وأميره الشيخ الفلسطيني الراحل عبد الله عزام، المنتمي أصلاً إلى إحدى مدارس «الإخوان المسلمين». فأسس بن لادن في البداية «بيت الأنصار» في بيشاور ليكون موازياً لـ «مكتب الخدمات»، بدءاً من نهاية ١٩٨٦. ثم ساعده المصريون، بعد ذلك بعامين، في تأسيس «القاعدة» لتكون حركة مسلحة «جهادية» مستقلة عن عزام، وإن لم تكن مختلفة معه فكرياً تماماً.

وهكذا وجد التيار الجهادي، ومن يمثله في ساحة الجهاد العربي في بيشاور ومعسكرات أفغانستان، أنفسهم يصطدمون مع جبهتين رئيسيتين:

• جبهة الإخوان المسلمين والفكر الديمقراطي السياسي الذي كان أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتى في بعض المعسكرات التي يستطيعون الحركة فيها.

• جبهة الفقه السعودي الرسمي الذي يدعو إلى نبذ فكرة الحاكمية وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعيين ويدعو إلى احترام العلماء الرسميين لا سيما في السعودية ودول الجزيرة...

وشياً فشيئاً، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع، ولنصاعة الحق وشيوع منهج اتباع الدليل، بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي، وبدأ يكسب أكثرية الساحة (...)^(١).

(١) راجع (عمر عبد الحكيم: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مصدر سابق، ص ٧١٧ - ٧١٨).

وتزامن تأسيس هذه الجماعات مع تطورات هزت الشرق الأوسط برمته وكان لها انعكاسها بلا شك على «الأفغان العرب» وجهادهم في مرحلة ما بعد أفغانستان. فبعد زلزال حرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١) وطرد العراق من الكويت على يد تحالف دولي تقوده الولايات المتحدة - وهو ما عارضه أسامة بن لادن كونه يؤدي، كما رأى إلى مجيء قوات «كافرة» أجنبية «تدنس» أرض الجزيرة العربية - شهد العام ١٩٩١ بداية «انتفاضة إسلامية» في الجزائر.

ولم يطل الأمر حتى ألغى نظام الحكم الجزائري في كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ - بضغط من المؤسسة العسكرية على الرئيس المنتحي يومها الشاذلي بن جديد - نتائج الانتخابات الاشتراعية التي فازت بها «الجبهة الإسلامية للإنقاذ». وأعطى هذا القرار المبرر للإسلاميين لإعلان ما اعتبروه «جهاداً» ضد الحكم.

ج. ذهاب ابن لادن إلى السودان بعد انتهاء الحرب في أفغانستان

قضى أسامة بن لادن في السودان فترة من أهم الفترات في حياته. إذ استطاع هناك مواصلة إعداد مقاتليه إعداداً عسكرياً في مزارع كان يديرها في مناطق سودانية عدة. كما أتاح له وجوده في هذه الدولة وعلاقته مع كبار مسؤوليها السياسيين والأمنيين البقاء قريباً من الأحداث التي كانت تجري في المنطقة، وخصوصاً في الخليج، والقرن الأفريقي، ومصر ودول المغرب العربي.

توجه أسامة فعلاً إلى السودان بطائرة خاصة وبرحلة سرية. كان ذلك في نهاية ١٩٩١. اصطحب معه بعض رفاقه، في حين لحق به آخرون بطرق أخرى. وأحسنت الحكومة السودانية وفادته^(١).

(١) كميل الطويل، القاعدة وأخواتها - قصة الجهاديين العرب، دار الساقى، ط١، بيروت،

د. توطيد علاقات ابن لادن في السودان

وطّد أسامة بن لادن، خلال وجوده في السودان، علاقته بالعديد من الجماعات الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي. ويبدو أن تلك الفترة كانت بحق فترة تكريس «عالمية القاعدة». ففكرة تكوين جماعة مسلّحة لا انتماء مناطقياً لها تجمع المشاركين في الجهاد الأفغاني من أي دولة جاؤوا ظهرت فعلاً في أفغانستان لكنها لم تتكرس سوى في السودان. ففي هذه الدولة وثق بن لادن علاقته بالجماعات المسلّحة الناشطة في الدول العربية، وكانت علاقته بالغة الخصوصية مع المصريين، وتحديدًا أعضاء «جماعة الجهاد» الذين شكّلوا العمود الفقري لـ «القاعدة» منذ نشأتها في الثمانينات.

هـ. أحداث الصومال والقاعدة

خلال وجود بن لادن في السودان حصلت قضية التدخل الأميركي في الصومال إثر المجاعة في هذا البلد عقب سقوط نظام الرئيس سياد بري في العام ١٩٩١ ودخول البلاد في الفوضى. ويؤكد المغربي [الحسين خرشتو] أن [القاعدة] أرسلت فعلاً مجموعات إلى الصومال في نهاية ١٩٩١ أو بداية ١٩٩٢، وإن إحدى هذه المجموعات ذهبت إلى منطقة هرغيسا في شمال الصومال، في حين ذهبت مجموعة أخرى إلى منطقة جدو في جنوب الصومال. وقال إن «القاعدة» كانت تسعى آنذاك إلى دعم الصوماليين القاطنين في إقليم أوغادين الذي تعتبره إثيوبيا جزءاً من أراضيها^(١). كذلك أرسلت [القاعدة] مسؤولها العسكري الثاني [أبو حفص المصري] لإعداد تقرير عن الوضع هناك، فذهب وكتب تقريراً. وينقل

(١) راجع شهادة الحسين خرشتو (اليوم العاشر) أمام محكمة منهاتن الفيدرالية عام ٢٠٠١.

[أبو بكر السوداني] عن [أبو حفص] قوله إثر عودته من الصومال في ١٩٩٣ إن المهمة «لن تكون سهلة، لكن علينا أن نبدأ»^(١). ولم يعد سرّاً اليوم أنّ [أبو حفص المصري] تولى عملية إعداد الصوماليين لقتال القوات الأميركية في الصومال والتي وصفها بن لادن في احد اجتماعاته مع أنصاره بأنها «رأس الأفعى» التي تريد التمدد من الصومال للإحاطة بالعالم الإسلامي المجاور، في السودان مثلاً وجزيرة العرب. وفي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٣ تطورت المواجهات بين القوات الأميركية وفصائل صومالية يقودها محمد فارح عيديد، وشاركت مجموعات مدعومة من القاعدة في تلك المعارك التي قتل فيها عدد من الجنود الأميركيين وسحلت جثثهم في شوارع العاصمة مقديشو^(٢). وأدى ذلك إلى انسحاب القوات الأميركية من مهمتها في الصومال والانكفاء إلى سفن في عرض البحر قبل الانسحاب نهائياً والتخلي عن مهمتها، فاعتبر بن لادن انسحاب الأميركيين نصراً.

و. ابن لادن وبداية التفكير في التوجه إلى الجهاد العالمي ضد أميركا

ويقول «أبو مصعب السوري»، في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»: ان الشيخ أسامة «تدرّج في القناعة وضم الفكر الجهادي، وتقبله ثم تبناه ثم صار أحد رموزه»^(٣) وكان الشيخ أسامة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التيار الجهادي، وفهمه للواقع، إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة (...). يمر حتماً بمواجهة أميركا.

(١) كميل الطويل، القاعدة وأخواتها - قصة الجهاديين العرب، م. س، ص ١٥٥.

(٢) قتل في معارك مقديشو في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣، ١٨ جندياً أميركياً وجرح عشرات آخرون. وعلى الرغم عدم وجود إحصاءات دقيقة للضحايا الصوماليين، إلا أن ثمة تقديرات تضع الرقم في حدود ١٠٠٠ - ١٥٠٠ قتيل.

(٣) راجع كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية لعمر عبد الحكيم، ص ٧١٣-٧١٤.

ويلفت إلى أن أسامة الذي لا يستطيع مواجهة المؤسسة الدينية القوية في السعودية، اختار ((ضرب الوجود الأميركي)) ليجر الحكم السعودي إلى الدفاع عن الأميركيين، مما يؤدي إلى خسارته، في اعتقاده، من رصيده أمام المسلمين، وعندما تدافع المؤسسة الدينية عن الموقف الرسمي تفقد هي أيضاً من رصيدها الشعبي. ويوضح أن بن لادن اقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافة مكونات النظام العربي القائم وصار يركّز جهده على الأميركيين وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحرب مع رأس الأفعى، كما سهاها، وليس مع ذيوها الكثيرة.

كان الأميركيون يشعرون بالتأكيد بأن بن لادن يُحطط لعمل ما ضدهم. لكنهم لم يعرفوا طبيعة هذا العمل أو مكانه. كانوا يعرفون أن المصريين، خصوصاً «جماعة الجهاد»، يُشكّلون عماد تنظيمه المسلّح، فقرروا أن يكونوا البادئين بالتحرك، إذ شنت أجهزة استخباراتهم بالتعاون مع استخبارات حكومات في منطقة البلقان (خصوصاً ألبانيا) حملة اعتقال واسعة في أوساط «جماعة الجهاد». ورُحّل عدد من قادتها الذين كانوا يعيشون في الخفاء، ومعظمهم بأسماء غير حقيقية، إلى بلدانهم.

وشكّلت الحملة الأميركية ضربة لقواعد جماعة [الظواهري] في أوروبا. لكنها لم تكن سوى معركة والمنتصر هو الذي ينتصر في الحرب. وأصدرت [جماعة الجهاد] مطلع آب ١٩٩٨ بياناً هددت فيه بأنها سترد على التصرف الأميركي في حق عناصرها بلغة يفهمها الأميركيون. كان هؤلاء يعرفون، بالتالي، أن عملاً ما سيستهدفهم، لكنهم لم يعرفوا حجم الضربة ومكانها. لم يطل الوقت حتى جاءهم الجواب بعد أيام على صدور بيان [تنظيم الجهاد]: انفجاران هائلان دمّرا سفارتي أميركا في نيروبي، عاصمة كينيا، ودار السلام، عاصمة تنزانيا، وقد بلغت

الإصابات في الانفجار الأول ٢١٣ رجل وإمرأة وطفل، وفي الثاني ١٢ قتيلاً وعشرات الجرحى^(١). لم تمض سوى أيام قليلة حتى تمكن المحققون الأميركيون من فك خيوط عمليتي التفجير وربطهما بـ [بن لادن]. ونجاح الأميركيين في كشف ملابس الانفجار في دار السلام لم يستغرق وقتاً طويلاً.

فقد عرفوا من هم المنفذون، لكنهم لم يستطيعوا اعتقالهم، إذ نجحوا في مغادرة الأراضي التنزانية مباشرة قبل التفجير الانتحاري. وتسلم الأميركيون، بعد سنة من الانفجار، واحداً من منفذي العملية، التنزاني [خلفان خميس محمد] بعدما أوقفه مسؤولو الهجرة في جنوب أفريقيا منتحلاً هوية أخرى ويعيش في انتظار بت طلبه اللجوء السياسي^(٢).

ز. الرد الأميركي

وبعد يوم واحد من التفجيرين، جمع رئيس ال CIA [جورج تينيت] قادة الاستخبارات وقال لهم إن لديه معلومات عن أن بن لادن وقادة «جماعات إرهابية» يُخططون لعقد اجتماع في معسكر في خوست لدرس القيام بهجمات أخرى. وقال [تينيت]، بحسب ما ينقل عنه مستشار الامن القومي [بيرغر]، إن «مئات» سيحضرون الاجتماع بمن فيهم [بن لادن] نفسه. درست ال «سي. آي. آيه» مكان المعسكر، وقالت إن المنطقة التي ستستهدف «عسكريّة» وبعيدة عن التجمعات

(١) كميل الطويل، القاعدة وأخواتها - قصة الجهاديين العرب، م. س، ص ٣٠٢.

(٢) اعتقلت السلطات الباكستانية متهمًا بالمشاركة في تفجير السفارة الأميركية في تنزانيا وهو التنزاني أحمد خلفان غيلاني خلال معركة استمرت ٨ ساعات في مدينة غوجارات في وسط باكستان في ٢٥ تموز (يوليو) ٢٠٠٥، واعتقلت معه ١٣ شخصاً آخرين بينهم زوجته وأطفاله. وأكدت وزارة الداخلية الباكستانية اعتقاله في ٢٩ تموز (يوليو) ٢٠٠٥، ولا يُعرف هل دفع الأميركيون مكافأة كانوا يعرضونها لمن يرشدهم إليه وقدرها خمسة ملايين دولار.

المدنية. وكان الهدف من الضربة قتل بن لادن وقادة جماعته^(١).

ومن بين خطط الرد الأخرى، درست الاستخبارات الأميركية ضرب مصنع جلودل [بن لادن] في السودان للتأثير عليه مادياً، وضرب منشأة «الشفاء» الطبية القريبة من الخرطوم لمنع من الحصول على مواد سامة من المنشأة ويستخدمها في عمليات مقبلة، إذ كانت الاستخبارات الأميركية سمعت أن بن لادن تكلم عن رغبته في رؤية «هيروشيما» ثانية تحصل ضد الأميركيين ويسقط فيها «ما لا يقل عن مئة ألف قتيل»^(٢).

لكن الرئيس الأميركي آنذاك بيل كلينتون قرر الاكتفاء بضرب المنشأة الطبية وتفادي مصنع الجلودل لتفادي سقوط ضحايا ربما لا علاقة لهم ببن لادن.

أطلقت صواريخ الكروز من بوارج في بحر العرب يوم ٢٠ آب (أغسطس)، لكنها «وصلت بعد ساعات» من مغادرة بن لادن مكان الاجتماع المفترض في خوست، بل أن هناك من يقول إنه غير رأيه في الطريق وبدل أن يذهب إلى خوست ذهب إلى كابول. وقتل في الغارة على خوست ما بين ٢٠ - ٣٠ شخصاً،

(١) تقول لجنة التحقيق النيابية المشتركة (من لحتي الاستخبارات في مجلس النواب ومجلس الشيوخ الأميركيين) في هجمات ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة: «أمر الرئيس (كلينتون) أيضاً البحرية الأميركية بإطلاق صواريخ كروز ضد أهداف في السودان وأفغانستان. بعض تلك الصواريخ صوّب ضد مكان كان يُعتقد أن بن لادن موجود فيه، وأبلغت لجنة التحقيق المشتركة أن أحد أهداف الضربة كان قتل بن لادن». راجع تقرير اللجنة الصادرة في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢، ص ٢٨٢. ويورد تقرير لجنة التحقيق الوطنية في هجمات ١١ سبتمبر معلومات مشابهة، ويؤكد أن الهدف كان قتل بن لادن. راجع ص ١١٦.

(٢) تقرير «لجنة ١١ سبتمبر»، ص ١١٦.

ح. من العدو القريب إلى العدو البعيد

لقد شكل تواجد القوات العسكرية الغربية (التي بلغت ٤٠٠ ألف جندي أميركي ومثلهم من قوات التحالف الدولي من الدول الغربية الاخرى) نقطة تحول كبيرة في المسار الفكري والسياسي للمجاهدين حيث «كشفت لهم الاحداث حقيقة الانظمة، وحقيقة المؤسسات الدينية التابعة لهم وضخامة المؤامرة الصليبية التي إعتمدت على الاطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم»^(٢).

وعمل [أسامة بن لادن] في المقابل على جمع أكبر عدد من العلماء في مؤسسة شرعية مستقلة - غير رسمية- مؤسسة هيئة كبار العلماء - حتى تكون مرجعاً للناس بعد أن تحولت الهيئة في نظره إلى مجرد أداة بيد الدولة بعد فتواهم باستدعاء القوات الأجنبية^(٣). وقد توصل ابن لادن بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التيار الجهادي وفهمه للواقع، «إلا أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة... يمر حتماً بمواجهة امريكا، وأقتنع أنه بسقوط امريكا ستسقط كافة مكونات النظام

(١) أبلغ الأميركيون الباكستانيين أن صواريخ كروز ستعبر فوق أراضيهم لضرب أفغانستان، خشية أن يظن الباكستانيون أن الهنود يشنون عليهم هجوماً مباغتاً، وتشب حرب جديدة بين الجارين الخصمين. ولا يُعرف هل أبلغ أحد مسؤولي الأمن الباكستاني ممن عرفوا بالهجوم الأميركي قادة «القاعدة» بالضربة الآتية على معسكراتهم (كميل الطويل، القاعدة وأخواتها - قصة الجهاديين العرب، م. س، ص ٣٠٥).

(٢) عبدالله بن محمد: الجمع القيم لسلسلة المذكرة الاستراتيجية، مؤسسة المأسدة، ٢٠١١، ص ٥١.

(٣) راجع (فؤاد حسين: [الزرقاوي] - الجيل الثاني للقاعدة-، ط ١، دار الخيال، بيروت،

وعليه فإن القناعة التي تكونت لدى قادة القاعدة تقوم على أن الانشغال بقتال «الانظمة المرتدة» أو الاكتفاء بتقديم النصرة لقضايا المسلمين المختلفة سيشتت جهود المجاهدين دون جدوى وسيجعلهم يدورون بحلقة مفرغة، ما ان تنتهي قضية حتى تبدأ أخرى، وهذا ما لفت اليه أسامة بن لادن في ضرورة البحث عن هدف استراتيجي لجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك وتوجيهها ضد هذا الهدف، وإستثمار ذلك كله في إدخال الامة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوى المتآمرة عليها، وهنا بدأ إسامة بن لادن اولى الخطوات العملية، بإعلان الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين عام ١٩٩٨م.

واندمجت القدرات التنظيمية لجماعة الجهاد المصرية بقيادة [أيمن الظواهري] مع القدرات القيادية لأسامة بن لادن لتكوين هذه الجبهة والدعوة لقتال الرأس المدبر لجميع مآسي المسلمين والركن الركين للانظمة الحاكمة الجاثمة فوق صدور المسلمين -بحسب تعبيره- وهي أميركا، وذلك من خلال استهداف جميع مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية والمدنية في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية، وقد لخص [بن لادن] المعادلة الجديدة التي ستهدم خطوط العدو الرئيسية: المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة والقوات الصليبية، معتبراً بأن العلماء يضيفون الشرعية على آل سعود، وآل سعود يضيفون الشرعية على وجود أميركا في الجزيرة. وهناك طريقتان للمواجهة مع آل سعود:

١ - مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط شرعية آل سعود، وهي معركة

(١) أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مصدر سابق، ص ٧١٣-٧١٤.

خاسرة أمام الناس نظراً لحجم و ثقل المؤسسة الدينية وما زرعه من الشرعية والهيبة في عقول الناس على مدى أكثر من سبعين سنة.

٢- ضرب الوجود الأمريكي، ليضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم.

وقد اختار [أسامة بن لادن] الخيار الثاني^(١).

في المقابل، فإن أحد الوجوه المميّزة لاستراتيجية [داعش] على نقيض القاعدة المركزية هو أن [داعش] وكامتداد لسلفه (القاعدة في العراق) ذهب بعيداً في التركيز على الشيعة و[العدو القريب] أي النظامين العراقي والسوري وحليفهما الإيراني، لا على [العدو البعيد] الولايات المتحدة وإسرائيل والفاعلين الدوليين الآخرين. وللبغدادي كما للزرقاوي من قبله إقبال على فكرة القتل الجماعي أو الإبادة، وبعض أهدافها الشيعة منظوراً إليهم ككفار تطبيقاً في زعمهم للركن الخامس من الإسلام، حيث الكافر أمام خيار: قبول الدعوة أو القتل. نظرت القاعدة في العراق وداعش إلى القتال ضد أميركا وأوروبا وحتى إسرائيل كهدف ثانوي بعيد يجب تأجيله إلى حين قيام الدولة الإسلامية السننية في قلب الجزيرة العربية، وإلى أن تستقر دولة [داعش] على الأراضي العراقية والسورية التي يحتلها.

ومع ذلك، وفي أثر تعرضه لنكسات عسكرية في سوريا والعراق عام ٢٠١٤، بدأ التنظيم باستهداف العدو البعيد باعتماده على الجماعات المؤيدة له في مصر وليبيا وشبكات محدودة من الأتباع والخلايا النائمة في أوروبا الشمالية، وذلك

(١) راجع (عبدالله بن محمد: الجمع القيم لسلسلة المذكرة الاستراتيجية، مصدر سابق، ص ٥٢).

بهدف تحويل الأنظار عن هزائم [داعش] العسكرية في سورية والعراق، كما هدفت إلى تعزيز خطاب التنظيم في النصر القريب. ورغم هذا التحول التكتيكي في هجمات [داعش] تبقى الرياض وبغداد ودمشق وليس روما وباريس وواشنطن ولندن أهداف [داعش] الاستراتيجية المباشرة^(١).

وكان [بن لادن] بعد عودته إلى أفغانستان، على إثر تأزم العلاقة مع النظام السعودي بالتزامن مع انهيار النظام الشيوعي وسقوط [كابول] وبداية التناحر بين الفصائل الأفغانية، قرر الوقوف إلى جانب [حركة طالبان]، وقام بعدها بمحاولات إصلاحية بين الفصائل لكن جهوده لم تحرز أي نتيجة.

وخلال وجوده في أفغانستان اكتشف وجود تعاون بين المخابرات الباكستانية والمخابرات السعودية لقتله أو اختطافه، مما دفعه إلى التفكير في البحث عن مكان آخر يؤمن ملاذاً له بدلاً عن أفغانستان، فكان الخيار بالتوجه إلى السودان - كما مرَّ سابقاً-.

وفي العام ١٩٩٢ ازداد الاهتمام السعودي الرسمي بملاحقته فصدر أمر بتجميد أمواله، وتحولت قضيته إلى قضية ساخنة على جدول أعمال المخابرات السعودية والأمريكية. حتى أصدر الملك فهد قرار بسحب جنسيته عام ١٩٩٤م، وكان هذا إيذاناً بإصداره أول بيان ضد المملكة رد فيه على قرار سحب الجنسية.

وبعد هذا البيان قرر [أسامة بن لادن] أن يتحرك علناً مع آخرين فأدى ذلك إلى ظهور [هيئة النصيحة والإصلاح]، التي بدأت إصدار بياناتها في لندن.

(١) راجع (فواز جرجس: [داعش] إلى أين؟، مصدر سابق، ص ١٩ - نقلاً عن أبو محمد المقدسي: مقابلة مع القدس العربي بتاريخ ٢١، ١٠، ٢٠١٤-).

وكان [بن لادن] في تلك الفترة على صلة بالعلماء والدعاة والتجار داخل المملكة، كما كان على صلة بكثير من زملائه القدامى في الجهاد سواء من بقي منهم في باكستان أو أفغانستان أو من عاد إلى الدول العربية. وخلال إقامته في السودان، حصل تطوران هامان ربطا [بن لادن] به، الأول أحداث الصومال واليمن والثاني انفجار الرياض.

وهنا بدأت إقامته في السودان تسبب حرجاً شديداً للحكومة السودانية التي رضخت أخيراً للضغوطات، وقد أحاطته علماً بها، مما دفعه إلى ترتيب وإعداد العدة لمغادرة السودان والعودة إلى [جلال آباد] في طائرة خاصة وبعملية سرية مع عدد من أنصاره، واستقبله هناك الشيخين يونس خالص وحقاني، وقد أرسل رسالة إلى الفصائل الأفغانية تضمنت إلتزامه عدم الدخول في خلافاتهم.

في العام ١٩٩٦، كان انفجار الخبر الذي أودى بحياة عشرين عسكرياً أمريكياً وجرح المئات منهم. وبعده بفترة بسيطة أصدر [بن لادن] بيانه الأول بعنوان إعلان الجهاد لإخراج الكفار من جزيرة العرب، والذي وقع في اثنا عشر صفحة واعتبر فيه أن وضع الجزيرة العربية بوجود القوات الكافرة لم يمر عليها منذ عهد النبي. ووزع البيان بالفاكس وعلى شكل كتيب ليحظي باهتمام الصحف ووكالات الأنباء العالمية.

وحاول السعوديون الضغط على [يونس خالص] و[حقاني] لتسليم [أسامة بن لادن] وتم إغرائهم بعروض سخية لكنهم امتنعوا عن التجاوب، ثم بعد استيلاء [حركة طالبان] على المنطقة التي كان متواجداً فيها، أرسل له [الملا عمر] زعيم طالبان وفداً لطمأنته واعتباره ضيفاً موروث من قبل الذين قبله وتعهده له بالحماية، ولكنه طلب إليه التوقف عن أي نشاط إعلامي وعدم إجراء مقابلات

مع وسائل الإعلام لا سيما الأجنبية منها. ثم انتقل إلى قندهار على إثر اكتشافه محاولة اختطاف تسربت إليه وأجهضت قبل تنفيذها من قبل قبائل على الحدود الباكستانية الأفغانية، كان قد تم تمويلهم من باكستان ودول أخرى.

وبعد انتقاله إلى قندهار وسيطرة طالبان على كابول واعتراف الحكومة السعودية بحكومة طالبان، غير موقفه المحايد وقرر الدخول مع [حركة طالبان] ضد [دوستم]* واستصدر الشيخ أسامة فتوى من طلبة العلم المرافقين له بأن قتال مسعود جهاد شرعي.

وفي نهاية عام ١٩٩٧ وبداية ١٩٩٨، قرر [أسامة بن لادن] استعادة نشاطه فبدأ أولاً مع علماء طالبان وباكستان، ونجح في استصدار فتوى من أربعين عالماً منهم تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب.

و كان يهدف في ذلك إلى أمرين:

١. مشروع إسلامي شامل لتجيش علماء المسلمين ضد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب.
٢. الحصول على غطاء أدبي وشرعي له داخل أفغانستان، لأنه قرر إعادة التحرك إعلامياً ولا يريد أن يصبح في موقف الضعيف أمام [الملا عمر]^(٢).

و بالعودة إلى قرار إنشاء الجبهة الإسلامية العالمية لمحاربة اليهود والصليبيين من خلال البيان الصادر في شباط ١٩٩٨ م الذي يدعو إلى قتل الأمريكيين واليهود في كل

* عبد الرشيد دوستم: سياسي و جنرال أفغاني، من العرقية الأوزبكية، أصبح جنرالاً في جمهورية أفغانستان إبان الاحتلال السوفياتي، ثمّ وزيراً للدفاع في حكومة [حامد كرزاي] (٢٠٠٢-٢٠٠٨)، ونائب رئيس أفغانستان منذ العام ٢٠١٤. - راجع (موقع marefa.org)

(٢) راجع (فؤاد حسين: [الزرقاوي] - الجيل الثاني للقاعدة-، مصدر سابق، ص ١٥٢ - ١٥٨).

مكان وزمان، والذي كان وقعه مع [أسامة بن لادن] كل من [أيمن الظواهري] عن جماعة الجهاد المصرية، و[رفاعي طه] عن الجماعة الإسلامية المصرية، كما وقعه أحد الفصائل الكشميرية وأحد القيادات الباكستانية المشهورة.

لقد شكل إنشاء هذه الجهة علامة تحول كبيرة عند القاعدة وأسامة بن لادن لعدة نواحي:

١. القفز إلى مشروع عالمي بدلاً من التركيز على قضية القوات الأمريكية في جزيرة العرب وضرورة طردها منها. ما يعني اعتماد العدو البعيد بدل القريب.
٢. التخلي عن الحذر الذي كانت تحرص عليه القاعدة في الموقف الشرعي، والاصرار على توسيع دائرة إباحة الدم.

٣. الدخول في ما يشبه التحالف الإسلامي بين الجماعات الجهادية، بعدما كان يحرص أسامة بن لادن على الاستفراد بالقاعدة كمجموعة خاصة به ويرفض التحالفات المعلنة.

وعلى أثر ذلك كانت باكورة العمليات للقاعدة في هذا الخيار ضرب وتفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٨م ثم استهداف وضرب المدمرة الأمريكية كول قبالة شواطئ عدن صيف عام ٢٠٠٠م.

ولكن ردة الفعل الأمريكية كانت بالضغط على طالبان والسعودية وباكستان وأطراف أخرى لتسليم بن لادن من جهة ومن جهة أخرى التخطيط لضرب الملاذات الآمنة للإرهاب عبر السيطرة على معسكرات القاعدة التي تدير ظاهرة الجهاد العالمي من هناك. وبالفعل قام الأمريكان بضرب معسكرات القاعدة في قندهار واعتقال متهمين من القاعدة في اليمن.

وقد شكلت هذه العمليات ضد المصالح الأميركية في المنطقة بداية عملية لاستراتيجية العدو البعيد، التي تشكلت الجبهة الإسلامية العالمية على أساسها. ويبدو أن خططاً عملياتية أخرى كانت تُجهّز في مقرات الجبهة في أفغانستان لمزيد من العمليات الكبرى ضد أميركا ومصالحها، مما يدل على الجدّية والحماس لهذا الخيار عند الموقعين على بيان إعلان الجبهة، وعلى رأسهم [بن لادن].

في خلاصة ما تقدّم في هذا الفصل، وانطلاقاً من حاجة البحث في الوصول إلى تقديم إجابة شافية وواضحة على الفرضيات التي وُضعت، استحضر الفصل الفكر السلفي - التكفير والتعرف على أهم وأبرز البنى المعرفية والمنهجية التي استند إليها (نظرياً) كما تم التطرق في الجانب السوسولوجي إلى الظروف والعوامل الاجتماعية والسياسية التي ساهمت في نشأة التيارات السلفية الجهادية لا سيما [داعش] وانتشارها وأولها الغزو الأميركي للعراق وتداعياته في تمزيق النسيج الاجتماعي والطائفي هناك فضلاً عن فشل انتفاضات ما سمي بالربيع العربي وطرح نفسها كمنقذ من سوء الأوضاع التي تشهدها المجتمعات في العراق وسوريا، بالإضافة إلى تأثيرات صراع الاجندات الاقليمية وتدخلاتها في العراق وسوريا.

في المقابل عالج البحث الخلفية الدينية والسياسية في نشأة الوهابية في بلاد الجزيرة العربية، مستعرضاً المسار الذي سلكه محمد بن عبد الوهاب في نشر دعوته الدينية وتحالفه مع الأمير محمد بن سعود وكيف شكل هذا المشروع الذي تقاطع فيه الديني بالسياسي رافعة لسلطة آل سعود لبسط سلطانهم على معظم أنحاء الجزيرة العربية، ولكنه سرعان ما شهد تجاذباً داخلياً وصراعاً بين الديني والسياسي مع تبدل الظروف والاحتياجات والتقاطعات بينهم.

ولعل الاستفادة من هذين المبحثين سيساعد في قراءة المشهد بوضوح وإجراء مقارنة معقولة بين تجربة الوهابية السعودية في السلطة والحكم وبين تجربة [داعش] لا سيما أنَّهما يستندان إلى نفس البنى الفكرية والمرجعيات والأديبات التكفيرية والوهابية السلفية.

كما تناول هذا الفصل مسار التأسيس والنشأة للسلفية الجهادية التي تبلورت في أفغانستان بتجربة جهادية عملية فأتجت القاعدة، وكانت عملية التزاوج بين الفكر السلفي الوهابي، والأفكار الجهادية الحركية القطبية، قد أفرزت ما سمي بالسلفية الجهادية، حيث كان منظروها في غالبيتهم قد قدموا إلى أفغانستان حاملين معهم أفكارهم وتجاربهم الجهادية في بلدانهم، ليعيشوا حالة من الجهاد العملي ضد الاتحاد السوفياتي ومن جهة أخرى حالة من التنظير والتخطيط للمشاريع الجهادية في بلادهم بعد انتهاء حرب أفغانستان.

وقد أدت القاعدة دوراً محورياً في إيجاد التحالف بين عدد من الفصائل والتيارات الجهادية لإعلان الجبهة الإسلامية العالمية لقتال الكفار والمشركين، وكان الإعلان قد سبقته عمليتي نيروبي ودار السلام لتؤكدان بدء الانطلاقة العملية لنقل المعركة والمواجهة من العدو القريب (الأنظمة) إلى العدو البعيد (أميركا)، لا سيما بعد أن تكونت القناعة بذلك لدى أسامة بن لادن.

وإذا كانت أفغانستان قد شكلت ساحة التلاقح لأفكار الفصائل الجهادية ذات المنبت الإخواني القطبي، مع السلفية الوهابية القادمة من السعودية فإنَّ النبتة الناشئة ارتدت على منابتها، فأصبح التكفير مع العنف، السميتين البارزتين لهذا النبت الجديد، والذي منه انسلت [داعش] لاحقاً ومثلت الجيل الثاني والثالث للقاعدة واللذان شهدا تصدعات واهتزازات كان أبرزها الصدام بين

[داعش] و[جبهة النصرة].

وبالعودة إلى الإشكالية وما طرحته من تساؤلات، وإلى الفرضية في البحث، فإن ما تقدّم يخدم في الإضاءة على الإرهاصات الأولى لنشأة السلفية الجهادية والقاعدة التي خرج من بين صفوفها، ودرّب في معسكراتها [أبو مصعب الزرقاوي] صاحب المشروع النواة للدولة الإسلامية (داعش).

الفصل الثالث

دولة الخلافة الإسلامية (داعش)
التأسيس والهيكلية، والمؤسسات وآليات الحكم

المبحث الأول / إرهابات ومرحل التأسيس

- المفاهيم والأفكار المؤسسة

- بنية الدولة وهيكلتها التنظيمية

- جغرافية دولة [داعش]

- فروع [داعش] الإقليمية

المبحث الثاني / مؤسسات الدولة وآليات الحكم

- الهيئات الشرعية والقضائية

- المؤسسات العسكرية والأمنية

الفصل الثالث

دولة الخلافة الإسلامية داعش

التأسيس والهيكلية والمؤسسات وآليات الحكم

بعد أن وصل البحث في الفصلين السابقين من خلال التعرف على المسار النظري والتاريخي للدولة والخلافة، وكيفية تطور وتلاحق الفكر السلفي الوهابي والجهادي الحركي لبلورة السلفية الجهادية في الساحة الأفغانية وترعّم [القاعدة] كتجربة عملية منظمة لتيار السلفية الجهادية، ونظراً لتعرضها لحملة دولية بقيادة الولايات المتحدة، أدت إلى تشتت قادتها وعناصرها وعودة الكثيرين إلى بلدانهم، أو هروب البعض إلى الساحة العراقية وعلى رأسهم [أبو مصعب الزرقاوي] الذي خاض تجربة دموية في مواجهة الأميركيين بدايةً، ثم انعطف إلى الداخل العراقي (العدو القريب)، ليشن حملة من العمليات الانتحارية ضد الحكومة العراقية، ورموز الشيعة ومقدساتهم وأسواقهم، الأمر الذي استثمر فيه الساحة السننية الغاضبة والتي عاشت حالة احباط وشعور بالظلم، ولتشكل أولوية قتاله للشيعة والحكومة العراقية موضوع خلاف ثم افتراق مع قيادة القاعدة التي كانت حسمت استراتيجياتها نحو قتال العدو البعيد بدل القريب.

ومع مقتل [الزرقاوي] وإعلان دولة العراق الإسلامية بإدارة [أبو عمر البغدادي]، وتكريس رقعة الدولة على حساب إبعاد المهاجرين الذين تصدروا المشهد الجهادي سابقاً، واجهت الدولة حالة تمرد للبيئة السننية حملت عنوان [الصحنوات المسلحة] (بدعم أميركي وحكومي عراقي) أدى إلى تراجعها وضعفها وفقدانها لعدد من مناطق نفوذها.

ومع مقتل [أبو عمر] واستلام [أبو بكر البغدادي] لقيادة الدولة بطريقة شابتها بعض الالتباسات، إلا أنها استطاعت إعادة تنظيم صفوفها ووضع استراتيجية جديدة لاستعادة المبادرة، ومن خلال استثمارها الغضب السني بموازاة الانتفاضات الشعبية العربية التي تأثر بها السنة في العراق وتحركت ساحتهم المطالبة من خلالها، من جهة، وبدأ انسحاب القوات الأمريكية من جهة أخرى، استطاعت الدولة إعادة توسيع النفوذ وصولاً إلى الاستيلاء على الموصل وكسر الحدود بين العراق وسوريا، وثم اعلان الخلافة، بطريقة (استباقية) للامساك بقيادة التيار السلفي الجهادي العالمي، وحصل الطلاق المرمع القاعدة وقيادتها بعد مقتل [بن لادن] وضمور دورها في عهد [أيمن الظواهري]، الذي اعترض على [البغدادي] في ضم [جبهة النصرة] إلى دولة العراق الإسلامية، الأمر الذي دفع الخلاف بينهما إلى نقطة التصادم الميداني بين النصرة وداعش في سوريا.

في موازاة ذلك كانت دولة الخلافة تطور آليات عملها وهيكلتها وترسخ وجودها في الساحتين العراقية والسورية من خلال الهيئات الشرعية والقضائية والمؤسسات العسكرية والأمنية.

يستعرض هذا الفصل المفاهيم والأفكار المؤسسة لفكرة الدولة والخلافة من كتابات المنظرين [أبو بكر ناجي] في إدارة التوحش، و[عبد الله بن محمد] في المذكرة الاستراتيجية بكل ما حملته من استراتيجيات ومراحل وخطوط عريضة لخارطة طريق الوصول إلى الدولة والتأسيس لدولة الخلافة، بالإضافة إلى آليات عمل المؤسسات التي اعتمدها الدولة. كما سيتم التوقف عند الجغرافيا التي تحرك فيها مشروع الدولة وخلفية الشعارات التي رفعتها (باقية وتتمدد). وسعيها

للتماهي مع التجربة التاريخية للخلافة الإسلامية التي امتدت من حدود الصين شرقاً حتى الاندلس غرباً وأطراف أوروبا شمالاً إلى اليمن جنوباً.

وتهدف المقاربة إلى لإجابة عن بعض التساؤلات والفرضيات المطروحة في المقدمة وذلك من خلال الوصول إلى تقديم فكرة واضحة عن الدولة الإسلامية ومدى انطباق ما قدمته عملياً ونظرياً في تجربتها مع تجربة الخلافة الإسلامية تاريخياً، بالإضافة إلى قياس مدى نجاحها أو فشلها في الحفاظ على البيئة الاجتماعية الحاضنة لمشروعها وبالتالي حصولها على المشروعية الشعبية التي تحولها ترسيخ التجربة في الحكم واستمرارها.

وهذا كله يرتبط بالإشكالات التي طرحها البحث في مقدمته والتي تتضمن في بعض جوانبها التساؤل حول مدى قدرة هذه الدولة على توفير مستلزمات قيامها وممارسة حكمها واعتماد مؤسسات وآليات قادرة على توفير عناصر الاستقرار ومن ثم الاستمرار في التجربة وترسيخها.

ومن خلال ما سيعرضه في هذا الفصل، سيظهر حجم التغيرات المستمرة التي تعرضت لها الهيكلية والبنية وعدم استقرارها نتيجة الاستنزاف المستمر الذي تتعرض له التجربة بكوادرها الشرعية والعسكرية والقضائية من جهة ونتيجة الصراعات الداخلية والتنافس على ما يبدو بين هذه الكوادر والقيادات من جهة أخرى خصوصاً عند ضباط الجيش العراقي السابقين الذين قَدِموا على هذه التجربة على عجل وكانوا ما يزالون يحملون في سلوكياتهم وأفكارهم تجاربهم السابقة المشبعة بالبطش والعنف والهواجس من أي معارضة أو محاولة تمرد على سلطتهم وسطوتهم، هؤلاء الذين وجدوا في مشروع الدولة الإسلامية فرصة انتقام من منافسيهم الشيعة الذين أمسكوا بزمام الحكم في العراق وبالتالي

أوجدوا لديهم اندفاعاً وحماساً كبيرين لاستثمار أي فرصة لاستعادة السلطة هناك، باعتبارهم ينظرون إليها كحق حصري لهم دون غيرهم.

ولعل سيرة بعض هؤلاء مثل حجي بكر، تقدم المثال البارز فيما ذكرناه لجهة السطوة والشدة والحذر وبث الجواسيس داخل الدولة خوفاً من أي صوت معترض، أو تفكير بالتمرد على الخليفة، الأمر الذي طبقه [حجي بكر] بإنشاء جهاز أمني خاص بالخلافة يعمل على مراقبة ومحاسبة وتصفية أي كادر، يظهر منه اعتراض أو حركة تمرد أو رفض لأوامر وسياسات الخليفة.

المبحث الأول إرهاصات ومراحل التأسيس

١- المفاهيم والأفكار المؤسسة :

يشكل المنظران الاستراتيجيان [أبي بكر ناجي] - في كتابه إدارة التوحش و[عبد الله بن محمد] في كتابه المذكرة الاستراتيجية المرجعية الفكرية الأساسية للدولة الإسلامية (داعش)، والكتابان يشكلان أهمية خاصة لأنهما كتبا حول موضوع واحد بأيدٍ سلفية جهادية تدعو إلى إنشاء «دولة الخلافة الإسلامية» ويرسمان الاستراتيجيات التفصيلية والسياسات والإجراءات التنفيذية والآليات الخاصة المتعلقة بتحقيق إنشائها.

١٩٩

وان اختلف الكتابين في الأسلوب وأجزاء من المضمون وفي تحديد السياسات والإجراءات إلا انهما يصدران من معين واحد، ويصبان في الاتجاه نفسه، ويرميان إلى أهداف واحدة. وكأنهما سيناريوهان لمشروع واحد. إنهما كتابان يجمعان بين الخطوط الهامة والعريضة (الاستراتيجيات) وبين التوجهات العملية والتفصيلية والنصائح لمديرو الميدان الجهادي.

ويمكن اعتبارهما المرجعين الأكثر وضوحاً والأكثر عملائية لتنظيم [داعش] في مشروع إقامة دولة الخلافة الإسلامية. وقد نجد للكثير من السياسات والآليات الواردة فيهما فضلاً عن الاستراتيجيات، تجسيدات في الواقع العملي لمشروع [داعش] الذي شهدناه خلال السنوات القليلة الماضية.

وينطلق المنظران من اعتبار أن الجهادية السلفية هي المنهج الأنجح والذي يمثل الطائفة المنصورة وأحدهم (ناجي) يقول: «إن حركات الجهاد السلفية هي المتقدمة عن غيرها في فهمها لدين الله تعالى، وفهم السنن الشرعية والكونية - وهي الأمل للأمة...»^(١).

وبالخلاصة فإن الرجوع إليهما يفتح الباب لفهم المفاهيم والأفكار المؤسسة لدى منظري تنظيم [داعش] المعتمدين ومن خلال هذين الكتابين يمكن الخروج بعدد من الملاحظات العامة والاستنتاجات حول استراتيجية وسيناريوهات إدارة التوحش:

١. يعرف الكاتب الدراسة الموسومة (إدارة التوحش) بأنها: هي خطوط عريضة لا تعني بالتفاصيل، وإنما تترك التفاصيل لفريقين:

- فريق المتخصصين في الفنون القتالية التي تتحدث عنها الدراسة.
- وفريق قيادات الواقع في مناطق إدارة التوحش.

٢. يعتبر إدارة التوحش هي المرحلة القادمة التي ستمر بها الأمة، وتعد أخطر مرحلة. «فإذا نجحنا في إدارة هذا التوحش فستكون تلك المرحلة هي المعبر لدولة الإسلام المنتظرة منذ سقوط الخلافة»^(٢).

٣. يوجب الأخذ بالسنن الكونية - وهي سنن عامة تحكم المؤمنين والكافرين (مثل أسباب القوة)، ويؤكد أن مصدر القوة قوتان: قوة الشعب وقوة الجيوش^(٣)، ولا بد من توفيرها لكل مشروع حكم. ويضيف ان الأخذ

(١) أبو بكر ناجي: إدارة التوحش، لا طبعة، لا مكان، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، لا سنة، ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤.

(٣) نفس المصدر - ص ٥ - ٦.

بالأسباب الكونية (للسنن الكونية) يجب أن يتحدد طبقاً للأهداف الشرعية التي نسعى إليها وعدم تجاوزها^(١).

٤. يستند في الكثير من الأفكار والشواهد بالأقوال إلى مجموعة من الشخصيات السلفية الجهادية: أمثال: عبد الله عزام (ص ٩٧) - ابن تيمية (ص ٣٤) - الشيخ عمر محمود ابو عمر - أبو قتادة الفلسطيني، فضلاً عن الشيخ محمد أمين المصري وسيد قطب.

كما يستند إلى استحضار شواهد من السيرة النبوية في مكة والمدينة ويستخدمها لتدعيم طروحاته وأفكاره (ص ٩٤)، وإلى كتب يقترحها كمراجع لدراسة النظريات العسكرية وفنون الحرب (ص ٣٠): موسوعة الجهاد (أعدها المجاهدون في أفغانستان) - مجلة البتار الصادرة عن معسكرات الجهاد بجزيرة العرب - كتابات ابي عبيدة القرشي في مجلة الأنصار.

بالمقابل يصف المنظر الآخر [عبد الله بن محمد] في كتاب المذكرة الاستراتيجية^(٢)، الخلافة الإسلامية بأنها هي المشروع السياسي الوحيد الذي سيعيد الاستقرار والأمن للمنطقة، وهو المشروع الوحيد الذي سيحفظ ثروات الأمة من مؤامرات الدول العظمى، وهو الوحيد أيضاً الذي سيعيد قبلة المسلمين الأولى، وغيرها من الأهداف الكبرى والمشاركة، مستنداً إلى قناعة راسخة «بأن الخلافة هي الفكرة الوحيدة التي يمكن أن تجمع شتات العرب والمسلمين عامة»^(٣).

(١) نفس المصدر - ص ٩٧.

(٢) عبد الله بن محمد - المذكرة الاستراتيجية - مؤسسة المأسدة الإعلامية - ٢٠١١ م

(٣) نفس المصدر - ص ١٠.

ويضيف بأن مشروع الخلافة يحمل في طياته العديد من الأفكار حول سوق إسلامية مشتركة ونظام دفاعي موحد وحقوق سياسية كفلها الشرع وأنظمة تربية وتعليم شمولي وغيرها من المقومات التي سعت بعض الأمم لإيجادها في صيغ مشتركة تضمن مصالحها العليا^(١).

لا يطرح منظرو القاعدة وداعش رؤية تفصيلية حول الدولة المنشودة للخلافة، بقدر ما ينظرون إليها كهدف للتمكين والحكم بـ«الشرعية». وبالتالي هم يذهبون للبحث في نظريات استراتيجية في كيفية الوصول إلى تحقيق هذا المشروع أكثر مما يبحثون في مضمون المشروع وفلسفته.

ولعل هذا ما يُذكر بتوجيهات سيد قطب عندما كان يطلب من اتباعه عدم الغرق في التنظير الفكري لشكل الحكم وبنيته وبرنامجه العملي ومواقفه اتجاه القضايا المطروحة، وإنما الذهاب مباشرة إلى السعي للإسك بالحكم والسلطة والبرنامج سيكون بعدها^(٢).

نفس المنهج هذا يحضر في حركة الإخوان المسلمين في مصر الذين طالما رفعوا شعاراً عاماً [الإسلام هو الحل] طوال سنوات عملهم السياسي والدعوي وسعيهم للوصول إلى السلطة. وعندما تم انتخاب محمد مرسي رئيساً للجمهورية عام ٢٠١٢م، بدأ كوادر وقيادات الإخوان يتحدثون في وسائل الإعلام عن

(١) نفس المصدر ص ١٨.

(٢) يقول في كتابه معالم في الطريق «ليس الناس بحاجة إلى أن نعرض عليهم نظام الإسلام الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو السياسي والقانوني، ونحو ذلك، لأنه هذه الأنظمة إنما ينتفع بها المؤمنون، وبأنها من عند الله، أما من لا يؤمن بها فيجب أن نعرض عليه «العقيدة أولاً» حتى يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وبالشرعية حاكماً (سيد قطب: معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٩، ص ٣٥-٣٦)).

برنامج شامل شارك في وضعه مئات الخبراء والمتخصصين، ولكن مع الأسف لم ينشر أي وثيقة أو صفحة من هذا البرنامج. وقد عبّر أحد الصحفيين الذين عملوا لفترة طويلة في قناة تلفزيونية تابعة للاخوان كمقدم للبرامج السياسية، انه جهد في الحصول على البرنامج الذي يتحدثون عنه، كلّم استضاف أحدهم في برنامجه المتلفز وكان يتصور أن البرنامج الذي يتحدثون عنه سيكون مجموعة مجلدات، إلا انه فوجئ أخيراً بأحدهم يقول له تحت الهواء (خارج الحلقة التلفزيونية) أن الأمر لا يتعدى كراس صغير فيه بعض العناوين العامة للقضايا الرئيسية التي سيتم دراستها وعلاجها^(١)، وهذا ما يفسر عدم طرحهم لأي برنامج فكري أو سياسي لاحداث تغيير في بنية النظام الحاكم في مصر.

في كتاب إدارة التوحش يحاول [أبو بكر ناجي] صياغة نظرية عامة لقيام الدولة سواء إسلامية أو غير إسلامية، عبر طرح يتكون من ثلاث مراحل متتالية:

١. مرحلة شوكة النكاية والإنهاك ويتم فيها إنهاك قوات العدو والأنظمة العميلة وتشتيت جهودها لجعلها لا تستطيع التقاط أنفاسها. وهي يجب أن تتم في مناطق الدول الرئيسية المرشحة وغير المرشحة - بعمليات صغيرة الحجم أو الأثر - ولو بضربة عصا على رأس صليبي - إلا أن انتشارها وتضاعفها سيكون تأثيره على المدى الطويل - ويصاحب هذه العمليات جذب شباب جدد للعمل الجهادي الذي سيلفت نظر الناس - وهذا النوع من العمليات لا يحتاج بنظره إلى إذن القيادة العليا. إضافة إلى ضرورة الأرتقاء بمجموعات النكاية بالتدريب والممارسة العملية لتهيئتهم نفسياً وعملياً لمرحلة إدارة التوحش.

(١) مقابلة مع الإعلامي المصري عاصم بكري، من قناة ٢٥ يناير، القاهرة بتاريخ ١١، ١٢، ٢٠١٢.

الهدف في هذه المرحلة يكون «هو إخراج هذه المناطق من سيطرة أنظمة الردة وهو الهدف الذي نعلنه ونعقد عليه النية»^(١).

٢. مرحلة إدارة التوحش: ويعرفها باختصار شديد بأنها: إدارة الفوضى المتوحشة^(٢) التي تنتج عن فقدان الحكومات المركزية للسيطرة على بلد، وهي المرحلة القادمة التي ستمر بها الأمة، وتُعدّ أخطر مرحلة، فإذا نجحنا في إدارة هذا التوحش ستكون تلك المرحلة بإذن الله هي المعبر لدولة الإسلام المنتظرة منذ سقوط الخلافة. وإن أفحش درجات التوحش هي أخف من الاستقرار تحت نظام الكفر بدرجات^(٣).

٣. طريق التمكين: وهو تنظير في محاولة لصياغة نظرية و خارطة طريق لقيام دولة الخلافة.

ثم يتم التأكيد على ضرورة اعتماد «اللامركزية في اتخاذ القرار» على المستوى الميداني في مواضيع السيطرة، وتنظيم الخدمات وإدارة شؤون المجتمع^(٤).

ويلجأ [أبو بكر ناجي] إلى تصنيف الدول المرشحة للعمل عليها إلى:

أ- رئيسية تمر فيها المراحل الثلاث (بلاد الحرمين - الأردن - نيجيريا - بلاد المغرب - باكستان - اليمن).

ب- بقية الدول تمر في مرحلتين شوكة النكاية والإنهاك ثم التمكين (الفتح وشوكة التمكين يأتيان من الخارج).

(١) أبو بكر ناجي: إدارة التوحش، مصدر سابق، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١١.

(٣) نفس المصدر - ص ٤.

(٤) نفس المصدر - ص ١٥.

مع ملاحظة ان من المحتمل أن تمر بعض الدول غير الرئيسية بنفس مراحل الدول الرئيسية تبعاً للظروف والتطورات والأحداث.

أما احتياجات الخطة فهي:

- استراتيجية عسكرية: تعمل على تشتيت جهود وقوات العدو وإنهاك واستنزاف قدراته المالية والعسكرية.

- استراتيجية إعلامية: تستهدف وتركز على فئتين:

• الفئة الأولى: الشعوب بحيث تدفع أكبر عدد منهم للانضمام للجهاد والقيام بالدعم الإيجابي والتعاطف السلبي ممن لا يلتحق بالصف.

• الفئة الثانية: جنود العدو وأصحاب الرواتب الدنيا لدفعهم إلى الانضمام لصف المجاهدين أو على الأقل الفرار من خدمة العدو.

ثم تطوير هاتين الاستراتيجيتين بعد فترة مناسبة. ووضع خطة إعلامية تستهدف كل المراحل متضمنة تبريراً عقلياً وشرعياً للعمليات خاصة للشعوب.

ويضع منظرو [داعش] مجموعة القواعد والسياسات التي يجب اتباعها

لتحقيق المشروع:

١. اتقان الإدارة وتعلم كيفية إنشاء اللجان والتخصصات وتوزيع الأعمال. (الفصل الأول ص ٢٣-٢٤).

٢. تحديد القائد والمدير ومن يعتمد القرارات الأساسية على قاعدة (كل قائد مدير وليس كل مدير قائد) (الفصل الثاني ص ٢٦-٢٨).

٣. اعتماد القواعد العسكرية المجربة، ومن أمثلتها:

- قاعدة إذا تمركزت الجيوش النظامية فقدت السيطرة وإذا انتشرت فقدت الفاعلية.
- قاعدة معدل العمليات إما تصاعدية أو بمعدل ثابت أو في صورة أمواج وأحياناً الجمع بينها.
- قاعدة (اضرب بقوتك الضاربة وأقصى قوة لديك في أكثر نقاط العدو ضعفاً)
- قاعدة (ان اقرب وسيلة لهزيمة العدو الأقوى عسكرياً هي استنزافه عسكرياً واقتصادياً) (الفصل الثالث ص ٢٨-٣٠).
- ٤. اعتماد الشدة. ويلتحق بها (سياسة دفع الثمن) لبث اليأس في صفوف العدو. معتبراً ان الجهاد ما هو إلا شدة وغلظة وإرهاب وتشريد واثخان- والبأس هو من أعمدة الرسالة (الفصل الرابع ص ٣١-٣٣).
- ٥. تحقيق الشوكة- وهي الولاء المتبادل بين أفراد المشروع لتحصيل الشوكة الكبرى التي يعمل لها العدو ألف حساب (وتتمثل في عقد مكتوب بالدماء أهم بنوده «الدم الدم الهدم الهدم» (الفصل الخامس ص ٣٤-٣٦).
- ٦. فهم قواعد اللعبة السياسية للمخالفين والمجاورين جيداً والتحرك في مواجهتها والتعامل معها بسياسة شرعية، والتأكيد على خطورة ترك القرار السياسي بأيدي من لا يخوض المعارك العسكرية تحت أي حجة، حيث يجب أن تكون الإدارة السياسية كلها أو أغلبها للمقاتلين من مساعدي القادة العسكريين (ولا سياسة إلا ما نطق به الشرع) ابن القيم (الفصل السادس ص ٣٧-٤٥).
- ٧. الاستقطاب (معركة ملتبهة.. عبر الإعلام.. وإتقان الإدارة.. لرفع الحالة الإيمانية.. بالمخاطبة المباشرة.. والعفو.. والتأليف بالمال) لجر الشعوب إلى

المعركة (كل الناس) فيذهب فريق منهم إلى جانب الحق وفريق إلى جانب أهل الباطل ويبقى فريق ثالث محايد ينتظر المعركة لينضم للمنتصر (الفصل السابع ص ٤٦-٤٩).

٨. قواعد الالتحاق: معرفة قواعد الالتحاق لتسهيل طريقه للجميع بعد قيام الدولة لتكوين الشوكة بإدارة التوحش. ان الخطوة الأولى في مرحلة قيام الدولة هي قيام قائد أو مجموعة بجمع شتات المجموعات والمناطق تحت راية واحدة لتتكون بهم شوكة التمكين. (الفصل الثامن ص ٥٠-٥١).

٩. اتقان الجانب الأمني وبتث العيون واختراق الخصوم والمخالفين بجميع اصنافهم. (الشرطة، الجيوش، الأحزاب السياسية، الصحف، الجماعات الإسلامية، شركات البترول، شركات الحراسات الخاصة، المؤسسات المدنية) (الفصل التاسع ص ٥٢-٥٣).

١٠. اتقان التربية والتعليم أثناء الحركة كما كان العصر الأول، ويذكر الكاتب بعضاً من أساليب التربية:

أ- التربية بالموعظة: قصص القرآن الكريم والعظات المنقولة عن النبي ﷺ.

ب- التربية بالعادة: تعويد الأفراد على السلوك المراد تربيتهم عليه.

ت- التربية بالطاعة: كالصلاة والصيام، وهو أسلوب مثالي للارتقاء بالنفس.

ث- التربية بالقدوة (النماذج البشرية المستجيبة لأوامر الله المضحية في سبيله).

ج- التربية بالأحداث (الوقائع والابتلاءات والفتن التي نواجهها ونثبت أمامها).

ويستند إلى كتاب [محمد أمين المصري] (المختص بالتربية وأساليبها) وإلى كتب وشرائط [عبد الله عزام].

مما تقدم يمكن الخروج بخلاصة مفادها أن منظرو السلفية الجهادية قد قدموا خدمة جليلة لـ [داعش] ومشروعها من حيث تهيئة هذين الكتابين، اللذان هما عصارة تجارب متعددة عاشها مَنْ قبلهم من الجهاديين في أكثر من تجربة ومواجهة في أكثر من بلد، فضلاً عن الاطلاع واستحضار مسألة السنن الكونية التي تعتبر حاکمة على البشرية (مسألة العلة والمعلول) وليس فقط على المسلمين، واستحضار تجارب سابقة تاريخياً أو معاصرة لإدارة التوحش، كأمثلة تم وضعها في نفس السياق (وضع الجزيرة العربية إبان نشوء دولة الرسول في المدينة، وضع كثير من المناطق في العالم الإسلامي والعربي أثناء الحروب الصليبية، حركة الإمام السيد في المربع السني بين الهند وكشمير وباكستان وأفغانستان وغيرها)^(١).

واللافت أن الكاتبين، قد اعتمدوا على مرجعيات سلفية جهادية معروفة أمثال: [عبد الله عزام]، و[أبو مصعب السوري] (عمر عبد الحكيم)، و[أبو قتادة الفلسطيني]، و[عمر محمود] (أبو عمر) وغيرهم. فضلاً عن استشاداتهم بأفكار واقوال [سيد قطب]. ومن المؤكد أن هذين الكتابين هما الأكثر حضوراً وانتشاراً بين صفوف كوادر وأمراء الدولة الإسلامية، ويعتمد عليهما في أساليب الإعداد والتدريب لدى الدولة الإسلامية، كما في وضع الخطط والاستراتيجيات العملية والميدانية.

(١) نفس المصدر، صفحة ١٢.

٢- بنية الدولة وهيكلتها التنظيمية عند داعش:

بعد أن تبين في ما تقدم ضرورة وجود السلطة والأدوات الإجرائية (المؤسسات) في أي دولة، لا بد من استعراض موقف [داعش] من الدولة الحديثة، والتناقض في رفضه لها نظرياً، وبنفس الوقت العمل ضمن آلياتها وبعض مسمياتها فضلاً عن استخدام أدواتها لا سيما التكنولوجيا منها واللوجستية مع المحافظة على المسميات الإسلامية في غالبية المواقع والمسؤوليات والأجهزة التنفيذية بدءاً من رأس الدولة والسلطة القضائية فيها. وفي هذا يظهر أحد أوجه التناقض والالتباس في الاداء عند [داعش].

أ- مراحل تطور نشأة دولة داعش

يُجمع الباحثون والكتّاب حول [داعش] - والدولة الإسلامية في العراق والشام أو دولة الخلافة - أنه على الرغم من وحدة الخلفية الفكرية السلفية للقاعدة وداعش، ووحدة الهدف في إقامة الخلافة الإسلامية، إلا أن [داعش] كانت أكثر جموحاً وقناعة بضرورة استعجال إقامة الدولة وهي بخلاف القاعدة، سعت منذ الأيام الأولى لتشكيل نواتها في العراق إلى السيطرة على (الأرض) الجغرافيا، والسعي لإقامة دولة وتشكيل هيكلية وإدارة توحى بهذا الهدف؛ ولعل في هذا الهدف تجسيدا لأفكار [أبو بكر ناجي] في كتابه إدارة التوحش فيما تناوله حول ضرورة بناء نموذج للدولة الإسلامية المنشودة.

ومن خلال تتبع واستقراء مسار تطور نشأة الدولة الإسلامية يتضح لنا أنها مرت بأربع مراحل أساسية وهي:

١. المرحلة الأولى: (٢٠٠٣-٢٠٠٦) وكانت بزعامة [أبو مصعب الزرقاوي] الذي

شكّل بدايةً ما سمّي بكتائب الجهاد والتوحيد، والتي تعتبر النواة الأولى في مشروعه لبناء الدولة^(١). ثم اعلان تشكيل فرع (القاعدة في بلاد الرافدين) الذي استطاع جذب المهاجرين العرب، واستبعد البعثيين والصوفيين من السنّة وكذلك الأخوان المسلمين. ولكنه في وقت لاحق بعد نصيحة ابن لادن له بقرنة التنظيم وتعيين واجهة عراقية له، شكّل أبو مصعب حكومة تعتبر الأولى في مشروع الدولة (شباط ٢٠٠٦)، وقبل مقتل أبو مصعب في ٠٦-٠٨-٢٠٠٦، وقد ضمّت مجلس شورى المجاهدين المكوّن من سبعة تنظيّمات، وهدفها كان تقديم المشروع للعراقيين بوجوه عراقية مقبولة.

٢. المرحلة الثانية: (٢٠٠٧-٢٠١٠) وتزعم الدولة في هذه المرحلة أبو عمر [البغدادي] (حامد داوود محمد خليل الزاوي) ويساعده أبو حمزة المهاجر (أبو أيوب المصري - عبد المنعم البدوي) وهو من المؤسسين الأوائل وحاملي فكر القاعدة، واعدت (دولة العراق الإسلامية) في ١٥-٠١-٢٠٠٧، وتم تشكيل حكومة جديدة أوسع من الحكومة السابقة، وتميّزت هذه المرحلة بدخول المزيد من الضباط السابقين لجيش صدام، وتبوّئهم إلى جانب اخوانهم المهاجرين مواقع ومناصب مهمّة في الدولة، وقد قتل أبو عمر وأبو حمزة في ١٩-٠٤-٢٠١٠.

٣. المرحلة الثالثة: (٢٠١٠ - ٢٠١٤) بعد تسلّم [أبو بكر البغدادي] زعامة الدولة بترتيب من [حجي بكر] ورفيقه مازن نهير وإعلانهم قرار مبايعة الأمير الجديد للدولة في ١٩-٠٤-٢٠١٠، ومجموعة من الضباط السابقين معه، وخلال هذه المرحلة أصبحت السيطرة شبه الكاملة للعراقيين على مفاصل

(١) هشام الهاشمي: عالم [داعش]، دار الحكمة، لندن، ط ١، ٢٠١٥، ص ٢٧.

الدولة^(١)، مع إبقاء بعض المناصب اللوجستية وغير الأساسية بيد العرب المهاجرين، وتم إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، بعد إلغاء جبهة النصرة ووقوع الخلاف مع الجولاني والظواهري (٢٠١٣).

٤. المرحلة الرابعة: (بعد حزيران ٢٠١٤) تاريخ دخول الموصل وإعلان الخلافة (الخليفة [أبو بكر البغدادي] / ابراهيم عواد البدري السامرائي)، وهي مرحلة توسّع كبير للدولة وإلغاء الحدود بين سوريا والعراق واتخاذ الرقة كعاصمة للخلافة^(٢).

وتعتبر [داعش] من أكثر الحركات الجهادية العالمية تطوراً وتعقيداً على المستوى الهيكلي التنظيمي والفعالية الإدارية، فقد تدرّجت في تطوير بنيتها التنظيمية بالاستناد إلى مبدأ المزاوجة بين الأشكال والتسميات الإسلامية التقليدية التراثية التي تكونت تاريخياً مع مؤسسة الخلافة الأولى، وتنظيرات الفقه السياسي (السياسة الشرعية) الذي يؤسس لمفهوم الدولة السلطانية، إذ يقوم على مبدأ الغلبة والشوكة والتمكين والإمارة.

ومن جهة أخرى، استخدمت العديد من الأشكال التنظيمية الحداثيّة لمفهوم الدولة الذي يستند إلى جهاز عسكري - أمني، وآخر إيديولوجي - بيروقراطي^(٣).

(١) نقل الموقع الإلكتروني لقناة العربية: انه مع مضي الوقت في هذه المرحلة تبوّأ هؤلاء الضباط معظمهم المواقع الكبرى في التنظيم، فأصبح (٩ من ١٠) أهم أسماء قيادية عسكرية من أصحاب التجربة القتالية والاستخباراتية.

(٢) راجع: [داعش]، رؤية صهيونية، باحث للدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠١٤، ص، (بتصرف).

(٣) حسن أبو هنية و د ٠ محمد أبو رمان، تنظيم «الدولة الإسلامية» الأزمة السنيّة والصراع على الجهادية العالمية، مؤسسة فريدرش إيبتر، ط ١، ٢٠١٥م، ص ٢٠١.

وإذا كانت «الدولة الإسلامية» قد اعتمدت على مبدأ المزج بين التقليد والحدائثة في بنيتها وهيكليتها. فيجب أن لا يغيب عنا أن فلسفة الدولة الإسلامية ذات طبيعة شمولية (توتاليتارية) دينية، منذ نشأتها. ولعل هذا المزج نتيجة الشراكة التي قامت بين السلفيين الجهاديين أمثال [أبو مصعب الزرقاوي] وأبو عمر [البغدادي] وأبو بكر البغدادي، من جهة وبين العديد من الضباط السابقين (من جيش صدام حسين) الملتحقين بالسلفية والدولة وما زالوا يحملون مشروعهم لإعادة السلطة. مثل حجي بكر، وأبو علي الأنباري، أبو أيمن العراقي (السويداوي) وأبو عبد الرحمن البيلاوي، وغيرهم العشرات من الضباط القادمين حديثاً من دولة العراق البعثية.

وبحسب ريتشارد باريت (المسؤول الأمني السابق في جهاز «ام. اي. ٦» البريطاني) فإن [داعش] امتازت عن الكثير من التنظيمات الجهادية الأخرى بسهولة الانضمام إليها، «فهي تقلل العراقيل للانضمام إليها»^(١).

وتبعاً للاستقراء الذي قمنا به لحالات عدة (عبر تحليل مضمون الكثير من المقابلات مع المهاربين من [داعش] والمنشورة في Youtube)، وغالبيتهم قد تحدثوا عن طريقة إنضمامهم إلى [داعش] بعد الخضوع لدورة شرعية لمدة أسبوعين، ثم دورة في التدريب على السلاح في المعسكرات المخصصة لذلك، مع الالتزام بإطلاق اللحية، واللباس المعتمد، والكف عن الممنوعات كالتدخين والاختلاط وما شابه من الأمور الظاهرية والسلوكية.

(١) راجع (حسن حسن ومايكل وايس): [داعش] من داخل جيش الرعب، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ٢٠١٥ م.

ب- الهيكلية وتشكيلاتها

فمع الارهاصات الأولى للنشأة تحت إسم (جماعة التوحيد والجهاد)، تم تشكيل هيكلية محددة بقيادة [أبو مصعب الزرقاوي] ومجلس (شورى) للجماعة، ولم يكن قد عيّن في هذه الفترة أي نائب للزرقاوي، واعتمدت هيكلية الجماعة على تأسيس لجان وملفات عدة أهمها:

١. ملف اللجنة الشرعيّة: وتدار من قبل الشيخ عمر يوسف جمعة صالح المعروف بإسم (أبو أنس الشامي) وهو أردني من أصول فلسطينية ويحمل فكر أبو محمد المقدسي ويساعده الشيخ أبي عبد الرحمن العراقي (الدكتور وليد الجبوري). ووظيفتها اعداد الدورات الشرعية، وأخذ البيعة للزرقاوي وإقامة مجالس القضاء للفصل بين الخصومات والنزاعات.

٢. ملف الأمن: ويدار من قبل أبو محمد اللبناني (مصطفى رمضان الدنماركي) ويساعده أزيج (أبو الهدى) وكانت وظيفته مراقبة الهيكل التنظيمي وجمع المعلومات عن الأهداف، الاشراف على عمل الكتائب الخاصة ومتابعة عمليّات الإغتيال والتفخيخ والعبوات والعمليات الانتحارية.

٣. اللجنة العسكرية:

● (الكتائب الخاصة): بإشراف المسؤول الأمني ولكن لكل كتيبة قائد ميداني يتابعها وأبرزها: (كتيبة عائشة أم المؤمنين) بقيادة أبو حمزة المهاجر، ووظيفتها استهداف رجال الأمن العراقي والمراكز العسكرية الرسمية والدوائر الحكومية.

● (فيلق عمر): بقيادة الشيخ محمود عمران (أبي إسلام العراقي) والشيخ صباح الطائي (أبي عائشة) ومهمته استهداف ميليشيا بدر وجيش المهدي.

٤. لجنة العلاقات والتنسيق: ويديره حامد داوود الزاوي ويساعده عدنان

البيلاوي، ومهمته ترتيب المواعيد للأمير والتنسيق مع قيادة الملفات الأخرى، ومتابعة العلاقات مع الفصائل الأخرى.

٥. ملف المالية والادارية: بإدارة محمد يوسف الفلسطيني (أبو أشرف) ووظيفته متابعة حركة المخازن والمشتريات والتسليح وإيصال الكفالات والأموال لقيادة الملفات ومتابعة كل أبواب الصرف.

٦. لجنة المضافات: بإدارة مصطفى يوسف مصطفى صيام (أبو يوسف - أردني الجنسية) ويساعده محمد الجعيفر (أردني الجنسية أيضاً) ورشيد حميد عباس الجميلي (أبو عائشة) وتركبي هيشان الشعباني (أبو الغادية)، ووظيفة هذا الملف تجنيد العرب والأجانب ونقلهم إلى العراق وتزويدهم بالدعم اللوجستي والوثائق، وتم تقسيمهم إلى (إنتحاري، انغماسي، مجاهد يجب التخصص المهني)، وتوزيعهم إلى داخل المحافظات العراقية.

٧. ملف الإعلام: ويتابعه أبو ميسرة العراقي (مهند غزالية) وبإشراف مباشر من [الزرقاوي] ومهمته إصدار وبث البيانات والاصدارات المرئية والصوتية على المنصات الإلكترونية والوسائل الإعلامية الأخرى.

وفي هذه المرحلة كان [الزرقاوي] ممسكاً بالتنظيم ومشرفاً عليه بشكل مباشر، وهو يوجّه كل اللجان في التنظيم ويشكل المرجع الأوحدها.

وهو الذي وضع استراتيجية التنظيم بشكل عام والتي قامت على استهداف القوات الأميركية وقوات التحالف بالإضافة إلى استهداف الشيعة والأكراد، والبنية التحتية للدولة والمنشآت الحيوية في العراق.

ومن الواضح أن طريقة التقسيم مشابهة لما كان عليه الأمر في أفغانستان في

القاعدة، التي أتى منها [أبو مصعب الزرقاوي] ومعظم العاملين معه، كما يتضح كيفية تصدر المهاجرين للمسؤوليات الأساسية، ما عدا موقعين لهما طابع لوجستي وخدمي هما لجنة العلاقات وملف الإعلام. وهذا يفسر طبيعة وقناعات وتفكير أبو مصعب، وعدم ثقته الكاملة بالعراقيين وكان يعطي بعض الصلاحيات للمقربين «ولم يعتمد في هذه المرحلة نواباً للأمر»^(١). وهذا يدل على شخصيته الحذرة جداً، وسطوته ورغبته للتحكم الكامل بمفاصل التنظيم.

وقد عمل [الزرقاوي] (أميراً لتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين) يأخذ البيعة بالنيابة عن بن لادن كأمر حرب وليست إدارة عامة للمؤمنين، وبالاعتماد على نواة صلبة من شبكته الجهادية التي تشكلت معه في (معسكر هيرات في أفغانستان) وانتقلت لاحقاً إلى العراق. فأحاط نفسه بمجموعة من أشد المخلصين له (فكان لا يثق بأحد بسهولة)، ومن أبرز الشخصيات التي كانت معه^(٢):

- أبو حمزة المهاجر: (وهو مصري) تولى إمارة التنظيم بعد [الزرقاوي] وكان يعمل مع [الزرقاوي] مسؤولاً عن اللجنة العسكرية.
- أبو أنس الشامي: (وهو أردني من أصول فلسطينية) وكان أول مسؤول شرعي للجماعة.
- نضال محمد عريبات: (أردني - من مدينة السلط) وهو خبير بالمتفجرات ومسؤولاً عن تفخيخ معظم السيارات في الانفجارات التي تبنتها الجماعة.
- مصطفى رمضان درويش: (أبو محمد اللبناني) لبناني الجنسية.

(١) حسن أبو هنية، محمد أبو رمان: تنظيم «الدولة الإسلامية» الأزمة السنيّة والصراع على الجهادية العالمية، مؤسسة فريدرش إيبيرت، ط ١، ٢٠١٥م، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٩٦.

وآخرون مثل: اوراس ابي عمر الكردي، وثامر العطرورز الريشاوي (ضابط سابق عراقي)، عبد الله الجبوري (أبو عزام) وهو عراقي، وعمر حديد (أبو خطّاب) وهو عراقي أيضاً، ومحمد جاسم العيساوي (أبو الحارث) وهو عراقي كذلك - وأبو ناصر الليبي، وأبو أسامة التونسي. (وقد قتل هؤلاء جميعاً عام ٢٠٠٣ باستثناء أبو عزام الذي قتل عام ٢٠٠٥) ومن الأردنيين الذين كانوا موضع ثقة الزرقاوي: موفق عدوان، وجمال العتيبي، وصلاح الدين العتيبي، محمد الصفدي، ومعاذ النسور، وشحادة الكيلاني، ومحمد قطيشات، ومنذر الطموني وعمر العتيبي.

واعتمد [الزرقاوي] في بناء شبكته هذه وتنظيمه، ايديولوجياً وفكرياً وفقهياً على مرجعية شيخه أبي عبد الله المهاجر (عبد الرحمن العلي - مصري / صاحب كتاب فقه الدماء - مسائل من فقه الجهاد)، فقد كان له الأثر المباشر في بناء عقيدته القتالية ونهجه الفقهي.

وقد شكّلت كتائب الجهاد والتوحيد، النواة الأولى في مشروع [أبو مصعب الزرقاوي] لبناء الدولة، ولم يكن يرغب بالتعاون مع الفصائل السنية ذات التوجهات البعثية والصوفية والأخوانية، وحاول أكثر من مرة الاستحواذ على مقاتلي تنظيم أنصار الإسلام، كما لديه خصومات وجدل مع قيادات جيش المجاهدين والجيش الإسلامي وجيش الفاتحين ولم يكن يحترم المشاركة السياسية السنية في الحكومة والبرلمان.

بيعته لابن لادن وتغيير الاسم إلى جماعة قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين (للمرة الأولى) في عام ٢٠٠٤، شكّلت دفعاً مهماً في انجذاب المتعاطفين والمتحمسين لقاعدة الجهاد العالمي، كما زادت قوته بالدعم المالي المباشر من القاعدة الأم (٦٨٠

ألف يورو شهرياً)، فضلاً عن التبرعات والزكوات الخليجية والأوروبية، وانتفع [الزرقاوي] من المواقع والمنتديات الالكترونية والتقدم الإعلامي للقاعدة آنذاك، كما انتفع من المناهج النظرية التي اعتمدها القاعدة وأصبح كل من ينظر للقاعدة يشمل الزرقاوي^(١).

وقد توسع التنظيم في عهد [الزرقاوي] وتميّزت هيكلته بالمرونة فلا يوجد ثبات بالمطلق، فكان [الزرقاوي] يمسك جميع خيوط التنظيم بقبضة حديدية، ولكنه عاد لاحقاً في (شباط ٢٠٠٦) ليصبح رئيساً للوزراء في الحكومة الجديدة ولينقل بعض صلاحياته للمحافظة على هيكلية التنظيم خشية قتله، إذ أعلن التنظيم عن إسم نائب أمير التنظيم، أبي عبد الرحمن العراقي (وزيراً للداخلية)، واخذاً بنصيحة بن لادن بإعطاء دور أساسي للعراقيين، فأوكل إليه [الزرقاوي] مهمة الاتصال بالعراقيين بشكل مباشر، وحافظ هو على الاتصال مع المقاتلين المتطوعين من خارج العراق، كما يشرف نائب الأمير على احتياجات اللجان المنبثقة من التنظيم^(٢).

أما العمل العسكري فتولاه (وزير الدفاع) أبو أسير العراقي وهو المسؤول الأول عن الكتائب والسرايا والمجموعات العاملة والتنفيذية والمساندة التابعة للتنظيم، وأصبحت التشكيلات العسكرية تتبع نهجاً محدداً في اختيار الأهداف يجمع بين المركزية واللامركزية (العمليات الصغيرة متروكة لاجتهادات القادة الميدانيين) ولكن الكتائب المهمة مثل: كتيبة الاستشهاديين بأمرة (أبو دجاجة الأنصاري) والتي تضم العدد الأكبر من المتطوعين العرب، كانت المسؤولة

(١) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٢٧ - ٢٩.

(٢) حسن أبو هنية و د. محمد أبو رمان: تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٩٦.

مركزياً عن العمليات الاستشهادية (الانتحارية) وضرب الأهداف الحيويّة، وكذا كانت كتيبة الأمن والاستطلاع وغيرها من الكتائب المهمّة تابعة مباشرة للقيادة العليا للتنظيم.

أما الهيئة الشرعيّة فأصبحت تحت إشراف وزير الأوقاف [أبو حمزة البغدادي] (عبد الله عبد الصمد المفتي)، وكانت تقوم بإجراء الدراسات والأبحاث اللازمة للجماعة، والرد على الشبهات الشرعيّة التي يحتاجها التنظيم في نشر معتقداته وأفكاره وممارساته وقد أصدرت مجلة [ذروة السنام] لنشر الأفكار والمعتقدات التي تخدم التنظيم. وينبثق عن الهيئة الشرعية (محكمة خاصة) تنظر في الدعاوى المتعلقة بالتجسس داخل التنظيم، وتصدر الأحكام على المختطفين والأسرى وتصل إلى القتل في الغالب، وأحكامها قطعية غير قابلة للإستئناف.

أما القسم الإعلامي فتولى رئاسته (وزير الإعلام أبو ميسرة العراقي) وهو يصدر البيانات والنشرات والأشرطة المرئية والمسموعة، ولوحظ تطور كبير في عمله يظهر قدراً من الاحترافية، ويتولّى القسم الجانب الدعائي للتنظيم ويعتبر مهماً في تجنيد واستقطاب أعضاء جدد إلى صفوف الجماعة. وقد أظهر أيضاً احترافية عالية في استخدام شبكة الانترنت، من حيث صعوبة تتبع عناوين المشرفين على مواقعهم الإلكترونية وصعوبة تتبع مستخدميها، وابتكار أساليب متطورة وجديدة باستمرار لتخطي مسألة الحجب والرصد.

كما تأسست لجنة مالية (وزارة المالية) مهمتها جمع الأموال اللازمة لتحويل الأنشطة المختلفة وتعتمد على شبكة من الناشطين المتخصصين بجمع التبرعات من المساجد والتجار، ولا يقتصر عملها داخل العراق بل يمتد إلى شبكة من الأنصار في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي. فضلاً عن إدارة مصادر

التمويل الخاصة بالغنائم، التي يحصل عليها من خلال الاستيلاء على المناطق المحررة، وفرض الضرائب المختلفة^(١).

وأورد هشام الهاشمي في كتابه (عالم داعش)، مجلس شورى المجاهدين - حكومة [الزرقاوي] (شباط ٢٠٠٦ - حزيران ٢٠٠٦).

وضمّ المجلس سبعة تنظيمات مسلّحة هي: قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، (وهو الفصيل المهيمن) وجيش الطائفة المنصورة، وسرايا الجهاد الإسلامي، وكتائب الأهوال، وسرايا التوحيد، وسرايا الغرباء، وجيش أهل السنة والجماعة.

وشكّل المجلس الواجهة لتنظيم القاعدة في العراق (كواجهة عراقية) وكان الهدف منه عرقنة صورته في أذهان العراقيين.

أما الحكومة فتشكّلت كالتالي:

١. القيادة: رئيس المجلس عبد الله رشيد [البغدادي] (عبد الكريم القرعة غولي، أبو عمر) ومع أنّ كل الدلائل تشير أن الزعيم الفعلي بقي أبو مصعب الزرقاوي، وكان دور رئيس المجلس شكلي.
٢. رئيس الوزراء: أبو مصعب الزرقاوي.
٣. وزير الداخلية: أبو عبد الرحمن العراقي.
٤. وزير الدفاع: أبو أسيد العراقي (خالد المشهداني).
٥. وزير الأوقاف: أبو حمزة [البغدادي] (عبد الله عبد الصمد المفتي).
٦. وزير الإعلام: أبو ميسرة العراقي (أنيس اسماعيل - أبو دعاء).
٧. وزير المالية: (غير معروف).

(١) للإطلاع على المزيد من المعلومات حول التمويل أنظر: هشام الهاشمي، عالم [داعش]،

واللافت استخدامه المصطلحات الحديثة والمسميات التي تستخدمها الدول القومية عادة وليبدو أن [العرقة] شملت التسميات والهيكلية أيضاً. وبالخلاصة فقد استمرت هذه الهيكلية والبنية التنظيمية في عهد أبو مصعب الزرقاوي، الذي استبدل بعض مسؤوليها بعد مقتلهم بأشخاص آخرين فمثلاً تسلم ميسرة الغريب^(١) (الإعلامي) ملف الهيئة الشرعية بعد مقتل أبي أنس الشامي. وبعد مقتل [الزرقاوي] في حزيران ٢٠٠٦، استلم القيادة [أبو حمزة المهاجر] لمدة وجيزة.

واجتمع «مجلس شورى المجاهدين» بعد أن تم تشكيل ائتلاف حلف المطيبين الذي يضم الحركات والمنظمات التي انضوت في مجلس شورى المجاهدين، ومعهم بعض زعماء العشائر السنّية في ١٢/١٠/٢٠٠٦ وهم - إضافة إلى [تنظيم القاعدة] في بلاد الرافدين وتضم (١٢٠٠ مقاتل)، جيش الطائفة المنصورة، جيش أهل السنّة والجماعة، جماعة جند الصحابة، سرايا الجهاد الإسلامي، سرايا فرسان التوحيد، سرايا ملة ابراهيم، كتائب كردستان، كتائب المرابطين، كتائب أنصار التوحيد، كتائب أنصار التوحيد والسنّة، كتائب الأحوال، كتائب الغرباء، وهؤلاء بايعوا جميعاً أبو عمر [البغدادى] كأمر لهم^(٢).

من الجدير ذكره، كان [الزرقاوي] قد ظهر في خطاب مرئي نادر مسرّب بتاريخ ٢٥/٠٤/٢٠٠٦م تضمن حواراً مع بعض أتباعه يناقش فيه إمكانية إعلان إمارة إسلامية في غضون ثلاثة أشهر^(٣). إلا أنه قتل بعد ذلك بأقل من

(١) ميسرة الغريب: مذكرات من سلسلة من خفايا التاريخ - تجربته مع أبي مصعب [الزرقاوي] (كما عرفه) في ٣٣ صفحة، إصدار شبكة الفلوجة الإسلامية.

(٢) هشام الهاشمي - عالم [داعش]. م. س. ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) راجع (أبو مصعب [الزرقاوي] يبشر بقيام إمارة إسلامية في العراق على الرابط /:

شهرين (٠٧/٠٦/٢٠٠٦م) ما حال دون الإعلان، الأمر الذي سارع خلفاؤه نحو التمسك به عبر إعلان تأسيس «دولة العراق الإسلامية» في ١٥/١٠/٢٠٠٦ مع انتخاب حامد داوود الزاوي (أبو عمر البغدادي) أميراً لهذه الدولة، التي تضم نظرياً (كما أعلنت) عدداً من المحافظات العراقية وهي الأنبار وكركوك ونينوى وديالى وصلاح الدين وبابل وواسط. (وهي محافظات ذات أغلبية سنّية)، فرض التنظيم سيطرته على مساحات واسعة منها.

وبعد تولي أبو عمر [البغدادي] إمارة دولة العراق الإسلامية، تم الإعلان عن تشكيل الحكومة الأولى «لدولة العراق الإسلامية». عن طريق المتحدث الرسمي محارب الجبوري، (وزير الإعلام في الدولة)، وهي تشير إلى هيمنة المكوّن العراقي عليها^(١)، وغياب الجهاديين العرب والأجانب باستثناء المهاجر.

٢٢١

وجاء في بيان الإعلان: «ونحن إذ نعلن قيام الدولة مستندين إلى سنّة النبي ﷺ عندما خرج من مكة إلى المدينة، فأقام دولة الإسلام فيها... وإننا اليوم ندعو كل مجاهدي وعلماء العراق وشيوخ العشائر وعامة أهل السنّة إلى بيعة أمير المؤمنين الشيخ الفاضل أبو عمر [البغدادي] على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن نعمل جاهدين على تقوية دعائم هذه الدولة»^(٢).

وقد ضمّت حكومة أبي عمر [البغدادي] في المرحلة الأولى كل من:

- وزير أول: الشيخ أبو عبد الرحمن الفلاحي.
- وزير الحرب: الشيخ أبو حمزة المهاجر.

(١) أنظر التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، ١٩/٠٤/٢٠٠٧م، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، نخبة الإعلام الجهادي - قسم التوثيق، ط١، ٢٠١٠م.

(٢) نص البيان كاملاً على الرابط: <http://nokbah.com/~w3/p=536>

- وزير الهيئات الشرعية: الأستاذ الشيخ عثمان بن عبدالرحمن التميمي.
- وزير العلاقات العامة: الأستاذ أبو بكر الجبوري.
- وزير الأمن العام: الأستاذ أبو عبد الجبار الجنابي.
- وزير الإعلام: الشيخ أبو محمد المشهداني.
- وزير شؤون الأسرى والشهداء: الأستاذ أبو عبد القادر العيساوي.
- وزير النفط: المهندس أبو أحمد الجنابي.
- وزير الزراعة والثروة السمكية: الأستاذ مصطفى الأعرجي.
- وزير الصحة: الأستاذ الطبيب أبو عبد الله الزيدي.

وهنا دخلت الدولة بمجموعة تحديات مع قيادة القاعدة الأم التي لم تكن مقتنعة بإعلان الدولة من جهة، ومع المعارضين من داخل الطائفة السنية مثل أبناء العشائر والصحوات المنظمة القديمة والجديدة والمدعومة أميركياً، فضلاً عن الحكومة العراقية وقواتها العسكرية والأمنية، والمليشيات الشيعية وكذلك القوات الأميركية التي زادت عديدها من ٣٠ ألف إلى ١٦٠ ألف جندي. كما واجهت الدولة الإسلامية تحدياً شرعياً في داخل بيئة السلفية الجهادية، حيث كثرت الانتقادات والتشكيك بشرعية دولتها ومشروعيتها الفقهية.

الأمر الذي دفع أبو عمر [البغدادي] ومن معه من قادة الدولة إلى وضع وثيقة رسمية كتبها أحد الأمراء الشرعيين، بإشراف عثمان بن عبد الرحمن التميمي، مسؤول الهيئة الشرعية في الدولة، وقدم لها بإسم وزارة الإعلام، المتحدث الرسمي بإسم دولة العراق الإسلامية، وهي صادرة عن دولة العراق الإسلامية - وزارة الهيئات الشرعية. «وتهدف إلى التأصيل الشرعي لمشروع الدولة

المعلن من قبل شوري المجاهدين»^(١).

إذاً بات موضوع إعلان الدولة نفسه منطاباً بشكل أساس للخلاف داخل اوساط التيار السلفي الجهادي عموماً. وبين [تنظيم القاعدة] والدولة الإسلامية خصوصاً وسيظهر لاحقاً (بعد أعوام عدة) كيف أنه سيثير جدلاً واسع بين الظواهري والفرع العراقي، وهو خلاف قديم لم يأخذ مساحة واسعة من الاهتمام الإعلامي ولم يظهر إلى العلن إلا بعد إعلان (الدولة الإسلامية في العراق والشام) [داعش]، لاحقاً والدخول بإنشقاق جبهة النصرة عن الدولة ومساندة الظواهري لها.

وقد أصدر الرجل الثالث في [تنظيم القاعدة] آنذاك عطية الله الليبي (جمال ابراهيم المصري) مقالة انتقادية في كانون أول / ٢٠٠٦م، تضمّنت قضيتين أساسيتين شكلتا محور وأساس الخلاف:

- الأولى: تحفظ القاعدة على تسمية [الدولة] وتقتراح بدلاً منها إطلاق إسم [الإمارة].

- الثانية: الابتعاد عن وصف [أمير المؤمنين] على القيادة الجديدة والابقاء على مسمى «أمير» خوفاً من اللبس والابهام الذي يوحي بكونه الإمام الأعظم الواجب الطاعة خصوصاً إذا أضيف إليه قرشية النسب^(٢).

(١) وقد استطعنا الحصول على نسخة مطبوعة كاملة منها (٨٤ صفحة)، لاعتماده كمرجع لموضوعات أساسية في نظرية [داعش] الرسمية إلى الدولة والخلافة ووجوب إقامتها، والرّد على المشككين بها وبشرعيتها، وصدرت الوثيقة تحت إسم إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام وتعتبر من الوثائق النادرة الصادرة عن [داعش] رسمياً (المقدمة في الوثيقة المذكورة، ص ٣).

(٢) حسن أبو هنيّة، محمد أبو رمّان: تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٥٠ - ٥١.

ومن الواضح أسباب الخلاف المذكورة، تصب في التخوف من الانسلاخ عن القاعدة، والاستقلال عنها، وبالتالي منافستها على زعامة ومرجعية السلفية الجهادية، وتحويل البيعة لأبي عمر [البغدادي] من بيعة أمير حرب إلى بيعة إمامة عامة، وهو ما حدث بالفعل بعد أسابيع، حين وصف أبو حمزة المهاجر (في خطاب البيعة) لأبي عمر [البغدادي] بقوله: ذلك القرشي والهاشمي حفيد الحسين، أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي^(١).

وهذا الاختلاف أخذ لاحقاً مسارات أكثر استقلالية عن [تنظيم القاعدة] المركزي بعد الإعلان عن قيام الدولة، وذلك بعد أن تبدلت موازين القوى داخل المساحة العراقية الجهادية، وأصبحت الدولة تحت سيطرة العراقيين بصورة لافتة وتراجع نفوذ وهيمنة المقاتلين العرب والأجانب^(٢).

لقد أدى إعلان الدولة، إلى فرض الهيمنة والسيطرة على المناطق السنيّة وإخضاعها لحكم الدولة، مما ولّد تمرداً في الحاضنة السنيّة للدولة وقد سهّل ذلك تحقيق نتائج فعّالة لاستراتيجية الجنرال الأميركي [بيترايوس] فتشكلت مجالس إسناد عشائرية سنيّة وتأسست قوات الصحوة التي تمثل تحوّلاً ملحوظاً في مواقف العشائر وفصائل المقاومة السنيّة من موقف داعم للمسلحين الجهاديين إلى متعاون مع القوات الأميركية، فعمدت الولايات المتحدة إلى تسليح قوات الصحوة ودعمها مالياً، في مواجهة الدولة الإسلامية في العراق، وقد بلغ عديد الصحوات من العشائر والفصائل السنيّة الأخرى المعارضة للدولة، أكثر من

(١) ابو حمزة المهاجر: كلمة صوتية بعنوان: إن الحكم إلا لله، على الرابط: <http://nokbah.com/p=511>

..w3

(٢) حسن أبو هنية، محمد أبو رمان: تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٥١.

مائة ألف مسلح^(١).

وكان لهذه الاستراتيجية تأثير فتاك ضد الدولة، التي دخلت في هذه المرحلة في طور التراجع والانحسار، دون أن تتلاشى تماماً، وصارت عمليات استهداف وقتل متبادل بين قادة الطرفين (قادة الدولة، وقادة الفصائل المعارضة لها والصحوات).

وبحلول العام ٢٠٠٩ شهد واقع الدولة الإسلامية تراجعاً واضحاً وكان يعاني من العزلة والضعف والضمور ويفتقد إلى الأيديولوجية الضرورية للحشد والتعبئة والتجنيد (بعدما أصبحت الحاضنة السنّية ضده) ويفتقر إلى الموارد البشرية والمالية اللازمة للصمود ولا يتوافر على عمق جغرافي استراتيجي لإسناد حروب الاستنزاف.

٢٢٥

بالمقابل كان التقييم الأميركي خادعاً ويُستخدم لأغراض سياسية تمهد لانسحاب القوات والمهرب بأقل الخسائر. معتبراً أن الصحوات المتضخمة وقوات الأمن الحكومية ستممكن من الاستمرار في دحر المسلحين الجهاديين والقضاء عليهم^(٢).

في المقابل أدرك تنظيم الدولة الإسلامية ان التطورات الجديدة تفرض عليه إعادة ترتيب أولوية وتغيير بوصلة الصراع وإجراء هيكلية جديدة لنمط عمله، فتحوّل إلى استراتيجية العمل الأمني والتركيز على قتال قادة الصحوات والتراجع عن الظهور والتخلي عن حلم الانتشار والتوسّع الجغرافي مؤقتاً، وأخذ يهتم في

(١) راجع (هشام الهاشمي: صحوات الفصائل السنّية، على الرابط: <http://www.ynewsig.com>).

(aa=newhid22=3155?com

(٢) حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٥٣.

خطابه السياسي أكثر بإظهار فشل العملية السياسية في تحقيق مطالب السنّة، والتنديد بتحكم الشيعة بمفاصل الدولة - في عودة إلى اللعبة المذهبية - وهو الأمر الذي ظهر في كلمة صوتية لأبي عمر [البغدادي] بعنوان «حصاد الخير»: يهاجم فيها الاميركان وحزب الدعوة الحاكم وفيلق بدر ويصفهم بالعملاء، ويستثير العصبية المذهبية لأهل السنّة بالتحدث عن فوز «الرافضة» بـ ٨٠٪ من مقاعد المجلس المحلي للعاصمة بغداد، ولم يرضوا للسنّة بأكثر من أن يكونوا بوابين وعمال نظافة عند الرافضة المجوس، وهذا لن يكون»^(١).

وبالنتيجة تخلت الدولة الإسلامية في العراق عن السيطرة المكانية (الجغرافية) في بعض المناطق السنيّة وعادت إلى استراتيجية [الزرقاوي] من جديد من خلال شن هجمات انتحارية مميتة، بواسطة سيارات مفخخة أو انتحاريين، مستهدفة المباني والمؤسسات الحكومية الرسمية، وقد أطلقت الدولة الإسلامية على هذه الحملة «غزوة الأسير».

وكان أبرز محطات الهجمات على وزارتي الخارجية والمالية في آب ٢٠٠٩ م. أعقبها موجتان أخرتان من الهجمات في تشرين أول، وكانون أول ٢٠٠٩ م. واستطاعت اغتيال العديد من رؤوس وقادة الصحوات.

وبمرور الوقت أخذت دولة العراق الإسلامية تستعيد عافيتها ببطء، وبدأت ببسط نفوذها وسيطرتها من جديد، مع امتصاص محاولة اجتثاثها والقضاء عليها، وفي عملية إعادة الهيكلة لبنيتها وترميم أوضاعها، أعلنت دولة العراق الإسلامية تشكيلتها الحكومية الثانية في عهد «أبو عمر البغدادي» وذلك في أيلول ٢٠٠٩،

(١) راجع (أبو عمر البغدادي: كلمة صوتية بعنوان: حصاد الخير في ١١/٣/٢٠٠٩، على الرابط: <http://nokbah.com/p=12>).

وكانت تحمل تغييرات في معظم الأسماء مع الإبقاء على استخدام المنهج نفسه في تسمية الوزارات، وغياب وزارة الزراعة والثروة السمكية ودمج الوزير الأول مع وزير الحرب مع تثبيت أبي حمزة المهاجر بهذا الموقع الأساسي. وهو العربي الوحيد بين الأسماء الأخرى العراقية جميعها.

- الوزير الأول - ووزير الحرب: أبو حمزة المهاجر (عبد المنعم بدوي).
- وزير الهيئات الشرعية: عبد الوهاب المشهداني.
- وزير العلاقات العامة: محمد الديلمي.
- وزير لشؤون الأسرى والشهداء: حسن الجبوري.
- وزير الأمن: عبد الرزاق الشمري.
- وزير الصحة: عبد الله القيسي.
- وزير الإعلام: احمد الطائي.
- وزير النفط: أسامة اللهيحي.
- وزير المالية: يونس الحمداني.

من الجدير ذكره، بأن [أبو عمر البغدادي] أدخل تعديلات عدة على الهيكلية بعد [أبي مصعب الزرقاوي] وحكومته الأولى، منها:

١. عمل على الاهتمام بوصف الهيكل التنظيمي وكل موقع فيه، محدداً واجبات كل وظيفة بدقة، واعتمد اسم الوزارات بدل الملفات واللجان.
٢. أعلن تأسيس مؤسسة الفرقان للإعلام الجهادي، ويساندها مركز الفجر للإعلام.
٣. أوقف التجنيد واكتفى بأخذ البيعة من العشائر السنّية في المناطق الغربية والشمالية من العراق. وقام بتأسيس «حلف المطيبين» الذي ضمّ عدداً من الفصائل الجهادية التي كانت خارج القاعدة.

٤. تجميد العمل بألاف الخلايا الناشطة (والتي كان [الزرقاوي] يعتمد عليها كمفارز تعمل كلّ منها بشكل مستقل) لتجنب الاختراقات الأمنية والتكاليف المالية وللتركيز على النوعية العقائدية.

٥. الامتناع عن الظهور بتسجيلات مرئية، والاكتفاء بالتسجيلات الصوتية خلافاً لما فعله الزرقاوي.

٦. فتح العمليات الانتحارية للمتطوعات من النساء بعد أن كانت حكراً على الرجال.

٧. إيقاف استقبال المتطوعين العرب، وذلك لصعوبة توفير الأمان لهم في ظل اضطراب الحاضنة السنيّة وموقفها السلبي من دولة العراق الإسلامية. مع الحفاظ على توزيع المتابعة للمهاجرين لأبي حمزة المهاجر، وإبقاء متابعة العراقيين معه.

٨. الاستعانة المكثفة بالخبرات العسكرية والأمنية من ضباط ورتباء نظام صدام السابق واللذين تمّ تجنيدهم في المعتقلات والسجون بعد عام ٢٠٠٣.

٩. التراجع عن محاولات مسك الأرض وإعلان الأحكام الإسلامية على السكان.

١٠. تقسيم قواطع العمل العسكري، إلى ولايات، ولكلّ منها هيكلها التنظيمي واستقلالها عن باقي الولايات من حيث الدعم المالي والاجتهادات بالقرار العسكري والأمني، وفي كل ولاية وإل شرعي، وعسكري، وأمني، وإداري مالي، ومسؤول للبريد والمضافات.

١١. إجراء تغييرات تفصيلية في طريقة التشكيل العسكري والأمني فأسس فيالق كفيلق الصديق - ومجموعات أمنية مختصة لقتال الصحوات واغتيال قادتها، وأسس عام ٢٠٠٨ تشكيل فتيان الجنّة للأعمار بين (١٣-١٧ سنة) لتكليفهم

بأعمال أمنية وجمع معلومات وزرع عبوات واغتيالات بعبوات لاصقة. كما ألغى فيلق عمر وكتيبة عائشة ودمجها بكتيبة درع الإسلام وهي قوات نخبة، للعمليات الخاصة الأمنية والعسكرية بقيادة أبي حنين العاني^(١).

١٢. أخيراً استخدم لقب أمير المؤمنين، واستخدم مصطلح [دولة العراق الإسلامية] وهذا ما ترك وعمّق هواجس قيادة [تنظيم القاعدة] وخلافهم مع الدولة.

وقد ارتفع في عهد [البغدادي] العنف الطائفي والمذهبي، وامتد العنف الداخلي إلى الساحة السنيّة بين الدولة وزعماء العشائر والفصائل السنيّة المعتدلة.

ولعل الوجود العراقي للضباط والرتباء السابقين في جيش صدام، دور هام في التساهل بالدماء والتعامل العنيف مع أيّ معارضة كما كان يفعل النظام السابق في العراق. هذا فضلاً عن الموقف من الشيعة.

ففي خطاب [البغدادي] بعنوان: «إني على بينة من ربي» يقول: «الرافضة طائفة شرك وردّة، وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة»^(٢).

لقد كانت حقبة دولة العراق الإسلامية بزعامة أبي عمر [البغدادي] وأبي حمزة المهاجر أشدّ عنفاً وأكثر سفوراً على الصعيدين السياسي والطائفي مع «عرقنة» التنظيم وضعف تأثير المهاجرين العرب والأجانب، فقد ظهر جيل جديد أكثر عنفاً دخل في صراعات دامية مع محيطه الاجتماعي، واستخدم

(١) راجع (هشام الهاشمي: عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٣٩-٤١).

(٢) ابو عمر البغدادي: خطاب بتاريخ ١٣/٣/٢٠٠٧، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، مصدر سابق.

تكتيكات عنيفة طالت حركات مقاومة كانت مقربة منه في السابق كالجيش الإسلامي، في سياق فرض نفوذه وأجندته^(١).

وفي ١٩ / ٤ / ٢٠١٠، أعلن عن مقتل أبي عمر [البغدادي] إلى جانب وزير حربه، أبي حمزة المهاجر، في الوقت الذي بدأت دولة العراق الإسلامية تتعافى، وتمكنت من الحفاظ على تماسك هيكلتها الأساسية، بعد فقدانها للسيطرة على معظم المناطق التي كانت تمسك بها.

وكان أبو عمر [البغدادي] قد أوصى قبل مقتله، بأن يكون خليفته في زعامة الدولة الإسلامية أبا بكر [البغدادي] الذي جمعته به علاقة وثيقة.

وهو ما حصل عندما قام العقيد [حجي بكر] ورفيقه [مازن نهير]^(٢) بإصدار قرار بمبايعة الأمير الجديد لدولة العراق الإسلامية خلال اجتماع للقيادة، وذلك بعد مقتل أبي عمر وأبي حمزة، فصدرت المبايعة لأبي بكر [البغدادي] (ابراهيم عواد ابراهيم البدري السامرائي) أميراً للدولة، وأعلنت في ٦ / ٥ / ٢٠١٠ أي بعد ستة عشر يوماً من مقتلهما. وأصبح منذ ذلك التاريخ لـ [حجي بكر] (سمير

(١) راجع (مجموعة الأزمات الدولية: العراق بعد الحشد العسكري - المشهد السنّي الجديد-، تقرير الشرق الأوسط، رقم ٧٤، ٣٠ نيسان ٢٠٠٨م).

(٢) صديق لحجي بكر، ينادونه العقيد مازن، كان يظهر بين الحين والآخر مع حجي بكر (كمتعاون غير منتسب) وكان دوره اختراق النظام والمؤسسة الامنية الحكومية، وكان حريصاً على أن لا يظهر مع قيادة التنظيم ولا مجالستها ويتجنب أن يراه الكثيرون حتى المقربين مع ابي عمر البغدادي. وكانت المفاجأة التي أذهلت الكثيرين في دولة العراق الإسلامية ان [حجي بكر] ورفيقه مازن نهير باغتا الجميع بقرارهما خلال اجتماع عقده قيادة التنظيم سرّاً بأنه بايع أميراً جديداً لقيادة دولة العراق وهو (ابو بكر البغدادي) بعد مقتل ابي عمر [البغدادي] وابي حمزة المهاجر. (موقع الاوسط...نقلا عن وثائق ويكليكس..

عبد حمد العبيدي الديلمي) موقع رائد ومميز لدى أبي بكر البغدادي.

في المقابل، هناك رواية أخرى يوردها محمد علوش في كتابه [داعش] وأخواتها، يفيد بأن القيادة قد خلت بشكل تام من القادة الكبار، عدا حجي بكر، بعد مقتل أبي عمر البغدادي، فقام [حجي بكر] بمراسلة كل مسؤول على حدة، موهماً إياه بأنه استشار غيره، فوافق على تعيين أبي بكر [البغدادي] أميراً وهكذا أخذ موافقة أغلب الأمراء دون معرفة ساعي البريد، ظناً منهم أنه قديم وصاحب سبق، وأن [البغدادي] شرعي قديم من أصحاب الزرقاوي، وأنه قرشي حسيني بغدادي. فوافق أغلب الأمراء الذين عزلوا لاحقاً بطرق عدة^(١).

وبالعودة إلى حجي بكر، فهو شخص غامض يُقال انه العقل المدبر، والشخص الدموي المسؤول عن إيغال جماعة [داعش] في الدموية والتوحش عمل مع العميد الركن محمد الندى الجبوري «الراعي» الذي استلم قيادة أركان الدولة الإسلامية بعد انضمامه إليها بفترة وجيزة. وكان عينه الجبوري «الراعي» نائباً له، فاستلم موقعه عندما قتل الجبوري (الراعي) في إحدى المعارك^(٢). وتسلسل بمكرٍ إلى زعيم دولة الإسلام في العراق، رغم انه لم يكن ممن له سابقة جهادية دولية لا في أفغانستان ولا في غيرها، وغير معروف لدى الجهاديين الأساسيين الأوائل أمثال أسامة بن لادن أو الظواهري أو الزرقاوي. فهو ضابط سابق وكادر بعثي عتيق وهو من نظم اجتماع البيعة للبغدادي، وقاد عملية الانتقال إلى سوريا لتوسع قاعدة الأنصار، وتبنى الاشتباك الدموي مع الجولاني

(١) محمد علوش: [داعش] وأخواتها من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، ط ١، بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، ص ١٥٨.

(٢) محمد علوش: [داعش] وأخواتها، مصدر سابق، ص ١٥٦.

(النصرة) بعدما اعتبره متمرداً على أمير المؤمنين، كما أنه بعث الأنصار إلى السعودية ودول الخليج والمغرب لحشد تأييد طلبة العلم الجهاديين^(١).

وقد شهد عهد أبي بكر البغدادي، تغييرات نوعية في الهيكلية والبنية التنظيمية كما في آليات العمل والتقسيمات للولايات وصلحايتها، فضلاً عن التوسع الكبير والامتداد إلى الأراضي السورية من خلال إنشاء (جبهة النصرة لأهل الشام) أواخر عام ٢٠١١م. وبزعامة أبي محمد الجولاني مرسلًا من قبل أبي بكر البغدادي، وهي أي الجبهة سرعان ما نمت قدرتها لتصبح في غضون أشهر من أبرز القوى التكفيرية المقاتلة في سوريا. ويبدو ان فكرة التمدد والتوسع إلى سوريا كان صاحبها [حجي بكر] الذي واكب هذه الخطوة وراقب نموها وعودها، ثم وقف في وجه أبي محمد الجولاني وقاتله عندما تمرد على [البغدادي] ورفض إلغاء النصرة، بعد أن أعلن [البغدادي] (الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش») وقرر دمج النصرة بالدولة وذلك في ٨ نيسان ٢٠١٣م. وهنا ظهرت إلى العلن الخلافات العميقة القديمة والمستجدة بين القاعدة المركزية، وبين «داعش» ووصل الأمر في التوتر والتصعيد إعلامياً وميدانياً حتى الصدام الدموي العنيف الذي استمر لسنوات في سوريا بينهما.

كما شهد عهده أيضاً توسعاً في العمليات النوعية المتزامنة كعملية البنك المركزي، ووزارة العدل، واقتحام سجني أبو غريب والحوت، وشهد عهده انضمام العشرات من الضباط السابقين برتب لواء وعميد من الجيش العراقي المنحل (٢٠٠٣) إلى صفوف الدولة الإسلامية في العراق، وكان لهؤلاء الدور الأكبر في رسم الاستراتيجيات العسكرية للدولة، وتمكنوا من السيطرة على مجلس

شورى الدولة الإسلامية وأصبح لهم اليد الطولى في القرارات التي يتخذها زعيم الدولة أبو بكر البغدادي. وبينما كان العميد الركن [حجي بكر] قائداً عسكرياً للدولة خلفاً للعميد الراعي خرج أبو مهند السويداوي (عدنان لطيف حميد السويداوي) وهو عميد سابق في جيش صدام ليحتج على تعيين [حجي بكر] قائداً عسكرياً للدولة، فعمد [البغدادي] إلى إرضائه وإقناع [حجي بكر] بترك المنصب له، وتمّ تجميد [حجي بكر] لفترة.

وقد عمل السويداوي، بعد استلامه المنصب كقائد عسكري، بشكل فعال ونشط ولم يترك هدفاً عسكرياً ولا مدنياً إلا واستهدفه بمفخخات وتفجيرات كبيرة بحجة التترس في العراق، ويرجح أنه انتقل للعمل والياً على الأنبار، ثم انتقل إلى سوريا عام ٢٠١١ م. وأطلق على نفسه اسم أبوأيمن العراقي، وتولى عام ٢٠١٤ قيادة «داعش» في ادلب وحلب وجبال اللاذقية.

ثم خرج من السجن دفعة جديدة من الضباط السابقين منهم أبو مسلم التركماني (من تلعفر) الذي أصبح فيما بعد مشرفاً عاماً على التنظيم (الدولة) ففتحوا للسويداوي ملفات السجن وأقواله وتحقيقاته، فتم عزله لإرضائهم، وكان أبو مسلم التركماني معروفاً بولائه لصدام حسين وبعده لعزت الدوري واعتقل لفترة طويلة ويعرف عنه أذيته للإسلاميين في السجنون.

كما خرج من السجن [أبوريتاج العراقي] (أبو زينب) وهو من مرافقي [أبي حمزة المهاجر]، والذي يقول في ضباط البعث «لاتزال أقلام البعث تقطر من دمائنا فكيف يقودوننا» وكان ممن تعرض للأذى على يده أيضاً قادة في القاعدة منهم عبد الرحمن الكيمي والشيخ حجي رشيد وأبو عمر حيفا، وأبو مارية القحطاني العراقي (الشرعي العام لجبهة النصرة). والأمر نفسه كان محل انتقاد ابو محمد المقدسي للدولة الإسلامية في قوله «دخلوا الإسلام الآن، وكانوا حتى

الأمس بعثيين يذبحون المسلمين»^(١).

وهكذا تشكلت بطانة أبي بكر [البغدادي] من البعثيين الضباط السابقين أمثال: حجي بكر، وأبو مسلم التركماني، وأبو مهند السويداوي، وغيرهم. وهؤلاء تولوا معظم المناصب الحساسة والرئيسية في الدولة. كما يظهر في هيكلية دولة البغدادي، والذي لم يشأ أن يطلق عليها تسمية حكومة كسلفه بل عاد لاستخدام مصطلحات المجالس ورؤساء المجلس إضافة إلى اعتماد الولايات وأمراء الولايات (وليس المحافظات كسلفه).

٣- جغرافية دولة داعش:

إن فكرة الحدود السياسية بالمفهوم الإسلامي كانت تقوم للتمييز بين الأقاليم التي تضمها (دار الإسلام) من جهة، وبين أقاليم (دار الحرب) أو دار العهد من جهة أخرى؛ ومع ذلك كانت تقوم داخل دار الإسلام حدود إدارية لتعيين مختلف الأقاليم والولايات التي كانت تعرف بأسمائها، مثل (ولاية حلب، ولاية البصرة، ولاية الموصل، ولاية الحجاز،... الخ) واستمر الوضع على هذا الحال أيام الحكم العثماني الإسلامي^(٢).

ولا شك ان للحدود السياسية أهمية قصوى في تحديد كيان الدولة كوحدة سياسية قائمة بذاتها، فضلاً عن أهميتها في تحديد العلاقات السياسية والاقتصادية والحضارية مع الدول المجاورة، وسلامة الدول تكمن في سلامة حدودها مع جيرانها ومدى فعالية تلك الحدود.

(١) أبو محمد المقدسي: مقابلة مع صحيفة القدس العربي حول [داعش]، الصادرة بتاريخ

٢٠١٥، ٠٢، ٠٦.

(٢) د. عيد بن مسعود الجهني، موقع الجزيرة، منشور في ١٥ / ١ / ٢٠١٥. www.jazirah.com

وتُعتبر النزاعات حول الحدود السياسية بين الدول في مقدمة الموضوعات الرئيسية للصراع الدولي، وعوامل إثارة وتصعيد النزاعات السياسية بينها. وتُعتبر الأرض أحد أركان الدولة التي لا تقوم إلاّ بها، إلى جانب بقية الأركان: الشعب، والسيادة. ولا بد من توفر عناصر ثلاثة مجتمعة لقيام الدولة ويتمثل ذلك بالسكان (العنصر الديمغرافي للدولة)، والأقاليم (العنصر الجغرافي للدولة) والسيادة (مثلة بالسلطة الحاكمة) وهو العنصر القانوني للدولة، أما العنصر الرابع، وهو قدرة الدولة على إقامة علاقات مع الدول الأخرى، فيُعدّ - كما يرى كثير من الباحثين - بمثابة نتيجة طبيعية لاكتساب صفة الدولة وليس مطلباً لثبوتها^(١).

هذا التقديم يقود إلى التساؤل حول نظرة الدولة الإسلامية لحدودها الجغرافية وما هو الطموح الجغرافي لخلافة داعش؟

لقد قامت استراتيجية [داعش] الأساسية على تعزيز وتوسعة رقعة الأرض والسلطة اللتين تمتلكهما الدولة الإسلامية في العراق وسوريا والبلدان الإسلامية المجاورة، فداعش يريد تحطيم الحدود الاستعمارية للهلال الخصيب أو المشرق الذي رسمتها القوى الأوروبية في نهاية الحرب العالمية الأولى، ويسعى التنظيم من خلال ذلك إلى إحلال الدولة الإسلامية - أي الخلافة - مكان الأنظمة المرتدة^(٢).

لذا فإنه في مشروع [داعش] لإقامة الخلافة، سيطرت [داعش] على ما يقارب ثلث مساحة العراق وربع مساحة سوريا، وديمغرافياً كان عديد السكان

(١) د. محمد القاسمي، مبادئ القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٠٠.

(٢) فواز جرجس: [داعش] إلى أين؟، مصدر سابق، ص ٢٠.

في هاتين المساحتين يبلغ ما بين (٥-٦ ملايين نسمة)، وهي قامت بممارسة سلطتها على السكان في هذه المناطق عبر تشكيل شبكة مؤسسات إدارية بديلة (تعليمية، قضائية، خدماتية، فضلاً عن الأمنية والعسكرية)^(١).

يقول أبو عمر البغدادي، في خطبته بتاريخ ٢٢/١٢/٢٠٠٦: وإني أشكر الله على بدء تطبيق الشريعة في كثير من أجزاء تلك الدولة المباركة وإلحاح من أهلنا أنفسهم، فنصبتنا لهم القضاة لفض الخصومات الثائرة، وقطع المنازعات الشاجرة، وأقيمت الحدود في كثير من بقاع هذه الدولة الفتية^(٢).

وأعلنت [داعش]، عبر خرائط منشورة في مواقعها، بأن أرض الخلافة التي أعلنها [أبو بكر البغدادي] تمتد من شرق سوريا إلى غرب العراق، وأنها تسعى للتوسع ليتم إلحاق الدول التي تنتمي إلى بلاد الشام (أي الأردن ولبنان وفلسطين المحتلة) ثم الدول الأخرى في منطقة الشرق الأوسط وما بعده.

وبحسب رؤية [داعش] التي نشرت خرائطها في أكثر من موقع تابع لها ستشمل الخلافة الإسلامية مستقبلاً امتدادات واسعة في شمال أفريقيا وآسيا والقوقاز وأجزاء من أوروبا، كانت في الماضي تخضع لحكم المسلمين كأسبانيا والبلقان.

إن مشكلة [داعش] أنها تلتقي في مشروعها التوسعي بالقوة والإكراه ولو تحت مسمى الخلافة مع المشروع الإسرائيلي التوسعي والذي يريد ضمّ البلاد العربية بالقوة، من الفرات إلى النيل، لذا يرى البعض أن الطرفين الوحيدين

(١) [داعش] رؤية صهيونية، باحث للدراسات، مصدر سابق . ص ١٩.

(٢) ابو عمر البغدادي، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، نخبة الإعلام الجهادي، قسم التوثيق، ط ١، ٢٠١٠، ص ٥٠٤. (راجع أيضاً- الخرائط المنشورة في المواقع- ضمن الملاحق).

الذين نشر كل منهما خريطته التوسعية في الشرق الأوسط هما: إسرائيل وداعش^(١).

وللتأكيد، يذكر أبو عمر [البغدادي] في خطبته تحت عنوان «وقل جاء الحق وزهق الباطل» بتاريخ ٢٢/١٢/٢٠٠٦: «وها هو البنيان بدأ يعلو يراه كل محب وحاقد، مما حدا بعدو الله بوش، بعد ظهورها المبارك إلى قوله: «إنهم يهدفون إلى إقامة دولة إسلامية من الصين إلى اسبانيا». صدق وهو الكذوب^(٢).

لقد شكّل موضوع إزالة الحدود بين غرب العراق وشرق سوريا الحدث المفصلي في مشروع [داعش] للخلافة، حيث إنه جاء ليثبت عملياً أن مشروع إقامة دولة الخلافة قد خطى خطوة مهمة في ضرب قواعد وقوانين الدولة القومية التي أرساها (سايكس بيكو) في المنطقة وأصبحت جزءاً من المنظومة الدولية المعترف بها في الأمم المتحدة كحدود للدول في المنطقة.

٢٣٧

يقول الظواهري: «ان الإسلام لا يعترف بالحدود الاصطناعية التي تم رسمها ضمن اتفاق سايكس-بيكو عام ١٩١٦، ولذلك كان تقسيم الدولة الإسلامية في العراق والشام إلى دولتين أحدهما عراقية والأخرى سورية. وأن القاعدة أمة بلا جغرافيا»^(٣).

وهكذا أصبحت دولة الخلافة التي أعلنها أبو بكر البغدادي، والتي لا تعترف بالحدود، تمتد من الرقة إلى الموصل لتشمل خريطتهم مجموعة واسعة من

(١) طلال عتريسي، مجلة شؤون عربية، مصدر سابق.

(٢) ابو عمر البغدادي، المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، نخبة الإعلام الجهادي، قسم التوثيق، ط ١، ٢٠١٠، ص ٥٠٤.

(٣) نقلا عن د. ياسر عبد الحسين، الحرب العالمية الثالثة، (داعش والعراق وإدارة التوحش) مصدر سابق. ص ٢٧٥.

الولايات: ولاية الرقة، ولاية الحسكة، ولاية دير الزور، ولاية الحدود، ولاية الأنبار، ولاية نينوى، ولاية صلاح الدين وكركوك (الشمال)، ولاية ديالى، ولاية بغداد، ولاية الجنوب^(١).

هذا الأمر دفع الولايات المتحدة الأميركية على لسان نائب مساعد الخارجية لشؤون الشرق الأدنى برييت ماكجوك للإقرار أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب في ٢٣ / ٧ / ٢٠١٤ للقول: «إن [داعش] هي أسوأ من القاعدة... إنها لم تعد مجرد منظمة إرهابية، بل جيش متكامل، حيث يمثل القاعدة بعقيدتها، وطموحها بشكل متزايد»^(٢).

وفي هذا القول دلالة على النظر إلى خطورة ما قامت به [داعش] في عملية إلغاء الحدود بين غرب العراق وشرق سوريا، لإقامة دولتها، والتواصل بين الجغرافيا التي تسيطر عليها في العراق وسوريا، وبالتالي إلغاء حدود الدولة القومية القائمة منذ ١٩١٦، لإحلال دولة جديدة (الخلافة) لا تعترف أصلاً بهذه الحدود الموضوعة و«المصطنعة» حسب تعبير الظواهري.

ثم أن دلالات وجود قدرات أكبر من منظمة بل قدرات دولة، يدل عليه ما ذكره بعض المراقبين من أن القوة الأساسية لـ [داعش] هي أنها تعتمد على «قدرة مشتركة لشن الحرب، وبناء دولة في وقت واحد»^(٣).

وربما كان مفهوم الدولة والأفكار الخاصة بها ذات أهمية حاسمة لداعش،

(١) المصدر نفسه. ص ٣٨٣.

(2) Kristina Wong. ISIS now. OVER. NIGHT DEFENSE: ISIS now. worse than al Qaeda? The Hilb. July 23. 2014. <http://thehiPP.com/policy/defense/overnight/213190-over-night-defence-isis-now-worse-theh-al-qaeda>.

(3) Center for Reseaech on SocailOrgnization. workink paper No.256. University of Michigan 2012.

على الرغم من أنها تسعى لتدمير الحدود بدلاً من الانضمام إلى نظام الدولة الحديثة، ورغم كونها تشير إلى نفسها كدولة، لكنها لا تنظر إلى نفسها من خلال عدسة النظام الدولي، بل من خلال عدستها السلفية الخاصة. لذا نراها تعلن ان جميع الدول تأتمر بأمرها تحت عنوان الخلافة أو الإمامة العظمى^(١). بالخلاصة، لقد شكلت الجغرافيا الواسعة لسيطرة [داعش] فرصة ثمينة لها لتجسيد تجربة حكمها من جهة، ومن جهة ثانية ساعدتها على استقطاب المزيد من المقاتلين عبر الهجرة إلى أراضي الدولة الإسلامية، فضلاً عن أن هذه الجغرافيا التي وصفها البعض بأنها تعادل مساحة بريطانيا، وتحتوي موارد طبيعية عدة، كالأنهار والأراضي الخصبة والمزروعة وحقول النفط والغاز، والتي شكلت عائداتها جانب أساسي من الموارد المالية للدولة، مما أعطاهها عنصر قوة ذاتية وأعفاها من الحاجة إلى مصادر تمويل خارجية قد تؤثر على قراراتها.

في المقابل، استجلب هذا التوسع الجغرافي تهديداً خارجياً للمشروع عندما استفز المجتمعين الإقليمي والدولي، اللذين وجدوا فيه تهديداً وخطراً على الأمن الإقليمي والدولي باعتباره كسر أحد أهم عناصر القانون الدولي في مسألة احترام الحدود بين الدول المعترف بها دولياً.

٤- فروع داعش الإقليمية : لماذا؟ وكيف؟ وأين؟

يقرأ المتصفح لإصدارات الدولة الإسلامية أخبار [الولايات] التابعة للدولة في شرق العالم الإسلامي وغربه، فتحضر في ذهنه مجموعة من الاسئلة التي تبحث عن أجوبة علمية وموضوعية حول أسباب اعتماد [داعش] هذه الآلية (الولايات) للانتشار خارج مناطق حضورها الاساسي في العراق وسوريا ولماذا؟، وكيف

(١) د. ياسر عبد الحسين، الحرب العالمية الثالثة، مصدر سابق . ص ٢٨٩-٢٩٠.

استطاعت أن تبني هذا العدد من الولايات التابعة لها؟ ولماذا اختارت هذه البلدان دون سواها؟ وهل يحصل الانتشار وفق رؤية محددة أو بطريقة عفوية وغير مخططة وبحسب مستوى التعاطف والحماس عند مؤيدي [داعش] في هذه البلدان؟ وهل للظروف الخاصة بكل بلد علاقة بذلك؟

ويبدو أن الإجابة تستدعي العودة للبحث في ثنايا الإيديولوجية عند [داعش] واستراتيجياتها والانطلاق منها لتلمس اجوبة لكل تلك التساؤلات، كما يبدو ان هذا الامر يستدعي الولوج من باب القاعدة، ذلك لأن [داعش] هي النسخة المطوّرة عن القاعدة أو الجيل الثاني لها، فاذا كان مؤسس الدولة الإسلامية في العراق [أبو مصعب الزرقاوي] تخرّج من صفوف القاعدة في معسكر هيرات - أفغانستان، وبعد تأسيسه لجماعة التوحيد والجهاد، أعلن انضمامه إلى القاعدة، فصارت جماعته «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»، فإن معظم منظري القاعدة وقادتها باركوا لأبي مصعب، -ولمن جاء بعده- قيام الدولة الإسلامية، وإن اختلفوا معه في الأولويات، والتفاصيل الأخرى، ولكنهم كانوا يعتقدون أن الدولة الإسلامية تشكّل نواة لمشروعهم المستقبلي، وهي تحتاج لرعايتهم التي كانوا يتمنون أن تكون أكثر قدرة على التوجيه والسيطرة على السياسات المعتمدة هناك، وهذا ما لم يحصل، ولكنه لم يغيّر في حقيقة أنّ أهداف القاعدة وداعش واحدة، وهي الدولة الإسلامية «والخلافة على منهج النبوة»^(١).

وإذا كانت القاعدة تمثّل قيادة مشروع الجهاد العالمي، فإنها كانت تسعى في أفغانستان للانطلاق إلى كافة المناطق التي تسمح الظروف بالوصول إليها، كاليمن والعراق واليمن والسعودية ولبنان وسوريا وغيرها من الدول.

(١) وردت هذه العبارة في أدبيات وتنظيرات منظري القاعدة وداعش (راجع: مجلة دابق، المذكرة الاستراتيجية - إدارة التوحش - صحيفة النبأ).

وبحسب الخطة الاستراتيجية التي وضعتها القاعدة، والتي أوردتها «فؤاد حسين» في كتابه عن [الزرقاوي] (الصادر عام ٢٠٠٥م)، واعتبرها خطة نظرية واقعية قابلة للتنفيذ والتطبيق ضمن جدول وبرنامج زمني مدروس ومحكم^(١). وهي وُضعت كخلاصة لكلّ التمازج الفكري والسياسي والجهادي، واستعراض لواقع الأمة والعالم (وليست محصورة بدولة أو منطقة محددة، بل شاملة في نظرتها للأمة الإسلامية)، وبالاستفادة من تجارب الحركات الإسلامية والجهادية منها، والدعوية، وبما مرّت به من نجاحات أو فشل. وهذا كلّه كان يجري في لقاءات التخطيط والنقاش للمستقبل، أثناء اجتماعات قيادة القاعدة ومنظري السلفية الجهادية في أفغانستان. وما نُشر في كتابي «إدارة التوحش» لأبي بكر ناجي، والمذكورة الاستراتيجية، لعبد الله بن محمد. هذان الكتابان اللذان يُعتبران، هما من أهم الكتب التي رسمت استراتيجيات الوصول إلى الدولة الإسلامية ودولة الخلافة. فهما بنسبة كبيرة يُعتبران الدليل العملي، أو خارطة الطريق للقاعدة وداعش، على حدّ سواء. وينسجمان بشكل كبير مع الخطة المذكورة، فإذا اعتبرنا الخطة الاستراتيجية تمثل الخطوط العريضة لمسار الوصول إلى الدولة الإسلامية (الخلافة)، فإنّ كتابي المذكورة - وإدارة التوحش، هما الدليلان العمليان، والتفصيليان اللذان يحويان السياسات الواجب اعتمادها لتنفيذ الخطة، وتحقيق الأهداف المرسومة فيها.

فما هي هذه الخطة الاستراتيجية، وكيف يمكن قراءتها، وفهم أسباب وخلفيات انتشار فروع للقاعدة وداعش من خلالها؟

(١) فؤاد حسين، [الزرقاوي] - الجيل الثاني في القاعدة، مصدر سابق . ص ٢٠٢.

باختصار، تنقسم خطة القاعدة إلى سبع مراحل، مرتبطة بجدول زمني يمتد إلى عشرين عاماً. وقد بدأت الخطة عام ٢٠٠٠م بضربات نيويورك وستنتهي مع عام ٢٠٢٠م، وفق تتابع المراحل التالية، بحسب ما ذكره فؤاد حسين:

١. مرحلة الإفاقة: نظراً للسبب العميق الذي تعيشه الأمة منذ بداية القرن التاسع عشر، فهي تحتاج لعمل كبير، وصدمة قوية، عبر تسديد ضربة إلى رأس الأفعى الملتوية (أمريكا)، المسؤولة الأولى عن الواقع الذي تعيشه الأمة، هذه الضربة ستؤدي إلى فقدان الأفعى لرشدها، والقيام بردود فعل ارتجالية تكشف عن نواياها وحقيقتها. وبحسب ما ينقل فؤاد حسين، حصلت هذه الضربة بهجمات أيلول ٢٠٠٠م، وحصلت الإفاقة عند الأمة، وتحقيق هذا الهدف، في هذه المرحلة التي انتهت بدخول الأمريكيين إلى بغداد في ٩/٤/٢٠٠٣م.

٢. مرحلة فتح العيون: حسب تخطيط مفكّر القاعدة، ستكون مدتها ٣ سنوات، وهي بدأت مع الاحتلال الأمريكي للعراق، وستنتهي مع نهاية العام ٢٠٠٦م تقريباً. وسوف تتيح للأمة، الوقوف على الحقيقة، وكشف المستور، واكتشاف الألاعيب والمؤامرات الدولية والإقليمية، وتكشف وتعريّ مواقف الحكام والدول في المنطقة. وهي مرحلة يدوم فيها الاشتباك مع العدو. وهم يرون مهها كانت نتائج هذا الاشتباك، فهو يُعدُّ انتصاراً، لأنه سيعطي زخماً للجهاد.

٣. مرحلة النهوض والوقوف على القدمين: ثلاث سنوات أخرى لتنفيذ هذه المرحلة، تبدأ عام ٢٠٠٧م وتنتهي مع بداية عام ٢٠١٠م، ستحدث نقلة نوعية مهمة في عملية التغيير في المنطقة المحيطة في العراق، وسيتم التركيز على الشام، بدولها (سوريا _ لبنان _ الاردن _ فلسطين). وفي نهاية هذه المرحلة ستكون القاعدة على استعداد للبدء بالاشتباك المباشر مع اليهود في داخل فلسطين،

وستكرّس نفسها «القاعدة» قيادة شرعية للأمة الإسلامية دون منازع، وسيترتب على ذلك مدُّ بشري هائل لتيار القاعدة، مع زيادة الإمكانيات المادية والمالية، ووفق مخطّطهم، سيمتد تأثير هذه المرحلة على تركيا (نظراً للحاجة، لإنهاء السيطرة اليهودية هناك على الجيش ومفاصل الاقتصاد) حسب تعبير الخطة ومنظريها.

٤. مرحلة استعادة العافية، وامتلاك القوة القادرة على التغيير: وتبدأ هذه المرحلة عام ٢٠١٠م، وتنتهي مع بداية العام ٢٠١٣م، وسيتم التركيز فيها على إسقاط الأنظمة، عبر الاشتباك المباشر القوي معها. بعد أن تكون قد انكشفت كلّ أوراق الأنظمة الحاكمة، نتيجة النهج الأمريكي في التعامل معها، ويتوقّع المخطّطون أن تكون هذه المرحلة متميّزة بعدة إنجازات:

- ضعف وانحيار الأنظمة، مقابل تنامي مستمر لتيار القاعدة والجهاد الإسلامي.
- استنزاف مستمر للقوة الأمريكية، عسكرياً واقتصادياً، وبدء انحيار للدولار.
- سيكون تيّار الجهاد قادراً على ضرب النفط العربي وإحراقه، لحرمان الأنظمة والأميركيين من أهم دعائم الاقتصاد لديهم.
- ستكون إمكانيات القاعدة الاليكترونية قد اكتملت، وقادرة على شنّ حرب وهجمات اليكترونية على الاقتصاد الأمريكي والمصالح الأميركية.
- يبدأ تحوّل كبير وتراجع في دعم الأمريكي لدولة اسرائيل - فتضعف اسرائيل.

٥. مرحلة إعلان الدولة: مع بداية عام ٢٠١٣م، وحتى عام ٢٠١٦م، وهي مرحلة تراجع في قدرات أميركا وإسرائيل، مما يغير المعادلات الدولية، وتحوّل بعض الدول التي في طور النمو إلى دول عظمى كالهند، والصين، وغيرها، وستتمزق

أوروبا، لأن الانكليز لن يسمحوا باستمرار حالة الوحدة المتنامية لأوروبا. وهذا كله سيقدم ويوفر الفرصة الذهبية لتيار الجهاد والقاعدة لإعلان الدولة الإسلامية، وهو الهدف الاستراتيجي للقاعدة لأنه يعني:

- القدرة على التحكم والقيادة.
- الفرصة لإعادة البناء والإعمار الحقيقي.
- القدرة على تحفيز طاقات الأمة وإمكانياتها وقدراتها البشرية والمادية، وتوظيفها الأمثل لخدمة قضاياها، وتلبية احتياجاتها.
- خلق توازن قوى دولي جديد سينكفى معه المعتدون على الأمة إلى جحورهم.
- انهيار ونهاية كل الأنظمة الفاسدة في بلاد المسلمين.

٦. مرحلة المواجهة الشاملة: بين فسطاطين (قوى الإيمان _ وقوى الكفر العالمي) وهذه المواجهة الشاملة تبدأ بعد إقامة الدولة الإسلامية مباشرة، وتمتد من ٢٠١٦م لسنوات، ولن تستطيع قوى الكفر والباطل أن تصمد في مواجهة دولة الحق، وسيُدمرُ الباطل ويزول سريعاً.

٧. مرحلة الانتصار النهائي: في بضع سنين سوف تُحسم المعركة الشاملة والمواجهة الواسعة. وسوف يدرك العالم مفهوم مصطلح الإرهاب الحقيقي، وفق الفهم الإسلامي (القوة الإسلامية المستندة إلى مليار ونصف نسمة، سوف توقع الرعب في قلوب أعدائها). وهذا الإرهاب الذي يوقع في نفس العدو تأثيراً رادعاً، يجعله يفكر ألف مرة قبل الاعتداء على المسلمين أو المستضعفين، أو المسَّ بأيِّ حقٍّ من حقوقهم^(١).

(١) - فؤاد حسين، [أبو مصعب الزرقاوي] - الجيل الثاني للقاعدة، مصدر سابق . ص ٢٠٢ -

هذا الوصف للمراحل التي تعتمدها الخطة للوصول إلى الهدف النهائي، وهو إقامة الدولة والخلافة.

ولقد قصدنا في استعراض عناوين الخطة، أن استراتيجيات القاعدة، ثم [داعش] لاحقاً، كما هي إيديولوجيتها، لا تنطلق من التفكير بمشروع على مستوى ضيق ومحدد جغرافياً وإقليمياً؛ بل تنطلق برؤية شمولية، تنظر من خلالها إلى واقع الإسلام والمسلمين في العالم كله، وإلى المعاناة والظروف التي تحيط بواقع الأمة الإسلامية ككل. وبالتالي هي تبني خططها ومشاريعها على أساس العودة بالأمة إلى الخلافة / الدولة، التي تُحْكِم سيطرتها على البلدان الإسلامية، وتشكل قوة عظمى في مواجهة القوى العظمى في العالم.

وإذا كان المشروع شمولياً وعالمياً، فهذا يعني حتماً الحاجة للامتدادات، ولتظافر الجهود بين كل المسلمين، من شتى الأقطار والأصقاع في العالم، بغض النظر عن الأدوار المختلفة والمتنوعة لكل منهم في تنفيذ المخطط أو المشروع الشمولي.

وعند مراجعة الاستراتيجيات التي وُضعت لحركات الجهاد العالمية من قبل منظري الجهاد (أبو مصعب السوري - في كتابه المقاومة الإسلامية العالمية، وأبو بكر ناجي - في إدارة التوحش، وعبد الله بن محمد - في الجمع القيم للمذكرة الاستراتيجية)؛ فمن الملاحظ بوضوح هذه الشمولية في التخطيط الاستراتيجي عندهم، حتى في الخطط التفصيلية، مثل نظرية الذراعين (اليمن، والشام)، التي وردت في المذكرة الاستراتيجية، كدول يمكن الانطلاق منها، وبلورة نموذج أولي للإمارة الإسلامية، والتي تتحول تدريجياً بعد التوسع، وتطوير الصراع إلى خلافة

إسلامية تكون إحدى المدن المقدّسة (القدس، أو مكّة) عاصمتها المقترحة^(١).

وهم جميعاً يتحدثون عن صراع عالمي مع أميركا ومع الدول والحكومات التابعة لها، أو المرتبطة بها سياسياً واقتصادياً وأمنياً، كالأنظمة العربية الخليجية ومصر وغيرها. فتحقيق النكاية وإدارة التوحش، ثم التمكين، كلّها مراحل من الصراع مع الأنظمة والحكومات، تقضي في النهاية إلى إقامة الدولة الإسلامية المنشودة، والتي تشمل كل المناطق التي كان المسلمون/ يحكمونها تاريخياً.

الآن، أصبح لدينا منهجاً واضحاً في النظر إلى فروع القاعدة، وفروع [داعش] الإقليمية والعالمية، وصار مفهوماً لدى الباحث، السياق التي تُوضع فيه هذه الفروع والإمارات التي كانت موجودة نسبياً في مرحلة صعود القاعدة، ولكنها تكاثرت وتطوّرت ونمت أكثر، وتوسّعت في عهد [داعش]، وبشكل خاص بعد إعلان الخلافة عام ٢٠١٤م. فإعلان الخلافة أعطى زخماً للجهاديين العالميين في أماكن تواجدهم للالتحاق بالمشروع.

لقد شهدنا خطاباً للدولة الإسلامية في العراق والشام، وثمّ للخلافة الإسلامية، وقبلهما للزرقاوي، يناشدون فيه المسلمين الجهاد والهجرة للجهاد، ثمّ الهجرة لنصرة الخلافة، والعيش في كنفها. وكان هذا الخطاب لا يستثني النساء والرجال والعلماء والمهندسين وأصحاب الكفاءات من شتى الاختصاصات، نظراً لحاجة الدولة الإسلامية/ الخلافة إليهم في بناء المشروع، وتمكينه، أملاً بتحويله إلى نموذج للدولة الممتدّة والواسعة، المنشودة في بسط سيطرتها على بلاد

(١) راجع: عبد الله بن محمد، المذكرة الاستراتيجية، ٢٠١١ جزيرة العرب، مصدر سابق . ص ١٥

المسلمين لاحقاً^(١).

فمثلاً في خطبة أبي بكر [البغدادي] في الجامع الكبير في الموصل، يدعو المسلمين إلى الهجرة لمناطق الخلافة بوصفها «دار الإسلام» قائلاً: «يا أيها المسلمون في كل مكان، من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر، فإن الهجرة إلى دار الإسلام واجبة»^(٢)، وهي خطبة موجهة إلى الأمة الإسلامية عامة.

ولم يقتصر الأمر على الدعوة إلى الهجرة للمساهمة في بناء الدولة في دار الإسلام؛ بل أيضاً يُطْلَقُ الناطق الرسمي للدولة الدعوة إلى مبايعة ونصرة الخليفة، وإنه بإعلان الخلافة، صار واجباً على جميع المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة، وتبطل شرعياً جميع الإمارات والولايات والتنظيمات التي يتمدد إليها سلطانه ويصلها جنده، ولا يقف الأمر عند التنبيه؛ بل يصل إلى حدّ التهديد بالقتل، فالعدناني الناطق باسم الدولة، توعّد أنصار التعددية بقوله: «ومن أراد شقّ الصفّ فافلقوا رأسه بالرصاص، وأخرجوا ما فيه، كائناً من كان، ولا كرامة»^(٣).

وبالعودة إلى أبي بكر ناجي، فقد ذكر في كتابه إدارة التوحش، أن مرحلة النكاية والإنهاك - تتم عن طريق مجموعات وخلايا منفصلة في كل مناطق العالم الإسلامي، الرئيسية وغير الرئيسية، حتى تحدث فوضى وتوحش في مناطق عديدة بالدول الرئيسية المختارة (الأردن - بلاد المغرب - نيجيريا - باكستان - وبلاد

(١) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق . ص ١٨-٢١.

(٢) راجع: خطبة وصلاة الجمعة في الجامع الكبير لمدينة الموصل لأبو بكر البغدادي، على الرابط:
<http://www.youtube.com/watch?=&itu6NhED9YK>

(٣) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: هذا وعد الله، مؤسسة الفرقان للانتاج الإعلامي، على الرابط:
<http://www.youtube.com/watch?=&blqkBXK vs-A>

الحرمين)، حتى يأتيها الفتح بإذن الله من الخارج^(١).

فمن أهداف هذه المرحلة، «إنهاك قوات العدو والأنظمة العميلة لها، وتشتيت جهودها، وجعلها لا تستطيع أن تلتقط أنفاسها، وذلك في مناطق الدولة الرئيسية المرشحة وغير المرشحة، بعمليات، ولو كانت صغيرة الحجم، ولو ضربة عصا على رأس صليبي. الأمر الذي يخدم مشروعنا في جذب شباب جُدد للعمل الجهادي، عبر لفت نظر الناس، ونقصد هنا بالعمليات النوعية المتوسطة على غرار عملية [بالي]، وعملية [جربة] في تونس وعمليات تركيا، والعمليات الكبرى في العراق، ومن الأهداف أيضاً هو إخراج هذه المناطق (الدول) من سيطرة أنظمة الرِّدة، وهو الهدف الذي نعلنه ونعقد النية عليه»^(٢).

لقد شكّلت أرض الخلافة في العراق وسوريا، ونداءات الخليفة، عامل جذبٍ لآلاف من الجهاديين أو المنضوين إلى الجهاد، من كافة الأقطار العربية والإسلامية، وحتى الأجنبية، وقد بلغت الدول التي جاؤوا منها - بحسب العديد من الإحصاءات والمصادر - أكثر من ٨٠ دولة، وقد خضع هؤلاء للتدريب، وخاضوا التجربة، والبعض منهم عاد إلى بلاده، كما حصل في أفغانستان بعد انتهاء الحرب مع الاتحاد السوفياتي، ليقوم مشروع الجهادي في موطنه الأصلي، أو ليؤسس لإمارة إسلامية تباع الخلافة وتشكّل امتداداً لها.

وقد نشر مركز صوفان الاستشاري للشؤون الأمنية دراسة إحصائية حول عديد الجهاديين الذين قدموا إلى مناطق الدولة الإسلامية في سوريا والعراق، وعديد العائدين إلى ديارهم، لاسيّما الأجانب منهم.

(١) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق. ص ١٦.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٧.

نورد هنا لائحة وجدول لأبرز عشرة بلدان تحدّر منها الجهاديون وعادوا إليها، وهي كالتالي^(١):

عدد الجهاديين العائدين إلى ديارهم	عدد الذين توجهوا إلى مناطق الدولة الإسلامية في سوريا والعراق	أبرز البلدان/ التي يتحدّر منها الجهاديون
٧٦٠	٣٢٤٤	السعودية
٤٠٠	٣٤١٧	روسيا / الشيشان
٨٠٠	٢٩٢٦	تونس
٢٥٠	٣٠٠٠	الاردن
١٩٨	١٦٢٣	المغرب
-	١٥٠٠	أوزبكستان
٩٠٠	١٥٠٠	تركيا
٢٧١	١٩١٠	فرنسا
١٤٧	١٣٠٠	طاجكستان
-	١٢٠٠	أويغور*

ولكن بمراجعة الدراسة المكوّنة من ٤١ صفحة والمنشورة على موقع باللغة الانكليزية نجد إضافة لما تقدم الأرقام الاجمالية التالية:

- من الدول السوفياتية (دول الاتحاد سابقاً) ٨٧١٧.
- من الشرق الأوسط (السعودية- الأردن- لبنان- فلسطين- ودول الخليج) ٧٠٥٤.

(١) نشرت الأرقام نقلا عن المصدر في مركز صوفان الاستشاري للشؤون الأمنية، في صحيفة الاتحاد، بتاريخ ٢٦/١٠/٢٠٠٧، العدد الرابع-السنة الأولى-ص ٦.

* أقلية أثنية غالبيتها من المسلمين، ومتحدّرة من شينجيانغ (شمال غرب الصين).

- دول غرب أوروبا (فرنسا - بلجيكا - ألمانيا - بريطانيا...) ٥٧٧٨.
- دول المغرب العربي (تونس - المغرب - الجزائر - مصر) ٥٣٥٦.
- دول جنوب آسيا وشرقها ١٥٦٨.
- دول البلقان ٨٤٥.
- أميركا الشمالية ٤٤٤.

وهذه الأرقام والإحصاءات، شكّلت مؤشرات أولية للدراسة التي هدفت إلى تحديد مستوى الخطر الأمني الذي يمثّله هؤلاء العائدون إلى بلدانهم، وحجم التحدي الذي يشكّلونه هم وعوائلهم من النساء والأطفال، للأجهزة في تلك الدول.

وقد جاء في خلاصة الدراسة (ما بعد الخليفة) التي تحمل عنوان: (BEYOND The Caliphate) ونشرت في ٣١ / ١٠ / ٢٠١٧:

١. بما أنّ الدولة الإسلامية فقدت السيطرة على الأرض، وبالتالي تلاشت الخلافة، فلا شكّ أنّ مجموعات منها سوف تنجو من الحملة العالمية ضدها، وطالما بقيت الظروف التي شجعت وساعدت على نموّها فسوف يبقى تأثير ما لها. في حين أنه سيكون من الصعب تقييم وتحديد مستوى التهديد الذي تشكّله عودة المقاتلين الأجانب، ولكنه من المؤكّد سوف يشكّل تحدياً للكثير من البلدان خلال السنوات القادمة.

على الرغم من الزيادة الإجمالية لعدد المقاتلين الأجانب، منذ كانون الأول ٢٠٠٥ (تاريخ آخر تقرير لمجموعة صوفان)، فقد وصل تدفق المقاتلين إلى حالة من الجمود الفعلي، عندما بدأت الدولة الإسلامية تفقد أراضيها في كلّ من سوريا

والعراق، وساعد ذلك التشدد في الإجراءات التي اتخذتها بعض الدول لمنع السفر. ومع ذلك فمنذ العام ٢٠١٥ كان هناك زيادة ملحوظة في أعداد النساء والأطفال الأجانب الذين يسافرون إلى الدولة الإسلامية، أو في حالة الأطفال الذين يولدون في الدولة الإسلامية^(١).

٢. بينما لم يضيف المقاتلون الأجانب العائدون مستوى كبير من التهديد الإرهابي في جميع أنحاء العالم، وأن عدد الهجمات التي نفذتها أو أهدمتها الدولة الإسلامية لم تتواصل في الارتفاع، فإن جميع العائدين، وأياً كان سبب عودتهم إلى ديارهم سوف تستمر في فرض درجة ما من المخاطر.

٣. هناك الآن، ما لا يقل عن ٥٦٠٠ مواطن أو مقيم من ٣٣ دولة، قد عاودوا إلى ديارهم، ويضاف إليهم الأرقام المجهولة من البلدان الأخرى. وهذا يمثل بحد ذاته تحدياً كبيراً للأجهزة الأمنية وأجهزة القضاء في هذه البلدان.

٤. تمثل النساء والأطفال العائدون مشكلة خاصة للدول، ويتطلب الأمر جهداً لفهم أفضل السبل لإعادة دمج هؤلاء بالمجتمعات وبالرجال المناسين. وسوف يكون تحديد آليات الصحة النفسية والدعم الاجتماعي ذات أهمية، خاصة في حالة الأطفال منهم.

في القراءة والتحليل للدراسة وخلصتها، يبدو واضحاً بأن المشكلة لن

(١) تحدثت مواقع صحفية متعددة أهمها فرانس/ ٢٤ - عن وجود ما يزيد على تسعة آلاف امرأة وعشرون ألف طفل في المخيمات الثلاثة التي لجأت إليها عوائل [داعش] في الفترة الأخيرة (٢٠١٨م) وهي مخيمات أقيمت في مناطق شمال شرق سوريا وتشرف عليها قوات (قسد) وبمساعدة من المنظمات الدولية للأغاثة والأمم المتحدة، وقد دخلها العديد من الصحفيين وأجروا مقابلات مع اللاجئين ونشرت في وسائل الإعلام، وعلى اليوتيوب.

تنتهي بتراجع [داعش]، وفقدان الدولة الإسلامية للجغرافيا في سوريا والعراق، بل تمتد وتتعاظم وتنتشر المشكلة في جميع الدول التي أتى منها المهاجرون إلى الدولة الإسلامية. وتبحث الأجهزة الأمنية في هذه الدول، أساليب وطرق التعامل مع هؤلاء كخطر وتحدٍّ كبير لهم. فحتى الأطفال والنساء هم بالنسبة إليهم خطر محتمل وتحدٍّ كبيرٍ يحتاج لمعالجة.

وهو في الوقت نفسه يبيّن مدى تغلغل الأيديولوجية الخاصة بداعش والقاعدة في عقول ووجدان هذه المجموعات الكبيرة المتمتية إلى أعراق متعددة، ودول متنوعة ولغات مختلفة.

الأمر الذي يؤكّد أنّ مجيئهم إلى العراق وسوريا، ليس سوى الخطوة الأولى في تأهيل الكادر المرشّح مستقبلاً لإدارة الإمارات والفروع الداعشية في الانتشار الإقليمي والعالمي.

وللتدليل على الأمر، يمكن مراجعة ما حصل بعد عودة جهاديين القاعدة من أفغانستان إلى بلدانهم التي أتوا منها، حيث بدأت هذه الجماعات في تأسيس وبلورة مشاريعها الجهادية الوطنية، وتعمل ضدّ «الحكومات والأنظمة المرتدة»، ومع أول فرصة لها، أعلنت مبايعتها للدولة الإسلامية والخليفة البغدادي، وهذا ما حدث في العديد من الدول العربية والإسلامية. وسنستعرض لاحقاً نماذج حيّة من هذه البيعات.

وفي هذا السياق، يحضر السؤال الأهم، ما هي العلاقة بين دولة الخلافة وشرعية قيادة الجهاد العالمي؟ أو بمعنى آخر مرجعية الولايات والفروع الإقليمية؟

تحت عنوان تحوُّلات الجهاد العالمي بعد إعلان الخلافة، وخلال الحديث عن خلفيات التحوُّل الاستراتيجي والعلاقة مع القاعدة وتبرير حصر عمليات الدولة سابقاً في العراق وحده، يوضِّح أبو محمد العدناني الناطق الرسمي باسم الدولة الإسلامية (الخلافة): «لما كانت الدولة الإسلامية جزءاً من الجهاد العالمي، وكان لا بد للجهاد العالمي - تديناً من رأس يديره، وكان قادة القاعدة - رحمهم الله، هم رموز الجهاد في هذا العصر وأصحاب السبق والفضل؛ تركت لهم الدولة قيادة الجهاد في العالم توقيراً واحتراماً وتقديراً وتبجيلاً وتكريماً وتشريفاً وتعزيزاً، فلم تتجاوز عليهم أو تخالفهم في سياسة خارج مناطقها وخاطبتهم خطاب القادة والأمراء...» «والذي منع الدولة الإسلامية من امتداد نشاطها خارج العراق في السابق؛ كان التزامها عدم مزاحمة القاعدة في ساحة الجهاد العالمي، على اعتبار أنّ الأسبقية لهم في هذا المجال، على يد الشيخ أسامة بن لادن - رحمه الله - ولكن بإعلان الخلافة الإسلامية التي تمثل جماعة المسلمين في كل العالم، فإنّ قيادة المسلمين في كل أنحاء العالم، في كل شؤون حياتهم، ومنها الجهاد العالمي، باتت من واجبات إمام المسلمين، وحقاً من حقوقه لا ينازعه فيه أحد...» «وكانت الخطوة الأولى في هذا الشأن؛ العمل لجمع صفّ المسلمين في أنحاء الأرض المختلفة، فاستجاب لدعوة الخلافة الكثير من الجماعات المجاهدة في مشارق الأرض ومغاربها، وانضمَّ إليها المجاهدون، فأعلنت الولايات التابعة للدولة الإسلامية، وقام المجاهدون في كلِّ ولاية بقتال من يليهم من الكفار المرتدين، بل وأُسست المفارز الأمنية، وفُعّلت في الأصقاع البعيدة، لتقوم بدورها في النكاية بأعداء الله، ريثما يفتح الله عليهم بالتمكين»^(١).

(١) أبو محمد العدناني - صحيفة النبأ - العدد السادس، ص ١٠ (٩/ ربيع أول/ ١٤٣٧ هـ).

هذا النص يبيّن حركة المنافسة والصراع على قيادة الجهاد العالمي، وتداخيات إصرار الدولة الإسلامية لإعلان الخلافة، لاختطاف قيادة هذا الجهاد العالمي من أيدي خليفة بن لادن (الظواهري)، والمبادرة إلى الإمساك بزمام القيادة لـ [داعش] عبر (الخلافة). وانتشار الولايات بهذا الشكل الواسع، هو من باب تثبيت الأمر عملياً، وحسم أيّ نوع من الجدل والنقاش في الموضوع، وبالتالي إقفال أيّ مراجعة بهذا الشأن. أمّا الحديث عن المفارز التي تحلّ محلّ الولايات في المناطق البعيدة، والتي لا يتواجد فيها إمكانية لإعلان الولاية، فتذكرنا بتنظيرات أبي بكر ناجي، الذي تحدث عن مرحلة النكاية، ثم إدارة التوحش، وصولاً إلى التمكين.

فيما يلي، مرور سريع على نماذج من البيعات لـ [داعش] والخلافة، وانتشار الولايات ونماذج من عملياتها العسكرية (ضد من يليها من الكفار والمرتدين _ بحسب أبي محمد العدناني):

لا يقف انتشار أفكار الدولة الإسلامية والخلافة عند حدود معيّنة، وكذلك إماراتها، فبعد إعلان الدولة الإسلامية في (١٠ / حزيران / ٢٠١٤) عن قيام الخلافة الإسلامية، والبيعة لأبي بكر البغدادي، ودعوة كافة المجموعات المسلحة والفصائل الجهادية، وعموم المسلمين لمبايعته؛ ظهرت إعلامياً، مجموعات عدّة لفصائل جهادية، بعضها كان تابعاً للقاعدة، وأخرى جديدة التكوين ومحليّة، لتعلن بيعتها للخلافة، وتبعيتها وارتباطها التنظيمي والعضوي في الدولة الإسلامية، وأبرزها كان:

١. أنصار بيت المقدس (المصرية)، (ولاية سيناء). فقد أعلن هذا التنظيم تلبية الدعوة التي أطلقها أبو محمد العدناني، وبايع الخليفة [البغدادي] في تشرين الثاني ٢٠١٤ م، ليكتسب التنظيم إسماً جديداً هو «ولاية سيناء»، وقد وردت

حينها في صحيفة النبأ الناطقة باسم الخلافة^(١). وتبنى التنظيم باسمه الجديد معظم الهجمات الدامية ضد قوات الأمن المصرية في شبه جزيرة سيناء، ووفقاً للسلطات، قتل المئات من رجال الشرطة والجنود في هجمات، شنّ القسم الأكبر منها مقاتلو التنظيم في شمال سيناء، وبحسب مراقبين، ظهر أعضاء تنظيم بيت المقدس بعد ثورة يناير (كانون الثاني) ٢٠١١م^(٢). وفي العدد الرابع من صحيفة النبأ، بيان للمكتب الإعلامي لولاية سيناء، يتبنى إسقاط الطائرة الروسية المدنية، وقتل كامل ركابها، البالغ ٢٢٠ صليبياً روسياً، ثاراً لقصف الشام، بحسب الصحيفة.

ونشاهد ونقرأ في العدد ١٥ من صحيفة النبأ إنفوغراف عن إنجازات وحصاد ولاية سيناء بعد سنة من إعلان البيعة: ١٢ عملية استشهادية، ١٦٠ تفجير عبوة، ١٤٠٠٠ ألف قتيل وجريح من الجيش والشرطة والصحوات والجواسيس، ٢١٠ تدمير آليات. (العدد ١٥ / ص ٢، ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ).

٢. مجلس شورى شباب الإسلام في مدينة درنة الساحلية (ليبيا)، أنضم هذا المجلس إلى دولة الخلافة في ١٠ / ١١ / ٢٠١٤، ونظّم التنظيم في درنة أول استعراض عسكري علني في المدينة، ودعا الأهالي إلى المسارعة في بيعه أمير المؤمنين وأمير [داعش] هناك، لتأسيس أول إمارة لـ [داعش] خارج سوريا والعراق.

وفي ١٣ / ١١ / ٢٠١٤ أصدر [أبو بكر البغدادي] تسجيلاً صوتياً أعلن فيه

(١) - صحيفة النبأ - العدد الأول - (٢٠١٦م) ص ١٠ (حملة ضد المتدين). والعدد الثاني (٢٠١٦م) ص ٢.

(٢) - صحيفة النبأ - العدد الأول - (٢٠١٦م) ص ٥. والعدد الرابع، في العنوان والتفصيل الرئيسي، ص ٣.

قبوله لمبايعات الولاء من مؤيديه في خمسة دول، ومنها ليبيا، وأعلن عن إقامة (ثلاث ولايات في ليبيا) برقة في الشرق، وفزان في الجنوب، وطرابلس في الغرب.

وتوسع فرع الدولة بعدها وسيطر على مدينة سرت في أيار ٢٠١٥م، ومع استعادة الجيش الليبي مدينة سرت نهاية عام ٢٠١٦م، لم يتتجواجد [داعش] في الدولة المتشظية والمترامية الأطراف، فما زالت ليبيا تشهد معارك بين [داعش] والجيش الليبي وعمليات عسكرية لداعش^(١).

وفي العدد ٢١ من صحيفة النبأ، ص ٨، حوار مع الأمير المفوض لإدارة الولايات الليبية الشيخ عبد القادر النجدي: «نسأل الله أن يجعل طلائع الخلافة في ليبيا من الفاتحين لروما. ٢٨/٥/١٤٣٧ هـ.

٣. ولاية الصومال: ورد في العدد الثاني من صحيفة النبأ خبر أول بيعة من مجاهدين الصومال لأمر المؤمنين: «بعد بيعة المجاهدين من أرض سيناء وخراسان وليبيا والجزائر وغرب أفريقيا والقوقاز واليمن وجزيرة العرب، أفراداً وجماعات، أعلن جمع من مجاهدي أرض الصومال بيعتهم لخليفة المسلمين الشيخ أبي بكر البغدادي، وجاءت بيعتهم على لسان الشيخ عبد القادر مؤمن (هو من العلماء المعروفين)، ومجموعة المجاهدين معهم من (حركة الشباب المجاهدين) في منطقة شمال الصومال»^(٢).

٤. ولاية البحرين: في أول استجابة من شباب جزيرة العرب لدعوة العدناني (المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية) أعلن جنود الدولة الإسلامية في ولاية

(١) - أحمد الدباغ، ١٢-١١-٢٠١٧م، موقع ساسة بوست، www.post.com.sasa. وأيضاً

العدد ٣٥ من صحيفة النبأ، ص ٢، شهر رمضان/ ١٤٣٧ هـ

(٢) صحيفة النبأ - العدد الثاني - ١٠، محرم، ١٤٣٧ هـ (٢٠١٦م) - ص ١٠.

البحرين مسؤوليتهم عن الهجوم الذي قام به أحد جنود الخلافة (شجاع الدوسري)، واستهدف (حسينية الحمزة) للرافضة، واشتبك مع قوات أمن الطاغوت (السعودي)، وتمكّن من قتل وإصابة العشرات. وهذا الإعلان الأول الذي يصدر باسم ولاية البحرين التي تضم الجزء الشرقي من جزيرة العرب المتمثل بالإحساء والقطيف وقطر وجزيرة البحرين وإمارات الخليج^(١).

٥. ولاية صنعاء: ورد في صحيفة النبأ: قيام المجاهدين في ولاية صنعاء بتفجير ثلاث عبوات ناسفة في تجمعات ومواقع للحوثيين (المشركين) في حي الوزارات، والمدينة، ودوّار النصر. ومن المعروف أن تواجد [داعش] في اليمن هو امتداد لتواجد القاعدة العريق فيها.

ويورد العدد ٣١ من الصحيفة خبراً عن قتل وجرح ١٢٥ جندياً (للتاغوت) هادي في حضر موت. كما تعنون الصحيفة عددها ٢٧ بعنوان «جنود الخلافة يستهدفون وزارة الخارجية اليمنية»^(٢).

٦. ولاية خراسان: وتشمل باكستان، وأفغانستان، والهند، وإيران.

وقد أوردت صحيفة النبأ في عددها (٧٧) - خبراً عن مواجهة لجنود الخلافة مع الجيش الأفغاني وعناصر من حركة طالبان الوطنية^(٣).

وفي العدد ١٧ صفحة ٨، نقرأ مقابلة مع الشيخ حافظ سعيد خان والي

(١) صحيفة النبأ - العدد الأول، مصدر سابق . ص ٦.

(٢) صحيفة النبأ - العدد الأول، مصدر سابق . ص ٥. وفي العدد السادس، ص ١، عملية أخرى ضد الجيش اليمني التابع للتاغوت «هادي».

(٣) صحيفة النبأ - العدد ٧٧ - ٢٣، رجب، ١٤٣٨ هـ، السنة الثامنة. والعدد ١٤، ص ١٤، السنة السابعة، ٨ / ٤ / ١٤٣٧ هـ.

خراسان (مرفقة بصورته) أخبار عمليات للمفارز الواقعة ضمن الولاية.. وبعد عام من البيعة المكاسب الاستراتيجية لدولة الخلافة في ولاية خراسان.

٧. ولاية غرب أفريقيا (نيجيريا): تنقل صحيفة النبا أخبار عمليات في نيجيريا تحت عنوان ولاية غرب أفريقيا، وتحدث عن عدّة عمليات لجنود الخلافة ضد مراكز للجيش في منطقة يوبي شمال نيجيريا، وهجوم على مركز الشرطة في بلدة كَنما التابعة ليونساري، إضافة لهجوم آخر في ٢٨/ شهر شعبان/ ١٤٣٧ هـ على قاعدة عسكرية لجيشي النيجر ونيجيريا المرتدين (بحسب الصحيفة) في مدينة بوسنو جنوب شرق النيجر قرب الحدود (المصطنعة) مع نيجيريا، وقد أسفرت عن مقتل نحو ١٠٠ عنصر منهم، واغتنام كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر المتنوعة^(١).

٨. ولاية الفلبين: أعلنت عدد من الكتائب المجاهدة في الفلبين بيعتها لأمير المؤمنين على السمع والطاعة في المشط والمكره واجتماعها تحت قيادة الشيخ أبي عبد الله الفلبيني (الأمير) الذي أقرته الدولة الإسلامية أميراً على جنود الخلافة هناك. (العدد ١٢ - من صحيفة النبا - ص ٣).

وتورد صحيفة النبا خبراً مفاده حصول مواجهة عنيفة لجنود الخلافة مع الجيش الفلبيني جنوب البلاد، ممّا أوقع قتلى وجرحى، وارتفعت الحصيلة إلى ١٠٠ قتيل صليبي وعشرات الجرحى، وتشير إلى أن جنود الخلافة قد أسروا ٢٠ عنصراً من الجيش الفلبيني (الصليبي) في ٢٦ جمادي الأول.

٩. ولاية حضرموت: قام جنود الخلافة بقصف أهداف تابعة للجيش اليمني المرتد يوم الاربعاء ٢٣/ ربيع الآخر/ ١٤٣٧ هـ، في مناطق ولاية حضرموت،

(١) صحيفة النبا - العدد ٣٥، السنة السابعة، ٩/ ٩/ ١٤٣٧ هـ.

وتمكن جنود الخلافة (الدولة الإسلامية) في (٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ) من تدمير سيارة مزوّدة بمدفع رشاش للجيش اليمني المرتد في منطقة القطن في ولاية حضرموت، وأكدت وكالة أعماق أن المجاهدين استهدفوا السيارة بقذيفة صاروخية مما أدى إلى تدميرها^(١).

١٠. ولاية القوقاز: عنوان عريض في الصفحة الأولى للعدد ١٨ من صحيفة النبأ (أول عملية استشهادية بسيارة مفخخة لجنود الخلافة في ولاية القوقاز)، والتفاصيل في الصفحة الرابعة من العدد، وجاء فيها قتل خمسة عناصر من الشرطة المرتدة، وإصابة خمسة آخرون إثر استهدافهم بسيارة مفخخة يقودها استشهادي، ضربت نقطة تفتيش لهم في ولاية القوقاز، وتمت العملية في قاطع عمليات داغستان^(٢).

١١. ولاية دمشق: وتتبع لها لبنان، فقد قتل وأصيب ٢٨ جندياً من «مركبي» الجيش اللبناني، الخميس ٣٠ / جمادى الأولى / ١٤٣٧ هـ، في محاولة تقدم لهم في جرود رأس بعلبك في القلمون الغربي. بحسب صحيفة النبأ.

نكتفي بهذه النماذج للولايات، وهي الأبرز من بين الولايات التي أعلنت بيعتها لـ [داعش] في دول متعددة.

أما المفارز الأمنية المنتشرة خارج أراضي الدولة الإسلامية في العراق وسوريا والتي نفذت عمليات لـ [داعش] فنذكر منها:

١ - المفارز الأمنية في بنغلادش: فقد ورد في العدد السابع لصحيفة النبأ تنفيذ

(١) - صحيفة النبأ - السنة السابعة - العدد ١٧ - ٢٩/٤/١٤٣٧ هـ - ص ٧.

(٢) - صحيفة النبأ - السنة السابعة - العدد ١٨ - ٧/٥/١٤٣٧ هـ - ص ٤.

جنود الخلافة عملية هجوم على (معبد شركي للروافض) في مدينة بورغا شمال بنغلادش يوم الخميس / ١٤ صفر / ١٤٣٧ هـ، مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى وتذكر الصحيفة إحصاء لعمليات [داعش] في بنغلادش خلال شهرين تبلغ ٨ عمليات متفرقة، كما تذكر في العدد ٣٥ - نبأ اغتيال راهب هندوسي شمال غرب بنغلادش على أيدي المفارز الأمنية للدولة الإسلامية^(١).

٢- المفارز الأمنية في تونس: أيضاً، يورد العدد السابع من الصحيفة الناطقة باسم [داعش] إحصاء لعمليات الأمنية التي قام بها جنود الخلافة في تونس (عامي ١٤٣٦-١٤٣٧ هـ)، وتبلغ سبع عمليات - ونتائجها ١٠٠ قتيل وجريح من جنسيات مختلفة (أجنبية) و٧٦ مرتد قتيل وجريح. واستهدفت مراكز عسكرية وأمنية ومتحف باردو في تونس العاصمة وفندق سياحي في سوسة في تونس العاصمة ومدينة بوزيد^(٢).

٣- المفارز الأمنية في باريس: وقد تحدثت وكالات الأنباء عن عمليات [داعش] الإرهابية هناك عام ٢٠١٨.

٤- المفارز الأمنية في بلجيكا: الدولة الإسلامية تزلزل أوروبا الصليبية مجدداً... مئات القتلى والجرحى نتيجة عمليات استشهادية في بروكسل. هذا عنوان لصحيفة النبأ (العدد ٢٣). وفي صفحة ٣ الخبر: هز جنود الخلافة دول الصليب مجدداً من خلال سلسلة من العمليات الاستشهادية التي ضربت العاصمة البلجيكية بروكسل وتسببت بمقتل وإصابة المئات من الصليبيين، واستهدفت

(١) صحيفة النبأ، السنة السابعة، العدد السابع، ١٦ / صفر / ١٤٣٧ هـ، ص ٦، والعدد ٣٥، ص ١١.

(٢) انقوغراف في العدد السابع لصحيفة النبأ، ١٦ / صفر / ١٤٣٧ هـ، ص ٢.

كلاً من مطار زافتم الدولي ومحطة لقطارات الأنفاق.

٥- المفارز الأمنية في أميركا: أكبر هجوم داخل الولايات المتحدة الأميركية منذ هجمات نيويورك هو عنوان الخبر الذي نشرته صحيفة النبأ في العدد ٣٥، والذي تحدث عن اقتحام جنود الخلافة (الدولة الإسلامية) لاتباع قوم لوط في مدينة أورلاندو في ولاية فلوريدا الأميركية، وقتل وإصابة أكثر من ١٠٠ من الصليبيين، بحسب الصحيفة^(١).

٦- المفارز الأمنية في مصر: في عملية نوعية لجنود الخلافة، قامت مفارز أمنية (الخميس ٢٦ / ربيع الأول / ١٤٣٧ هـ) بالهجوم على حافلة نقل سياحاً يهوداً في الجيزة (جنوب القاهرة)، وأفادت وكالة أعماق أن جنود الخلافة استهدفوا الحافلة بالأسلحة الخفيفة أمام إحدى الفنادق في شارع الهرم في الجيزة. ونقرأ عنوان حواجز الشرطة المرتدة في مرمى المفارز الأمنية (خمسة قتلى في هجوم جديد على مرتدي الشرطة المصرية)^(٢).

يقول المحلل في معهد دراسة الحرب [هارلين غامبير] لصحيفة نيويورك تايمز: «أن الأمر لم يقتصر على أن [داعش] يريد أن يبني علاقات مع الجهاديين الذين يستطيعون القيام بعمليات عسكرية في منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، بل أنه يريد من خلال عملياته ومنشوراته أن يلهم المتعاطفين معه لمهاجمة الغرب». وأضاف: «أن الهدف من ذلك هو أنه من خلال هذه الفروع الإقليمية، ومن خلال الجهود المبذولة لخلق حال من القوضى في العالم، سيكون قادر على

(١) صحيفة النبأ - السنة السابعة - العدد ٣٥ - ص ٣ (٩/٩/١٤٣٧ هـ).

(٢) صحيفة النبأ - العدد ١٣ - ١/٤/١٤٣٧ هـ - ص ٥. والعدد ١٤، ص ١١.

التوسع، وربما أن يجرّض على حرب عالمية مروعة»^(١).

في المقابل، فإن عبد الله بن محمد في المذكرة الاستراتيجية يُعطي لهذه الفروع دوراً مشابهاً لدور السفارات والقنصليات لدولة الخلافة، التي «تعمل كخلايا تنسيق واستخبارات في آن واحد... وتتحوّل المكاتب والفروع في الخارج لما يشبه السفارات والقنصليات للدولة الوليدة في بداية مرحلة التمكين وستكون بمثابة حقل التجارب الخاص الذي سيكسبنا الخبرات اللازمة في إدارة الدولة الوليدة بحيث لا يتم الإعلان عن الدولة إلا ونحن نحظى بكافة التخصصات والكوادر الفنية اللازمة، لإدارة هياكل الدولة»^(٢).

(١) جريدة الحياة، الجمعة ٢٥/١١/٢٠١٥.

(٢) عبد الله بن محمد: المذكرة الاستراتيجية، مصدر سابق، ص ٣٠.

المبحث الثاني المؤسسات وآليات الحكم

١ - الهيئات الشرعية والقضائية :

نظراً لطبيعة [داعش] الدينية، وحرصها على اكتساب الشرعية الدينية لأعمالها وانجازاتها، فإن الهيئات الشرعية فيها تتمتع بأهمية خاصة لا تقل أهميتها لدى قادة الدولة الإسلامية منذ [الزرقاوي] وحتى أبي بكر البغدادي، عن أهمية المجلس العسكري والأمني، رغم انه الذراع العملياتي للدولة الذي يتوقف عليه بقاؤها وسيطرتها على الأرض.

٢٦٣

فإذا كانت قوة الدولة وبقاؤها واستمرارها تستند إلى قوتها العسكرية والاستخباراتية والأمنية، فإن شرعيتها الدينية وجاذبيتها في الوسط الشعبي وهويتها السلفية تستند إلى الخطاب الديني الذي تعده وتنشره الهيئات الشرعية. إضافة إلى كونها ترسم الحدود والضوابط للسياسات الاجتماعية في مجتمع الدولة الإسلامية.

ومنذ [الزرقاوي] والإرهاصات الأولى للدولة، عبّر تنظيم التوحيد والجهاد ثم القاعدة في بلاد الرافدين ومروراً بأبي عمر [البغدادي] وإعلان الدولة الإسلامية في العراق، وصولاً إلى أبي بكر [البغدادي] وإعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام ثم إلى دولة الخلافة بعد التوسّع الكبير جغرافياً مع السيطرة على الموصل ومعظم محافظات الشمال والشرق العراقي والتوسع إلى سوريا؛ فثمة علاقة وصلة خاصة بين ثلاثة مجالس ببعضها البعض داخل الدولة وهي الأقوى

بين كل التشكيلات الأخرى في بنية الدولة، وهي مجلس الأمن والاستخبارات، والمجلس العسكري، والهيئات الشرعية وكلها مرتبطة بزعيم الدولة مباشرة^(١).

وانطلاقاً من واجبات الإمام الشرعية، في تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وفصل الخصومات وقطع المنازعات، ونصب القضاة والحكام وإقامة الحدود^(٢)، فإن تعيين الهيئة الشرعية يكون بيد زعيم التنظيم أو الدولة (الأمير أو الخليفة). والهيئات الشرعية يترأسها عادةً -حسب استقرار مسار الدولة- شخصية من أقرب المقربين من زعيم الدولة، فالزرقاوي عينَ الأردني أبا أنس الشامي (عمر يوسف جمعة) الذي رافقه من أفغانستان، رئيساً لملف اللجنة الشرعية وهو يحمل فكر الشيخ أبي محمد المقدسي، ويساعده في ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن العراقي (الدكتور وليد الجبوري) وكانت وظيفتهم إعداد الدورات الشرعية وأخذ البيعة للزرقاوي وإقامة مجالس القضاء للفصل بين الخصومات والنزاعات..

وفي أول تشكيلة وزارية في مجلس شورى المجاهدين، ضمت حكومة [الزرقاوي] (شباط ٢٠٠٦) وزارة الأوقاف وهي بمثابة الهيئة الشرعية وترأسها [أبو حمزة البغدادي] وأصدرت مجلة خاصة بالتنظيم (إسمها: ذروة السنام) لنشر معتقدات وأفكار التنظيم.

وأما في عهد أبي عمر [البغدادي] فإن وزارة الهيئات الشرعية في حكومته أُسندت إلى الشيخ عثمان بن عبد الرحمن التميمي، وهو الذي أشرف على إعداد وإصدار كتاب «إعلام الأنعام بميلاد دولة الإسلام»، وتضمّن تأصيلاً شرعياً لمشروع الدولة المعلن من قبل مجلس شورى المجاهدين، مستنداً إلى المصادر

(١) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق . ص ١٨٢.

(٢) عثمان التميمي، اعلام الأنعام بميلاد دولة الإسلام، مصدر سابق . ص ٤٢-٤٣.

الشرعية لابن تيمية، والماوردي في السياسة الشرعية، ومجيباً على الإشكالات والشبهات التي واجهتها الدولة لناحية الطعن بشرعيتها أو اتهامها بالتعجيل بالاعلان قبل التمكين في الأوساط الجهادية^(١).

ومع أبي بكر [البغدادي] فإن الهيئة الشرعية تضم ستة أعضاء ويترأسها [البغدادي] شخصياً، أعطيت إدارتها لأحد القادة المقربين جداً من [البغدادي] وهو أبو علي الأنباري (الذي عمل مسؤولاً عن المجلس الأمني سابقاً، وهو بعثي سابقاً، ومسؤول فرقة حزبية أيام النظام السابق في العراق). وقد سُمِّي المسؤول الشرعي في دولة الخلافة، وكان تواجهه الأساسي في الرقعة، ويقوم بإعطاء الدروس في جامع النووي بين صلاحي المغرب والعشاء. ويتولى منصب رئيس الهيئة الشرعية حالياً بعد مقتل الأنباري - أبو محمد عبد الله العاني^(٢).

فسياسة [البغدادي] قامت على التمرد على الظواهري من جهة، والإعراض عن تولي المهاجرين للمناصب القيادية في التنظيم، وشمل الأمر في التنظيم والتحرير والكتابة الشرعية وبكل أنواع التأليف والفتوى والشروح والردود على الخصوم واعتمد [البغدادي] على الشرعيين العراقيين أمثال: عبدالله يوسف الخاتون، عبد الله العاني، ميسر علي موسى الجبوري، وأنس حسن الخطاب^(٣).

(١) للاطلاع على تفاصيل أكثر راجع: هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٣٤-٣٧؛، وراجع كتاب اعلام الانام بميلاد دولة الإسلام، من اصدار وزارة الهيئات الشرعية في دولة العراق الإسلامية، إعداد وإشراف عثمان بن عبد الرحمن التميمي، مسؤول الهيئة الشرعية. بدون تاريخ ولا طبعة.

(٢) حسن أبو هنية، محمد ابورمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

(٣) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٢٢٧.

أما المهام الأساسية التي أُسندت للهيئات الشرعية خلال مراحل الدولة، هي^(١):

- ١- أخذ البيعة للأمير أو الخليفة في الدولة الإسلامية من الناس أفراداً وجماعات.
- ٢- مراقبة التزام بقية المجالس بالضوابط الشرعية.
- ٣- ترشيح اختيار خليفة أو أمير جديد في حال موت الخليفة أو الأمير الحالي أو تعرّضه للأسر أو عدم قدرته على إدارة التنظيم، والدولة، لأسباب طارئة كالمرض والعجز.
- ٤- القضاء والفصل بين الخصومات والنزاعات، وإقامة الحدود والتعزيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصدار الأحكام بالجواسيس والمخالفين والمرتدين.
- ٥- الإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة الإعلام ومضامين ما يجب نشره فيه.
- ٦- كتابة وإعداد وصياغة الخطب للأمير أو الخليفة عند الحاجة.
- ٧- التعليق على الأفلام والأناشيد الإعلامية لداعش.
- ٨- نشر العقيدة والمنهج الجهادي من خلال إصدار الكتب والرسائل والدورات الشرعية.
- ٩- إجراء الدراسات والأبحاث اللازمة للجماعة والدولة، والرد على الشبهات الشرعية التي يحتاجها التنظيم في نشر معتقداته وأفكاره وممارساته العملية الميدانية.
- ١٠- إصدار مجلة (ذروة السنام) الخاصة بالثقافة والسياسة الشرعية.

(١) اعتمدنا في جمع المهام على مطابقة ثلاثة مصادر (هشام الهاشمي، عالم [داعش] - حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية - عثمان التميمي، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام).

١١ - متابعة الحسبة وشرطتها وأعمالها الميدانية في فرض السلوك الشرعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما في بنية الهيئة وهيكلتها، تنقسم الهيئة الشرعية إلى قسمين أساسيين^(١):

- الأول: يتعلق بتنظيم المحاكم الشرعية ومؤسسة القضاء للفصل بين الخصومات وفضّ النزاعات وإقامة الحدود (ديوان القضاء والمظالم)، والقيام بوظيفة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنح حجة الملكية بحق السبايا. (راجع ملحق رقم ٣)

- الثاني: يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة مضامين المواد الإعلامية قبل نشرها.

وغالباً ما يكون أعضاء الهيئات الشرعية من المهاجرين العرب وخاصة المكوّن الخليجي. كما وينبثق عن الهيئة الشرعية محكمة خاصة تقوم بالنظر في الدعاوى المتعلقة بمسألة التجسس داخل التنظيم، وتصدر أحكاماً على المختطفين والأسرى تصل إلى درجة القتل في الغالب، وأحكامها قطعية وغير قابلة للاستئناف^(٢).

وشهدت الهيئات الشرعية في الغالب تغييرات في عضوية الهيئة ورئاستها، وتعود الأسباب في ذلك إلى تعرّض رؤساء الهيئة إلى القتل والاعتقال - كما حصل في مقتل أبو أنس الشامي في عهد الزرقاوي، ومقتل الشيخ سعد الجبوري في الموصل بغارة التحالف^(٣). أو بسبب الانشقاقات عن [داعش] في ظل التخبّطات

(١) حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق. ص ٢٠٦ - وهشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ١٨٠.

(٢) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق. ص ١٩٩.

(٣) السومرية نيوز، ١٤ تموز ٢٠١٤ - 105560-<https://www.alsumaria.tv/news/105560>

الشرعية التي حدثت بعد قرار [البغدادي] إلغاء جبهة النصرة لأهل الشام ودجها في الدولة الإسلامية، ثم في إعلان الخلافة الإسلامية، والنقاشات الحادة التي حصلت داخل التنظيم نفسه في مسألة مدى شرعية التحلل من بيعة الظواهري، ومبايعة أبي بكر [البغدادي] كخليفة للمسلمين.

وقد سُجِّل انشقاق العديد من المشايخ العاملين في الهيئات الشرعية عام ٢٠١٤، ومنهم: الشيخ سعد الحنيطي الأردني - الشيخ أحمد بن تامر المطيري - الشيخ أبو سليمان العتيبي - الشيخ سلطان الحزبي - الشيخ أبو شعيب المصري - الشيخ مانع بن ناصر المانع - الشيخ أنس قويدر (أبو همام الشامي) - الشيخ أبو طلحة الجزراوي - الشيخ أبو صفية اليمني - الشيخ أبو إبراهيم المصري. ويلاحظ من الأسماء والألقاب والكنى بأن الغالبية العظمى منهم من المهاجرين العرب.

وقد خسر [البغدادي] إلى جانب هؤلاء المشقّين عن الدولة/ الخلافة، عدد آخر من قيادات الهيئات الشرعية والإفتاء والحسبة والقضاء نتيجة الاعتقال أو القتل، أمثال: الشيخ فوزي الجبوري - الشيخ حسام اللامي (أبو محمود) - الشيخ علي ويس - الشيخ شاكر محمود المزروعى - الشيخ محمود الديلمي (أبو معاوية) - الشيخ صقر الناصر - الشيخ أبي مصعب التونسي^(١).

وقد لجأ [البغدادي] إلى الاعتماد على ما تبقى له من المشايخ المهاجرين العرب وهم قلّة واتجه إلى مزيد من الاعتماد على الشرعيين العراقيين فشكّل المجلس الشرعي الأخير، كالتالي: الشيخ عبد الرحمن الطالباي (الشهير بالكاكا)

(١) هشام الهاشمي، جريدة المدى، العدد (٣٣٠٨)، ٣/٩/٢٠١٥ (تقرير حول الهيئات الشرعية في داعش).

وهو كردي، والشيخ تركي بن مبارك بن عبد الله البنعلي (المكنى بـ أبي سفيان السلمي) وهو بحريني وسلّمه الإفتاء العام، والشيخ حلمي هاشم (المكنى بـ شاكر نعم الله) وهو مصري وسلّمه رئاسة الهيئة الشرعية ويعتبره مفكر [داعش] الأول حالياً^(١).

ولما كانت الصراعات العسكرية والأمنية تجري ميدانياً بين [داعش] والفصائل المسلحة الأخرى في الساحة السورية والعراقية، كانت صراعات الهيئات الشرعية والفتاوى بالتكفير المتبادل قائمة بين [داعش] والفصائل الجهادية المنافسة لاسيما جبهة النصرة. وفي الكثير من الأحيان تؤدّي فتاوى التكفير المتبادلة إلى القتل، كما حصل عندما أعلنت جبهة النصرة عن مقتل رئيس الهيئة الشرعية للجبهة في مدينة البوكمال شرق سوريا على يد جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)^(٢).

وبالمقابل شهدنا دعوات من «الهيئة الشرعية في جنوب دمشق» لحل تنظيم [داعش] في منطقتها، وطالبت الهيئة الشرعية عناصر التنظيم بتسليم أسلحتهم والعودة إلى جماعة المسلمين لوضعهم تحت وصايتها، مضيفاً، أنها ستحاكم كل من تلوث يده بدماء المسلمين في محكمة عادلة. وقد وقّع البيان كلٌّ من جيش الإسلام والهيئة الشرعية في جنوب دمشق، وقوى الإصلاح والاتحاد الإسلامي لأجناد الشام ولواء الأمة الواحدة، ولواء أحفاد الأمويين^(٣).

(1) <https://www.almada paper.net /Details/123551>.

(٢) النهار، ١١-٤-٢٠١٤، نقلا عن وكالة UPA الاخبارية العالمية.

(٣) عكس السير - دوت كوم (موقع للفصائل الجهادية في الشام) WWW.akssier.com

٢- المؤسسات العسكرية والأمنية :

لا يستطيع باحث موضوعي حول [داعش] والدولة الإسلامية (الخلافة) أن يتجاهل تفاصيل الجانب العسكري والأمني، وما يخفيه من استراتيجيات، وتكتيكات وأسرار وهيكلية وآليات عمل، ولا سيما أن دولة الخلافة منذ إرهابات نشوئها الأولى في عهد أبي مصعب [الزرقاوي] وصولاً إلى عهد «الخليفة» أبي بكر [البغدادي] مروراً بعهد أمير الدولة الإسلامية في العراق أبي عمر [البغدادي] ووزيره أبي حمزة المهاجر، قامت على العنف المؤدلج بأيدولوجية التكفير واستمرت به.

وإذا كانت [داعش] منذ نشأتها سعت لبناء دولة ووزارات ومؤسسات مدنية فإن العمل العسكري - والقتال والمعارك (الغزوات) كان ديدنها وجزءاً لا يتجزأ من هويتها «الجهادية» وطابعها العنفي الذي كان العنوان الأبرز في مسيرتها العملية.

فثمة محاولة متكاملة من طرفين، إيديولوجية التكفير للآخر (مهما كان هذا الآخر) قريباً أو بعيداً، كتبرير لاستخدام العنف والتوحش ضده وبمستويات مفتوحة تصل إلى حد التفنن بالقتل حرقاً وغرقاً وتمزيقاً وقطعاً للرؤوس، باستخدام أدوات العنف المتاحة (التقليدية منها والحديثة). بل والتقصّد أيضاً بإظهار صورة البطش وأساليب القتل المتنوعة عبر تصوير محترف وعالي الجودة، لاستخدام الصورة في إرهاب «العدو» (الآخر) ورفع معنويات الموالين والمجندين والمتعاطفين معها، ففي عام ٢٠٠٤ قام أبو مصعب الزرقاوي، بذبح أحد الرهائن الأميركيين (بوجين آرسترونغ) بجزّ عنقه بسكين في فيديو مصور نشرته على

الإنترنت كتائب التوحيد والجهاد^(١).

فأصحاب المشروع أنفسهم أرادوا لـ [داعش] هذه الصورة، واستخدموا أشدّ العبارات وضوحاً وصراحةً عن التنكيل والشدة والقسوة، حتى أنهم استحضروا مقاطع من رواية عن الرسول ﷺ أنه قال «لقد جئتكم بالذبح»^(٢). وكذلك استحضروا رواية «قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر»^(٣). وبحسب فتوى شيوخ [داعش]: «الأصل في الكافر أنه حربي بمجرد كفره سواء حاربنا أو لا، وعليه، فلو وجدنا كافراً لم يرفع السلاح علينا، ولم يكن له مع المسلمين عهد أو ذمة أو أمان، فإننا نعتبره كافراً حربياً، حلال الدم والمال، لعموم الأدلة التي تأمر بقتال الكفار»^(٤). وبحسب اعتقادهم فإن كل علماء الإسلام القائلين إن دين الإسلام هو دين السلام، هم مرجئة هذا الزمان الذين يكتمون الحقيقة^(٥).

(١) الراصد (ملحق ٤) آب ٢٠١٤، مصدر سابق، ص ٣٥، نقلا عن مركز الدراسات العربية

(٢) وهي اقتطاع من رواية طويلة، ولها ظروفها وحيثياتها وسياقها الخاص في واقعة حدثت

مع الرسول ﷺ مضمونها بالكامل ورد في: مهدي الموسوي ص ٢٣١ (تفكيك التكفير)

مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ترجمة محمد علي أيوب، بيروت، ١، ٢٠١٨ م.

ووردت الرواية في: احمد ابن حنبل، مسند احمد، ج ٢، ص ٢٨١.

(٣) استدلال [داعش] بمثل هذه الرواية وغيرها، يذكرنا باستدلالات الخوارج بالآيات

والروايات حيث قالوا «ان الحكم إلا لله» و«ولا حكم إلا لله» ورد أمير المؤمنين علي (ع)

بقوله: كلمة حق يراد بها باطل.

(٤) الشيخ ابو عبد الله بن محمد-المسائل الجياد في فقه الجهاد، مكتب البحوث والدراسات،

مكتبة الهممة، ص ٢٢.

(٥) ابو محمد العدناني (الناطق الرسمي باسم داعش)، السلمية دين من؟، تسجيل صوتي أعيد

نشره بتاريخ ٢٦ / ٢ / ٢٠١٧ على الرابط: <https://archive.org/details/El3adnany7>.

٣- العدو عند داعش:

السؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق: من هو العدو عند داعش؟

نتيجة احتكارهم الإسلام الصحيح والتوحيد الحق (الطائفة المنصورة- والناجية)؛ فليس في قاموس [داعش] سوى صنفان (عدو-كافر)- أو (مجنّد - مبايع وموالي)، وما بينهما لا يوجد أحد، ليس هناك مكان لصديق أو حليف أو محايّد، فقائمة الأعداء تبدأ بأميركا والدول الغربية، وتمر بالدول العربية والإسلامية فأنظمتها كقار مرتدّون، وشعوبها جاهلية لم تدخل في الإسلام، وكل الحركات والأحزاب القومية والبعثية والاشتراكية والعلمانية هي حركات (كفر بواح)^(١)، والحركات والأحزاب الإسلامية، مرتدّون وضالون مضلّون فاسدون. وكذلك العشائر الذين تمّ وضعهم بين خيارين البيعة أو القتل والتشريد بهم، وهذا ما حصل مع العديد منهم في العراق وسوريا (عشيري البونمر والشيعيات). وكذلك الطوائف والمذاهب الإسلامية (الشيعة والعلويين والزيديين و...).

وباختصار مجمل الفكرة يتلخص في شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) كما قالها بوش (الابن) عندما أعلن استراتيجية الحرب على الإرهاب بعد (١١/ أيلول/ ٢٠٠١).

٤- استراتيجيات العمل العسكري والأمني:

مرّت استراتيجيات العمل العسكري والأمني للدولة الإسلامية بمراحل متعددة وتطوّرت مع توسّع وانتشار رقعة عملها الميداني في العراق وسوريا،
(١) من مقرر دراسي للصفوف المتوسطة أصدرته داعش - تحدثنا عنه سابقاً- (راجع المؤسسات التربوية عند داعش)، (المناهج والمتون الدراسية).

وتغيرت أحياناً بتغير الأمير والقيادة في الدولة وسنحاول أن نجتمع أبرز المنعطفات والتغيرات والتطورات التي حدثت في خط مسارها العسكري والأمني:

• مرحلة [الزرقاوي] [٢٠٠٣-٢٠٠٦م]

مع اختلافه عن القاعدة في ترتيب الأولويات واستهداف المؤسسات الحكومية والشيعية فضلاً عن الاميركان حمل [الزرقاوي] معه معظم استراتيجيات القاعدة في أفغانستان عسكرياً على مستوى التدريب بفتح معسكرات للمهاجرين والملتحقين بقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، مع إدخال استراتيجية جديدة هي السيطرة على الجغرافيا وبسط سلطته عليها تدريجياً.

أما في التشكيلات العسكرية فقد اعتمد نظام المفارز وتدريبها، ويُعتبر [الزرقاوي] صاحب استراتيجية المفارز بشكل عام، من خلال استهداف القوات الأميركية، قوات التحالف، بالإضافة إلى استهداف الشيعة والأكراد، والبنية التحتية للدولة والمنشآت الحيوية في البلاد (العراق).

وبالتالي فهو يوجه معظم عمليات التنظيم الكبرى، ويرسم استراتيجيته وسياسته، ومن هنا فإن كافة التشكيلات العسكرية تتبع نهجاً محدداً في اختيار الأهداف، وفي معظم العمليات الصغيرة لا تحتاج المجاميع المنتشرة من مفارز ومجموعات في مختلف المناطق إلى أمر مباشر وهي متروكة لاجتهادات القادة الميدانيين بالتنسيق مع قادة الكتائب وأمراء المناطق فقط^(١).

والمفارز هي عبارة عن مجموعات قتالية يجري إعدادها إيمانياً وعسكرياً، ويتم تهيئتها للعمل العسكري والأمني في بقعة محددة^(٢)، وهي على أنواع، مفارز

(١) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٦٦-٦٧.

(٢) المصدر نفسه. ص ٥٦.

التحري والأمني والخطف، مفارز المتفجرات والسيارات المفخخة، مفارز الانتحاريين العرب، مفارز التدريب البدني والعسكري، الأليكتروني والتصنيع الميكانيكي والكيميائي، وتتكون كل مفرزة من (٣-٥ أفراد) تحت إمارة أحدهم ويفضّل أن يكون صاحب علم شرعي، وقوة بدنية، ومهارات عسكرية، وللأمير الحق المطلق في إصدار الأوامر، والتشاور مع من معه غير ملزم له، ويكون الأفراد مختارين من الثقات والمزكّين، ويختار الأمير أحدهم ليكون مقرّباً منه ومستشاراً خاصاً له، وقد يُنصّب كئائب للأمير في حالة مقتل أمير المفرزة أو أسره ليحلّ محله ويكمل المعركة.

ويتم تنظيم المفارز (التي هي أشبه بخلايا عنقودية) لتتبع كل ثلاثة مفارز لقيادة أمير ومعه شرعي + إداري + لوجستي، ويكون مجموع المفارز الثلاث مع قيادتهم (بين ١٣-١٥ شخص).

والقواعد الأساسية للمفرزة هي:

- الالتزام بالعقيدة (على منهج محمد بن عبد الوهاب) خالية من الشرك والبدع.
- العقيدة مبنية على الولاء للأمير الزرقاوي، والبراء من الأنظمة وتكفيرها، وتكفير المجتمعات التي لا تحكم بها أنزل الله.
- البيعة لـ محمد عمر (أمير المؤمنين)- ومن ثم البيعة لابن لادن والزرقاوي، ولوزير الحرب أبي حمزة المهاجر^(١).
- ومن الواضح ان هذا النوع من التشكيلات العسكرية ينسجم مع طبيعة التنظيمات السرية والميليشيات ولايدل على أي صلة بالتشكيلات الكلاسيكية للجيوش في الدول.

(١) المصدر نفسه. ص ٥٧-٥٨.

أما استراتيجية هذه المفاوز فتقوم على:

- تجنب الحسم والمواجهة العسكرية (ترك المعركة الخاسرة).
- التركيز على العمليات الخاطفة والنوعية، والأهداف المهمة.
- اعتماد الكمين، والإغارة، واستخدام المفاجأة للعدو.
- الهدف التكتيكي (انجاز الواجب): القتال وليس تحقيق النصر.
- تجنب الحصار والحذر الدائم منه، والتملص من القتال عند بادرة ذلك.
- يراعى في الهجوم الحذر التام، وإحداث الضجة في الشرق والهجوم من الغرب.
- التخفي والاندساس بين المدنيين من السكان المحليين وخاصة المناطق الراقية والأمنة (مثل حي العامل والإعلام والبياع والسيدية والمنصور والزيتونة وشارع فلسطين والجادرية) في بغداد.
- استخدام مخازن صغيرة سرّية، لتخزين السلاح والذخيرة حتى لا تفسد.
- تجنب النمطية والتكرار عند تنفيذ العمليات التكتيكية المختلفة.
- مهاجمة الهدف حال الحركة، لسهولة الإيقاع به، خاصة في الطريق السريع.
- الأولوية في الهجوم على الوزارات المنعزلة، لأثرها السيكولوجي، فضلاً عما تؤدّيه من إجبار العدو على الانتشار وتوزيع قواته، فضلاً عن إمكانية الحصول على غنائم من المؤن والسلاح بكميات كبيرة نسبياً.
- أخيراً يجب سحب أسلحة ووثائق القتلى من رجال المفاوز إذا سقطوا أثناء المعركة^(١).

ومن الواضح ان اختيار هذا الأسلوب والتكتيكات يلبي عملية المواجهة بين تنظيم محدود العدد والإمكانات وبين عدو يفوقه عدة وعديداً وإمكانات

(١) المصدر نفسه. ص ٦٠.

كالجيش الأميركي والجيش والقوى الأمنية العراقية ومؤسسات الدولة في العراق والمجتمع العراقي، وهو ما أطلق عليه الحرب اللامتوازية، كما أنه يشابه حرب العصابات، لجهة التخفي وعدم الظهور لتجنب الإستهداف والملاحقة.

ومن جهة أخرى فإن هذا الأسلوب يهدف إلى إطالة أمد الحرب واستنزاف العدو والتنكيل به وتشتيت قواه، وإلى كسب التعاطف الشعبي مع التنظيم ولو على حساب التراجع المكاني والجغرافي.

ورغم إن استهدافه للمراكز الدينية والثقافية، الشيعية كما حدث في النجف وسامراء في مرقد الإمام علي، والإمامين الهادي والعسكري، وكذا استهداف المدنيين في الأحياء والأسواق، قد استجلب للزرقاوي انتقادات قيادة القاعدة (بن لادن والظواهري، عام ٢٠٠٥م) - حيث نصحوه بوقف هذه الهجمات -، لكنه رفض. وتدهورت علاقاته بقيادة القاعدة، وبدأت بذور التوتر والاختلاف تظهر وهي أدت إلى الإنقسام والإنفصال عنها لاحقاً^(١).

• العمليات الانتحارية والسيارات المفخخة

وهي مفردة ثابتة في استراتيجيات [داعش] والقاعدة، فالعمليات الانتحارية كانت السمة العملية بأشكالها المتعددة العسكرية والأمنية للقاعدة في بلاد الرافدين، ولاحقاً لـ [داعش] في كل التحركات والأنشطة القتالية عندهم.

وهذه كانت تلبية لدعوة بن لادن ونائبه الظواهري للعراقيين، لتنفيذ هجمات انتحارية لإلحاق الضرر بالغزاة الأميركيين: «استخدموا العبوات بحكمة، ليس في

(١) زاشاي لاوب وجوناثان ماستر، مجلس العلاقات الخارجية: «الدولة الإسلامية في العراق والشام» نقلاً عن [داعش]، رؤية صهيونية، مركز باحث، بيروت، ط ١، ٢٠١٦، ص ٤٠-٤١.

الغابات وفوق التلال.. فالعدو يهاب أولاً القتال في الشوارع في المدن.. نحن نشدد على أهمية العمليات الانتحارية ضد العدو»^(١).

وقد لقي نداء بن لادن آذاناً صاغية، ونفذ حوالي ٢٧٠ انتحارياً خلال الستين والأوليتين للوجود الأميركي في العراق (٢٠٠٤-٢٠٠٥) في عمليات مختلفة ١٨ هجوماً انتحارياً كبيراً، ولكنها لم تقتصر في استهدافاتها على المحتل الأميركي بل شملت الإدارة المركزية الرسمية للعراق الجديد. والشيعية ومراكزهم الدينية والثقافية، وكان بعض الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم يرتدون اللباس العسكري العراقي الرسمي كتمويه ويستهدفون مرافق حكومية^(٢) واستخدم بعضهم سيارات الإسعاف كما حصل في التفجير الانتحاري الذي نفذه ياسين جراد (والد زوجة [الزرقاوي] الثانية) واستهدف الزعيم الشيعي السيد محمد باقر الحكيم عند خروجه من مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف^(٣).

وكانت قد شكّلت كتائب وسرايا ومجموعات، سُمّيت بأسماء مختلفة بعضها حمل اسم الخلفاء الراشدين مثل كتيبة أبي بكر الصديق وفيلق عمر وكتيبة ابن الخطاب، أما الكتائب الأخرى فكانت تعبر عن مهامها: مثل كتيبة الاستشهاديين وكانت تُعتبر الأهم في التنظيم وأطلق عليها أيضاً تسمية كتيبة البراء بن مالك، وأميرها «أبودجانة الأنصاري» وهي مسؤولة عن العمليات الانتحارية التي ينفذها الاستشهاديون بشكل واسع وكبير في ضرب الأهداف الحيوية وضمت

(١) بن لادن، شريط صوتي مسجل، النص الكامل نشر على موقع www.bbc.com في ١٢ / ٢ / ٢٠١٣.

(٢) [داعش]، رؤية صهيونية، مصدر سابق، ص ٤٩.

(٣) موقع مركز الدراسات العربية: www.tudies.alarabiya.net

العدد الأكبر من المتطوعين العرب وفي فترة لاحقة بدأ ينضم إليها بعض العراقيين^(١).

يبقى أن نشير إلى تكليف [الزرقاوي] لنائبه بالإشراف على احتياجات المفارز التابعة للتنظيم وهي الجناح العسكري بقيادة الأمير أو أسيد العراقي (خالد المشهداني) وهو المسؤول الأول عن الكتائب والمفارز والمجموعات العاملة والتنفيذية والمساندة التابعة للتنظيم.

أما العمليات الخاصة فقد احتفظ [الزرقاوي] لنفسه أمر متابعتها وتقريرها، فهو الذي يشرف ويوجه كتيبة الاستشهاديين، وهي التي قامت بمعظم العمليات الانتحارية التي استهدفت ضرب الأهداف الحيوية والمهمة الكبرى. وهذه الكتيبة تضم العدد الأكبر من المتطوعين العرب^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن التجنيد للمفارز قام على حث السكان ودعوتهم للتطوع في حرب المفارز اعتماداً على إثارة العاطفة والحماسة والإشعار بالظلمية عند السنة وإثارة الخوف من المدّ الشيعي، إضافة إلى مشاعر الاعتبار القومي والوطني ومقاومة الاحتلال الأميركي، والنخوة والغيرة، واستهدف التجنيد بشكل أساسي عدة ساحات شبابية كالجامعات والمعاهد والثانويات والمساجد والجمعيات الخيرية، وخاصة كليات الشريعة، والجامعات الإسلامية في الأعظمية، وهيئة الدعوة والإرشاد، وجمعية شبان المسلمين.

ونظراً لأهمية التدريب في رفع مستوى أداء المقاتلين وتعبأتهم الدينية والايديولوجية وتأهيل المستقطبين الجدد واعدادهم في مختلف الجوانب، لذا كان

(١) حسن أبو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق . ص ١٩٧ .

(٢) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٦٨ .

التدريب الذي يخضع له المستقطبين يجري على عدة مراحل:

١. الدورة الروحية والايمانية: (سماع القرآن، وقراءة الأحاديث، والكتب السلفية... الخ) وغالباً ما تتم في البيوت والمزارع الخاصة وبعض المساجد الهادئة والبعيدة عن المركز في المدن.

٢. الدورة البدنية والتكتيكية: نظام رياضي يومي، والتقليل من الطعام، والصوم أحياناً، وأساليب استخدام السلاح الأبيض، والتدريب على فنون القتال، وحفر الخنادق والتمويه وقيادة الدراجات النارية والسيارات واستخدام الأجهزة اليدوية للاتصالات. ويتم هذا غالباً في صالات في مناطق فارغة من السكان، والصالات التابعة لهم والمموّهة كانت معسكر حديث بقيادة أبو محمد اللبناني، ومعسكر العويسات بإدارة الزرقاي نفسه، ومعسكر النباعي بقيادة شيخ طعمة العزاوي، ومعسكر سامراء بقيادة هيثم السبع، ومعسكر الطارمية بقيادة أبي أسامة التونسي، ومعسكر زمار بقيادة أبي بكر الخاتوني ومعسكر ههز بقيادة علي العزاوي وغيرها الكثير^(١).

٣. الدورة العسكرية والأمنية التخصصية: بعد أن أصبح المتدرب عازماً على الشهادة وحب لقاء الله. يتم تدريبه في دورات خاصة على تصنيع السموم، والاعتيالات والقنص عن بعد، وتصنيع وتركيب العبوات الناسفة، كما يتدرب على عدم الإفشاء بإسرار التنظيم والانغماس في القتال حتى الموت.

• مرحلة أبي عمر البغدادي: (٢٠٠٦-٢٠١٠ م)

على أثر مقتل الزرقاوي، ومع اعلان قيام الدولة الإسلامية في العراق، بدأت مسيرة تطور تنظيم العمل العسكري والأمني وتزامن الامر مع مواجهة وقتال

(١) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق ص ٦٤-٦٥.

الصحوات. فبعد تولي أبي عمر [البغدادي] (حامد الزاوي) إمارة الدولة الإسلامية في العراق مع وزير حربه أبي حمزة المهاجر، فقد امتازت استراتيجية العمل العسكري والأمني بعدة نقاط بارزة ومهمة من التفكير المستجد بالعمل لتأسيس أجهزة على مستوى الدولة وليس التنظيم وهي:

١. تأسيس المكتب الأمني: ومسؤوليته أمن الدولة الإسلامية، وأفراده العاملين فيه لهم خصوصية القيادة والإدارة وهم اليد النشطة واليمنى للأمير، ويهتم هذا المكتب بملفات كل جنود الدولة، ورواتبهم، وتعييناتهم الإدارية والعسكرية وتقع على كاهله مسؤولية منع الاعتداءات على سيادة الدولة وكيانها، وحفظه من الفتن الداخلية والاعتداءات الخارجية. وقد أوردت مهامه كالتالي:

- وضع معايير اختيار رجال الأمن وأعدادهم للقيام بمهامهم وحفظ ملفاتهم.
- القيام ببرامج التأهيل والإعداد لرجال الأمن على مختلف التخصصات المطلوبة وفق ضوابط الحرب والجهاد واحتياجاتها. بالاعتماد على مدربين أصحاب خبرات سابقة.

- تشكيل مجموعة المهتمات الخاصة (الخطف) - الاغتيالات السياسية، غسيل الأموال، توفير أماكن تخزين السلاح والعتاد، السجون، التفاوض والفدية، إقامة الحدود والتعزيرات التي تصدر عن المحكمة الشرعية، ترشيح الأهداف والدراسات اللازمة لإصدار الأوامر بالإجراءات المتبعة، بالإضافة إلى حماية الأمير وتأمين سكنه وتنقلاته ونقل بريده الخاص وتوزيعه.

- أخذ عهد البيعة نيابة عن الأمير. وإبرام العقود والأتاوات والهدنة مع العشائر بالمشاورة مع الهيئة الشرعية.

- حماية الهيكل التنظيمي ومتابعة أفرادهِ ومنع تداخل الصلاحيات، والعمل للتجسس على الفصائل الأخرى. واختراق المؤسسات الأمنية والحكومية والحزبية.

- استلام ونقل المهاجرين (العرب، والأجانب) من خارج العراق إلى داخله ومتابعتهم وتصنيفهم إلى (استشهادي، استبسال، شرعي، دعم لوجستي، خبرة إعلامية اليكترونية، صناعية...) وتوفير مستلزمات العمل لكل منهم.

- الإشراف على الفيالق المشكلة عسكرياً وأمنياً مثل فيلق عمر، كتيبة عائشة أم المؤمنين للعمليات الخاصة، فيلق الصديق لقتال الصحوات، وفتيان الجنة لقتال الحزب الإسلامي العراقي.

وقد تولى مسؤولية المكتب الأمني خلال فترة الأربع سنوات عدة أشخاص حيث كانوا يتعرضون للاعتقال وأحياناً للقتل، لذلك كانت فترات عملهم قصيرة عموماً وقد عرف منهم^(١):

- عمر بازباني (أبو حفص) كردي من جماعة أنصار الإسلام سابقاً واعتُقل من قبل الأميركيين.

- حسن أزيج (أبو هدى) من ديالى وكان كثير الخلاف سابقاً مع [الزرقاوي] في مسألة قتل أطفال الشيعة. وقُتل في الأعظمية من قبل القوات الحكومية العراقية.

- محمد نوري مطر (أبو عبد الله) عُرف بعشوائيته وجبه للمال. وقد أُقيل من منصبه.

- أبو محمد اللبناني (الديناركي) وعُرف بسماحته، وكان يميل لقتال الأميركيين

(١) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق ص ٧٥-٧٧.

- فقط. وقُتل في حادثة اقتحام سجن أبو غريب مع زميله (أبو أنس الشامي).
ومجموعة كبيرة من العرب تجاوزت الخمسين مقاتلاً.
- خالد المشهداني (أبو زيد) تكفيري، متشدّد، اعتُقل من قبل القوات الأميركية
5/7/2007م.
- ظافر المصلاوي (أبو عثمان) - من أهالي الدورة وعُرف بشدّته وتفجيره
للكنائس والحسينيّات وتهجير المسيحيين من الدورة. وقد أُلقي القبض عليه
من قبل الاجهزة الامنية العراقية الرسمية.
- شيخ طعمة العزاوي، من سكنة عرب الجبور، عُرف بشدّته بقتال العشائر في
صلاح الدين والأنبار وديالى. وقد قُتل مع محارب الجبوري بغارة جويّة
أميركية.
- أبو أسامة التونسي، من المهاجرين العرب، وكان دمويّاً وشرساً، وقُتل في الأنبار
من قبل القوات الأميركية.
- أبو غزوان الحيايالي: وهو بعثي سابق من أهالي الطارمية، تم تجنيده في سجن
بوكا، وعندما خرج تم تعيينه بهذا المنصب، وهو الأكثر دموية في قتل المدنيين
الشيعة.
- أبو قسورة الجزائري: يُعتبر الساعد الأيمن لأبي حمزة المهاجر، عُرف باهتمامه
بقتال وملاحقة قيادات الصحوة وتصفيتهم. قُتل في الموصل بعملية نوعية
منتصف عام 2008م.
- حجي جابر (الدكتور أبو جعفر) من سكان بغداد / العامرية، يملك قدرة
إدارية وقيادية وعُرف بحزمه ودقّة متابعته للأفراد، وشدّته وقسوته في قتال
الصحوات، وشغل منصب أمير بغداد أيضاً.
٢. المواجهة العنيفة والدائمة في داخل المناطق السنّة مع قوات «الصحوة»: بناء

على الاستراتيجية الأميركية لمواجهة القاعدة والدولة الإسلامية في العراق، تم تشكيل مجالس إسناد عشائرية، فتأسست «قوات الصحوة»، ما مثل نقطة تحوّل كبيرة في المشهد السنّي من موقف داعم للمسلّحين الجهاديين إلى موقف متعاون مع القوات الأميركية (الصحوات) بقيادة الجنرال «ديفيد بترايوس»، الذي دشّن استراتيجية «تدفق القوات» و«مكافحة التمرد»، إذ عمدت الولايات المتحدة إلى تسليح أبناء العشائر (مجالس الصحوات) ودعمهم مالياً وقد بلغ عددهم أكثر من مائة ألف مسلح^(١)، وتحوّلت المعارك إلى داخل المناطق والمحافظات السنّية، وبحسب أبي علي الأنباري (أحد قادة الثوار العراقيين) فإن القاعدة في العراق قتلت ١٥٠٠ سنّي في محافظة الأنبار وحدها، إضافة إلى خطف النساء ونهب الممتلكات^(٢).

وكانت المواجهة الدامية والعنيفة بين عامي ٢٠٠٨-٢٠١١ م. بين الدولة الإسلامية في العراق والصحوات في المحافظات السنّية شمال بغداد وشرق العراق، وبذلك فقدت الدولة الإسلامية في العراق بشكل كبير حاضيتها الشعبية في المحافظات السنّية وبخاصة في محافظة الأنبار حيث سحطت العشائر على الممارسات الوحشية للقاعدة والتنظيمات الجهادية، فضعفت قوة الدولة الإسلامية وتراجعت سطوتها الميدانية نتيجة لذلك.

ومن بين النجاحات التي حققتها هذه الحملة، كان القضاء على العديد من رموز الدولة الإسلامية (كما ذكرنا في قيادات المكتب الأمني الذين قُتل أو أُعتقل

(١) حسن أبو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، (الأزمة السنّية)، مصدر سابق، ص ١١١.

(٢) نبيل نعيم، معركة داعش: الإرهاب المقدس، القاهرة، دار مصر المحروسة، ٢٠١٥، ص ١٤.

معظمهم) وتوّجت هذه الاستهدافات من قبل القوات الحكومية العراقية وبمساندة القوات الأميركية وتعاون الصحوات بمقتل أبي عمر [البغدادي] ومساعدته ووزير حربه أبي حمزة المهاجر^(١).

وبحسب رياض العجيدي وهو ضابط رفيع سابق في فرع القاعدة في العراق، فقد هبطت القوة الفاعلة للدولة الإسلامية في البلاد من (١٢٠٠٠ رجل) في حزيران ٢٠٠٧ م. إلى (٣٥٠٠ رجل) أوائل ٢٠٠٨ م. وفي هذه الأثناء كان تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق» يهاجم زعماء العشائر والمدنيين السنة العراقيين، ففي أيلول ٢٠٠٧ م وفي أحد أبرز الأمثلة، نجح مسلحو الدولة الإسلامية في العراق في اغتيال الشيخ عبد الله أبو ريشة قرب منزله وبعد أيام قليلة فقط من استقبال الرئيس جورج بوش له^(٢).

وقد أكد أحد أفراد الصحوات في مقابلة معه، التعاون مع قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، فقال: "حين نلقي القبض على بعض أفراد العصابات، فنحن نفعل ذلك، بدعم من قوات التحالف. وقد تلقينا بعد مهام كثيرة نفذناها رسائل تنويه، وكذلك مكافآت مالية، وهو أمر حسن، تلقيت من قوات التحالف مبلغا (٧٠٠ دولار) = ٣٠٠ كراتب شهري و ٤٠٠ \$ كمكافأة ومجموعه ٧٠٠ دولار في شهر واحد^(٣)".

٣. عرقنة الدولة الإسلامية (توسع دخول الضباط السابقين): بعد الدخول

(١) أنظر: داعش، رؤية صهيونية، مصدر سابق ص ٤٤-٤٥.

(2) AmitR.Paley."Shift Tactics Aims to Revive Struggling Insurgency".Washington post,8/2/2008.

(3) Mark Wilbanks and Efraim Karsh "How the Sons of Iraq" Stabilized Iraq." Middle East Quarterly.vol.17,no.4(Fall 2010)p.p.57-70.

الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، أنشأت الهيئة الوطنية لاجتثاث البعث بقانون صادر عن سلطة الائتلاف المؤقتة (مجلس الحكم في العراق) بتاريخ ١٦/٤/٢٠٠٣م والذي كان يعمل تحت إشراف الحاكم الأميركي العسكري للعراق بول بريمر^(١).

والهدف الأساسي لهذا القانون اجتثاث منظومة حزب البعث في العراق، وإزالة قياداته من مواقع السلطة، وكان وظيفة الهيئة تقوم على توفير معلومات تكشف عن هوية البعثيين من ذوي درجات عضوية محددة (عضو فرقة فما فوق) ليتم فصلهم من مرافق الدولة، وخصوصاً الأجهزة الأمنية والعسكرية^(٢).

ومعظم هؤلاء كان قد طُرد من الجيش العراقي وتشكيلاته بعد قرار الحاكم العسكري الأميركي (بريمر) الذي اتخذ بإعادة تشكيل وتنظيم وتدريب الجيش العراقي على قواعد جديدة مخالفة لما كان عليه الوضع في النظام السابق.

وبذلك أصبح هؤلاء الضباط مشرّدون وحاقدون على الحكومة العراقية، وقد اتجه العديد منهم إلى العمل العسكري ضد الاحتلال، أو ضد الحكومة العراقية، وتم اعتقال الكثيرين منهم وأودعوا السجون العراقية التي كانت تحت إشراف أميركي، مما أتاح لهؤلاء اللقاء والاحتكاك والنقاش والتعرف على عناصر وقيادات القاعدة المسجونين أيضاً في هذه السجون وتحوّلت بذلك عدة سجون أشهرها «بوكا» و«أبو غريب» إلى حاضنة «للتطرف الإسلامي» ومركز التجنيد للجهاديين^(٣).

(١) نقلا عن موقع الجزيرة.نت Algazeera.net

(٢) راجع (فواز جرجس، [داعش] إلى أين؟، مصدر سابق، ص ٧٣).

(3) Mohamad M.Mortada, "The Mysterious link between the us Military Prison Camp Bucca and ISIS leaders" Al-Akhbar 13-9-2014.

وقد وجد عناصر وضباط ورتباء الجيش العراقي السابق (البعثيون) ضالتهم في هذه التنظيمات الجهادية، وتخرج هؤلاء الضباط السابقون من المعتقلات إلى مراكز قيادية أحياناً وحساسة ومهمة في الدولة الإسلامية في العراق، فقد استضاف معتقل «بوكا» نحو ٢٤ ألف معتقل، كان بعضهم ضباطاً بعثيين ومقاتلين قوميين يعملون لنظام صدام حسين^(١).

وإذا كان هذا الأمر قد حدث ببطء في عهد الزرقاوي، ولم يتسن لهؤلاء الالتحاق السريع والإمسك بمواقع كثيرة وحساسة نظراً لحذر [الزرقاوي] فإن أبا عمر [البغدادي] وهو من الجهاديين السابقين في أفغانستان، وكان طُرد من الجيش العراقي في عهد صدام حسين والتحق بالجهاديين هناك، جاء ليفتح الباب على مصراعيه لاستيعاب هؤلاء قناعة منه بضرورة إمسك العراقيين بمفاصل الدولة الإسلامية في العراق، وبعد أن دفع أبو عمر [البغدادي] كلفة إلى الواجهة بشعار «العراق أولاً» وليكمل انفصاله عن القاعدة المركزية^(٢).

وبحسب الحكومة العراقية فإن ١٧ من أصل ٢٥ من أعلى قيادات [داعش] الذين يديرون الحرب في العراق وسوريا، كانوا بين ٢٠٠٤-٢٠١١م في المعتقلات لهذه الفترة أو تلك^(٣).

وخلال عهد أبو عمر البغدادي - كانت قد اتّسمت مرحلته بالشراسة الأمنية، وشدة البأس، ومواجهة الصعوبات التي ولدها الطوفان الجارف من الأعداء من كل حدبٍ وصوب^(٤)، وتراجع عدد المقاتلين العرب والأجانب في

(1) Medyam Daieieh. "My Journey inside the Islamic state", Vice News. 1 July 2015.

(٢) فواز جرجس، [داعش] إلى أين؟، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ١٣٨.

(3) Chulov, "ISIs: the Inside story"

(٤) أكرم حجازي - موقع المراقب - دراسات في السلفية الجهادية، الدورة التاريخية (٤) العراق بين [البغدادي] الأول والبغدادي الثاني.

صفوف الدولة الإسلامية وذلك بسبب التوجه إلى « عرقنة الدولة الإسلامية » من قبل قيادة الدولة بين عامي ٢٠٠٨-٢٠١٣م، ولتبعد عن أذهان العراقيين اعتبارها كياناً أجنبياً بسبب قدوم العديد من قادتها من دول أخرى (عربية وإسلامية وأجنبية)، كما كان الواقع في عهد الزرقاوي، حيث وصل عديد الأجانب في التنظيم بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٨م، الى حوالي (٤٠٠٠-٥٠٠٠) مقاتل أجنبي (معظمهم سعوديون وليبيون وسوريون وتونسيون)، وقد قتل عدد كبير منهم حتى عام ٢٠٠٨م^(١).

والعدد الأكبر منهم قتل في الهجمات الانتحارية التي قاموا بها خلال هذه الفترة، حيث تعتمد [داعش] بشكل أساسي المقاتلين الأجانب عادة- سواء العرب أو غير العرب من المسلمين أو الغربيين- لتنفيذ مهمات انتحارية في سوريا والعراق، وهو أسلوب عمل يتخصص به التنظيم حيث يستخدم الحماس الديني لدى هؤلاء لجعلهم مرشحين مناسبين لتنفيذ مثل هذه الهجمات.

وكمثال على ذلك: نشرت [داعش] في ٦/٣/٢٠١٤ معلومات عن حوالي ٣٠ مفجراً انتحارياً نفذوا هجمات في منطقة بغداد بين ١١/أيلول/٢٠١٣ و ٦/آذار/٢٠١٤. وقد ذكرت فيها أسماء مقاتلين أجانب سبعة منهم من المغرب (ملقبون بالمغربي) وثلاثة من مصر وواحد من أوزباكستان، وواحد كان من أفغانستان (ملقب بالخراساني).

ونشرت [داعش] على حسابها في تويتر في ١٢/نيسان/٢٠١٤ معلومات عن ٢٦ مفجر انتحاري، ٢٤ منهم كانوا من الأجانب الذين نفذوا هجمات في مناطق ديالى في العراق بين أيلول ٢٠١٢ و آذار ٢٠١٤، عشرة منهم كانوا تونسيين

(١) [داعش]، رؤية صهيونية، مصدر سابق، ص ٢١٦.

(يحملون لقب التونسي) والآخر من السعوديين والمغرب وإيران وطاجكستان والشيشان والدمارك، أما الإثنان الباقيان فكانا مجهولي الجنسية^(١). يبقى أنه لا بد من الإشارة إلى عودة العديد من المقاتلين العرب إلى بلدانهم في ظل أحداث ما يسمى بالربيع العربي (تونس-مصر-اليمن-سوريا).

وبالخلاصة: فإن عهد أبي عمر [البغدادي] على الرغم من تقوية بنيته العسكرية بانضمام ضباط عراقيين سابقين أصحاب خبرة وتجربة اليها، إلا أنه شهد خضات عنيفة للدولة، نتيجة صراعه مع «الصحوات» في بيئته الحاضنة، كما شهد عرفنة في المواقع والمسؤوليات العسكرية والأمنية، مع بقاء وزير الحرب أبي حمزة المهاجر (المصري) وبعض المهاجرين الآخرين، إلا أن تدفق المهاجرين العرب والأجانب تراجع كثيراً، كما شهد عهده تصعيداً في العمليات الانتحارية وأعدادها وغالبيتها نفذها مقاتلون أجانب (غير عراقيين)، وهذا أدى إلى انخفاض أعدادهم من جهة، ومن جهة أخرى إلى رفع وتيرة العنف الداخلي، الطائفي والمذهبي الذي وصل إلى داخل الساحة السنّية من خلال الصدام مع الحزب الإسلامي وقيادات الساحة السنّية المعارضين لدولة العراق الإسلامية.

وخسرت الدولة العديد من مناطق نفوذها وضعفت قوتها جرّاء صدامها مع العشائر السنّية والأحزاب والدولة فضلاً عن الحملة القوية الواسعة التي شنّها الجيش الأميركي ضدها، وتلقيها العديد من الضربات الموجعة من الأميركيين والجيش العراقي الرسمي والأجهزة الأمنية الحكومية. توجت بالغارة التي استهدفت أبا عمر [البغدادي] وأبا حمزة المهاجر.

وقد وصف «جو بايدن» نائب الرئيس الأميركي، العملية «بأن قتلها هو

(١) داعش، رؤية صهيونية، مصدر سابق. ص ٢١٩، في نيسان / ٢٠١٠.

ضربة ساحقة للقاعدة في العراق» وأضاف بأن «العملية تظهر الإمكانيات الأمنية المعززة والقدرات القوية التي باتت لقوى الأمن العراقية». وذهب الجنرال رايموند أوديرنو قائد القوات الأميركية في العراق أبعد من ذلك بالقول: «إن قتل هذين الاهابيين يمكن أن يكون الضربة الأكثر قسوة التي وجهت للقاعدة في العراق منذ بدء التمرد»^(١).

وصرح المالكي، رئيس الوزراء العراقي آنذاك، بأن «الهجوم نفذته قوات برية والتي طوّقت المنزل، ثم استخدمت الصواريخ»، وأضاف «خلال العملية، جرى مصادرة أجهزة الكمبيوتر بما فيها من اتصالات ورسائل إلى الإرهابيين الكبارين أسامة بن لادن وأيمن الظواهري»^(٢).

ولكن بالرغم من نغمة الانتصار في التصريحات، فقد شهدت السنوات التالية ٢٠١٠-٢٠١٤ صعود نجم جديد اسمه أبو بكر البغدادي، الذي بدأ ببناء تنظيمه (الدولة الإسلامية في العراق) وحوّله إلى سلاح قاتل من العيار الثقيل، ما مكّنه من السيطرة على أجزاء واسعة من العراق وسورية، وسوف تهدد قبضة [البغدادي] القوية على التنظيم من أسس نظام الدولة في قلب الوطن العربي^(٣).

• مرحلة [أبو بكر البغدادي]

(صعود القوة العسكرية وتوسعها إلى سوريا والطريق إلى إعلان الخلافة)

عند استعراض اللحظة التاريخية التي كان تنظيم دولة العراق الإسلامية

(1)Khalid Al Ansary,"Irajis Say Qaeda Deaths Will Improve their lives" Reuters,20-April-2010

(2)Irage al- Qaeda leaders "Killed" BBC News,19-April-2010.

(٣) فواز جرجس - [داعش] إلى أين؟، مصدر سابق . ص ٩٥.

يواجه فيها تحدياً أساسياً تمثل بتمرد حاضنته السننية على سياساته الطائفية ونهجه المتشدد، نجد أنه كانت قد تشكلت مجالس إسناد عشائرية سننية، وتأسست قوات الصحوة، ما مثل نقطة تحول كبيرة في المشهد السنني من موقف داعم للمسلحين الجهاديين إلى موقف متعاون مع القوات الأميركية (الصحوات)، بقيادة الجنرال [ديفيد بترايوس]، الذي دشّن استراتيجية تدفق القوات و«مكافحة التمرد»، إذ عمدت الولايات المتحدة إلى تسليح قوات الصحوة، ودعمها مالياً، وقد بلغ عددها أكثر من مائة ألف مسلح^(١).

إلا أن مشاركة السنة في حرب الدولة الإسلامية في العراق لم تسفر عن اختراقات تذكر في تركيبة النظام السياسي الجديد في العراق، إذ كان النفوذ الشيعي يشهد تنامياً مطرداً في كافة أجهزة الدولة، ولم تنجح مساعي دمج الصحوات في الأجهزة العسكرية والأمنية، فزادت مشاعر السنة بالإقصاء والتهميش^(٢).

في مرحلة لاحقة شهدت حقبة أبي بكر البغدادي، تحولات داخلية عميقة على صعيد البنية الأيديولوجية والتنظيمية، وذلك بالتزامن مع تولي نوري المالكي رئاسة الوزراء لولاية ثانية أواخر عام ٢٠١٠م، وكانت الولايات المتحدة قد بدأت إجراءات الانسحاب من العراق بموجب الاتفاقية المبرمة مع الحكومة العراقية عام ٢٠٠٨م.

(١) انظر: هشام الهاشمي، صحوات الفضائل السننية، على الموقع: www.ynewsiq.com

(٢) عمر عاشور، القاعدة في العراق: القضاء على القادة لن يقطع بالضرورة شرايين الحياة،

على الموقع: www.carnegieendowment.org

بالنتيجة؛ مع انتهاء مفعول الاتفاقية العراقية الأميركية، واستكمال الانسحاب (في ٣١ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١١م)، كان العراق يقع في مجال النفوذ الإيراني^(١)، وهيمنة المكون الشيعي، وتنامي السلطوية^(٢)، وغارق في سياسات الطائفية، واستبعاد السنة، ومفاصل الدولة متخمة بالفساد^(٣).

أ- تداعيات الانسحاب الأميركي من العراق

تزامن الانسحاب الأميركي من العراق مع حدثين مهمين: الأول كان انطلاق موجة الاحتجاج الثوري في العالم العربي (الربيع العربي) والمطالبة بالحرية والعدالة والديمقراطية، بدءاً من تونس نهاية عام ٢٠١٠، ثم مصر وليبيا واليمن، ودخول سورية (منتصف آذار/ مارس ٢٠١١) آفاق التغيير، ووصول فعاليات الاحتجاج إلى العراق أواخر ٢٠١١م.

٢٩١

أما الثاني - فتمثل بمقتل أسامة بن لادن زعيم [تنظيم القاعدة] المركزي في الثاني من أيار/ مايو ٢٠١١م، على يد قوات خاصة أميركية في أبوت آباد في باكستان، وتولي أيمن الظواهري زعامة القاعدة.

(١) انظر: انتوني كوردسمان، النتائج الحقيقية من الحرب على العراق: المنافسة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، تقرير صادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأميركي CSI، ترجمة دار بابل للدراسات والإعلام، على الموقع: www.darbabl.net

(٢) انظر: توبي دودج، الدولة والمجتمع في العراق بعد عشر سنوات من تغيير النظام: صعود السلطوية من جديد، ترجمة: شادي عبدالوهاب، على الموقع: baghdadcenter.net

(٣) خلال الفترة بين ٢٠١٠ و ٢٠١١، أصبح الفساد مستشرية في كافة مفاصل الدولة العراقية، بحيث كان مؤشر إدراك الفساد الذي تقوم به منظمة الشفافية الدولية يضع العراق في المرتبة ١٧٠ من إجمالي ١٨٢ دولة، انظر: منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد ٢٠١١، على الموقع:

مع حلول العام ٢٠١١م، بدأت [داعش] تستعيد عافيتها وتتغذى بصورة واسعة على أخطاء حكومة المالكي، فعادت استراتيجيات [داعش] في العراق لتتوجه فعلياً نحو استعادة السيطرة على المناطق التي فقدتها خلال مرحلة الصحوات. فهاجمت في كافة المحافظات العراقية بلا استثناء، ولم تعد أهدافها محدودة أبداً، حتى وإن ظهرت في الآونة الأخيرة أنها مركزة ضد الصحوات ورؤوسهم.

رمت [داعش] قدرتها على التجنيد والاستقطاب عبر استثمار «الأزمة السنية»، سواء في العراق أو في سورية، فلم يبق في العراق من شماله إلى جنوبه، خاصة بغداد والأنبار، ما هو خارج دائرة الاستهداف، ابتداء من القوات الأميركية أو الدولة ومؤسساتها الوزارية والمالية، وانتهاء بالقوى المحلية الحليفة لها^(١).

في مايلي سنستعرض الديناميكيات التي استخدمتها [داعش] لترميم قدراتها العسكرية والأمنية ومواردها والانطلاق من جديد، سواء على الصعيد الاستراتيجي أو التكتيكي أو الهيكلية القيادية الداخلية، ونذكر الشروط التي دفعتها إلى الأمام، وتحديد سياسات المالكي وتنامي النفوذ الإيراني في العراق عقب الانسحاب الأميركي، وفي الأثناء سنتوقف عند الخطاب الأيديولوجي الذي رافق قرار إعلان الخلافة الإسلامية، وما أثاره ذلك من تداعيات واقعية وفكرية.

(١) الدكتور أكرم حجازي، الدورة التاريخية: العراق ما بين [البغداد] الأول والبغداد الثاني (٤)، على الرابط:

ب- استراتيجيات جديدة، وتكتيكات مختلفة، وإعادة هيكلة

لم تأت التحولات في أولويات التنظيم وهيكلته التي نجحت في ترميم نفوذه ومصادر قوته، بل توسعه وتمدده لاحقاً من فراغ، بل نجمت عن مراجعة عميقة للمسار والرؤية المستقبلية، واستراتيجية التعامل مع الواقع العراقي الطائفي والعرفي والتداخل بين العوامل الداخلية والإقليمية والدولية.

بحلول العام ٢٠١٠م، ومع اقتراب موعد انسحاب القوات الأميركية، أصدر [داعش] وثيقة مهمة وأساسية، تفسر استراتيجيته والمراجعات لرؤيته المستقبلية وتكتيكاته الجديدة، وجاءت بعنوان «خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية».

٢٩٣

أشارت تلك الوثيقة إلى الأسباب الحقيقية وراء ظهور الصحوات، واعتبرت أن التنظيم تأخر في قتلها بحجة الحاضنة الاجتماعية، كما أدانت الوثيقة اتهام فصائل المقاومة الوطنية للتنظيم بالإتيان بتصرفات خاطئة أدت إلى ظهور الصحوات، واتهمت الفصائل الوطنية بأنها باتت مرتعاً لتفريخ الصحوات، «واعترفت بتراجع نفوذ [داعش] وسيطرته في كثير من المناطق، كما اتهمت الولايات المتحدة بشن «حرب قدرة»، تضمنت القيام بتفجيرات في الأسواق والمحال العامة والمساجد وقتل المخالفين للدولة وإصاقها بدولة العراق الإسلامية».

تحدثت الوثيقة عن نجاح استراتيجية «الدولة الإسلامية» في ضرب الصحوات، الأمر الذي أدى إلى تراجعها وانحسارها، كما تشير إلى أن «الدولة» بدأت تستعيد نفوذها وسيطرتها تدريجياً. إلا أن الغرض الأساسي للوثيقة هو

وضع استراتيجية الدولة لمرحلة ما بعد الانسحاب الأميركي، وقد وضعت الوثيقة خمسة أعمدة رئيسة لعملها المستقبلي:

أولاً: السعي الجاد لتوحيد الجهود: ومن الواضح هنا أن الوحدة تعني بصورة أساسية انضمام الفصائل الأخرى إلى «دولة العراق الإسلامية»، التي ترى القاعدة أنها ضحت وتنازلت في سبيل إقامتها، وتستند إلى فقه الأحكام السلطانية على شرعية قيام الدولة ووجوب التوحد خلفها، فأشارت إلى عدم ضرورة الاجماع الكامل، وتقتبس الوثيقة دعوة أبي حمزة المهاجر الجماعات الأخرى إلى التخلي عن المصالح الخاصة والانخراط في مشروع الدولة باعتباره يمثل الأمة.

ثانياً: التخطيط العسكري المتوازن: الذي يستند إلى أن القوات الأميركية قد أجمعت أمرها على الرحيل، ولم تعد تطيق البقاء في العراق. وعلى هذا الأساس تدعو الوثيقة لتركيز الجهود على استهداف من أسمتهم الأعداء الداخليين، إذ تضع ثلاثة مبادئ:

١. مبدأ «تسع رصاصات على المرتدين ورصاصة على الصليبيين»، باستهداف قوات الجيش والشرطة، ونشر الرعب لمنع مزيد التجنيد في صفوفها.
٢. مبدأ «التطهير» بحرمان القوات العراقية من تحقيق مراكز وتجمعات ومقرات دائمة، بتطهير الأرض وتشريد العدو.
٣. مبدأ «سياسة الاستهداف» بالتركيز على القوات الأكثر تأهيلاً من النخبة، والرموز السياسية الفاعلة.

ثالثاً: مجالس الصحوة الجهادية: إذ تقر الوثيقة بقيام الصحوات العشائرية، وتشير إلى أن دوافعها مالية بتحصيل منافع شخصية، وإيديولوجية معادية

لشريعة، وتضع ملامح لخطة معاكسة للتعامل مع هذا الموضوع تتمثل بإنشاء مجالس للصحوات الجهادية، تقوم على ما تعتبره أسساً أخلاقية شرعية، وتعتمد أسلوب إدارة لا مركزي، يعطي صلاحية واسعة لشيخ العشائر في إدارة الوضع الأمني لمناطقهم في ظل «دولة العراق الإسلامية».

رابعاً: العناية بالرمز السياسي: من خلال إبراز نماذج قيادية تتمتع بالقبول والرضا من المجتمع، وتتمتع بالكفاءة والقيمة والنزاهة.

خامساً: طمأنة المواطنين: من خلال إقامة الحكم العادل في أي منطقة يحصل فيها التمكين، والاهتمام بالجوانب الإدارية ومحاوله إقامة الاستقرار وبناء الجبهة الداخلية عن طريق إرساء هياكل قانونية لتنظيم الاقتصاد والقانون الجنائي وفق الشريعة الإسلامية^(١).

هذه السياسات البراغمية والواقعية تدل على ان الامر لم يقتصر في عهد أبي بكر [البغدادي] عند حدود المراجعة الاستراتيجية والتكتيكية، بل طال تركيبة التنظيم العسكرية والأمنية والشرعية أيضاً، إذ اعتمد في الجانب العسكري على ضباط عراقيين سابقين سلفيين وفي مقدمتهم: [حجي بكر] وعبد الرحمن البيلاوي، فأصبح الجناح العسكري أكثر احترافاً وأشد تماسكاً على الصعيد الأمني، ومعظم قياداته من العراقيين، وفي الوقت نفسه استثمر [البغدادي] الجهاديين العرب والأجانب في الأجهزة الشرعية، وخصوصاً أبناء دول الخليج العربي، أمثال: أبو بكر القحطاني (عمر القحطاني)، وأبو همام الأثري، المعروف بتركي البنعلي (تركي بن مبارك بن عبد الله) من البحرين، والسعودي عثمان آل نازح العسيري، وغيرهم.

(١) خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية، على الرابط:

اعتمدت القيادة الجديدة على «حلقة تلغفر التركيبانية، في المواقع الأمنية الأساسية، وفي مقدمتهم أبو علي الأنباري، وعلى العرب والأجانب في المؤسسة الإعلامية، وفي مقدمتهم السوري أبو محمد العدناني الناطق باسم الدولة الإسلامية.

تحول نسق العمليات المسلحة للتنظيم عام ٢٠١١م، من الطابع العشوائي إلى السلوك المنظم والمنسق. فالمجموعات المسلحة، هي من تملك المبادرة، ومن تقرر المكان والتوقيت، فاستهدفت العمليات مقرات المحافظات ومجالسها ومنها محافظة بغداد.

وحولت المجموعات المسلحة أسلوب عملها إلى موجة أو سلسلة عمليات الواحدة بعد الأخرى بدل العمليات الفردية أو زرع العبوات، وكانت هذه العمليات تثير الصدمة والرعب ويثبت التنظيم من خلالها تطوره ووجوده ميدانية وإعلامية، ويعكس قدرته التنظيمية.

أطلقت «دولة العراق الإسلامية» على عملياتها الجديدة اسم «هدم الأسوار» في إشارة إلى أن العمليات القادمة تستهدف إخراج سجنائها.

٥- خطة «هدم الأسوار»: استعادة النفوذ والانتشار:

عقب خروج القوات الأميركية من العراق عام ٢٠١١م، وبروز الثورات الشعبية العربية على الساحة السياسية، مع إصرار المالكي على سياسات إقصاء وتمهيش السنة، وعدم إدماج الصحوات بل ملاحقتهم واعتقالهم، حدثت تحولات عميقة في تصورات المجتمع السني ومنظوره للعملية السياسية، وبدأت الحراكات والاحتجاجات في المحافظات السنية تتواتر وتتصاعد، الأمر الذي

استثمرته الدولة للبرهنة على صواب نهجها الهويّاتي ونجاعة استراتيجيته القتالية، وبدأت تعيد بسط نفوذها وسيطرتها التي كان يتمتع بها سابقاً.

وضع [داعش] «خطة هدم الأسوار» لاستعادة نفوذه وسيطرته الجغرافية، ففي خطاب أبي بكر [البغدادي] بعنوان «ويأبى الله إلا أن يتم نوره» (في تموز/ يوليو ٢٠١٢) أعلن عن بدء الخطة الجديدة «ومن كان يظن أن الناس لا يريدون دولة الإسلام فليعلم أن أكثر أهل السنة في بلاد الرافدين يؤدونها منتظرين عودتها، ولا يسعني إلا أن أثني على عشائرتنا وأهلنا في بلاد الرافدين شيوخاً وأفراداً؛ الذين كانوا ولا زالوا مادة الجهاد في العراق، ومأوى المجاهدين وحصنهم. وإني بمناسبة بدء عودة الدولة للمناطق التي انحازت منها كما ترون، أستنفركم وأحثكم على بذل المزيد، والزج بأبنائكم في صفوف المجاهدين دفاعاً عن دينكم وأموالكم وأعراضكم، وطاعة الله وامثالاً لأمره وأما أولئك الذين لبس عليهم من بعض شيوخ وأفراد عشائرتنا فوقفوا في صفوف أمريكا الصليبية، ثم غدوا أتباعاً وأذئاباً للحكومة الصفوية، فنقول لهم: ما ضركم والله لو اتبعتم الحق ونصرتم دين الله كما حاربتموه، فتوبوا وأصلحوا يغفر الله لكم ويبدل سيئاتكم حسنات، ولئن قيل لكم أن الدولة الإسلامية تقتل كل من حاربها ولا تقبل منه عدلاً، فإنما ذلك مما يفترى علينا - وما أكثره -، ولتعلموا أنا لا نسأل من أراد التوبة عدلاً ولا شفاعاة»^(١).

لم ينس [البغدادي] مخاطبة الشيعة، بلغة عدائية سافرة، مشدداً على مسألة تأكيد الهوية وتمثيل دولته للإسلام السني «أما أنتم أيها الروافض الحاقدون؛

(١) أبو بكر البغدادي، كلمة صوتية بعنوان: ويأبى الله إلا أن يتم نوره، رمضان ١٤٣٢ هـ - تموز/ يونيو ٢٠١٢م، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

فنحن أبناء الحسن والحسين، وأحفاد أبي بكر وعمر وذوي النورين، نحن جدنا حيدرة الكرار أمير المؤمنين علي، وأنتم شيعة المجوس أحفاد أبي لؤلؤة وابن سبأ ورستم وجدكم كسرى، وهيئات هيئات أن تغلب شيعة مجوس أبناء الحسن والحسين^(١).

وكالعادة؛ فصّل الناطق باسم الدولة، أبو محمد العدناني، في كلمة صوتية بعنوان «الاقترحات أفجع»، الخطة الجديدة للتنظيم، فأشار إلى أن الدولة تمضي في خطتها لبسط نفوذها من جديد على المناطق التي خسرتها سابقاً، إذ يقول: «لقد أعلن أمير المؤمنين في دولة العراق الإسلامية الشيخ المجاهد (أبو بكر البغدادي) عن بدء مرحلة جديدة من العمل الجهادي للعودة إلى المناطق وبسط السيطرة عليها بالقوة ودحر الجيش الصفوي وأنصاره، فأعلن -حفظه الله- عن خطة (هدم الأسوار) وأعطى توجيهاته وأوامره لضرب مفاصل المشروع الصفوي وأركانها، واستهداف دقيق لرؤوس الحكومة الصفوية ومقراتها الحكومية ومراكزها الأمنية والعسكرية وأوكار الشر الرافضية وأذناها وأزلامها من خونة السنة، فاستنفرت وزارة الحرب رجالها وأبطالها، فهبت كتائب المجاهدين وسرايهم تجوس خلال الديار واجتاحت البلاد طولاً وعرضاً في عمليات متزامنة أظهرت فشل وانهيار الخطط الأمنية وعجز الأجهزة الاستخباراتية التي يتبجح بها العدو ويجمع لها في وسائل الإعلام ليل نهار، وغدا قادتهم ورؤوسهم -الذين غدوا أضحوكة الشارع- يلعن بعضهم بعضاً وسط تلاوم وتبادل الاتهامات وتضارب بالتصريحات، وأضاف: أتت المرحلة تماماً كما أراد الشيخ وخطط، فتم اقتحام الثكنات وسحق السيطرات ودك المقرات وإسقاط الطائرات وقطف رؤوس

الكفر في كافة أنحاء البلاد، وبحمد الله ومنه فقد تحققت الخطة المرسومة وأنجزت الأهداف الموسومة، وسوف تنتهي هذه المرحلة في الفترة الزمنية التي تم إقرارها وتبدأ مرحلة جديدة نعلن عنها في وقتها المناسب إن شاء الله»^(١).

وبدت الثقة واضحة في خطاب العدناني عندما تحدث عن مرحلة جديدة بقوله «فالآن نغزوهم ولا يغزونا، وقد ظهرت بوادر الانتصارات بهروب الجنود وترك عملهم وتوبة المرتدين من أهل السنة والتفاف الناس حول دولة العراق الإسلامية»^(٢).

ووصل الناطق باسم التنظيم، في نهاية تلك الكلمة المهمة، إلى إعلان التحدي بالقول: «لقد أعلنتها دولة العراق الإسلامية عالية مدىة: لا تفاوض، لا مساومة، لا مهادنة، ثبات لا تراجع، حرب لا هوادة فيها»^(٣).

أخذت الظروف الداخلية والإقليمية تخدم [داعش] وتساعد في استعادة قوته؛ فبعد مرور عام عن الإعلان عن خطة «هدم الأسوار»، باتت [داعش] قوة ضاربة، وقد توجت الخطة (في ٢١ تموز/ يوليو ٢٠١٣م)، بشن هجوم مزدوج على سنجي «ابو غريب»، الذي يقع غرب بغداد، وسجن التاجي في شالها، وأسفر ذلك عن تهريب قرابة ستائة سجين بمن فيهم العديد من كبار قادة [داعش]، وقد أصدرت الدولة في ٢٣ تموز/ يوليو ٢٠١٣م، بياناً تبنت فيه

(١) أبو محمد العدناني، المتحدث الرسمي باسم دولة العراق الإسلامية، كلمة صوتية بعنوان «الافتحافات أفجع»، ٢٠١٢/٧/٢٣ على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=FdsJpIRjcg>

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

العملية وأطلقت عليها: غزوة «قهر الطواغيت»^(١).

مع الإعلان عن انتهاء خطة «هدم الأسوار»، دشنت الدولة الإسلامية خطة جديدة تهدف إلى السيطرة المكانية على المحافظات السنية في العراق، والتمدد والسيطرة على المحافظات السورية، وقد أطلق التنظيم على الخطة الجديدة اسم «حصاد الأجناد» في (٢٩ تموز/ يوليو ٢٠١٣). ففي بيان بعنوان «غزوة العشر الأواخر»، رداً على حملات تهجير أهل السنة، جاء فيه «استمراراً لسلسلة الغزوات النوعية التي انطلقت في الشهور الماضية نصرته لمستضعفي أهل السنة الذين يعمل على قمعهم وتهجيرهم من ديارهم في مختلف المناطق وخاصة في ولاية ديالى، بعد أن أظهر المشروع الصفوي أهدافه بلا موارد وأماط اللثام عن وجهه الكالح القبيح بلا تقية، انطلق رجال الدولة الإسلامية في أولى عملياتهم النوعية في العراق ضمن خطة «حصاد الأجناد» بعد أن ختموا المرحلة السابقة «هدم الأسوار» بالعملية الجريئة في كسر قيود الأسود وفك أسرهم في سجنى التاجي

(١) بيان عن غزوة «قهر الطواغيت» في سجنى أبو غريب والتاجي، مؤسسة الاعتصام، على

daawla.tumblr.com/page/18://http

الرابط:

وقد أثارَت العملية جدلاً واسعاً داخل الحكومة العراقية وتبادل الاتهامات وتحميل المسؤوليات، نظرة لضخامتها، وخطورتها وتوقيتها، بل أن وزير العدل العراقي حسن الشمري ذكر أن هروب مئات المعتقلين من سجنى أبو غريب والتاجي ومعظمهم يتتمون إلى تنظيم «القاعدة» كان مدبرة بمعرفة مسؤولين عراقيين كبار، وأن الهدف كان إقناع واشنطن التخلي عن خططها لضرب نظام الرئيس السوري بشار الأسد، عبر تعظيم دور القاعدة وتنظيم «داعش»، إلا أن ذلك كان سيشير إلى تصاعد قوة تنظيم الدولة، وقد كشفت التحقيقات لاحقاً عن هذه الحقيقة، ولمزيد من التفصيل، انظر: أحمد هاشم الحبوبي، غزوة «قهر الطواغيت».. خاتمة خطة «هدم الأسوار»، على الموقع:

www.kitabat.com/ar/page2013/16209/

وأبي غريب، ليدكوا عمق المحميات الصفوية في بغداد الخلافة وغيرها»^(١).

أما الناطق باسم الدولة، أبو محمد العدناني، فقد أكد في كلمة صوتية بعنوان: [لن يضر وكم إلا أذى]، عن بدء الخطة الجديدة لتمكين الدولة، ونهاية خطة [هدم الأسوار]، وقدم تفصيلات عن عملية سجنني أبو غريب والتاجي.

أكدت الأشرطة والمواد الدعائية، التي تصدرها الأذرع الإعلامية التابعة لداعش، وأبرزها مؤسسة الفرقان، على التحول الكبير في بنيتها وقدراتها الفائقة، وتكتيكاتها العنيفة، وطبيعتها الهوياتية، واستراتيجيتها القتالية المرعبة. فقد أصدرت سلسلة من الأفلام المتقنة، أطلق عليها «صليل الصوارم»^(٢).

الرسالة المهمة، التي سعت إليها الدولة الإسلامية عبر هذا الإنتاج الإعلامي المكثف والنوعي، تمثلت بالقول بأنه لا خلاص للمجتمع السني العراقي إلا عن طريق استخدام القوة والانحياز لمشروع «الدولة الإسلامية السنية، الذي أصبح قوة ضاربة قادرة على إلحاق الأذى بالجيش العراقي وبالقوى الشيعية ومواجهة النفوذ الإيراني في العراق.

٦- جهاز الأمن في داعش خلال عهد أبي بكر البغدادي:

يُطلق مصطلح «الأمن» على جهاز الاستخبارات داخل الدولة الإسلامية وخارجها، وهو في عهد أبي بكر [البغدادي] شهد نقلة نوعية وتطوراً لافتاً، فقد

(١) بيان عن غزوة «العشر الأواخر»، رداً على حملات تهجير أهل السنة، مؤسسة الاعتصام للإنتاج الإعلامي، وزارة الإعلام - الدولة الإسلامية في العراق والشام، على الرابط: <http://www.hanein.info/vb/showthread.php?t=324265>

(٢) انظر: سلسلة صليل الصوارم بأجزائه الأربعة، على الرابط:

<http://ansarkhelafa.weebly.com/15871604158716041577-1589160416101604-1575160415891608157515851605.html>

تولاه مساعده الأول والرجل الذي يُعتبر ظل «الخليفة» [البغدادي] وأقرب القادة إليه^(١)، واليد اليمنى لأبي بكر البغدادي^(٢) حجي بكر (سمير عبد محمد الخليفائي)، وهو عقيد سابق في جهاز المخابرات في قوات الدفاع الجوي في نظام صدام حسين، وقد برز [حجي بكر] المسجون سابقاً في «أبو غريب» ومعسكر بوكا جنباً إلى جنب مع زعيم [داعش] أبي بكر [البغدادي] خلال الفترة الواقعة بين (٢٠٠٤-٢٠٠٦). وكان له دور أساسي في مبايعة مجلس الشورى لأبي بكر [البغدادي] بعد مقتل أبي عمر البغدادي، وكان أبو بكر قد عرف وزكى [حجي بكر] عند أبي عمر البغدادي، وتسلم مسؤولية المجلس العسكري للتنظيم عام ٢٠١٢، وتولى إدارة العمليات العسكرية وإدارة المعسكرات في الشام^(٣). وتميّز داخل التنظيم بالكفاءة في مجال التخطيط العسكري والإشراف والحضور الميداني، وكان له دور كبير في انتساب واندماج عدد كبير من الضباط البعثيين في صفوف «الدولة»، ويُعتبر المشرف على تكوين وتطوير جهاز الأمن في [داعش].

في أواخر عام ٢٠١٢ تم إرسال [حجي بكر] إلى سوريا على رأس مجموعة تقدم صغيرة وذلك في مهمة للمساعدة في رسم الخطوات لمستقبل الدولة الإسلامية، والاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي السورية، ومن هناك شنّ غزوة مرة أخرى في داخل العراق.

استقر [حجي بكر] بشكل غامض في تل رفعت، البلدة السورية الصغيرة الواقعة شمال حلب، حيث وضع تجربته ومعرفته الكبيرة بأساليب مخابرات صدام وممارساته الدكتاتورية قيد العمل، ورسم مخطط غزو سوريا، وصعود

(١) هاشم الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٢٨٣.

(٢) حسن ابو هنية، محمد ابورمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٤١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

الدولة الإسلامية والتي نفذتها [داعش] بدقة^(١).

تذكر وثائق وملفات [حجي بكر] -التي حصل عليها الأميركيون بعد مقتله وحصلت عليها صحيفة ديرشبيغل وهي مكونة من ٣١ صفحة بخط يده وتتألف من قوائم وخطط وجداول زمنية- وتصف كيفية إخضاع أمة (مجتمع) خطوة خطوة.

فقد كتب كريستوف ريوتر الذي كان أوّل من حلّل هذه الوثائق: «إنّ الأوراق تكشف عن تكوين جهاز متعدد الطبقات وعن توجهات للعمل، (بعضها تمّ اختياره بالفعل، وأخرى وضعت حديثاً) للوضع الفوضوي في المناطق الخاضعة لسيطرة المتمرّدين في سوريا، فالوثائق عبارة عن شيفرة المصدر لجيش إرهابي هو الأكثر نجاحاً في التاريخ الحديث»^(٢).

٣٠٣

وتشمل خطة [حجي بكر] استراتيجية العمل لإخضاع المناطق التي تهدف [داعش] للاستيلاء عليها وهي تضم مجموعة خطوات كالتالي:

١. فتح مكاتب للدعوة (التعاليم الإسلامية) في المدن والقرى المستهدفة لكسب قلوب وعقول السكان المحليين.
٢. القيام بتجنيد جواسيس بين الذين يحضرون المحاضرات والدورات الشرعية ويتم انتخابهم من أعمار ١٦-١٨ عاماً.
٣. يُطلب إلى هؤلاء تجميع لوائح عن الأسر القويّة في القرية وتوفير تفاصيل عن

(1)Reuter.C.(April 18,2015)the terror strategist: Secret files reveled the structure of Islamic state.PerSpiegel.http:www.spieyel.de/international/word.

(٢)آن سبيخارد، احمد س.يايلا، دراسة بعنوان: أمّني داعشي: أصول جهاز الاستخبارات في [داعش] وعمله الداخلي. ترجمة: ايها سويد، التمّدن للدراسات، بيروت، شباط ٢٠١٧. ص ٥.

- الأفراد الموجودين ضمن هذه العائلات، ومصادر دخلهم، وأيِّ معلومات تصلح للمساومة والابتزاز لاسيَّما انتهاكاتهم للشريعة الإسلامية.
٤. جمع معلومات حول الفصائل المسلحة في القرية أو المدينة وقادتهم وتوجهاتهم السياسية.
٥. إصدار الأوامر من قبل [حجي بكر] لبعض الإخوة-الذين أرسلوا معه كمعلمين للدعوة- بالزواج من نساء محليات من هذه العائلات البارزة لضمان تغلغل [داعش] في هذه الأسر بشكل هادئ ودون علمها (عبر المصاهرة).
٦. إنشاء قوات قتالية في مخيمات تدريب عسكرية -غير علنية- في المناطق النائية من سوريا، وإصدار أوامر للتسلل وضرب وقتل أيِّ فرد يُعتبر خصم محتمل لداعش.
٧. توجيه ضربات مفاجئة لهذه القرى والمدن، مع تجنب وقوع خسائر فادحة في صفوف المهاجمين من [داعش]. (عبر تحريك الخلايا النائمة فيها وإسناد القوة المهاجمة بشكل بياغت السكان والفصائل المسيطرة).
٨. وضع عيون للرقابة الداخلية بحيث يصبح كل فرد يراقب الآخر، وبالتالي خلق بيئة أمنية يعيش فيها الجميع في حالة من الشك والخوف من كونهم يتعرضون للتجسس هم أيضاً.
٩. إعداد قوائم تحدد المخبرين المثبتين في كلِّ فصيل من الفصائل المسلحة الأخرى وكتائب الجيش الرسمي الحكومي (حيث يزرع في كلِّ منها مخبرين لصالح داعش).
١٠. جمع المقاتلين الأجانب من الدول العربية وأوروبا والبلقان، ومعظمهم لا يتمتعون بخبرة عسكرية جدِّية، ووضعهم تحت سيطرة قيادة الشيشان

والأوزبك الذين خضعوا لاختبارات المعارك والذين كانوا بمثابة «القوات الخاصة» لداعش.

١١. التعامل مع المقاتلين المجندين بشعار «إسمع وأطع»، وبالتالي عدم السماح لأي نوع من التردد أو التشكيك بالأوامر الصادرة لهم.

١٢. يشمل الهيكل التنظيمي الذي رسمه [حجي بكر] لجهاز الاستخبارات سلسلة قيادية على رأسها الأمير (القائد) الذي يكون مسؤولاً عن عمليات القتل والاختطاف والقنص، الاتصالات، التشفير، ويكون مشرفاً على القادة (الأمرء الميدانيين) في حال لم يقوموا بعملهم بشكل جيد. وهذه التشكيلات هي وحدات نخبة تعمل بجوار القوات العادية.

١٣. من لا يعمل من المقاتلين أو الأمرء الميدانيين بشكل جيد، يُرسل إلى مهام ليكون في «فوهة المدفع» فتصدر إليهم الأوامر للتطوع بمهمات انتحارية أو يتم إرسالهم إلى الخطوط الأمامية، حيث يكون مقتلهم أمراً مرجحاً جداً.

وخلال عمل [حجي بكر] في سوريا (بين عام ٢٠١٢ حتى مقتله عام ٢٠١٤) اتخذ مقرراً لجهاز الاستخبارات في مدينة الباب السورية، ويُعتبر جهاز الأمن والاستخبارات في [داعش] مسؤولاً عن جمع المعلومات الاستخباراتية داخل «الدولة الإسلامية» وخارجها، وكذلك التخطيط للهجمات الخارجية على الصعيد العالمي.

وتشمل مهام الجهاز (الرسمية) الأمور التالية على سبيل المثال لا الحصر:

- جمع المعلومات الاستخباراتية لأجل المعارك في سوريا والعراق وغيرها.
- جمع المعلومات الاستخباراتية عن كل من يعيش في نطاق أراضي الدولة الإسلامية^(١).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٧.

- جمع المعلومات الاستخباراتية المفصلة حول المناطق التي تنوي [داعش] غزوها.
- دراسة ملفات المجندين الجدد في [داعش]، وخاصة أولئك الذين يبدون من دون «إحالات*»
- جمع وتحليل المعلومات الاستخباراتية عن الهجمات المحتملة ضد [داعش].
- نشر بروباغندا [داعش]، والخوف، داخل [داعش] وعلى الصعيد العالمي (خارج حدودها).
- تجنيد ونشر مقاتلين أجنب لجمع المعلومات الاستخباراتية وشن هجمات في أوطانهم.
- تغذية مراكز [داعش] العالمية بشأن الهجمات الخارجية، بوحى من [داعش] والهجمات الخارجية الموجهة من [داعش] مباشرة.
- إرسال ونشر الجواسيس والمجندين في تركيا وبلدان أخرى بما في ذلك التجسس على اللاجئين السوريين الفارين من العنف.
- مراقبة عمليات الدعم اللوجستي لـ [داعش] داخل تركيا لضمان عدم وجود أي تسرب أو انقطاع.
- التفاعل مع عملاء من جماعات إرهابية ومنافسة أخرى بما في ذلك أولئك التابعين لمخابرات النظام السوري.
- أي نوع من الوظائف «القدرة» الهامة بما في ذلك تنظيم تجارة الرقيق والنفط والقمح والآثار، والتجارة.
- القيام بعمليات الاغتيالات، والخطف، ومقايضة الرهائن⁽¹⁾.

* إحالات: هي شهادة تركية وتعريف بالمقاتل الملتحق بداعش يحملها معه من بلده، وهي صادرة عن جهاديين أو رجال دين معروفين لدى الدولة الإسلامية.

(1)Spekkhard,A.and Yayla,A.S. (2016). ISIS defectors: Inside stories of the terrorist Caliphate.Mclean,VA: Advaces Press,LLC.

الخلاصة حول الجهاز الأمني كما يوردها البحث الذي قام به (آن سبيخارد، وأحمد س. يايلا)^(١)، توضّح شهادات المنشقين وكذلك واثق [حجي بكر] التي تم الاستيلاء عليها؛ بأن [داعش] تنظيم لا يرحم، وقد استفاد هذا التنظيم من تقنيات التخطيط الاستخباراتي الدقيقة في النظام البعثي العراقي السابق من خلال الضباط الذين انضموا إلى [داعش]، وان الجهاز الأمني يشكّل البنية العميقة والأساسية التي أدارت [داعش] كمنظمة إرهابية، ودولة استبدادية ناشئة على حد سواء.

وانّ الدافع الأساسي لدى الضباط السابقين المنضوين في [داعش] هو غضبهم من الصعود الشيعي في العراق وتمهيش السنّة، واستراتيجيتهم المتعصبة في محاولتهم لإعادة السنّة إلى السلطة، وأنهم رأوا من المناسب ارتداء العباءة الإسلامية من أجل التأثير بالجمهير. ويفيد الباحث بأنه من الواضح، وعند التدقيق الدقيق، أنه لا يوجد شيء اسمه إسلامي في أفعالهم ولا في فسادهم وفي تحالفاتهم المتغيرة دائماً وتأمّره المحسوب، وبراقتهم في حملاتهم الدعائية واغراءاتهم عبر الانترنت. وكما كتب كرسستوفريوتر: «إن الإيمان حتى في أقصى أشكاله، هو أحد الوسائل العديدة فحسب، للوصول إلى غاية. والثابت الدائم والوحيد في تنظيم «الدولة الإسلامية» هو توسيع السلطة بأي ثمن»^(٢).

(١) البحث استند كما ورد في مقدمته إلى ثلاثة مصادر هي:

- ١- روايات أوائل المنشقين الفعليين عن [داعش] وعددهم في البحث (٤٢ منشقاً) ٦ إناث، و٣٦ ذكور، تمت مقابلتهم جميعاً من قبل الصحفي التحقيقي كرسستوفريوتر من ديرشبيغل (هامبورغ GFR) (خلال سنتين، ٢٠١٥-٢٠١٧)، (واستغرقت كل مقابلة بين ساعة وخمس ساعات) بإسلوب شبه منظم وقابل للدراسة (استمارات تحوي ٤٥ سؤالاً في العمق عن كل المجالات).
- ٢- واثق وملفات حجي بكر التي تم الحصول عليها بعد مقتله عام ٢٠١٤ (وبخط يده وهي تجاوزت ٣١ صفحة).
- ٣- البيانات التي تم جمعها من قبل مراسلة صحيفة نيويورك تايمز روكمي نيكالي ماشي. وتمت مطابقة المعلومات بين المصادر الثلاثة.

(2)Spekhard.A.and Yayla.A.S: ISIS defectors: Inside stories of the terrorist Caliphate. former source.

فالسطة واستعادة الهيمنة السنّية في العراق وسوريا هي المهمة الرئيسة لدى الجهاز الأمني التابع لـ [داعش] والتلاعب المحسوب بالإيمان والمعتقدات ليس إلا إحدى وسائله لتحقيق هذه الغاية⁽¹⁾.

وبالخلاصة يتضح للباحث حجم الهوة الايمانية بين القادة المسؤولين في [داعش] الذين يستخدمون الشعارات الإسلامية لتنفيذ مآربهم السياسية وأهدافهم السلطوية، وبين أولئك العناصر السذج الملتحقين بمشروع الخلافة بحماسة إيمانية عالية تدفعهم للقيام بعمليات إنتحارية في سبيله.

في خلاصة هذا الفصل، بدت مقارنة البحث لأبرز المفاهيم والأفكار المؤسسة لدولة الخلافة [داعش] اعتماداً على أدبيات منظري السلفية الجهادية، مما شكّل مقدمة معرفية لازمة في فهم المسارات التي اعتمدها دولة الخلافة في بنية الدولة وتشكلاتها الهيكلية والتنظيمية والتي حاولت الجمع بين ترسيخ الجوانب العقدية والدينية في الأخذ بالسنن التاريخية، والتجربة التاريخية للخلافة على مستوى التسميات ك: الدواوين والإمارات والغزوات، وعلى مستوى بعض المضامين التي تحكم عملها ك: الزكاة والخمس والسبي والاستتابة وغيرها، وبين أدوات وأساليب الدولة الحديثة.

وقد شهدت المراحل التي مرت بها توسع الدولة جغرافياً وتمدها بين العراق وسوريا حالة من عدم الاستقرار الكامل، نتيجة الأعمال العسكرية والأمنية وتحدياتها التي رافقت الدولة في جميع مراحلها، الأمر الذي أدى إلى حالة من عدم الانسجام والتخبط أحياناً في الأداء بين منطقة وأخرى وبين المراحل الزمنية المتعاقبة.

(1)Spekkhard,A.and Yayla,A.S. (2016).ISIS defectors: Inside stories of the terrorist Caliphate.Mclean.VA:Advaces Press,LLC.

ولقد عالج البحث المجالس والهيئات الشرعية، والتي ترتدي أهميتها الخاصة كونها الجهة التي تأخذ البيعات للخليفة، وهي التي تضيف الشرعية الدينية وتروج لها في الأوساط الدينية والإسلامية، كما تقوم بدور وضع الضوابط الاجتماعية ورسم السياسات المعتمدة في مجتمع الدولة الإسلامية من خلال الإشراف المباشر على ما يسمى [الحسبة].

وقد تبين من خلال ما تقدّم واستقرأ مراحل الدولة منذ النشأة أن الذين تولوا منصب رئاسة الهيئة الشرعية هم الأشخاص الأكثر قرباً والتصاقاً بالخليفة من المهاجرين والعراقيين، أمثال: [أبو أنس الشامي] في عهد [الزرقاوي]، والتميمي في عهد [أبو عمر البغدادي] ثم [أبو علي الأنباري] في عهد [أبو بكر البغدادي]، بالإضافة إلى الاعتماد على المهاجرين والعراقيين على حد سواء في المجالس الشرعية، وأنهم تعرضوا للنقصان في ظل عدم القدرة على استقطاب المزيد منهم خصوصاً من المهاجرين لذا، تم الاعتماد على العراقيين أكثر في مرحلة البغدادي.

واستعرض الفصل المهام الرئيسية للمجالس الشرعية والتي بينت حجم وخطورة الدور الذي تؤديه هذه المجالس في الافتاء والترويج للدولة وشرعيتها وفي متابعة السياسات الاجتماعية في الدولة. ثم جرت مقارنة المؤسسات الأمنية والعسكرية: والتي تكمن أهميتها ودورها الخطير في كونها تمثل العنوان الأبرز في عمل [داعش] حيث ترسم من خلال استراتيجياتها العسكرية والأمنية المسار العام للدولة الإسلامية، وقد تناول البحث تحديد من هو العدو عند [داعش] وتبين أنه (كل الآخرين)، وهي تحاول التكيّف وتغيير هذه الاستراتيجيات بناءً على الظروف والتحديات التي مرّت بها تجربة الدولة الإسلامية، مثل: قتال الشيعة واستهداف رموزهم ومقدساتهم، ثم المواجهة مع [الصحوات المسلّحة] في الساحة السنيّة، والتي أدّت إلى استنزاف الدولة

في بيئتها وضعفها وتراجع حضورها، مما دفع قيادة [داعش] إلى استئثار الانسحاب الأميركي من العراق لإعادة هيكلة مؤسساتها الأمنية والعسكرية وتغيير استراتيجياتها وتكتيكاتها الميدانية لاستعادة السيطرة والتوسع من جديد بعد فترة التراجع والانسحاب، وكيف استفادت [داعش] من فشل سياسات الحكومة العراقية في استيعاب الساحة السنية للعودة إلى احتضان حالة الاحتجاجات الشعبية فيها والإمساك بهذه الساحة وتصديرها كمثل لأهل السنة وطرح نفسها كمنقذة لهم ومدافعة عن حقوقهم.

ثم قارب البحث التطور الذي حصل في عهد [أبو بكر البغدادي] في التمدد إلى سوريا وجهود [حجي بكر] المساعد الأيمن للخليفة، الذي يمتلك خبرات أمنية عالية، والذي أنشأ جهازاً أمني خاص لحماية الخلافة وضبط أي حركة تمرد داخلية، كما ينسب له الفضل في السيطرة الواسعة على مناطق في سوريا وإخضاعها بأساليب ذكية لسيطرة [داعش] بطريقة دراماتيكية كما حصل في الرقة ودير الزور.

كما تم التوقف عند عرقنة [داعش] بدخول أفواج من الضباط السابقين في الجيش العراقي إلى المراكز القيادية الحساسة حتى أصبح الحضور العراقي طاغياً في معظم مفاصل الدولة الإسلامية في عهدي [أبو عمر البغدادي] و[أبو بكر البغدادي]. الأمر الذي أعطى للدولة مزيداً من القدرات والخبرات العسكرية والأمنية في عملها العسكري والأمني، ومزيداً من العنف الدموي، والتساهل في القتل وممارسة التعذيب، وصولاً إلى السيطرة على الموصل وإعلان الخلافة.

الفصل الرابع
سوسيولوجيا مجتمع داعش

المبحث الأول / الإعلام وآليات الدعاية والاستقطاب والتجنيد
المبحث الثاني / مناهج التربية والتعليم
المبحث الثالث / المرأة في مجتمع [داعش]

الفصل الرابع

سوسيولوجيا مجتمع داعش

اعتمد تنظيم الدولة الإسلامية [داعش] أساليب استقطاب متعددة استخدمت فيها كل وسائل الترويج والدعاية الحديثة عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي واستهدفت إلى جانب الساحة العربية، الساحة الأوروبية والخارجية شرقاً وغرباً حتى وصل عديد الملتحقين بدولة الخلافة عشرات الآلاف ومنهم الكثير من المتخصصين والنساء وكان لإعلان الخلافة الوقع الكبير للتأثير في عملية الاستقطاب، باعتبارها تشكل [اليوتوبيا] في المخيال الإسلامي والعربي، لا سيما لدى الشباب الذي يعاني من أزمات الهوية، والتمهيش السياسي والاقتصادي.

٣١٣

من هنا فالإعلام والترويج للدولة والخلافة، وأساليب الاستقطاب الداخلي والخارجي فضلاً عن ما أنجزته الدولة في الجانب التربوي والتعليمي استهدفت من خلاله بناء مجتمع مشبع بأفكارها السلفية الجهادية، من خلال التركيز على الأجيال الناشئة وكيفية وضع مناهج تعليمية جديدة تجسد هذه الأهداف في كل تفاصيلها.

وإلى جانب الإعلام والدعاية والاستقطاب والتربية والتعليم، حضر موضوع (المرأة وداعش) نظراً لما تمثله المرأة كمحور في الخلية الاجتماعية الأولى في أي مجتمع، ونظراً للتميز الموقف الذي تعاملت به [داعش] مع المرأة والمفارقات المتعددة التي شهدتها هذا الموقف واختلافه عن ما هو معروف لدى الحركات الإسلامية السلفية الوهابية وحتى لدى المملكة العربية السعودية كنموذج سلفي وهابي في الحكم والإدارة.

وهذا المبحث في كل تفاصيله سيخدم الإجابة على الفرضية التي تعكس حالة من الارباك والتخبط وصولاً إلى تناقضات في الأداء لتجربة [داعش] في الدولة وفي الحكم، ربطاً بقراءة المشهد السوسيولوجي الخاص بمجتمع هذه الدولة.

المبحث الأول

الإعلام وآليات الدعاية والاستقطاب والتجنيد

يؤكد علماء الاجتماع ان إحداث أي تغيير في المجتمع لا يمكن أن يتم بمعزل عن استخدام وسائل الإعلام، التي تعتبر من الأدوات المهمة والرئيسية في مخاطبة الأفراد، وشرح ونقل تلك التغيرات الجديدة التي ستحدث في المجتمع وفي بنيانه ووظائفه، وتعبئة الرأي العام بشكل إيجابي وفعال، حتى يعرف كل فرد دوره ومكانته، وفقاً للتغيير الذي سيطراً على المجتمع^(١).

وإذا كانت الدولة في ما مضى تحتكر عملية تعبئة الرأي العام لامتلاكها وحدها لوسائل الإعلام، فإن التطورات التي طرأت على المجتمعات في العقود الماضية والتي تصاحبت مع تطور في تكنولوجيا الاتصالات وسعت دائرة التأثير والانتشار للأفكار والمعتقدات والاستقطاب والتجنيد للأحزاب والقوى والتيارات وأصحاب المال الذين امتلكوا وسائل اعلام قادرة على إيصال افكارهم ومعتقداتهم وبالتالي تعددت الجهات الفاعلة والمؤثرة في تأليب الرأي العام واستقطابه وصناعة اتجاهاته.

ومع مجيء الإعلام الجديد نتيجة التطور التاريخي للإعلام التقليدي وتكنولوجيا الانترنت ونظم المعلومات، «حيث أتاح دمج هذين المجالين الوصول إلى مفهوم جديد للإعلام، ليصبح أكثر حضوراً وانتشاراً داخل أطياف المجتمع بطريقة مباشرة إلى درجة انه شكّل البيئة التفاعلية والاستقطابية التي توفرها تكنولوجيا الاتصالات الحديثة

(١) عبد الفتاح، فاطمة الزهراء: المدونات الإلكترونية والمشاركة السياسية، دار العالم الثالث، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٥١.

كمصدر ثري بالتساؤلات والنقاط البحثية حول مصير الإعلام الحديث»^(١).

إن بروز الإعلام الجديد وانتشاره «أدى إلى كسر احتكار المؤسسات الإعلامية الكبرى وظهور طبقة جديدة من الإعلاميين وحياناً من غير المتخصصين في الإعلام، إلا أنهم أصبحوا محترفين في استخدام تطبيقات الإعلام الجديد، بما يتفوقون فيه على أهل الاختصاص الأصليين، وظهور منابر جديدة للحوار، كما أدى إلى ظهور اعلام الجمهور وظهور مضامين ثقافية واعلامية جديدة»^(٢).

يقول [فرانسيس بال] في كتابه الميديا: على الدوام تفلت وسائل الإعلام من مخترعيها، وعلى مر السنين، كلما انتشرت في المجتمع تكتسب أهدافاً، ونكتشف مقاصدها التي لم يكن أحد يتصورها، فعندما ولدت لم يكن لها خطة ولا أمر مهمة، وهكذا فإن وسائل الاتصال تفاجئنا على الدوام، ذلك أن استخدامها نادراً ما يتطابق مع تصور مخترعيها^(٣).

وتتميّز اعلام وسائل التواصل الاجتماعي بأنه متعدد الوسائط، فالمعلومات يتم عرضها في شكل مزيج من النص والصورة والفيديو، مما يجعل المعلومة أكثر قوة وتأثيراً، وما ينتج عن هذا الاندماج من تغير انقلابي للنموذج الاتصالي التقليدي بما يسمح للفرد العادي ايصال رسالته عبر شبكات التواصل الاجتماعي، إلى من يريد في الوقت نفسه

(١) أبو خليل، ايمان: الإعلام الجديد ووسائل الاتصال الحديثة. بحث مقدم لمؤتمر الجنوب الثاني (الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة) الجامعة اللبنانية - الفرع الخامس - ٢٠١٤ م، ص ٣٦.

(٢) مريانا لصبوري: دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية مشاركة الشباب الجامعي في القضايا المجتمعية، بحث مقدم لمؤتمر الجنوب الثاني (الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة) الجامعة اللبنانية: الفرع الخامس، ٢٠١٤ م ص ٥٣٢.

(٣) فرنسيس بال: الميديا، ترجمة فؤاد شاهين، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨ م، ص

وبكل الاتجاهات، وهذا ما أعطى للفرد والجماعة وعبر شبكات التواصل الاجتماعي، الفرصة للتعبئة السريعة حول قضايا محددة، وتجاوز حدود الزمان والمكان^(١). وهذا ما استفادت منه واستثمرته [داعش] بشكل كبير في التأثير على الجمهور لا سيما العربي والمسلم الذي يعيش حالة إحباط وتمرد على الواقع السيء الذي يعيشه.

إن خصائص وسائل التواصل الاجتماعي ومميزاتها دفعت الناس للإقبال عليها، لتصبح الوسيلة الأكثر شعبية وتأثيراً على الفرد والمجتمع.

ولقد وجدت [داعش] ضالتها في ذلك، وكونها تخوض حرب شرسة مع محيطها ومع العالم الذي يصنفها كمنظمة إرهابية وبالتالي يحاصرها تكنولوجياً وسياسياً ودبلوماسياً في سعيها لإقامة مشروعها السياسي الديني، ولقد تجاوزت [داعش] سابقاتها كالقاعدة في استخدام هذا النوع من الإعلام الإلكتروني، فالقاعدة على الرغم من استخدامها للإنترنت وامتلاكها لعدة مواقع الكترونية تبث من خلالها أفكارها وأدبياتها الدينية وبياناتها السياسية، إلا أن [داعش] استطاعت أن تنتهز فرصة انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وشعبية هذه الوسائل الاتصالية وتستغلها بشكل كبير لتحول جزء كبير من أنصارها ومؤيديها إلى (جيش الكتروني) يعمل معها وينشر أفكارها وتوجهاتها ونتائجها الديني والسياسي عبر هذه المنصات إلى كل أنحاء العالم وباللغات المختلفة، وذلك بالتوازي مع الحرب الميدانية الدامية التي تخوضها في العراق وسوريا والمنطقة.

وصارت في إطار ما يعرف ب[الجهاد الإعلامي]، تستخدم مجموعة واسعة من المنصات التقليدية والحديثة في استراتيجيتها الإعلامية. والمتابع لمجموعة المؤسسات

(١) ناصيف جاسم حمدان: [داعش] وحرب العقول، دار الكتب العلمية - بغداد، ٢٠١٦ م،

الإعلامية التي تملكها [داعش] والتي تستخدمها في نشر انتاجاتها الإعلامية، لاستقطاب المزيد من المقاتلين الشباب وتجنيدهم، والدفاع عن شرعيتها الدينية في مواجهة المشككين بها، يتلمس التوجهات الأساسية والخصائص التي امتازت بها استراتيجيتها الإعلامية والدعائية ومنها:

١. الدعوة لإقامة الخلافة الإسلامية على «منهج النبوة»^(١). وهو يمثل في المخيال العربي والمسلم استعادة (الحلم) للمجد الإسلامي الذي سقط وزال مع سقوط السلطنة العثمانية في بدايات القرن العشرين، ولعل استخدام الراية السوداء^(٢) التي يتوسطها شهادة التوحيد لا اله إلا الله / وختم النبوة محمد رسول الله، خير تعبير عن ذلك.

٢. استحضار المصطلحات الإسلامية الأساسية المستخدمة في صدر الإسلام، خصوصاً: الملاحم، الغزوة، الردة، الكفر، الخلافة، الهجرة، الجهاد، الحسبة، السبي، الغنائم... إلخ^(٣)، لما لهذه المصطلحات من وقع في وجدان الشباب المسلم، وللإيحاء بقدسية وبمصادقية المشروع الإسلامي للخلافة، وبالتالي جذب المسلمين إلى مشروعهم.

٣. الإرهاب والإرهاب للعدو «فالجهاد ما هو إلا شدة وغلظة وإرهاب وتشريد

(١) الشعار المنتشر في معظم إصداراتهم وأدبياتهم «خلافة على منهج النبوة». (راجع: مجلة دابق، وصحيفة النبأ)

(٢) الرايات السود، وردت في العديد من الروايات والمضامين الدينية والأحاديث المنقولة، التي تشيد بأصحاب الرايات السود، كما انها تعبير وإيحاء يشير إلى أن الدولة سيدة للمسلمين وسواداً على الكافرين. شبكة أنا مسلم للحوار الإسلامي (<http://www.muslim.org>).

(٣) اخذت المصطلحات من استقراء ٩٩ عدد من صحيفة النبأ الناطقة بإسم [داعش] والصادرة عن ديوان الإعلام فيها.

واثخان»^(١)، من خلال القسوة والشدة والفتك به كجزء من الحرب النفسية الموجهة إليه لإرغامه على الخضوع وعدم المقاومة من جهة، وكرسالة للداخل لإظهار القوة واستعراضها والحزم في فرض النظام والاستقرار الداخلي في المجتمع، فضلاً عن رفع معنويات المناصرين والمؤيدين.

٤. استخدام وتكرار مصطلح «الطائفة المنصورة»^(٢) للتأكيد على حصريّة تمثيل الإسلام بداعش ورفض كل ما عداها من مذاهب وطوائف إسلامية وغير إسلامية واعتبار أن النصر الالهي هو موقف لهم دون سواهم في الصراع القائم.

٥. التأكيد على استمرارية وبقاء الدولة عبر تكريس الشعار المرفوع في كل مناطق نفوذهم «دولة الإسلام باقية.. باقية.. باقية» للإيحاء بعدم امكانية زوال المشروع أو هزيمته، وبالتالي اعطاء جرعة من الثقة بالدولة واستمرارها.

٦. الإيحاء بوجود هيكل كامل للدولة ومؤسساتها وخدماتها، من خلال إظهار الانجازات الخدماتية والتنظيمية والادارية لمؤسسات الدولة سواء في إقامة الحدود أو اصدار القرارات والتشريعات أو تغيير المناهج الدراسية او طبع العملة النقدية واصدارها ووصل الأمر إلى نشر نماذج عن العملة ونماذج عن جواز السفر الخاص بالدولة الإسلامية. أملاً في جذب واستقطاب المزيد من الملتحقين بالمشروع والمهاجرين إلى أرض الدولة الإسلامية^(٣).

٧. الخطاب المشبع بالمذهبية وتكفير الطوائف الإسلامية الأخرى، واستعطاف السنّة

(١) ابي بكر ناجي: إدارة التوحش، الفصل الرابع، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بدون طبعة وتاريخ، ص ٣١.

(٢) مصطلح يتكرر في أدبيات [داعش] - وهو عنوان لأحدى انتاجاتها الإعلامية الدعائية.

(٣) تعرض الملاحق صور لنماذج من هذه الإصدارات.

تحديداً من المسلمين، وتقديمهم كضحايا مظلومين ومضطهدين ومستهدفين، والظهور بمظهر الممثل الحقيقي لهم والمدافع عن حقوقهم والساعي لاستعادتها من ظالمهم لا سيما في العراق وسوريا^(١).

وهذا الأمر لم يكن وليد اعلان «الخلافة» بل منذ قيام «الدولة الإسلامية في العراق» على أثر مقتل [الزرقاوي] وقيام «حلف المطيبين» وصدور بيان قيام الدولة موقعاً من قبل وزارة الإعلام الذي جاء فيه: «بعد أن انحاز الأكراد في دولة الشمال وأقرت الروافض فيدرالية الوسط والجنوب وبدعم من اليهود في الشمال، والصفويين في الجنوب تحميها ميليشيات عسكرية سوداء الفكر والقلب والعمل، مالت على أهلنا اهل السنّة فأوغلت في دمائهم وعرضتهم لأبشع صور القتل والتعذيب والتهجير، حتى صار أهل السنّة كالأيتام على مأدبة اللثام، صار لزاماً على شرفاء وأحرار أهل السنّة من المجاهدين والعلماء العاملين والوجهاء تقديم شيء لأخوانهم وأبناءهم وأعراضهم خاصة، في ظل هذه المسرحية الهزيلة المسماة (دولة المالكي) والتي شارك في أدوارها وللأسف خونة أهل السنّة فلبسوا على الناس دينهم وأضاعوا عن عمد حقوق شعبهم... ينفذ اليكم أخوانكم في حلف المطيبين بشرى إنشاء وإقامة دولة العراق الإسلامية»^(٢).

وهكذا استخدمت [داعش] اثاره العصبية المذهبية عند أهل السنّة لاستقطابهم بهدف الالتفاف حولها، وهو ما يذكرنا بالاستراتيجية التي اعتمدها في السابق [أبو مصعب الزرقاوي] والتي كانت قائمة على أن كسب ولاء السنّة في العراق يتم من خلال استهداف الشيعة الروافض فيكون الرد من قبلهم

(١) تم الهجوم على الموصل والاستيلاء عليها من قبل «داعش» على أثر الحركة المطالبة الواسعة للسنّة في مناطق شمال وغرب العراق، وتحويل الحركة المطالبة إلى حركة عصيان مسلح في حزيران ٢٠١٤

(٢) راجع [محمد علوش، [داعش] واخوانها، مصدر سابق، ص ١٤٨.

باستهداف السنّة وبالتالي اشعال حرب طائفية لإيقاظ السليبين من السنّة وتحريكهم وجرّهم إلى أتون الصراع، والذين حتماً سيشعرون بأنهم بحاجة لحماية واحتضان من قبل طرف قوي يدافع عنهم، ويكون بذلك فتح السنّة ساحاتهم وأبوابهم لأبو مصعب وجماعة التوحيد والجهاد التي يترأسها ليكون السنّة حاضنة شعبية لهم^(١).

وقد قام باستخدام الإعلام بطريقة احترافية جداً خاصةً إذا ما قورنت بالطريقة التي كان ينتهجها [تنظيم القاعدة] قبله.

فقد خلصت دراسة حول «دعاية تنظيم داعش» قدمها الدكتور العقيد فهد بن عبد العزيز الغفيلي^(٢)، بأن العناصر الرئيسية لدعاية تنظيم [داعش] تقوم على أربع مرتكزات أساسية:

١. المحتوى الغني (القوة في النص والصورة والاتقان لهما).

٢. الجماهير المحددة (لكل فئة مستهدفة الخطاب الملائم لها والذي يحرك عندها العواطف والمشاعر).

٣. الأدوات الإعلامية (المتنوعة من راديو وتلفزيون ووسائل تواصل ومواقع انترنت).

الاستراتيجية الواضحة (التكفير للأنظمة وكل مخالف لها - وجذب وتجنيد الأنصار).

(١) مجلة سياسات عربية قراءة في كتاب من داخل جيش الرب، لـ مايكل وايس وحسن حسن، ص ٢٧، العدد ١٦ / أيلول ٢٠١٥ م.

(٢) العقيد د. فهد بن عبد العزيز الغفيلي، مدير إدارة المعلومات والانترنت في وزارة الداخلية السعودية، والبحث مكون من ١٧ صفحة، قدمه للمؤتمر الدولي الثاني المنعقد في جامعة الملك خالد - أبها، منشور على موقع وزارة الداخلية السعودية على الانترنت.

وأن هذه العناصر الأربعة تتداخل فيما بينها لتصبح مجموعة واحدة تعمل معاً لرسم التحركات الأساسية للتنظيم.

من خلال ما تقدم يبرز بوضوح كيف أن الاستراتيجية الإعلامية المركبة ليست عرضية بل تستخدم أدوات ومهارات خاصة بعالم الإعلام الدولي ذات النطاق الواسع والانتشار المتفشي، وهي استراتيجية اعتمدها الخلافة بشكل كفوء وجندت من العناصر الأجانب محاربين ليسوا قادرين على استخدام بنادق الاقحام فحسب بل يستعملون الكمبيوتر والآت تصوير الفيديو أيضاً.

وتبرز فيها أيضاً إلى جانب استراتيجية الإعلام التأسيسي استراتيجية الإعلام العاطفي وكلاهما فخ تستعد له الدولة الإسلامية مرة أخرى وتحاطر في الوقوع فيه.

وهي استراتيجية تشكل سلسلة عمليات قطع الرؤوس أداها الرئيسية فهي موجهة «لتطرف ثنائي» فمن جهة تشجع على البحث عن مهتدين ومحاربين جدد ومن جهة ثانية ترسل رسالة قوية للرد على الأعداء، مثلما جرى في الطريقة المربعة التي لقيها الطيار الكساسبة وتم فهمها على أنها رد على الذي فعله في قصفه بالقنابل قرى الدولة الإسلامية، وإن هذا الاستياء الذي لا يشاطره بالضرورة كل المشاهدين بل فريقين متقابلين منهم مؤيد ومعادي، فهو يحوي رسالة قوة للمؤيد وانتقام من العدو، وإغضاب ومفاجأة لجمهور آخر هو الأوروبي للحث على ردة فعل عنيفة ضد عدو يعاد ابرازه بصورة الوحش إلا أنه بخاصية إسلامية.

أ- المؤسسات الإعلامية لداعش

مبكراً أدركت [داعش] أهمية الإعلام في الترويج لمشروعها سواء في الجانب الديني والسياسي. ويعود الإهتمام المبكر في [داعش] إلى خريف العام ٢٠٠٦ عندما أسس [أبو بكر البغدادي] مؤسستي الفرقان للإنتاج الإعلامي والفجر للإعلام - وعين ناطق إعلامي - بمثابة وزير للإعلام في الدولة وعُرف بإسم (محارب الجبوري - أبو عبد الله)، وكان ييثر رسائل صوتية لأول مرة ويساعده معاونه السعودي الجنسية ناصر الغامدي، وهما مؤسستان تعتبران الأقدم والأهم إعلامياً في التنظيم، وقد أصدرت سلسلة من المنتجات الإعلامية المصورة هي (صليل الصورام ٤ أجزاء / فرسان الشهادة ٥ أجزاء، وبعضها مترجم - سبتايتل - وبأكثر من لغة) وقد قامت بلعب دور أساسي في التعريف بدولة العراق الإسلامية وترسيخ فكرة الدولة في عقول الآخرين، اعتماداً على تقنيات متطورة جداً^(١). وتعتبران المخولتان حصرياً والمسؤولتان عن إصدار كل ما يتعلق بأخبار وبيانات وكتب ورسائل سمعية وبصرية ومقروءة لدولة العراق الإسلامية^(٢).

وقد ظهرت تباعاً (لاسيما في عهد [أبو بكر البغدادي]) العديد من المؤسسات الإعلامية التي واكبت توسع التنظيم وانتشاره وسيطرته على أجزاء واسعة من سوريا والعراق والتي تخضع لسيطرة [البغدادي] ومثليه في الولايات التابعة للخلافة، والتي يتابعها ويشرف عليها المدعو ابو الأثير عمرو العبسي

(١) محمد علوش، ورقة مقدمة حول الإرهاب وداعش في مؤتمر اقامه المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بتاريخ ١١ و١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥ في بيروت، وصدرت أوراق المؤتمر في كتاب حمل عنوان جماعات العنف التكفيري، الجذور، والبنى، والعوامل المؤثرة، صدر في العام ٢٠١٦ (مصدر سابق، ص ٣٠٩).

(٢) محمد ابراهيم نجاد، داعش: دراسة نقدية، الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ٢٠١٦، ص ٧٠.

(السعودي الجنسية)^(١)، ويعمل في هذه المؤسسات جيش من الكتاب والمتابعين للإعلام الإلكتروني غالبهم من الخلايا النائمة وبعضهم من أنصار [داعش]، كما هي حال عشرات المنتديات والمواقع الإعلامية التي تقدم النصرة الإعلامية لـ [داعش] وهي غالباً من دول الخليج وشمال أفريقيا.

وبرز في إدارة الإعلام مجموعة من الإسماء من المتخصصين في مجالات الإعلام المختلفة فمثلاً برز أسم «يونس التسولي» الهاكر المغربي المشهور باسم (الإرهابي ٠٠٧) الذي وضع تنظيم دولة العراق الإسلامية على الشبكة العنكبوتية بشكل واسع، كما عُرف «ياسر خضر محمد جاسم الكرابلي» الملقب «بأبي دجانه» كمسؤول الدعاية للدولة في العراق وقد أوضح بأن خليته تشكل من مصورين يستخدمون الفيديو لتصوير الهجمات على العراقيين الأبرياء وقوات التحالف وأجهزة الأمن العراقية، كما يقوم «أبو دجانه» بجمع الصور والأفلام وإرسالها إلى المسؤولين لاستخدامها في المطبوعات أو على مواقع الانترنت لترهيب المواطنين العراقيين^(٢).

وقد تولى وزارة الإعلام ابو محمد العدناني الشامي المتحدث الرسمي لتنظيم الدولة الإسلامية. كما ظهرت العديد من أسماء المؤسسات الإعلامية المتخصصة في مجالات الإعلام المختلفة وكلها تعمل لترويج وجذب المؤيدين وتجنيد المقاتلين لصفوف الدولة، مثل:

(١) عن مقالة وردت في موقع المدى ونشرتها مجلة الرصد، عدد آب ٢٠١٤، الصادر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ص ١٧.

(٢) هو خير أيضاً في شبكة الإنترنت (هاكر) ولقب نفسه (إرهابي ٥٥٧) إذ قام بالدخول على حواسيب جامعة أميركية مروجاً لشبكة [أبو مصعب الزرقاوي] في العراق، وقام بتعليم جهاديين آخرين كيفية استخدام تقنيات الانترنت.

- مركز الحياة: التي تخصصت بإصدارات باللغة الإنكليزية منها إصدار حول نهاية حدود سايكس بيكو، كما أصدرت فيديو بتقنية عالية حول ذبح وإعدام العمال المصريين (الأقباط) على شواطئ ليبيا.

- استديو أجناد: لإنتاج الأناشيد الدينية والجهادية وهو مجهز بأعلى مستوى وبأحدث الأجهزة والتقنيات الحديثة في الصوت والصورة، كما يملك العديد من الكاميرات والسيارات المتنقلة للتصوير الخارجي.

ومن أبرز انتاجاته أناشيد (يا ربي أسألك) و(أمتي قد لاح الفجر). وهي تزوّد بقية المؤسسات بالإنتاجات الصوتية^(١).

- إذاعة البيان: (تردد: ٩٩,٩ fm) وتبثّ القرآن والأناشيد الجهادية، وتستهدف إثارة حماس المقاتلين في الميادين في الساحة السورية والعراقية، وهي أول إذاعة للتنظيم في الموصل (وتبثّ من مبنى إذاعة الزهور) نشرة إخبارية وترفع على الانترنت بصورة غير منتظمة. وتركز عادة على انتصارات التنظيم وعملياته ضد القوات العراقية والبشمركة والحشد الشعبي، وعمليات التنظيم خارج العراق في سوريا وسيناء^(٢).

- قناة الخلافة: عرضت بروموشن على شاشة القناة على الانترنت (Khilafa.imfo) كما عرضت ٩ برامج أبرزها للصحافي البريطاني جون كانتلي (الأسير لدى داعش) ورّجت لبرنامج الدكتور خالد الغريب - وهو الشخص الوحيد غير الصحفي البريطاني مكشوف الوجه في دعايات البرامج^(٣).

(١) أشرف عبد الحميد: دراسة حول وسائل اعلام [داعش]، موقع العربية، القاهرة ٢٠١٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صهيب القلاحي - دراسة حول المؤسسات الإعلامية عند [داعش]. موقع نون بوست - نشر في ٢٨/فبراير/٢٠١٥.

- مؤسسة البتار: وهي من المؤسسات المناصرة والمروّجة لداعش، وقامت بعدة إصدارات منها «وجنوداً لم تروها»^(١).

- مؤسسة الخلافة: وانتجت إصدار (عين الإسلام) كردّ (على كذب القنوات الفضائية)^(٢).

- مؤسسة الإعتصام: وهي من المؤسسات الإعلامية التي تصدر انتاجات متنوعة بصرية وسمعية.

- وكالة أعماق: وهي الوكالة الرسمية لداعش / التي تبث البيانات الصادرة عن الخلافة، كما تنشر الأخبار حول معارك الدولة الإسلامية في العراق والشام وسيناء وغيرها.

وإضافة إلى إصدار الكتب مثل (وجنوداً لم تروها) و(عزّ النفير وذللّ القعود) و(تربية الأطفال الجهاديين) و(أنا داعشية قبل تولّد داعش) و(دور الأخت في الجهاد) وغيرها من الكتب التعبوية التي توزع على الجمهور وتُنشر على مواقع الانترنت.

ب- الإصدارات المطبوعة (مجلات وصحف)

أمّا أبرز الإصدارات المطبوعة فهي مجلة (دابق) ولها موقع خاص على الانترنت، واسمها تشير إلى موقع دابق الذي ورد في الروايات والأحاديث المنقولة عن الصحابة^(٣) والتي تشير إلى اندلاع حرب بين المسلمين والكفار في مرج دابق

(١) المصدر نفسه.

(٢) الدكتور نصيف جاسم حمدان، [داعش] وحرب العقول، مصدر سابق. ص ١١٠.

(٣) الرواية منقولة عن أبي هريرة، وردت في أكثر من موقع للسلفيين وكذلك وجدت في الصفحة الأولى من مجلة دابق / العدد الأول، حول سبب اختيار الأسم، تموز ٢٠١٤م.

على مقربة من الحدود السورية العراقية، وسينزل عيسى عليه السلام بعدها ليقتل الخنزير ويتوعد الغرب. والصحيفة الأبرز والأكثر إنتشاراً هي [النبأ] الناطقة بأسم الدولة الإسلامية. وسيجري العمل على استقراء وتحليل المضمون لهاذين الاصدارين للتعرف عن كذب على ماتحمله من خطاب ومضامين دينية وايدولوجية وسياسية ورسائل إعلامية بين ثنايا صفحاتها.

مجلة دابق DABIQ :

وهي مجلة شهرية، تصدر باللغتين العربية والانكليزية ويتم توزيعها في أميركا وأوروبا اضافة لمناطق وولايات الدولة الإسلامية، وانطلاقاً من كونها المنشور الرئيسي المنتظم للدولة قمنا بإجراء دراسة وتحليل محتوى على عشرة أعداد منها فكانت النتائج كالتالي:

٣٢٦

تصدر باللغات العربية والانكليزية وبنسختين ورقية واليكترونية وتنشر مقاطع وصور منها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وبدأ صدورها في عام ٢٠١٤.

وقد أدهشت المجلة العديد من المتخصصين في الطباعة والإخراج الفني، حيث امتازت بالحرفية وأناقة الإخراج وجودة الصورة وتناسق الألوان فهي تبدو جذابة بصرياً من خلال شكل وتنوع الصور التي احتوتها أعداد المجلة والتي تتراوح صفحاتها ما بين (٤٢ - ٨٠) صفحة للعدد واستخدمت النسب والمقاييس العالمية في حجم القطع المستخدم.

تصل نسبة الصور في المجلة إلى الثلثين (نظراً لمعرفة المختصين في المشهد البصري ما للصورة من أهمية وتأثير واضح في نقل الفكرة بطريقة سهلة وواضحة ومفهومة للجميع) فضلاً عن الجاذبية.

أمّا القسم التحريري فيظهر على شكل أعمدة ترافقه صور معبرة عن الموضوع، واختيار الألوان يعكس وجود خبرات متخصصة في اختيارها وتأثيرها النفسي من حيث إثارة إنتباه القارئ.

أمّا أهم الرسائل الإعلامية التي تحملها المجلة فهي:

- الترويج للخلافة باعتبارها الرمز المقدّس لعودة المجد للمسلمين (عودة الخلافة)^(١).

- التشجيع على الهجرة إلى الدولة والإنخراط في مجتمعتها ومؤسساتها لاسيما للمتخصّصين.

- الجهاد وأهميته في حياة المسلمين لجهة الدفاع عنهم واسترداد مجدهم.

- التوحيد باعتباره الركيزة الأساسية للإسلام.

- المنهج السلفي للطائفة المنصورة وهي الناجية الوحيدة وكل ما عداها مرفوض. ومحل انتقاد أو تكفير.

- الجماعة والحثّ على الانضمام لها ويقصد بالجماعة (داعش تحديداً).

وتتضمن الأعداد أيضاً أخبار المعارك التي تخوضها [داعش] وانتصاراتها، فضلاً عن مقتطفات من خطب «الخليفة» أبو بكر البغدادي. كما تجد العديد من مضامين التأييد الطائفي والمذهبي لاستقطاب مزيد من الشباب عبر دعوتهم إلى الهجرة لنصرة الخلافة، معبرة الهجرة ضرورية في ظل القهر والظلم الذي تتعرض له شعوب المنطقة والمسلمين في «البلاد الصليبية».

(١) صدر العدد الأول منها في ٨ تموز ٢٠١٤ (تحت عنوان رئيسي على غلاف المجلة.. عودة الخلافة). مع ثلاثة عناوين صغيرة أسفل الصفحة (أخبار الشام والعراق وعن الهجرة إلى الخلافة والإمامة في ملّة إبراهيم).

العدد الثاني من المجلة حمل عنوان «الطوفان» وفي العناوين الفرعية نقرأ «أما الخلافة الإسلامية أو الطوفان» نسبة إلى سفينة نوح والطوفان لمن يتخلف عن ركوبها كملاذ للنجاة.

كما ضمّ العدد مجموعة صور لهدم قبور الأنبياء في الموصل وصور لكنايس محروقة وصورة حسينية أثناء تفجيرها تحت عنوان (تهديم الشرك في ولاية نينوى). وفي مقال آخر تتناول المجلة موضوعاً تحت عنوان (القتال ضد PKK حزب العمّال الكردستاني).

وفي العدد الثالث تسلّط المجلة الضوء على الهجرة والدعوة لها وهي العنوان الرئيس للغلاف، كما تذكر إعلان الصحفي جيمس فولي (قبل مقتله) في انتقاد سياسة أوباما، إضافة إلى تبرير مجزرة الشيعيات في دير الزور التي ذهب ضحيتها المئات من أبناء هذه العشيرة (تحت عناوين عقوبة من يغدر بالدولة) وانتهاء بالدعوة للجهاد في أرض الملاحم (الشام).

العدد الرابع صدر تحت عناوين كبير على الصفحة الأولى «الحملات الصليبية الفاشلة» وتظهر فيه راية [داعش] مرفوعة فوق ساحة الفاتيكان. وأفرد قسم من العدد لمقال حول (عودة الرق قبل قيام الساعة) للتأكيد على شرعية السبي والإسترقاق، وتأكيداً لما نشر عن النساء والصبايا (الأيزيديين) أثناء حصارهم في جبل سنجار ويذكر في هذا المقال (ينبغي أن يتذكر الجميع أن استعباد أسر الكفار وسبي نسائهم هو جانب راسخ من الشريعة الإسلامية، وبعد أن ألقينا القبض على النساء الأيزيديّات أرسلنا خمسهنّ إلى سلطات الخلافة والباقي قمنا بتقسيمهن على المقاتلين الذين انتصروا في معارك سنجار)... وعن الرجال تكشف المجلة (عن تخييرهم ما بين اعتناق الإسلام أو القتل) كما تؤكد على احتجاز بعض الأيزيديين وبيعهم كعبيد.

ويذكر في العدد خبر على شكل بشارة (بتأسيس ولايتين جديدتين لـ [داعش] هما ولايتي الفرات والفلوجة) وأن جماعة أنصار الإسلام انضوت تحت لواء الدولة الإسلامية وفق بيان نشرته المجلة.

كما تختتم المجلة صفحاتها بباب ثابت في كل أعدادها تحت عنوان (من كلمات العدو) وتناولت تحت هذا العنوان في العدد الرابع (شهادة تشكك هيجل وزير الدفاع الأميركي أمام مجلس الشيوخ بدعم من لجنة الخدمات الدفاعية المساندة للحرب الصليبية ضد الدولة الإسلامية).

كما نشرت المجلة رسالة من (سوتلوف) إلى أمه قبل أيام من إعدامه حيث تظهر صورته وقد أمسك به أحد مقاتلي [داعش] مع إبراز صورة هويته.

وتعرض المجلة بإسلوب متقن (القصة الحقيقية من وراء قيد يوهاتي) لجون كانتلي، يبيّن فيها تفاصيل عمله الإعلامي مع [داعش].

وقد ظهرت صورة الكعبة المشرفة على غلاف العدد الخامس وكتب عليها عنوان (المتبقية والتوسع) وفي الداخل تحت عنوان (باقية..و تتمدد) يتحدث المقال سبب القتال على الخلافة ومفهوم هذا الشعار وأهميته وسبب اختياره.

ويظهر في هذا العدد (جون كانتلي) مرة أخرى ليقول تحت عنوان (لو كنت رئيس اميركا اليوم) «كنت لعلّي أغلق جوالي، الخلوي، وأغلق أبواب المكتب البيضاوي ثم أذهب للعب الغولف بدلاً من ذلك، فالحرب ضد الدولة الإسلامية لا تسير حسب الخطة مطلقاً».

في العدد السادس نشر تحقيق وصور من منطقة وزيرستان في أفغانستان (قاعدة وزيرستان، شهادة من الداخل). كما تناولت المجلة العملية الانتحارية التي قام بها (هارون مونسن) في فرنسا.

وتحت (عنوان وصايا لجنود الدولة الإسلامية) بقلم أبي حمزة المهاجر، يسرد المقال مجموعة من الوصايا للمقاتلين في جبهات القتال. كما تهاجم المجلة بمقال آخر أيمن الظواهري تحت (قاعدة الظواهري والهراري والنظاري والحكمة اليمانية المفقودة) وتتهمه بالجهل وعدم المعرفة بالجهاد وأحوال المسلمين وانعدام الحكمة. كما تكشف في هذا العدد بالصورة عملية القبض على الطيار الأردني (معاذ الكساسبة).

بينما تنشر في العدد التالي (السابع) العديد من المقالات والصور حول القتل والذبح في التنظيم وأبرزها صورة حرق الطيار الأسير (معاذ الكساسبة) وهو داخل قفص حديدي، إضافة إلى صور الأسير الياباني (كينجي) وبجانبه مقاتل داعشي يحمل سكيناً. كما نشرت مقابلة مع الكساسبة قبل إعدامه يتحدث فيها عن كيفية إصابة طائرته ومجريات ما حدث معه حتى إلقاء القبض عليه، وعن عمله في القاعدة العسكرية (موفق السلطي) مع الطيارين الأميركيين في الأردن. وفي هذا العدد تنشر نص رسالة سابقة وجهها أيمن الظواهري إلى مرسي في يناير ٢٠١٤ بعنوان (التحرر من دائرة العبث والفشل) وظهرت صورة مرسي مع الرسالة. وأسفل الصورة باللغة العربية (لو كنت مرسي وقعت على الكرسي).

كما نشرت صور إعدام ٢١ مصرية من المخطوفين الأقباط في ليبيا بالزي البرتقالي وأظهرت صورة رجلين كبار السن ويلبسان الزي التقليدي المغربي ويحملان عبارة تضامن مع [شارلي] المجلة الفرنسية التي تعرضت لإحدى عمليات [داعش].

وبالمقابل أبرزت بعض الصور لتلميع صورة الحياة في ظل [داعش] وقد تضمنت أطفالاً يلعبون على الأرجوحة، على الرغم من أن الواقع يشير إلى أن [داعش] تجنّد الأطفال وتستغلهم في المعارك العسكرية والعمليات الانتحارية وتطلق عليهم تسمية (أسود المستقبل) في مقال آخر. وأبرزهم الطفل الفرنسي الذي ظهر في فيديو سابق على

بعض المواقع الجهادية التابعة لهم وهو يطلق النار على سعيد اسماعيل مسلم (بتهمة التجسس). فضلاً عن صور مع القبائل والعشائر العربية وادّعاء أنها تؤيد دولة الخلافة وتبايعها. وعلى مقلب آخر لإحدى أعداد المجلة نُشرت صورة مأذنة عقبة بن نافع في القيروان التونسية، وظهرت عبارة على الغلاف الرئيسي للمجلة (لن نُحكّم أفريقيا إلاّ بالشرعية) وفي نفس العدد مقالاً يتعهد فيه [داعش] بمواصلة التوسّع في القارة الأفريقية عموماً ومدّ يد العون والمساعدة لجماعة (بوكو حرام) النيجيرية لأنها سارت (حسب ادّعاء المجلة) بقافلة الجهاد لحماية دولة الخلافة الإسلامية الجديدة في أفريقيا^(١).

كما نشرت المجلة عدة موضوعات عن الوضع في ليبيا وتونس وأجرت حواراً مع أحد المقاتلين التونسيين (أبو المقاتل التونسي) الذي تحدث عن عمليات الاغتيال التي نفّذها ضد شكري بلعيد ومحمد الإبراهيمي السياسيين التونسيين، وكذلك أخبار ومقالات حول الوضع في العراق وسوريا معززة بالصور الملوّنة والعالية الجودة والوضوح. ويظهر مقال آخر للصحفي البريطاني المحتجز لديهم (جون كانتلي) يهاجم فيه دول التحالف الدولي.

بينما يُظهر غلاف العدد التاسع عنواناً عريضاً (يمكرون ويمكر الله) تحت صورة تجمع وزير الخارجية الأميركية كيري مع ملوك وأمراء دول الخليج (they plot and Allah plots).

ويجوي العدد عدة مقالات ومواضيع تثير الرأي العام العربي والإسلامي من بينها التحالف العربي في اليمن بقيادة السعودية، والإتفاق النووي الأميركي الإيراني، وتقرير معزّز بالصور من أرض المعركة التي خاضها مقاتلوا [داعش] في مخيم اليرموك في سوريا من أجل السيطرة عليه، متها جماعة أكناف بيت المقدس بأنهم تابعون لحماس

(١) ناصيف جاسم حمدان، [داعش] وحرب العقول، مصدر سابق: ص ١٨٠.

ومتهمًا حماس في الوقت ذاته بالتحالف مع نظام بشار الأسد، ليبرر في هذا السياق أعمال القتل الجماعي التي ارتكبتها [داعش] في المخيم.

ويشكك مقال آخر بحركة طالبان والملاّ عمر وكذلك زعيم القاعدة أيمن الظواهري ويذكر الكاتب أن واشنطن لم تعد قلقة بشأن الملاّ عمر فهو لاعب أساسي في محادثات السلام في أفغانستان التي يجب ان تمر من خلاله أميركا، ما يعني أن اعتقاله أو اغتياله سيكون كارثة استراتيجية (عبارة تدل على الاستهزاء به).

كما تتهم المجلة في مقال آخر أيضاً المنظر السلفي (عبد الله المحيبي) المقرب من جبهة النصرة بأنه أحد الداعمين للصحوات في سوريا.

وفي مقال معزز بالصور تهاجم المجلة جميع التشكيلات المعارضة وكتائب الجيش الحر المقاتلة ضد النظام في سوريا وتصف جبهة النصرة (بجبهة الجولاني) الموالية للطواغيت.

وتكتب (أم سميّة الداعشية) مقالاً بإسم (سبايا أم عاهرات) تتناول فيه معلومة مفادها ان النساء اللواتي تعرّضن للسبي على يد مقاتلي [داعش] دخل عدد منهنّ الإسلام بإرادتهن، وبعضهنّ أصبحنا حوامل معتبرة أن السبايا أفضل من العاهرات في الدول الغربية (دول الكفر) بحسب تعبيرها.

ونشرت المجلة في العدد العاشر تحت عنوان (رحلة الأخوين من طرق الظلمات إلى طرق النور) تقريراً تتضمن صورة التوأم من أصل الماني وهما يرفعان القرآن الكريم وخلفهما علم [داعش] يعلنان عن قيامهما بعملية انتحارية في شمال بغداد. ويختم الصحفي المخطوف البريطاني (جون كانتلي) بمقال تحت عنوان (العاصفة المثالية) يتناول فيه طبيعة المعركة التي تخوضها [داعش] على

جبهات القتال في العراق وسوريا وأفريقيا واصفاً إياها بأنها من الجيل الرابع للحروب، وهي غير متوازنة.

وتنشر المجلة في أحد أعدادها الأخيرة مقابلة مع عبد الحميد أبي عود (أبو عمر البلجيكي) الذي اتهمته فرنسا بالعمليات الإرهابية التي جرت في باريس عام ٢٠١٥ وطاردته وقتلته في مخبأه بعد اشتباك عنيف معه. وهو يدّعي أنه عاد إلى سوريا وأن رفيقيه (أبو الزبير البلجيكي-خالد) و(أبو خالد البلجيكي-سفيان) هما اللذان تواجهها في المخبأ مع ١٥٠ من عناصر الشرطة الفرنسية من القوات الخاصة (واستشهاداً) حسب قوله. وتذكر المجلة في نهاية المقابلة وصيتها وفي مستهلها خطاب للمسلمين ودعوة لهم لمواجهة الكفار عبر العبارات التالية: ألا ترون أن القرآن يوطأ والرسول ﷺ يُلعن، وأما عائشة (رض) يُنتقص منها؟! مُزق أطفالنا أشلاءً بالقصف في كل مكان وانتهكت أعراض أخواتنا ونهبت أراضينا وتراثنا، ومع ذلك لا تفعلون شيئاً؟!!

ونقلا عن موقع القبس الإلكتروني^(١) - بأن العدد الأخير من المجلة قد نشر قائمة من أسماء ٢١ شخصاً من الناشطين المسلمين والأئمة في المساجد في بريطانيا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا، وهجوم عنيف على الإخوان المسلمين، ويتوعد المقال باستهدافهم وقتلهم تحت عنوان (وقاتلوا أئمة الكفر) وتعتبر استهدافهم واجب عيني على كل من يبدأ الرحلة إلى دار السلام للانضمام إلى صفوف المجاهدين أو شن جهاده بنفسه مستخدماً ما توفر لديه من مصادر (سكاكين-بنادق-متفجرات) لقتل الصليبيين والكفار وبمن فيهم أئمة الكفر

(١) موقع القبس الإلكتروني- رئيس التحرير وليد عبد اللطيف النصق- ٢٠١٦/٤/١٤ تاريخ المقال.

هؤلاء لجعلهم عبرة لمن لا يعتبر، مضيفاً، وكلّهم هدف شرعي واستهدافهم واجب إلاّ من يتوب قبل استتابتهم، ويورد الأسماء التالية في القائمة: حمزة اليوسف، صهيب ويب، محمد اليعقوبي، هشام قباني، ياسر القاضي، بلال فيليبس، عبد الحكيم كويك، أبو بصير الطرطوسي، محمد الأبياري، عارف علي خان، كيث أليسون، حمى عابدين، محمد عبد الباري، سعيده وراسي، وقار أعظمي، ساجد جاويد، أجمال مسرور.

هذا الأمر يؤكد أن [داعش] تستبيح دماء كل مخالف لمشروعها في دولة الخلافة حتى لو كان من منظري السلفية الجهادية نفسها.

ويورد موقع جريدة رأي اليوم^(١) أن العدد (١٣) وهو العدد الأخير من مجلة دابق أهدر دماء علماء السعودية لتبريرهم إعدام الجهاديين، ونشرت لائحة بأسماء من تخطط لإعدامهم وبينهم المشايخ عايض القرني وسلمان العودة وعبد الله المطلق وسعد الشتري ومن أسمتهم بـ (علماء القصر) إضافة إلى سلمان النشوان، ومحمد السعيدي، ويوسف المهاوس.

كما يتناول العدد الأخير تأكيد خبر «استشهاد الجهادي جون»، أو محمد أموازي «جزّار التنظيم» الذي قتل في غارة أميركية في تشرين الثاني ٢٠١٥. ونبذة عن حياته. ويضيف العدد موضوعاً عن حدث إعدام مجموعة من أنصار [تنظيم القاعدة] عددهم (٤٣) شخصاً أبرزهم أبو جندل الأزدي (فارس الشويل الزهراني) وحمد الحمدي وعبد العزيز الطويلعي، والتهديد بالانتقام لهم بهجمات ضد النظام السعودي.

(١) رأي اليوم - صحيفة عربية مستقلة - ٢١/١/٢٠١٦ (نقلا عن العدد ١٣ من دابق)

وينقل موقع عنب بلدي^(١) (وهو موقع معارض - تأسس في داريا) ويعرّف عن نفسه بأنه من كرم الثورة. بأن مجلة دابق في عددها الأخير (الصادر في الاربعاء ٢٠١٥ / ٩ / ٩) نشرت على غلاف الصفحة الأخيرة إعلاناً يعرض صور اثنين من الرهائن الأجانب أحدهما نروجي والآخر صيني / للبيع في سابقة اعتبرتها الأولى من نوعها. وذيلت الصور في الإعلان المذكور بالعبارة التالية «سجين نروجي للبيع وسجين صيني للبيع» وذيلت بأرقام تواصل لمن يرغب في تحرير السجينين في عرض «لفترة محدودة». وهذا يدل على حجم المأزق المالي والأخلاقي الذي وصلت اليه الدولة الإسلامية والخلافة في ذلك الزمن المذكور، على قاعدة المثل المشهور في مجتمعاتنا إذا أفلس التاجر يلجأ إلى البحث في دفاتره القديمة. كما تدل لوائح الأسماء المطلوبة للقتل والإعدام والمهرقة دمائهم عند [داعش] أنهم يعيشون مأزق عدم النصر حتى من الدعاة السلفيين والجهاديين الذين كانوا يراهنون يوماً على التحاقهم بمشروع الخلافة او يناصروه.

صحيفة النبأ

وهي الصحيفة الأسبوعية الناطقة باسم [داعش] الصادرة عن ديوان الإعلام المركزي، وتتألف من ١٦ صفحة في كل عدد، وتوزّع في المناطق المسيطر عليها من قبل هذه الدولة، ومن خلال الاستقراء لـ ٩٩ عدداً جرى الحصول عليها، فهي تعكس درجة عالية من الحرفية في الإخراج والطباعة والألوان وإتقان توزيع الصور والإنفوغراف التي تُقدّم معلومات ومعطيات ترويجية حول الإنجازات العسكرية لـ [داعش] في كافة الولايات التابعة لها سواء في العراق

(١) عنب بلدي - (موقع سوري معارض) - ٢٠١٥ / ٩ / ١٠ (نقلا عن العدد ١٣ من دابق) (الرهينة النروجي يوهان أوستفاد ٤٨ عاما) (والرهينة الصيني فان جينغوي ٥٠ عاما).

وسوريا او في شمل أفريقيا ووسطها أو في شرق آسيا فضلاً عن البلدان العربية الاخرى. وإنجازات شرطة الحسبة، هذا فضلاً عن الثقافة الدينية التي تحرص على نشرها، والكلمات والخطب التي يلقيها الخليفة و القادة، لا سيما الخليفة أبو بكر البغدادي. كما تتضمن إحصاءات للعمليات ونتائجها في الولايات التابعة للدولة الإسلامية خارج العراق وسوريا. وبشكل عام تمثل الصحيفة أداة التعبئة الايديولوجية والسياسية لـ [داعش] عند جمهورها في مناطق الدولة حيث تمنع الدولة توزيع أي منشور أو صحيفة غير صادرة عن مؤسساتها الإعلامية.

على ضوء ما تقدّم، يُمكن إيراد الاستنتاجات التالية من نماذج ومسارات العمل الإعلامي لداعش:

١. إن جوهر النشاط الإلكتروني لـ [داعش] يتخطى فكرة الدعاية بكثير ليوفر المعلومات التشغيلية لمؤيديها وأنصارها بداية من كيفية اعداد المتفجرات وتفخيخ السيارات، مروراً بالأحكام الشرعية والفتاوى بالقتل والسبي والتبريرات للمجازر التي تتم في مناطق سيطرتها وصولاً إلى ارسال الرسائل إلى الاعداء لبث الذعر والخوف لديهم، وإرهابهم.

٢. يتقصد اعلام [داعش] في إبراز صور وفيديوهات الاعدامات والقتل المريع وقطع الرؤوس لتقديم صورة القوة والاقتدار والإثارة والحماس لجمهور [داعش] وأنصارها، ولجذب فئة من الشباب المتعطش للانتقام والقتل والمتاهي مع هذا النوع من الأعمال.

٣. العمل لفرض تسجيل حضور فاعل وقوي في الإعلام العالمي من خلال القيام بأعمال غير متوقعة أو غير مألوفة حتى في أساليب القتل والسبي

والقصاص وصولاً إلى تفاصيل اللباس والحجاب وغيرها من الأمور المستهجنة التي يلتقطها الإعلام عادة لتكون مادة إثارة للجمهور العام (حيث تأخذ مثل هذه الأخبار مساحة اعلامية أكبر)^(١).

٤. يعتمد إظهار مبدأ الصدمة والرعب في عمله، وانعكاس ذلك اعلامياً لجذب المزيد من الانصار والاتباع واستقطابهم وتجنيدهم، لحاجته المستمرة إلى مزيد من المقاتلين، نتيجة الخسائر التي يُمنى بها جراء استهداف مراكزه ومقراته ومعسكراته من قبل الطيران الحربي والقصف بكل أشكاله أو من جراء فقدته للمئات في العمليات الانتحارية التي يقوم بها أفراد.

٥. الترويج للمشروع (دولة الخلافة) كمشروع للامة الإسلامية لاستعادة الاجماد (على نهج النبوة) والتخلص من حالة الاحباط والقهر والضعف التي عانى منها المسلمون في القرن الماضي جراء الاستعمار او ادواته من الحكومات المنظوية تحت هيمنة الدول الكبرى.

٦. والظهور بمظهر الاقتدار وبث الامل في النفوس بالنصر (الطائفة المنصورة) وبان الدولة باقية وتمدد رغم التحديات.

٧. نزع الشرعية الدينية عن كل ما عداهم من أنظمة حاكمة وحركات إسلامية ومفكرين (حتى السلفيين الجهاديين) المعارضين لهم والمختلفين معهم كالقاعدة وجبهة النصرة وغيرهم.

(١) شريف درويش اللبان، قراءة في الاستراتيجية الإعلامية والثقافية لداعش، منشور على

الاستقطاب والتجنيد:

يوضح [أبو بكر ناجي] ما نقصده بالاستقطاب وهو «جرّ الشعوب إلى المعركة بحيث يحدث بين الناس - كل الناس - استقطاب، فيذهب فريق منهم إلى جانب أهل الحق، وفريق إلى جانب أهل الباطل، ويتبقى فريق ثالث محايد ينتظر نتيجة المعركة لينضم إلى المنتصر، وعلينا جذب تعاطف هذا الفريق وجعله يتمنى انتصار أهل الإيمان، خاصة أنه قد يكون لهذا الفريق دور حاكم في المراحل الأخيرة من المعركة الحالية»^(١).

يضيف «ولا شك، أنه كلما ازداد وهج المعركة واشتدت وطأتها على الناس والمجتمع، في جانب العدو وفي جانبنا، يحرك ذلك القلوب والعقول وتبلغ الحجة على الناس أقصى مدى لها، ومن ثم يبلغ الاستقطاب مداها.

منذ صعود «داعش» على مسرح الأحداث في المنطقة، أظهرت اهتماماً بارزاً في استخدام أساليب الاستقطاب والتجنيد خاصة في بيئة الشباب، واستثمرت العديد من الإمكانيات المتاحة لها في الإعلام والترويج ووسائل الاتصال لمخاطبة هذه الشريحة تحديداً، والتي تتصف بالاندفاع والحماس والرغبة في التغيير والخروج عن الرتابة في الواقع، وقد طوّرت العديد من الأساليب الاقناعية والجذّابة لهم، مستهدفة إستمالتهم وتجنيدهم ودفعهم للانخراط في مشروعها.

وتبرز هذه الأهمية لدى [داعش] لحاجتها الماسّة للمقاتلين، ورفد مشروع الدولة الإسلامية (الخلافة) بمزيد من الجنود لخدمة المشروع والقتال في الميادين والجهات، لاسيّما مع التمدد والتوسع الذي قامت به في العراق وسوريا بين عامي ٢٠١٣ - ٢٠١٤ م.

(١) أبو بكر ناجي، إدارة التوحّش، مصدر سابق: ص ٤٦.

تتداخل عملية الاستقطاب والتجنيد مع الخطاب الإعلامي للترويج، لـ [داعش] ودولتها وأهدافها المتعددة، كما تتداخل مع بعض الأنشطة الأخرى التي يقوم بها التنظيم، لاسيما التربية والتعليم وإدارة المدارس وفتح المعاهد الشرعية، وحتى مع العمليات الانتحارية وعمليات الإعدام والقصاص التي يقوم بها بشكل علني واستعراضي أحيانا، فتُصوّر وتُستخدم للترويج في المنصّات المختلفة في وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، ويستثمرها في تجنيد واستقطاب المزيد من الأتباع، وهو استطاع تحقيق نجاحات واضحة في مجال كسب واستقطاب وتجنيد الأتباع، ويمكن تقسيم موضوع التجنيد والاستقطاب إلى عدّة جوانب وأبعاد تشمل وسائل وأساليب التجنيد، نوعية وسمات المجندين والمستقطبين، مضامين الرسائل والإصدارات المستخدمة في الاستقطاب والتجنيد وأخيراً سيكولوجية المجندين والمستقطبين في [داعش].

ولهذا الموضوع ارتباط مباشر في بناء الدولة عند [داعش]، حيث تحتاج الدولة إلى جنود عاملين فيها، وجماهير موالية لمشروعها وأفكارها:

أ- وسائل وأساليب الاستقطاب والتجنيد

تحتل وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات والمواقع الجهادية الالكترونية موقع الريادة في وسائل التجنيد، فضلاً عن العلاقات الشخصية والعائلية، وعمليات التهريب من جهة، والإغراء من جهة أخرى للسكان الخاضعين في كنف دولة الخلافة، بالإضافة إلى وسائل وأساليب متعددة أخرى، سيأتي البحث على ذكرها تباعاً:

-التجنيد عبر وسائل التواصل الاجتماعي

حيث تشير تقديرات خبير قضايا الإرهاب الرقمي إلى أن [داعش] يجنّد شهرياً أكثر من (٣٤٠٠ عنصر) عبر حملات الكترونية غاية في التنسيق^(١).
ويضيف الخبير أن [داعش] تمتلك أكثر من ٩٠ ألف صفحة باللغة العربية على فيسبوك، و٤٠ ألف صفحة أخرى بلغات مختلفة، متفوقاً بذلك على دول، وهو يستخدم الإمكانيات الرقمية لتنفيذ أربعة أمور خطيرة في مقدمتها «التجنيد»، إضافة إلى جمع الأموال والتبرعات، وتنسيق التحركات العسكرية والأمنية، ونشر فكر التنظيم.

كما تشير التقديرات إلى أن أكثر من (٣٠٠٠) من مواطني الدول الغربية هاجروا إلى الأراضي التي يسيطر عليها تنظيم «داعش الإرهابي»^(٢) وغالبيتهم تم تجنيده عبر الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٣٤٠

ويعتبر من أهم أسباب نجاح عمليات التجنيد، مهارة أعضاء [داعش] باستخدام الدعاية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فقد جنّدت المجموعات التابعة لـ [داعش] في سوريا منذ بداية عام ٢٠١٥ أكثر من (٢٠ ألف) مقاتل خدمةً لقضيتها، وكان غالبية هؤلاء قد انضموا إلى صفوف الدولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وتحدد التقارير نسبة ٨٠٪ من الذين انتسبوا إلى دولة [داعش] قد تم تجنيدهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي^(٣).

(١) جيف باردين -خبير في قضايا الإرهاب الرقمي - صحيفة الإمارات اليوم، ١٢ حزيران - ٢٠١٥.

(٢) الصيفي، د. حسن نيازي - بحث في استخدام [داعش] للإعلام الاجتماعي - جامعة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية - منشور على موقع - Arab (Issue spring, 2016) media and society

(٣) الطاهات عثمان: بحث حول كيفية تجنيد [داعش] للمقاتلين، موقع عمون، 20/10/2016.

يقول جيم موير أنه في الثمانية عشر شهراً الأولى التي أعقبت الإعلان عن قيام دولة [داعش] ارتفع عدد المقاتلين الأجانب الذين توافدوا إلى سوريا والعراق - وبحسب تقديرات منظمة صوفان للإستشارات الأمنية في مدينة نيويورك- وصل عدد المقاتلين الأجانب في صفوف [داعش] إلى (٢٧ ألف) مقاتل قادمين من (٨٦ دولة) ينحدر ما يزيد عن نصفهم من دول في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا^(١).

إن الإرهاب الحديث -الذي يمثله داعش- والتقنيات الرقمية صنوان لا يفترقان، وقد حفزت هذه العلاقة الوطيدة بينهما الجماعات الإرهابية على الحرص على تحديث استراتيجيتها وخططها، وفقاً للتقدم التقني الذي يتحقق في هذا العالم باستمرار. ويستغل «داعش» جنوده في الغرب الذين لديهم دراية بهذه التقنيات، لإنتاج التسجيلات المسموعة والمرئية التي استطاع أن يحقق من ورائها عدّة أهداف على رأسها؛ رسم صورة أسطورية للتنظيم واستقطاب الشباب بعد خداعهم بفكرة أن هذه الأرض هي المدينة الفاضلة^(٢). وأن ثمة خلافة إسلامية كبرى ستحكم العالم وتحقق ازدهاره وتنصف المظلومين وتأخذ على أيدي المجرمين.

٣٤١

لقد نقل [داعش] «مساجد التطرف» من الأرض إلى شبكة الإنترنت^(٣) لتكون متاحة ومفتوحة للجميع، وكل ما يريد أن يبثه في العقول والقلوب أوصله عبر المنصات الإلكترونية.

(١) عبد المجيد، د.أحمد، الأساليب الإقناعية لتنظيم [داعش] في تجنيد الأفراد (مقاربة علمية)، مجلة الباحث الإعلامي، الصادرة عن كلية الإعلام بجامعة بغداد العدد ٣١، السنة ٢٠١٦، ص ٩٣.

(٢) ليساكا، خافيير: أسلحة الإغواء الشاملة، دار أثالايا، إسبانيا، ٢٠١٧، ص ١٢٣.

(٣) رنيم حنوش: الخلافة الافتراضية، موقع الشرق الأوسط، لندن ٢٤/٨/٢٠١٥ م.

كما تعتبر الألعاب الإلكترونية مكاناً مفضلاً لـ [داعش] لتجنيد الشباب والتلاعب بعقولهم ودفعتهم إلى تنفيذ أعمال عنف في مجتمعاتهم. وعادةً تصعب مراقبة الألعاب الإلكترونية المنتشرة على الإنترنت على عكس مواقع التواصل الاجتماعي. ويتم الاستفادة منها أصلاً قائمة على التفجير والعنف والقتل.

وهذا النوع من الألعاب وُضع أصلاً لمن يريدون فعل أشياء لا تمكنهم الحياة الحقيقية من الوصول إليها. وتستغل [داعش] مشاعر اللاعبين لتقدم لهم العرض السخي لتنفيذ أعمال القتل والتفجير، الذي يتيح لهم في الواقع كما جرى في اللعبة. وبمساعدة وإرشاد أصدقاء افتراضيين في تنظيم [داعش]^(١).

ويمتلك [داعش] أعضاء متخصصين في شبكة الإنترنت يعرفون كيفية التحدث مع الشباب بلغتهم بدهاء، كما يستخدمون ملفات الفيديو والصور للتأثير على الحالة النفسية للشخص من خلال توجيه رسائل مثل: «إذا كنت تكره الطريقة التي تعيش بها في حياتك فتعال معنا، وستصبح أفضل»، كما يغرون من يجندوه بالهدايا والسبايا أو فرصة الحصول على شيء «أفضل» في الآخرة، وترديد عبارة مثل «علاج الاكتئاب هو الجهاد»^(٢).

وقد كشفت اعترافات لمسؤولين إعلاميين مثل أبو عزّام الأنصاري مسؤول مجلة (صدى الجهاد) الإلكترونية، وأم أسامة مسؤولة تحرير (مجلة الخنساء) عن عمليات استقطاب وتجنيد واسعة كانت تتم عبر شبكة الإنترنت^(٣).

(١) موقع العربية - الألعاب الإلكترونية وسيلة [داعش] الجديدة للتواصل والتجنيد، الأحد ٢٠١٥/٦/١٥، <https://goo.gl/PEBVXI>

(٢) الصيفي، د. حسن نيازي، استخدام [داعش] للإعلام الاجتماعي، ص ٣ (مصدر سابق).

(٣) عبد الحليم حمود، إعلام وأساليب الجهاد الإعلامي، مركز الدراسات والترجمة، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٥٩.

الخطباء وأئمة المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية

ولقد استخدمت [داعش] المساجد وأئمة المساجد في الدعوة للانضمام إلى صفوفها، من خلال خطب الجمعة والدروس الشرعية والدورات التي نظمت إقامتها في المساجد في المناطق التي خضعت لهيمنتها وسيطرتها سواء في العراق أو في سوريا أو في بلاد أخرى (ليبيا- اليمن.. إلخ).

ويمارس فيها الدعاة أساليب الحماس والعاطفة على الفئات المستهدفة خصوصاً الأشبالي والشباب بهدف زيادة التأثير النفسي عليهم، أو من خلال توزيع كتيبات وكراسات وأقراص ممغنطة تتضمن أناشيد حماسية وخطب للبغدادي (الخليفة) وهي تهدف لإثارة المستهدف ودفعه إلى الاقتناع بالأفكار ذات المضامين الدينية والسياسية والعقيدية (للاستمالة العقلية والعاطفية) وبالتالي الانخراط في صفوف المقاتلين مع [داعش].

- استقطاب اليافعين والأطفال

لقد أظهرت إنتاجات [داعش] الإعلامية وإصداراته، أنشطة تستهدف الأطفال واليافعين، بما يطلق عليهم «أشبالي الخلافة» والذين يتم تعبئتهم حماسياً وعاطفياً وترديدهم للشعارات الدينية، ويتم تدريبهم وتصويرهم أثناء التدريب، وتتراوح أعمارهم بين (١٠-١٥) سنة، فضلاً عن تصوير بعضهم أثناء قيامهم بأعمال عنف ورماية بالذخيرة الحية تحت إشراف أساتذة ومدربين لهم، ويتعلمون أيضاً كيفية إخضاع الساكنين في المنازل والسيطرة عليهم لاستخدامهم كرهائن محتملين.

كما يتم تدريب الفتيان على كيفية نصب الكمائن لسيارات متحركة، وقد أظهر فيديو شريط قصير يوم ٤ تموز ٢٠١٥ أطفالاً يعدمون ٢٥ جندياً سورياً. وفي شريط آخر مدته ٢٢ دقيقة عن مذبحه سبايكر في تكريت يشارك بعض الفتيان في تنفيذ الإعدامات^(١).

كما يتم تشجيع الأطفال والفتيان على حضور الإعدامات العلنية، ويكافئهم ويتمّ الثناء على الذين يشهرون السلاح منهم خلال التصوير أمام الكاميرات. ويسلك [داعش] مع الأطفال في المدارس أسلوب التنشئة الاجتماعية المتعاقبة أو التدريجي، كما يولد شعوراً بالفخر والهيبة والمنافسة داخل الطلاب في تنظيمات فرعية تسمى (نادي الأشبال) ليكون كل طفل مؤهلاً للتدريب العسكري^(٢).

- استقطاب المعتنقين الإسلام حديثاً

وعلى عكس ما هو معروف في أوروبا، في طريقة إشهار الإسلام للمسلمين الجدد، حيث من المعروف أن يتم ذلك من خلال مؤسسة أو إمام مسجد أو شخص متعارف عليه من السلطات المحلية، يتم التواصل معه والنقاش في بعض المسائل قبل إشهار إسلامه، نرى أن دخول المتأسلمين حديثاً مع [داعش] في أوروبا والذاهبين إلى القتال لا يسلكون الطريقة المعروفة والتقليدية في الدخول إلى الإسلام، بل يتم دخولهم عن طريق شيخ سمعته مثيرة للشكوك أو أحياناً عن طريق الإنترنت دون تحديد وسيط، أو يتم ذلك بشكل سرّي ضمن مجموعات لا يمكن اختراقها، والكثير من الأهل لا يعرفون بتحول أبنائهم إلى الإسلام سوى

(١) هيا بلوم: أشبال الخلافة، أطفال [داعش]، نقلاً عن حصاد البيان، ج ٢، بغداد، مركز البيان للدراسات والتخطيط، آب ٢٠١٥، ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

عندما يتصلون بهم من الحدود السورية - التركية. وفي النهاية فإن هؤلاء المهتدين حديثاً يتمسكون بتطرف مفترض ويسرفون في الحديث عن اللاشريعة، كما يعترفون برغبتهم بترك بلد يدعونه بـ(الكافر والفاقد)، ويعربون عن انشدادهم لـحرب حضارات وهمية^(١).

إنها هداية إلى إسلام [داعش] الخاص، وهو يجمع بين قوة المشاعر الدينية والالتزام السياسي والعسكري في آنٍ معاً. وهؤلاء المنتسبين إلى إسلام [داعش] يستندون إلى قراءة مختزلة وعنيفة للتعاليم الإسلامية، ويجمعون معتقدات منحرفة ومرّوعة تأخذ بنظرية المؤامرة للأديان والطوائف الأخرى جميعاً^(٢).

وكان للإعلان عن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام، ثم دولة الخلافة بعد سنة من الإعلان الأول، بُعد أساسي آخر لا يقل أهمية عن الأبعاد الأخرى وهو كسب مجندين جُدد، يسمّيها أبو البشر الهاجري بـ«الروافع التعبوية» بعد الرافعة التي حققتها القاعدة سابقاً في هجمات ١١/١ أيلول ٢٠٠١م، وجذبت العديد من المجندين والمناصرين والمتعاطفين للتيار الجهادي وفكره^(٣).

- الأساليب والوسائل المتعددة الأخرى: (السجون-بيعة العشائر-الرومانسية)

شهدت إسبانيا ضجّة كبيرة في مسألة قيام [داعش] بتجنيد العديد من المساجين داخل سجونها، وذكر المتحدث باسم العاملين في قطاع السجون (خوان لويس اسكوديرو) ضرورة التنبّه لخطر انتشار الفكر المتطرف بين السجناء وإن

(١) صحيفة Liberation الفرنسية، ترجمة دلال إبراهيم، ٢٩/١/٢٠١٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) محمد علوش: [داعش] وأخواتها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣١٤.

هذه العملية تستوجب قراراً عالياً من اليقظة، وتضم السجون الإسبانية (مطلع ٢٠١٧) حوالي ٧ آلاف سجين مسلم من مرتكبي مختلف الجرائم بينهم ٢٥٠ من المتورطين في جرائم تتعلق بالتطرف ومنهم كذلك ٢٢٦ سجيناً على الأقل لهم علاقة بالجماعات الإرهابية، وقد لوحظ أن الكثيرين ممن يُعاقبون بالسجن في قضايا عامة كمخالفات أو سرقة أو مخدرات، يخرجون من السجن مؤهلين للقيام بهجمات إرهابية، أو مجندين جدد لصالح التنظيمات الإرهابية، لوقوعهم تحت تأثير قادة متطرفين يعملون على تجنيدهم وإقناعهم بهذه الأفكار داخل السجن، وقد استنكر عدد من العاملين في السجون الإسبانية احتفاظ مئات السجناء بصور لأعلام تنظيم [داعش]، أو لزعيم القاعدة أسامة بن لادن، وقد أكد مرصد الأزهر باللغة الإسبانية في تقرير أصدره أن التجنيد في السجون يعتبر أحد استراتيجيات [داعش] الرئيسية في استقطاب عناصر جديدة لا سيما في البلدان الأوروبية. وحدّر التقرير من مخاطر استقطاب (ذئاب منفردة) من داخل السجون^(١).

أما على صعيد العشائر العربية في سوريا والعراق، فالمعروف أن [داعش] استخدم استراتيجية الاحتواء، وقد نشرت عدداً من الصور في مواقعه والمجلات والصحف الصادرة عنه (مجلة دابق - صحيفة النبأ) لاستقبال بيعات العشائر. ويجهد [داعش] بإشاعة أسلوب الإحتراب بين الفئات الاجتماعية والطبقات، كالصدام العشائري وخلق النموذج (الوجيه) البديل لكسب تأييده من جهة، والاستغناء عن تردد البديل الأصلي. وبهذا الشأن عمد التنظيم إلى أسلوب منح

(١) منال القاضي، مقال على موقع مرصد الأزهر باللغة الإسبانية، ٢/٨/٢٠١٧. الموقع

(المشيخة) لمغمورين أو محتاجين إلى الوجاهة وإظهار نوع من التأييد المطلق وأخذ البيعة منهم إليه. وعُرف هذا النوع بين أهالي الموصل بـ(شيوخ داعش)، حيث أقدم على استدعاء العشرات من الأشخاص المغمورين من شتى القبائل والمناطق ومنحهم ألقاباً، كما وزّع عليهم العباءات العربية والأسلحة^(١).

وقد أوجدت [داعش] لنفسها صورة رومانسية على الشبكة العنكبوتية لتجنيد القاصرات والنساء من خلال عيش قصص حب مع مقاتلي التنظيم، وقد نقلت صحيفة واشنطن بوست عن أبحاث أجريت في جامعة جورج واشنطن حول التطرف، أن هناك نحو (٣٠٠ أميركي) غالبيتهم من النساء يدعمون تنظيم [داعش] ويعملون لحسابه على موقع «تويتر» كما استطاع إقناع ٥٠ فتاة وسيدة بريطانية بالالتحاق بصفوفه تراوحت أعمارهم بين ١٦ و ٢٤ عاماً^(٢).

واستخدم [داعش] سياسة استقطاب النساء وخاصة العازبات منهنّ لغرض التزاوج مع المقاتلين ضمن أساليب الإغراء للنساء بحياة مستقرة في كنف الدولة الإسلامية، ولتشجيع المقاتلين الراغبين بالزواج. حيث أمر [أبو بكر البغدادي] (الخليفة) خلال شهر آب ٢٠١٤ بصرف منحة لكل من يرغب من عناصر التنظيم بالزواج وتشمل المنحة منزلاً، إضافة إلى تأثيث المنزل ومبلغ ١٢٠٠ \$، وذلك بحسب مصادر موثوقة للمرصد السوري لحقوق الإنسان^(٣).

(١) خدر خلاات، مقال في صحيفة الصباح الجديدة، بغداد، ١٠ / ٤ / ٢٠١٦.

(٢) موقع mbc، كلمة سر [داعش] لإستقطاب مقاتلين جدد، ٢ / ٦ / ٢٠١٧.

(٣) جاسم محمد (خبير في قضايا الإرهاب والإستخبار)، الدولة الإسلامية، وسائل وأساليب

التجنيد، صحيفة الرأي العام ١٧ / ١١ / ٢٠١٤. الرابط <https://goo.gl//ZQHXP>

من خلال ما تقدم يمكن الوصول إلى تكوين صورة شبه شاملة لعملية الاستقطاب التي يمارسها [داعش] على عدة مستويات تلحظ كافة شرائح المجتمع (أطفال - يافعين - نساء - عشائر - شباب) وهو بذلك يريد بناء مجتمع متكامل في مشروعه وعوائل تُبنى على قاعدة أيديولوجية (مقاتل داعشي مهاجر + زوجة مستقطبة مهاجرة) ليصل إلى بناء مجتمع داخلي في دولته المفترضة يشكل عماداً أساسياً في كيان هذه الدولة.

ب- المستقطبون والمجندون: (من هم عناصر داعش؟)

يعتبر [أبو بكر ناجي] في كتبه إدارة التوحش «أن الارتقاء بالناس إيمانياً وعلمياً هو أحد أهداف مرحلة شوكة النكاية والإنهاك ومرحلة إدارة التوحش، ولن يتم في جو أفضل من جو وحرارة هاتين المرحلتين، فحرارة الأحداث أفضل بنية للتربية، كذلك تدفع لنا كل يوم أفواج الشباب ليلتحقوا بقوافل الجهاد، وهم، الصفحة البيضاء، تدفعهم الفطرة والعاطفة لنصرة الدين»^(١).

وإذا كانت الشريحتين الأساس في عملية الاستقطاب والتجنيد لدى [داعش] هما الشباب والنساء، فهذا لا يعني إطلاقاً أنها يأتيان من بيئة واحدة، وضمن خلفية موحدة، بل هناك كما يبدو للباحث عن سماتهم وأنواعهم وخلفياتهم، مروحة متنوّعة من السمات والخلفيات لهؤلاء، منها:

- تجنيد شباب ذوي سجلات نظيفة ومن أعمار مختلفة من الجنسين^(٢).

- تجنيد الذين يعيشون في مناطق التوتر الطائفي في سوريا والعراق ولبنان والذين

(١) [أبو بكر ناجي] - إدارة التوحش - مصدر سابق، ص ٦٠.

(٢) الطاهات، د. عثمان، كيفية تجنيد [داعش] للمقاتلين - موقع عمون - (مصدر سابق).

يشعرون بنوع من التهميش والحرمان السياسي والاقتصادي^(١).

- الشباب الغربي المصابين بخيبة أمل وليس لديهم إحساس بالهدف والانتماء، والذين يتم منحهم شعوراً بالأسرة والهدف النبيل^(٢).

تجنيد المساجين في العديد من الدول الأوروبية والعربية، والذين يعيشون حالة مراجعة على المستوى الفردي نفسياً ودينياً، ولديهم القابلية للتحول الفجائي، وممارسة الانتقام من الواقع الذي أودى بهم إلى السجون^(٣).

تجنيد النساء*، فقد عملت [داعش] على جذب المئات من النساء إلى دولة الخلافة من كافة أنحاء العالم، عبر استقطابهن للعمل في صفوف المقاتلين وتولي مسؤوليات الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الشوارع والأماكن العامة، كمسؤولية «كتائب الخنساء» لتجنيد النساء وتوعيتهنّ وشرح تعاليم الإسلام لهنّ، كما شاركت النساء في أدوار إعلامية عبر ميلشيات إلكترونية أطلقت عليها اسم «المناصرات».

وأسست لهنّ مؤسسة خاصة تحت اسم «مؤسسة الزوراء» لتعليم النساء وإعدادهنّ للحروب وحمل السلاح، وكيفية الإسعاف في وقت الحروب. ومعظم النساء اللاتي إستهدفهنّ [داعش] من العازبات بأعمار بين (١٨-٢٥) بهدف تزويجهنّ أيضاً للمقاتلين، وقد اشتهرت العديد من القصص حولهن، بعضها

(١) عبد المجيد، د. أحمد، الأساليب الإقناعية لتنظيم [داعش] في تجنيد الأفراد - مجلة الباحث الإعلامي ص ٩٢.

(٢) الصيفي، د. حسن نيازي، استخدام [داعش] للإعلام الاجتماعي - بحث منشور في (Is-sue21.spring,2016)Arab Media

(٣) القاضي منال، مرصد الأزهر والتجنيد في السجون. الموقع <https://goo.gl/cdyaai>

* سيتم أفراد بحث مستقل عن دور المرأة في [داعش] فيما يلي من الفصول.

حقيقي، وبعضها الآخر مبالغ به، مثل «جهاد النكاح» الذي لم نصل إلى مصدر موثق بوجوده.

أما حول جنسية النساء اللاتي تجندن في [داعش]، فالمؤكد منها البريطانيات والفرنسيات والتونسيات والسعوديات والصوماليات، فضلاً عن السوريات والعراقيات وبعض الجنسيات الأخرى^(١).

ج- مضامين رسائل الاستقطاب والتجنيد

اعتمدت [داعش] على خبراء ودارسين في عمليات الاستقطاب والتجنيد ممن يجيدون مخاطبة الشباب والنساء، ولقد تنوعت مضامين الخطاب والرسائل المستخدمة في هذه العملية وتراوحت بين المضمون الديني والاستثارة الطائفية واليوتيبيا (الحلم) والرغبة بالانتقام ورفض الواقع، والرغبة بالتغيير في نمط الحياة وصولاً إلى التماهي في الألعاب الإلكترونية مع العنف والقتل والخروج عند السائد.

ومن خلال البحث والاستقراء والتدقيق والتحليل لكل هذه المضامين يمكن الوقوف عند أبرز ما استخدمته [داعش] كخطاب للاستقطاب في هذا المجال:

إعادة الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة: شكّلت المحور الاساسي في خطابه الدعائي للجذب والاستقطاب والمادة الأكثر جاذبية وتأثيراً وفعالية في عملية الاستقطاب والتجنيد، في محاولة لربط مشروع الدولة الإسلامية بخلافة الرسول والخلفاء الراشدين، ودولتي الخلافة الأموية والعباسية من بعدهم، والتأكيد على

(١) للمزيد أنظر: د. نصيف جاسم حمدان، [داعش] و حرب العقول، دار الكتب العلمية، العراق، بغداد، ٢٠١٦ ص ٩٥-٩٨.

تجسيد المخيال في وجدان كل مسلم بأنها الصورة الأصلية للتاريخ الإسلامي، فالبغدادي الذي يلبس العباءة السوداء كأنه يريد الإيحاء لزمان العباسيين إذ أنه كان الأسود لباسهم الرسمي، ويحاول أخذ شرعية دولته من شرعية التاريخ نفسه. فهو يريد إعادة إحياء الخلافة في العقول والقلوب لتتهنز مشاعر الشباب المسلم المتمرد على الواقع والمحيط من فقدانه لهويته الإسلامية الأصلية، وهي ليست سوى مخيالاً يراد تجسيده كتجربة لا تنفصل عن تاريخ الجهاد والتراث الإسلامي.

لقد لعبت البروباغندا الداعشية كأداة مهنية كبيرة دوراً بارزاً في تسويق فكرة إقامة (دولة الخلافة.. الدولة الإسلامية) بهدف جذب عدد أكبر من المقاتلين ضمن المشروع الجهادي العالمي لتأسيس الخلافة الإسلامية^(١).

ومن خلال هذا الإعلان، لم يجذب [داعش] إليه الأفراد والنساء والشباب فقط من كافة أنحاء العالم، بل وأيضاً جذب ولاءات فروع [تنظيم القاعدة] في سيناء وشمال أفريقيا وشرق آسيا والشيشان واليمن وليبيا ودول الأخرى، وكانت هذه الولاءات تعبير عن انضمام هذه المجموعات إلى دولة الخلافة والالتزام بمرجعيتها. وشكل هذا الأمر بحد ذاته عنوان الصراع بين القاعدة وقيادتها المتمثلة بأيمن الظواهري وبين داعش [البغدادي]، حتى وصل الأمر ببعض الجهاديين لدعوة الظواهري إلى تسليم القيادة للرجل الثاني الفعلي في القاعدة ناصر الوحيشي مسؤول التنظيم في اليمن، وذهب آخرون إلى أن إعلان [البغدادي] للخلافة يجعل دور الظواهري في عمليات القاعدة لا داعي له ولا يسع الظواهري

(١) المرصد، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، (نشرة محدودة التداول)، العدد التاسع، ص ٥٥، ٢٠١٤م، بيروت.

سوى تقديم البيعة للبغدادي إذا كان جاداً في إقامة شرع الله وتوحيد الأمة داخل مشروع الخلافة^(١).

وفي عملية الاستقطاب تعمل الدعاية الترويجية لمفاهيم الخلافة لتوليد بيئة الأفكار والأديبات والمفاهيم اللازمة والمطلوبة في تجنيد من لديهم جهوزية للتطرف. فداعش يستقطب جمهوراً يتعاطف معه ومع رسالته وتأتي العملية الدعائية لإحاطة الشخص المستهدف بشكل كامل ومن ثم ترسيخ وتطوير الأفكار الموجودة سابقاً في ذهنه.

- الدفاع عن أهل السنة: بنبرة مذهبية وطائفية اعتمد خطاب الاستقطاب والتجنيد على اعتبار الالتحاق بداعش هو للدفاع عن النفس والعرض أمام تهديد الروافض (الشيعة) والنصيرية (العلويين) وأنهم لو قعدوا سوف يأتي هؤلاء اليهم في عقر دارهم لغزوهم وقتلهم وانتهاك حرمتهم^(٢). والتركيز على أنه الممثل الأوحى للإسلام والمدافع عن «السنة» حيث فشل الآخرون (الحركات الإسلامية، الأنظمة والمرجعيات الدينية الرسمية). في هذا السياق يندرج نقد [البغدادي] وحلقته الداخلية لقيادة السعودية أرض ظهور الدعوة الإسلامية والقائد التقليدي للعالم الإسلامي السنّي. فقد قدم [البغدادي] نفسه في اعلاناته القليلة التي تلت تنصيب نفسه خليفة على المسلمين، بوصفه حامي المصالح السنّيّة في كل مكان وليس في العراق وسوريا فقط. عندما قال في تسجيل صوتي له في أيار ٢٠١٥ أمتد لأربعة وثلاثون دقيقة:

(١) علوش، محمد، [داعش] وأخواتها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠١٥ م، بيروت، ص ٢٦٥.

(٢) جاسم محمد، صحيفة رأي اليوم (مصدر سابق).

لقد فشل حكام الجزيرة العربية ولحقهم العار وفقدوا شرعيتهم المفترضة ودعا بدلاً من ذلك السعوديين إلى الالتفاف حول الدولة الإسلامية ضد الحكام الطغاة المرتدين الذين اخفقوا في الدفاع عن الايمان والجماعة السنّية ضد الروافض (في تعبيره عن المسلمين الشيعة)، ويضيف أن الخلافة وحدها تستطيع اعادة المسلمين «إلى المجد والشرف والحقوق والزعامة»^(١).

هذا الشحن المذهبي والطائفي شكل شائعة الاستمالة والاستقطاب والتجنيد خصوصاً في مناطق التوتر الطائفي في العراق وسوريا وغيرها.

- خطاب النصر والثقة بالنفس والغلبة (العمليات العسكرية المصوّرة):

يقول [أبو بكر ناجي] في كتابه إدارة التوحش «نحتاج لاستقطاب الأخيار من شباب الأمة، وأفضل وسيلة لذلك هي العمليات المبررة شرعاً وعقلاً، فأعلى درجات التبرير، أن تبرر العملية نفسها بنفسها»^(٢).

وقد شكلت العمليات العسكرية والأمنية التي قام بها [داعش] بتصويرها بتقنية عالية، وجودة انتاجها، وترويجها اعلامياً على مختلف المنصات الإعلامية المتاحة، ونقلتها الوكالات العالمية، أكثر الرسائل جاذبية وتأثيراً لدى المستقطبين حيث فرضت نفسها هذه العمليات نتيجة غرابتها وقساوتها والتفنن في أساليب القتل والاعدام من قطع الرؤوس إلى الحرق والاغراق والسبي والتمثيل بالجثث

(١) راجع (فواز جرجس: [داعش] إلى أين؟، تعريب محمد شيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٩٨)، وانظر نص رسالة [البغدادي] وتسجيله الصوتي:

«Islamic State: Al Furqan Media Releases.New Audio and Transcript Allegedly of Baghdadi»

<https://activist1wordpress.com/2015/05/14>.

(٢) ابو بكر ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق، ص ٤٧.

وغيرها. وقد شاهد العالم خلال سنوات وجود [داعش] ما لم يشاهده قبلاً من هذه الفظاعات والارتكابات.

ورغم ذلك شكلت هذه الأشرطة والفيديوهات مادة جاذبة للشباب المتحمس للانتقام والقتل، والمتعطش لسفك الدماء للأعداء، كرد فعل على ما ارتكبهه الجيوش والطائرات الأميركية والاسرائيلية بحق المدنيين في دول هذه المنطقة على مدى عقود من الزمن، وكدليل على القوة والقدرة التي تملكها دولة الخلافة في الفتك بأعدائها، مما يزرع الثقة بالنفس عند الموالين لها فضلاً عن العاملين في صفوفها، ويوحى بالغبلة وصناعة الانتصارات والأبجاد لدولة الخلافة*.

- المضامين المتنوعة الأخرى:

لم يقتصر الخطاب التعبوي والاستقطابي على العناصر الثلاثة الأساسية التي ذكرت، وإن كانت هي الأبرز في خطاب الاستقطاب، وإنما ضمت الخطاب والرسائل التي استخدمها [داعش] أحياناً مضامين أخرى لها علاقة بإظهار المظلومية عند المسلمين من خلال الحديث عن استهداف أميركا والغرب، والأنظمة المرتدة والفاسدة، للمسلمين عموماً وللمجاهدين خصوصاً، وبالتالي فإن الهدف من هذا المضمون هو الدعوة لمنصرة المظلوم والانتقام من الظالم والمعتدي. وهذا بحد ذاته يشكل دعوة إنسانية فيها محاولة لتحريك الضمائر والوجدان والمشاعر والعواطف اتجاه دولة [داعش]، وتحريض للالتحاق بها، للقيام بالنصرة للمظلومين، وقاتل الظالمين.

* يمكن تلمس ذلك بوضوح في الأشرطة المنشورة على اليوتيوب والمواقع الإعلامية ل[داعش] (مثل: صليل الصوارم - ٤ أجزاء-)، الطائفة المنصورة وغيرها).

المبحث الثاني مناهج التربية والتعليم

تبرز أهمية ودور التربية والتعليم في أي مجتمع من المجتمعات كونه المدخل الأساسي في تنشئة الأجيال وتهيأتهم للمستقبل، فالنظام التعليمي يجد الأرضية لزرع المفاهيم الثقافية والدينية والاجتماعية التي تظهر في حياة المجتمع وتبلور في هوية وشخصية أبنائه. ولا يشذ عن هذه القاعدة مشروع [داعش] في «دولة الخلافة».

وللتعرف على أوضاع التربية والتعليم في المناطق التي سيطرت عليها [داعش] وأحكمت قبضتها على مجتمعاتها ومواردها ومؤسساتها. تمت مراجعة عشرات التقارير الميدانية التي تحدثت عن تفاصيل هذا الواقع من كافة جوانبه، ومن خلال مقاطعة هذه التقارير مع بعضها وتحليل الخطوات العملية، والاطلاع على التعميمات التي أصدرها «ديوان التعليم»^(١) في [داعش]، موقَّعة من رئيس الديوان (ذو القرنين)^(٢) يمكن التعرف على مجموعة السياسات والإجراءات التي قام بها هذا الديوان، وآليات عمله في قطاع التربية والتعليم وهي كالتالي:

(١) في أيلول ٢٠١٤، صدر تعميم رقم ٢ يحمل «بشرى من امير المؤمنين» عن تأسيس ديوان التعليم في الدولة الإسلامية، جريدة الحياة (الدولية) ١/٧/٢٠١٥، www.alhayat.com

(٢) الاسم الذي وُقِّع على التعميمات الصادرة عن ديوان التعليم تحت عنوان (رئيس الديوان) وهو شخصية من أصول مصرية / ألماني الجنسية، غادر ألمانيا والتحق بالدولة الإسلامية، ليشغل هذا المنصب بالذات. ويوصف أنه متابع قوي ومحاور عنيد، واتخذ الموصل مقراً له. وأشرف على وضع المفاهيم، موقع المدونة (القصة الكاملة لمناهج الدولة الإسلامية)، أحمد الملاح، ١٠/١٢/٢٠١٥.

١. التعامل بمنطق بناء سلطة وهيكلية دولة، لديها دواوين (وزارات) في القطاعات المختلفة، ومنها التربية والتعليم، وإصدار القوانين الخاصة به.
٢. تفكيك البنية التربوية القائمة سابقاً (مناهج دراسية-كادر تعليمي - أسماء المدارس وإداراتها)، واستبدالها ببنية تربوية جديدة وآليات عمل قائمة وفق فكر [داعش]، وهيكلية جديدة تتناسب مع سلطتها وعملها وشروطها الخاصة^(١).

٣. خلق بيئة جديدة، وظروف مناسبة للبيئة التعليمية الجديدة تقوم على:

- العزلة المجتمعية في مناطق سيطرته، وقطع الاتصال عن الخارج.
 - العزلة الشرعية للمجتمع الداعشي، والحدّ من اختلاط أفراده مع الآخرين.
 - الفصل بين الجنسين في المدارس والجامعات على قاعدة حرمة الاختلاط.
 - الكراهية ضد المخالفين لفكر [داعش] وعقيدته.
 - العمل العسكري والتدريب على السلاح في المدارس (التربية الجهادية)^(٢).
- وعلى خط موازٍ يعمل «داعش» على تنشئة الأطفال على قيم [الجهاد] والقتال فقد تمّ لهذا الغرض فتح مراكز ومعاهد لتأهيل الطلبة والأطفال، مثل:

(١) تم الغاء (١١ مادة تعليمية، واستحداث ٣٥ مادة تعليمية جديدة في المراحل المختلفة)، فضلاً عن مجموعة تعميمات تتضمن توجيهات للمدرسين حول إلغاء وتعديل كل المصطلحات الوطنية والقومية الموجودة في المناهج إلى مصطلحات حول الدولة الإسلامية. موقع رصيف ٢٢ / جولة على مناهج تعليم [داعش] www.raseef22.com

(٢) حسن سعد عبد الحميد، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، ثقافة تنظيم [داعش] والتربية على القتل، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، ٢٧ / ٦ / ٢٠١٧.

١. المعهد الشرعي لتأهيل الشباب والأشبال في مدينة تلّعفر، لتدريبهم على القتال، وإعطائهم دروس عقائدية، واستمالتهم عقلياً ونفسياً.
٢. معسكر «أشبال العز» في مدينة الطبقة السورية، حيث يجنّد الاطفال بين ٧-١٣ سنة، ويُعاد توجيههم فكرياً وتربوياً.
٣. مخيم الشريعة المُخصّص للأشبال بين (١٥-١٦ سنة)، حيث يتم تعليمهم القتال وكيفية تنفيذ العمليات الانتحارية، وكيفية ذبح ما يسمونهم الكفار -لنيل الجنة التي وعدو بها- ويطلقون عليهم «أشبال الخلافة» والمعهد إسمه معهد أشبال الخلافة المركزي. ويقول أحد قادة التنظيم حول هذا الموضوع « إنّ تعليم الأطفال يبدأ من اللعب وحتى يبدأ الجدّ، والذهاب إلى المعسكرات عوضاً عن المدارس، وقال: نطمح أن يكون هذا الجيل هو الجيل الذي سيحارب المرتدين والكفار، مؤكداً إنّ الجيل القادم هو الجيل الذي سيحكم الدولة الإسلامية؛ لأنهم سيضعون لبتها الأولى وسيبعثون جيلاً مكوناً لتوسيعها وإدارتها لاحقاً^(١).
٤. فتح دورات «الإستتابة» لإعادة تأهيل الكادر التعليمي، والخضوع لها شرط لازم لكل معلّم ومدرّس يريد ممارسة مهنة التعليم في المدارس والجامعات^(٢).

(١) شريف درويش اللبان، قراءة في الاستراتيجية الإعلامية والثقافية لداعش، منشور على موقع:

Arab Media and Society (Issue21, Spring 2016)

(٢) يعتبر الاستتابة، والتوقيع على وثيقة الاستتابة، الخطوة الأولى للمدرسين المنضمين إلى النظام التعليمي لـ [داعش] - ضمن الأوراق المطلوبة للتوظيف. ونصّها: أنا الموقع أدناه أتوب إلى الله ممّا وقعت فيه من.... وأعلن براءتي من تعليم المناهج الباطلة والقومية والوطنية والبعثية، ومن العمل بالقوانين الوضعية والتحاكم إلى الطواغيت، وإني أخضع طواعية لحكم الله عز وجل وأرضى به. وأتعهد ألا أعصي في معروف، وألا أقاتل المسلمين، أو أعين على قتلهم بالقول أو العمل، وأن أعظمّ حرّمات الله وألا أتعدّي على حدوده. فإن غيرت أو بدّلت فيجري عليّ حكم الله عز وجل. (وثيقة منشورة - صادرة عن الدولة الإسلامية -

مكتب التعليم - ولاية حلب) موقع ساسة بوست ٢٠١٥/١١/٤

٥. إلزامية التعليم (من الصف الأول إلى التاسع)، وأخذ تعهّد من الأهالي بإرسال أبنائهم وإلزامهم بالدوام والمتابعة^(١)، ومنع الدروس الخصوصية خارج المدرسة من قبل أيّ معلم. وأعلنت [داعش] عن عدد الطلاب المسجلين بأنهم قد بلغوا ٦٠٠ ألف طالب وطالبة من الفئات العمرية المختلفة في الدولة (في العراق وسورية) وبلغ عدد المدرسين ٥٠ ألفاً، مع بداية العام الدراسي الجديد ٢٠١٥/١٠/١١.

٦. تعديل المراحل التعليمية وتقسيمها إلى ثلاث مراحل (ابتدائية ومتوسطة وإعدادية)، موزّعة على تسع سنوات فقط. والدراسة في كلّ سنة عشرة شهور مقسّمة إلى فصلين دراسيين.

٧. إلغاء مواد دراسية من المناهج بشكل نهائي، مثل (التربية الفنية الموسيقية، التربية الوطنية، الدراسات الاجتماعية، التاريخ، التربية الفنيّة التشكيلية، الرياضة، القضايا الفلسفية والاجتماعية والنفسيّة، التربية الدينيّة الإسلاميّة، التربية الدينيّة المسيحيّة،.. إلخ).

ووضع مواد دراسية جديدة للمرحلتين الإبتدائية والإعدادية هي:

- مادة التوحيد: وتتضمن نصوصاً دينية وتعاليم مستندة إلى كتابات [ابن تيمية].
- مادة اللغة العربية: وتتضمن شرح لألفيّة ابن مالك.
- مادة التربية الجهادية: (للصف الرابع والخامس إبتدائي).
- بالإضافة إلى الفيزياء والكيمياء والرياضيات والعلوم^(٢).

(١) نص التعهّد «أتعهّد بإذن الله بإرسال ابني ومتابعة دوامه، وفي حال عدم تنفيذ هذا الأمر أتحمّل المسؤولية الكاملة، موقع ساسة بوست ٢٠١٥/١٢/٤.

(٢) التعليم في مناطق [داعش]، كيف يربي التنظيم أجياله القادمة؟. موقع ساسة بوست ٢٠١٥/١٢/٤.

وللتأكيد على ما ذكره نجمع بعض الأمثلة العملية التي نُشرت في أكثر من بحث ودراسة وفي العديد من الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية المعروفة بصدقيتها:

قامت الباحثة في شؤون الأطفال والتطرف (ميا بلوم Blom Meya) بالتعاون مع مجموعة الزملاء في جامعة ولاية جورجيا بتتبع تطبيقات [داعش] التعليمية والكتب الدراسية وأدوات التعليم الأخرى التي يعتمد عليها [داعش]، وفي الخلاصات التي نشرتها مجلة «فورين بوليسي» استطاع هؤلاء الوصول إلى أكثر من ٣٥ كتاباً مدرسياً وتشمل كتب تعليم باللغة الانكليزية^(١):

- من بين الكتب ذلك الخاص بتعليم اللغة الانكليزية التي باتت معروفاً أهميتها عند عناصر [داعش] لتسهيل وصولهم إلى الغرب وللتواصل مع أولئك الآتين من هناك.

- في أحد المقاطع الخاصة بالقواعد، يعمل الطفل على نصٍ يروي قصة زيارته إلى مكة والطواف هناك، وما قام به من أنشطة عبادية. وتضيف الباحثة: إلى هنا مازال الأمر عادياً في الإطار الإسلامي الطبيعي. ولكن في مقطع آخر، يُطلب العمل على الأمثلة التالية لإعراب الجمل:

- وصل الكثير من المقاتلين من روسيا.
- حصل على الكثير من أصابع الديناميت.
- كسر أحمد النافذة.
- المسافة بين الموصل وبغداد ٤٠٠ كلم.

(١) موقع رصيف ٢٢، مقال (جولة على مناهج تعليم داعش) www.raseef22.com بتاريخ ٢٠١٧/٢/١٨.

وفي الامثلة المذكورة دلالة واضحة لايدولوجيا العنف التي تسعى [داعش] في مناهجها التعليمية لتربية تلامذة المدارس عليها.

وقد نشر موقع قناة العالم الإخبارية صوراً ونماذج من مناهج دراسية وضعتها [داعش]، وتم تدريسها في الموصل (خلال فترة حكمها) منها، مقطع من كتاب الرياضيات:

- اشترى يحيى بندقية بمبلغ مائة وعشرون ألف ريال، واشترى مالك رصاصاً بمبلغ ستة وعشرون ألف وسبعمئة ريال، أما عمار فقد اشترى له والده حزاماً من الرصاص بمبلغ ثمانية آلاف وسبعمئة وخمسون ريال. أكتب بالأرقام ما اشترى كل واحد منهم.

ونرى صورة لمدخل مدرسة باسم (أسامة بن لادن) باللون الأسود والأبيض. بعد أن تمّ تغيير الاسم السابق للمدرسة.

ويستمر الحال مع كتاب الرياضيات إذ لا وجود فيه لأشكال مألوفة في حياة الأطفال العاديين خلال تعلّم الأعداد. وعلى أطفال الخلافة أن يتعلموا رقم عشرة من خلال عدّ مسدسات ورشاشات وقنابل وغيرها.

هكذا يتشرب الأطفال بسلاسة كلّ ما يجعل منهم مقاتلين للمستقبل بشكل طبيعي ومرن، فعلى الصفحة البيضاء الأولى من وعيهم تتركز الأعداد على سبيل المثال بـ (٥ مجاهدين) واجهوا (١٠ كفار) وقتلوا منهم ٧ وأسروا الباقين، فكم هو عدد الاسرى؟

وتتصدّر صورة البندقية الحربية الصفحة التي توضّح المحتوى والأهداف في كتاب الرياضيات كما تتصدّر صور الخلافة والجهاد والوان علم الدولة الإسلامية

(الاسود والابيض) غلاف كتاب الانكليزية^(١).

وفي مقابلة أجرتها مجلة نيوزويك مع أحد العاملين السابقين في مركز للأيتام كان يديره [داعش] في الموصل، يروي الشخص الذي فضّل عدم الكشف عن إسمه عن أساليب غسل الدماغ عبر الكتب والتطبيقات التي كان التنظيم يوزّعها عليهم.

وبحسب العامل السابق، تجتمع صورة التفاحة مع البندقية والسيف، وصورة القنبلة والقنّاص مع صورة حيوان بريء، أمّا النساء في الكتب فيغطينّ الأسود بالكامل، كما تتم تغطية الوجوه في هذه الكتب حتى وجوه الحيوانات. وكان يجري تعليم الاطفال القرآن، بينما أجبر المخطوفون الشيعة منهم على الصلاة وفق الطريقة السنّية، والأيزيديين على اعتناق الإسلام.

٣٦١

ولأنّ التعليم هو واحد من الساحات الأساسية الأكثر أهمية لدى [داعش]، حيث كان ديوان التعليم من أوّل الدواوين التي أنشأها التنظيم، ولأنه لا يحظى حتى الآن بمتابعة دقيقة في إطار مكافحة الإرهاب، تقول المجلة إنّ دراسة بلوم وزملاءها تكتسب أهمية كبرى. كما توضّح أنّ النتائج يتم إرسالها إلى السلطات الأميركية ومسؤولي وزارة الدفاع.

يقول الخبراء - بحسب مجلة نيوزويك - إنّّه من السابق لأوانه الحكم على ما تحمله جهود [داعش] التعليمية من آثار بعيدة المدى، ففي النهاية لم يتجاوز عمر التنظيم الأعوام القليلة. لكن براعة [داعش] التكنولوجية والتنظيم الدقيق لآليات التعليم ونشرها، يجعل المخاوف بشأن هذا التأثير مضاعفة.

وهنا تعلق (بلوم) قائلةً: إنَّ التعليم يجعل التنظيمات الإرهابية أكثر مرونة، كما يقلل من فعالية سبل المكافحة التقليدية، كالإغتيالات وما شابهها، وتضيف « لو تمَّ إسقاط مقاتل بارز في ضربات طائرة دون طيار أو غارات لقوات خاصة، يستطيع أطفاله أن يأخذوا مكانه سريعاً.

وتذكر المجلة (نيوزويك) بما سجَّلته الأمم المتحدة عن ٣٦٢ حالة تجنيد أطفال في سورية في العام ٢٠١٦ فقط. منها ٢٧٤ في صفوف [داعش]، معلقةً على لسان أحد الخبراء بأنَّ هذا الطريق الذي سلكه الطفل ليصبح جليداً، بدأ في الفصل الدراسي بكل تأكيد. وكل المقررات التعليمية سواء كانت في الرياضيات أو العلوم أو اللغة أو غيرها تؤدي إلى صناعة مقاتل ليس إلّا.

وقد تضمَّن التعليم شطب جملة [الجمهورية العربية السورية] أينما وُجدت واستبدالها بالدولة الإسلامية. وطمس جميع الصور التي [لا توافق الشريعة الإسلامية].

وصدرت تعليمات بحذف النشيد العربي السوري أينما وُجد، وعدم تدريس مفهوم الوطنية والقومية، وإنما الإنتهاء للإسلام وأهله، واستبدال كلمة الوطن أو وطنه أو سورية أو وطني أينما وُجدت بالدولة الإسلامية أو دولته الإسلامية أو بلاد المسلمين أو ولاية الشام. وتضمَّنت ورقة التعليمات أيضاً حذف أيِّ مثال في مادة الرياضيات يدل على الربا أو الفوائد الربوية أو الديمقراطية أو الإنتخاب، وحذف كلِّ شيء في مادة العلوم يتعلق بنظرية داروين أو ردِّ الخلق للطبيعة أو الخلق من عدم، وردِّ كلِّ الخلق لله سبحانه وتعالى.

وأعلن [ديوان التعليم] في ولاية الرقة عن دورة شرعية مدتها أسبوع لمديري ومعلمي المدارس ذكوراً وإناثاً^(١). يجري فيها توجيه المعلمين وتعليمهم الاحكام الشرعية وفق فقه السلفية الجهادية والزامهم بالضوابط الصادرة عن ديوان التعليم في «الدولة الإسلامية».

أ- الجامعات وأوضاعها في ظل داعش

وفي مقال حول مناهج [داعش] الدراسية... إعداد أجيال من الإرهابيين^(٢) نقرأ التالي:

شهد التعليم تحت حكم تنظيم [داعش] الوهابي أوقاتاً عصيبة على الدارسين والأساتذة على السواء، فقد توقفت الدراسة في بعضها وتعطلت كليّات عدّة، وأنشأ التنظيم كليّات لا مستقبل للدارسين فيها. وكانت جامعات [الموصل] و[الانبار] و[الفرات] أبرز الجامعات العراقية والسورية التي تديرها [داعش]. وقد أصدرت [داعش] من بداية دخولها إلى الموصل تعليمات بإلغاء مجموعة كليّات، وهي كلية الحقوق والعلوم السياسية، الفنون الجميلة، الآثار، التربية الرياضية، قسم الفلسفة، قسم إدارة المؤسسات السياحية والفندقية.

وقامت [داعش] بضم الكليّات «الطب العامة، طبّ الأسنان، الصيدلة» لتكون خارج ديوان التعليم، وترتبط بما يسمى «ديوان الصحّة». وأصدرت [داعش] قراراً بفصل الطّلاب عن الطالبات وتحديد عدد معيّن من الكليّات للبنات، وهي التربية والدراسة المتعلقة بالطب. وأوقفت [داعش] الجامعات الأهلية ومنعت فتح مواقع بديلة خارج سيطرة الخلافة.

(١) - مقال حول المناهج التربوية التي حذفها [داعش]. ٢٠١٤ / ٨ / ٣٠ www.kataeb.org

(٢) - موقع قناة العالم، ٢٨ / ١٠ / ٢٠١٧ www.ALalam.ir.news

وافتتحت [داعش] كلية للطب بمدة دراسة ٣ سنوات، في محافظة الرقة (معقل داعش) في سوريا، وتشمل الجانبين النظري والعلمي على ست مراحل. ووضع ديوان الصحة شروطاً للتقدم لكلية الطب التابعة له، منها:

١. أن لا يقل عمر المتقدم عن ١٨ عاماً، ولا يزيد عن ٣٠ سنة.

٢. أن يكون حاصلاً على الثانوية العامة للفرع العلمي بمعدل ٨٠٪ فأكثر.

٣. منح التسهيلات للذين منعتهم (ظروف الحرب) من الحصول على الشهادة الثانوية بالتقدم لإمتحان تنافسي، بشرط أن يكون معدله في الشهادة الإعدادية ٨٠٪ فما فوق.

ب-مدارس تنظيم الدولة

تمتد مدارس تنظيم الدولة بين دولتي «العراق وسوريا» وتشكل الموصل والرقة حجر الأساس في الأراضي التي تقبع تحت سيطرة تنظيم الدولة، فهذه المدن لم تخرج من سيطرة التنظيم منذ دخولها، مما دفع التنظيم لفرض سياسات معينة وتنفيذ أجنده الخاصة بشكل واضح عن بقية المناطق التي يسيطر عليها.

هذه الصورة مسربة من مدارس تنظيم الدولة تظهر فيها على لوح التعليم كلمة «كتب» فعل مضارع لأنه يقبل السين وسوف. يقول مدرّس اللغة العربية أ.ع. في ثانوية المدرسين في الموصل، ان مستوى التعليم الذي يُقدم اليوم في مدارس تنظيم الدولة لا يمكن أن يُقال عنه تعليم أصلاً. وفي تعليقه على الصورة الأخيرة، قال إنّ هذا المدرس لا يستحق أن يقف أمام الطلاب ليقدم لهم معلومات خاطئة، وأردف قائلاً: إنني أخشى أن تعود الأمية إلى المجتمع العراقي والسوري بسبب الصراع الحالي.

ويقول خالد عبد الله، أحد طلاب الإعدادية الشرقية بالموصل، إنه ترك التعليم بسبب خوفه من عناصر التنظيم الذين يزورون المدرسة بانتظام للبحث عن مقاتلين جدد، ما دفعه لترك التعليم والهروب إلى تركيا للعمل. وفي إحصائيات قمنا بها في مدينة الموصل والرقة فإن مدرسة واحدة من بين ثلاث مدارس لا تزال فاتحة أبوابها، حيث قمنا بأخذ عينات من مناطق مختلفة وصلت إلى ٢٠ عينة في الموصل و ١١ عينة في الرقة، ووجدنا أن نسبة المدارس التي يديرها التنظيم ولا تزال فاتحة الأبواب تصل إلى حوالي ٣٥٪، وهذا يعكس حجم الإقبال الضعيف من الطلاب، وعدم وجود كوادر تعليمية أيضاً، إضافة لعدم اعتراف العالم بشهادات تلك المدارس، وضعف المادة التعليمية، وخوف الأهالي من تجنيد الأبناء دفعهم لمنعهم من الذهاب للمدارس^(١).

ج-رسوم التسجيل

يبدو ان الظروف التي وصلت اليها [داعش] جراء الحرب المستمرة عليها والتي استنزفت قدراتها المالية وجعلتها تتجه إلى تحميل الاهالي كلفة تعليم ابناءهم فقد كشف موظف في دائرة تربية نينوى / (أبو عائشة): قيم الرسوم بشكل عملي وقال هناك:

- ١٢ دولار تقريباً على طالب المرحلة الابتدائية.

- ١٨ دولار تقريباً للمرحلة الثانوية.

- ٥٠ دولار تقريباً للجامعات.

(١) أحمد الملاح، القصة الكاملة لمناهج تنظيم الدولة، المدونة (AlModawana).

ويعلق إذا كان البعض مستعداً لإرسال أطفال للدراسة وفق مناهج الدولة الإسلامية فإن هذه الرسوم كفيلة بتغيير رأي الكثير منهم. وقد مرّ أسبوعان على موعد بدء الدراسة الذي أعلن (ديوان التعليم) وما زالت الغالبية الساحقة من الصفوف الدراسية خالية من المعلمين والطلاب على السواء. فإما أن مناهج [داعش] مجرد دعاية كعملته الذهبية - أو أنه مشروع جاد سينفذ بحد السيف عن قريب^(١).

يبقى أن نشير إلى أن اعتماد [داعش] على المدارس لا يأتي ضمن تحقيق غايات تربوية وتعليمية فقط بل لاستقطاب أكبر عدد من الأطفال والشباب وتعليمهم بطرق تتيح لهم الانضمام لصفوفه والقتال فضلاً عن زرع المفاهيم المتشددة في نفوسهم والاهتمام بتأهيلهم جسدياً لشن الهجمات الإرهابية.

د- خلاصة حول أهمية المدارس في دولة الخلافة

تكمن أهمية المدارس عند [داعش] في تحقيق مجموعة أهداف:

١. الطريقة الأمثل في التجنيد لصفوف التنظيم ومبايعة الخليفة والمشاركة في القتال عبر زجهم في ساحات القتال (جند الخلافة).
٢. تكريس الفصل بين الجنسين في التعليم، والدفع باتجاه تحقير مكانة الفتيات.
٣. اعتماد سياسة الدورة الشرعية للمعلمين والمدرسين، وهي بمثابة غسل دماغ وبمثابة اعتراف المدرس والمعلم بأنه كافرًا وتاب عن ذلك.
٤. إلغاء المواد الدراسية التي تحث على الفكر والنقد والتفكير البناء، والتركيز على مناهج التربية الجهادية وشطب إسم جمهورية العراق او الجمهورية العربية

(١) نقلاً عن موقع نقاش www.niqash.org (احاطات من داخل وعبر العراق) ٢٥-١٠-٢٠١٥.

السورية من المناهج ومنع رفع العلم الوطني في المدارس وساحاتها.

٥. اعتماد المدارس للتربية العسكرية الجهادية عبر تعليم إتقان صنع العبوات الناسفة وتخزين الأسلحة وزرع الأفخاخ وتهيئة الحاضنات، وتعيئة الأشبال والأطفال ليكونوا جنوداً ماهرين لصالح الدولة الإسلامية.

هـ- لجنة المناهج

في إشارة إلى اللجنة التي وضعت هذه المناهج، والتي يرأسها رئيس ديوان التعليم (ذو القرنين) الشخصية الألمانية الجنسية من أصول مصرية والذي تمّ استدعاؤه خصيصاً لهذا المنصب (وقد وردت ترجمة له في هامش الصفحة الأولى من البحث حول التعليم والتربية عند داعش)، ينقل (موقع رصيف ٢٢) إعلان [داعش] في الرقّة عن البدء بوضع مناهج دراسية خاصة به في محافظة الرقّة، وأنّ المواقع التابعة والمؤيدة نشرت إعلان لمن يجد في نفسه الكفاءة والخبرة من الأساتذة والمعلمين المختصين، ومن لديهم خبرة في تقديم مشروع مناهج دراسية للعلوم الدينوية، على حدّ تعبيره كلاً حسب اختصاصه، بالإضافة إلى دورة شرعية بعد انقضاء عطلة العيد.

كان هذا الاعلان تمهيداً لجمع عدد كبير من أصحاب الاختصاص للمشاركة في لجان وضع المناهج الجديدة.

واللافت في إعداد مناهج تنظيم الدولة، قبل تاريخ ١٠ يونيو/ حزيران ٢٠١٤ تاريخ سيطرة تنظيم الدولة على الموصل - ثاني أكبر مدن العراق من ناحية عدد السكان والمساحة الجغرافية - لم يكن أحد يتكلم عن إعداد مناهج خاصة بالطلاب، ولم يكن أحد يتوقع أن تطرح مناهج للمراحل الدراسية توافق

فكر وطرح التنظيم الأيديولوجي، فكلّ ما كان موجود هو عبارة عن تعليمات تطرح تحت توقيع ديوان التعليم توزّع في الرقّة وبعض المدن السورية، ولم تكن تتجاوز حينها غير منع بعض المناهج القديمة، وتحريم الإختلاط بين الطلبة في المدارس وبعض التعليمات للمدرسين والمدارس وإرسال بعض عناصر التنظيم إلى المدارس لغرض تجنيد الطلبة للقتال، خاصة في المراحل الاعدادية.

بعد سيطرة التنظيم على الموصل حدث انقلاب كبير في منهجية التنظيم حول النظر إلى ملفات التعليم فقد أصبح الأمر ملحاً، خاصة بعد أن أصبح ما يقارب ثلث سكان العراق تحت سيطرتهم وإعلامهم أنهم خلافة إسلامية، وبرزت مشكلة التعليم بشكل كبير جداً، ما دفع التنظيم لاتخاذ خطوة كبيرة، وهي إعداد مناهج خاصة بدولتهم التي يروّجون أنها أصبحت من الدول الكبيرة.

عقد ديوان التعليم في ولاية نينوى «الموصل» اجتماعاً موسّعاً بغرض اختيار نخبة من كوادره والكوادر القريبة منه تعمل على إعداد مناهج خاصة، وتمّ الطلب من اللجنة العمل بتفرغ كامل وستوفر لهم الإمكانيات لهذا العمل.

وفي تحقيق خاص^(١) جرى الوصول إلى أحد الموظفين العاملين في المكتبة المركزية في جامعة الموصل الأستاذ سمير ع.م. حيث قال: تمّ إبلاغنا بأن المكتبة المركزية في جامعة الموصل ستكون مقرّاً للجنة إعداد المناهج، وأنّ موظفي المكتبة سيكونون في إجازة طوال فترة عمل اللجنة. ويكمل الأستاذ سمير أننا مُنعنا حتى من زيارة المكتبة طوال فترة عمل اللجنة، وأنّ عدد اللجنة حسب الترتيبات الظاهرة في المكتبة المركزية تقارب الخمسين شخصاً في الاختصاصات المختلفة.

(١) التحقيق حصل عبر صحفي لم يذكر إسمه يعمل في موقع (رصيد ٢٢)، ونشره على

عملت اللجنة طوال ٩ أشهر لغرض إعداد مناهج، تبين أنها فيما بعد مناهج بنسخة تجريبية. ويقول موظف في جامعة الموصل مصدر سابق . إنَّ التنظيم منع أيَّ أحد من الاقتراب من المكتبة المركزية طوال تلك الفترة، وأنَّ وجبات الطعام كانت تصل بشكل منتظم إلى داخل المكتبة لأعضاء لجنة الإعداد، وكانت قيادات من تنظيم الدولة تزور اللجنة بين فترة وأخرى.

بعد جهد متواصل لغرض الوصول إلى أحد أعضاء اللجنة تمكنا من التواصل مع أقارب أحد أعضاء اللجنة وهو مدرس متقاعد لمادة الرياضيات، يقول إنَّه أُجبر على العمل في اللجنة بدافع من ابن أخيه-وهو أحد عناصر التنظيم- حيث علّق على المناهج بأنها تجميع من مجموعة مناهج قديمة وإعادة صياغة للأمثلة بما يتوافق مع رغبات التنظيم، إضافة للاختصار الشديد.

ويرد في كلامه لأحد أقاربه - الذي نقل لنا المعلومات - أن عناصر من ديوان التعليم وعدداً من الذين كانوا في لجنة الإعداد هم من المؤمنين بفكر التنظيم، ولهم كلمة الفصل في أيّ وضع للمناهج، وكانت المناهج بمتابعة من رئيس ديوان التعليم الذي كان يشرف على اللجنة بشكل مباشر. في الإصدار الذي بثّه التنظيم على مواقع التواصل الاجتماعي واليوتيوب تحت عنوان «عام على الفتح» في الذكرى السنوية الأولى له في سيطرته على مدينة الموصل تظهر واجهة بناية المكتبة المركزية في جامعة الموصل وأبواب قاعاتها الداخلية، وقد تم وضع عناوين مثل «لجنة مادة الجغرافيا» و«لجنة مادة الرياضيات» دلالةً على أنه مكان وضع المناهج الجديدة الذي اعتبرها التنظيم من أبرز إنجازاته خلال عام من دخوله مدينة الموصل وهي رسالة للجميع بأنه يبنى دولة حقيقية بكل تفاصيلها.

و- ردود الفعل على المناهج

عن المناهج الجديدة التي أصدرتها داعش:

- تقول أمل حامد / مشرفة تربوية متقاعدة / من الموصل (تقيم في السليمانية أثناء الأزمة) لقد توقعت ذلك قبل عام، فمسؤول التعليم هناك (أي في الموصل) يحمل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية ويدعى خالد الأعفري وهو من المتشددین في [داعش].
- المناهج التي ظهرت إلى العلن قبل أسبوعين (تاريخ المقال ۲۵-۱۰-۲۰۱۵) الموصل (موقع نقاش) على أقراص مدججة - وزعتها [داعش] على إدارات المدارس الابتدائية والثانوية ليتولى الطلبة طباعتها على نفقتهم الخاصة / أو يشترونها من المطابع التي باشرت بتحويلها إلى كتب ورقية.
- حجي سيرو، متخوف جداً من تأثير مناهج الدولة الإسلامية على الأطفال والمراهقين خاصة، لكنه يرى في الوقت نفسه أن التنظيم عاجز أكثر من أي وقت مضى على إدارة العملية التعليمية في المدينة - والدليل أن المدارس لم تفتح حتى الآن.
- نعم ثمة عزوف شبه كامل لأكثر من سبب - المناهج أحدها - والآخر وهو قرار ديوان التعليم - فرض رسوم على الطلبة (معللاً بالسعي لتوفير رواتب المعلمين والمدرسين والأساتذة في الجامعة) الذين يعزفون عن الدوام بسبب قطع الحكومة رواتبهم منذ شهور، الحكومة كانت قد بررت قرار حجب الرواتب كأجراء للحد من تمويل [داعش] التي تستولي على جزء من رواتب الموظفين.

ز- الكتب الدراسية : المحتوى والمضمون

ومن خلال حصولنا على مجموعة كتب دراسية مقرّرة من قبل ديوان التعليم (طبعة ابتدائية ١٤٣٧ هـ) وإطلاعنا عليها، وجدنا أنها تبدأ كلّها بمقدمة - موحدة في جميع الكتب -، نقتطف منها المقطع التالي للدلالة على الهدف من وضع هذه المناهج (كلبنة من بناء صرح الخلافة).

«تدخل الدولة الإسلامية اليوم عهداً جديداً من خلال وضعها للبنة الأولى في صرح التعليم الإسلامي القائم على منهج الكتاب، وهدى النبوة، وبفهم السلف الصالح، والرعيّل الأول لها. وبرؤية صافية لا شرقية ولا غربية - قرآنية بعيدة عن الأهواء والأباطيل وأضاليل دعاة الاشتراكية والرأسمالية وساسة الأحزاب والمناهج المنحرفة في شتى أصقاع الأرض. وقد نهضت الدولة الإسلامية - بأعباء ردّ أبناء الأمة الإسلامية إلى جادة التوحيد الزاكية، ورحبة الإسلام الواسعة، تحت راية الخلافة الراشدة ودوحها الوارفة، بعدما اجتالهم الشياطين عنها إلى وهداث الجاهلية، وشعابها المهلكة. لقد كانت كتابة هذه المناهج خطوة على الطريق، ولبنة من بناء صرح الخلافة»^(١).

ومن الواضح أنّ هذه المقدمة التي ترد في الصفحات الأولى لكلّ الكتب في مناهج [داعش] الدراسية تؤكّد وتجسّد فكر [داعش] الذي يرفض كلّ ما عداه من أفكار، ويعتبرها أباطيل وانحراف، كما تشير إلى ردّ أبناء الأمة الإسلامية (المنحرفون) إلى جادة التوحيد (تحت راية الخلافة الراشدة).

(١) كتاب الأدب العربي، الأول الشرعي، الفصل الدراسي الأول، طبعة ابتدائية ١٤٣٧ هـ، صادر عن ديوان التعليم، ص ٣.

وفي استعراض لبعض نماذج المحتوى في المقررات الدراسية نلمس بوضوح الخلفية المرجعية المستندة إلى السلفية الوهابية وتكريس الولاء لـ [داعش] ودولتها الوليدة. فمثلاً لو تصفحنا كتاب العقيدة - للصف الأول الشرعي (المكوّن من ٥٤ صفحة) فهو يحوي ١٩ درساً مقررأً، أبرزها: التوحيد وأقسامه، ومراتب الدين، وتاريخ الصراع بين أهل الحقّ وأهل الباطل، وأفكار إبن تيميّة في الولاء والبراء (واعتباره شرط الإسلام الصحيح) لا يصحّ إلّا بهما، وهذا المقرر مشابه كثيراً للمقررات الرسمية التي تدرّس في مدارس المملكة العربية السعودية من حيث المحتوى العقيدي وهذا يؤكد المنبت الديني الواحد لداعش والمملكة السعودية.

إضافة إلى إنتقاد وتكفير الأنظمة غير الإسلامية (الديمقراطية، القومية، الوطنية، البعثية) مع تخصيص درس لكلّ مصطلح من هذه المصطلحات الأربعة ونقدها. (الدرس ١٣/١٤/١٥/١٦) إضافة إلى درس حول التشبّه بالكفار، باللباس وقصّات الشعر، واستحسان ما هم عليه.

وضرورة تمييز المسلم عن الكافر في اللباس والمظهر. ودرس أخير حول الكفر بالطاغوت (وهو بالكامل منقول عن محمد بن عبد الوهاب) ص ٤٧-٤٨.

أما كتاب السياسة الشرعية (٧٣ صفحة) وهو للصفّ الأول الشرعي - الفصل الدراسي الأول طبعة ابتدائية ١٤٣٧ هـ، فيؤكد في صفحاته الأولى الأهداف العامة لهذه المادة بثلاثة عناوين:

- ١- الإسلام دين ودنيا - شريعة وسياسة.
- ٢- الخلافة هي نظام الحكم الشرعي الوحيد في ديار المسلمين.
- ٣- واجبات الإمام هو حفظ الدين وسياسة الدنيا بالشرع الحنيف.

ويشرح في الوحدة الاولى السياسة وعلاقتها بالشريعة، وفي الوحدة الثانية يتناول موضوع وجوب إقامة الدولة الإسلامية وتعريف الإمامة، وطرق انعقادها وشروطها ووجوب البيعة وأسس تعيين الولاة والأمراء والعمال.

وتشهد معظم الكتب المدرسية - مثل العلوم والرياضيات - رسوماً وصوراً لمختلف أنواع الاسلحة الرشاشة، مع الإشارة لأسمائها، وهي تملأ المساحات الفارغة من الصفحات في هذه الكتب، والتي تتكرر بين درس وآخر.

كما توجد عبارة (باقية.. وتتمدد) في العديد من الكتب الدراسية مثل كتاب اللياقة البدنية.. وهذه العبارة تقترن بإسم الدولة الإسلامية في الشعارات التي يرددونها عناصر [داعش]. بحماسهم المعهود أثناء تجمّعهم أو تدريباتهم العسكرية. ونذكر بعض عناوين الكتب المدرسية المقررة الأخرى^(١).

- التوحيد (٤- أجزاء- للصفوف الابتدائية)، وهو مستند إلى فكر محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية.

- فقه السلوك (الصف الأول- إلى السادس ابتدائي- ٦ أجزاء).

- التربية الجهادية جزءان، المستوى الأول للصف الثاني والثالث ابتدائي، المستوى الثاني للصف الرابع والخامس ابتدائي.

- كتاب القرآن وتفسيره للصف الأول الشرعي^(٢) (٤٨ صفحة).

- مصطلح الحديث للصف الأول الشرعي ويحوي درس في تعريف علم الحديث

(١) - موقع عربي ٢١، الرقة، عمر الهويدي، الاربعاء ٣٠/٦/٢٠١٤.

(٢) الصف الأول الشرعي، يقصد به الأول الثانوي، من خلال الاطلاع على المضمون الذي يناسب هذه الاعمار.

وغاياته وأقسامه وأنواعه والصحيح منه والمردود والضعيف (٢٨ صفحة)
الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ.

- معاني النحو- للصف الأول الشرعي - الفصل الدراسي الأول- ويجوي
معنى الخبر وأغراضه وأسلوب المدح والذم - وأساليب وصياغة التعجب (ويقع
في ٣٨ صفحة).

واللافت أن معظم الأمثلة تتحدث عن القتال وآيات الإنذار للكافرين
والمشركين، وأبيات شعريّة حماسية، وفي الفراغات من الصفحات رسوم لأسلحة
من أصناف مختلفة. وللوهلة الأولى يشعر المتصفح لهذه المقررات انها أعدت
لتحويل المدارس إلى معسكرات اعداد اشبال مقاتلين سينطلقون إلى جبهات
الحرب بعد انتهاء مرحلتهم الدراسية.

ولا تقتصر هذه الادلة للكتب الدراسية على مواد معينة ومحددة بل تشمل
كل المقررات الدراسية. وتتناول فيما يلي بعض نماذج هذه الكتب ومحتوياتها
بشكل موجز لتعميق المعرفة حول المنهج الدراسي المعتمد لدى داعش:

- كتاب التاريخ: للصف الأول الشرعي / الفصل الدراسي الأول / طبقة
ابتدائية (١٤٣٧ هـ): ونقرأ في الفهرس الموضوعات للدروس والمحتوى الذي
يتحدث عن أحوال العالم، مثل البعثة النبويّة، ثم البعثة، ثم السيرة النبوية في
العهد المكّي والدعوة السريّة، وصولاً إلى الخروج من مكة والهجرة، وصولاً إلى
السيرة النبويّة في العهد المدني، وتشريع القتال، والغزوات التي حدثت في حياة
الرسول ﷺ حتى حجة الوداع ومرضه ووفاته. اما أهداف المادة فهي مبينة
بالتالي:

- تنقية التاريخ من الأباطيل التي أُفحمت فيه.
- تعريف الطالب بسيرة الرسول للإقتداء بها.
- ترسيخ القيم الجهادية في نفوس أبناء الأمة.
- تبصير الطالب بموقف الولاء والبراء التي حدثت في السيرة النبوية والخلافة الراشدة.

وتبدأ المادة بالحديث النبوي (الصحيح) الذي يشير إلى المراحل التاريخية التي ستمر على المسلمين وهي: - عصر النبوة - عصر الخلافة الراشدة - عصر الملك العضوض (فيه عسف وظلم) عصر الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية - عصر الملك الجبري (حكم الطواغيت المرتدين - الأنظمة الكفرة) - عصر الخلافة على منهاج النبوة. والذي بدأ بتأسيس دولة الخلافة في عصرنا الحاضر. بعد الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية وخلافة أمير المؤمنين أبي بكر البغدادي.

- كتاب اللغة الانكليزية - للصف الخامس ابتدائي:

English-for the Islamic state/Book five primary printing. H-1437.

دروس حول الجروح وكيفية تضميدها، وصور عن جرحى ومصابين في المعارك، بُترت رجل احدهم، وصور عن حرائق في مباني وكيفية المساعدة في إطفائها. ودروس في الكمبيوتر الذي يحمل - في الصورة - على شاشته شعار الدولة الإسلامية وعبارة دولة الخلافة الإسلامية. وجميع الصور المستخدمة للأطفال يلبسون فيها اللباس الأفغاني أو الدشداشة العربية. أما صور الرجال فيها فجميعهم ملتحون ويلبسون اللباس الأفغاني أو اللباس العسكري المرقط.

- الإعداد البدني- دليل المعلم: المستوى الثاني لمرحلي المتوسط والإعدادية- الفصل الدراسي الأول في المقدمة - أهداف المادة:

تحتوي المادة على تمارين الاحماء وبعض التمارين السويدية وتمارين الإطالة لزيادة اللياقة البدنية للطلبة ليكونوا مؤهلين لدورة عسكرية، و ثم إضافة معلومات عسكرية عن البندقية الخفيفة AK47 (الكلاشنكوف). وقد رُوِيَ في هذه المرحلة العمرية الفروق الفردية للطلبة ل يتم صياغة الخطط على أسس علمية وتربوية. وتبدأ الصفحات بصورة عَلم الدولة الإسلامية وشعارها، ورسم لمقاتل ينزل بالربال من هليكوبتر. في الصفحة ٣٨ / ثلاث صور لأنواع من بندقية الكلاشنكوف، - AKM - AKM بالأخمس الحديدي قابل للطي - AK47. تليها الصفحة ٣٩ مواصفات السلاح - وحجم وأوزان كل قطعة منها. وجميع المواصفات التفصيلية لسرعة الطلقة - ومعدّل الرماية... الخ.

أما في الصفحة ٤١ فصورة للسلاح مفكك، واسم كل قطعة منه، ويصار فيها توجيه لتدريب الطلبة على تفكيك السلاح وإعادة تركيبه. وفي الصفحات التالية كيفية تنظيف السلاح، ومعالجة أعطاله، ثم وضعيات الرماية.

- الجغرافيا (الجغرافيا الطبيعية): للصف الأول الشرعي/العلمي - الفصل الدراسي الاول/ طبعة ابتدائية ١٤٣٧ هـ (ويقع في ٧٧ صفحة)، ويقسم المحتوى إلى أربع وحدات:

الأولى - دروس حول المفاهيم الطبيعية على سطح الارض - وصخور القشرة الأرضية ومكوناتها.

الثانية - دروس حول التضاريس والسهول والهضبات والأودية.

الثالثة - دروس حول الطقس والمناخ والنبات الطبيعي.

الرابعة - دروس حول العمليات، والجيو مورفولوجية والتعرية والزلازل والبراكين.

مع الآيات القرآنية التي تتصدر كلّ درس، ورسوم توضيحية وصور طبيعية في معظم الدروس.

والملفت عدم وجود خرائط أو أيّ ذكر للقارّات والدول والتقسيمات الحدودية كما هو متعارف في كتب الجغرافيا، بل الاقتصار على الطبيعة وليس على الجغرافيا البشرية أو السياسية. نظراً لعدم اعترافهم بحدود الدول والانظمة القائمة فيها.

- أصول الفقه: للصف الأول الشرعي - الفصل الدراسي الأول - طبعة ابتدائية ١٤٣٧ هـ. ويقع في (٤٥ صفحة) وفيه قسمان: (الأدلة الشرعية - والأحكام الشرعية)، ويجوي بعد المقدمة المتكررة في كل الكتب (والتي تحدثنا عنها سابقاً) تمهيداً لأصول الفقه، ثم دروساً في الأدلة الشرعية، والسنة وحجيتها، والإجماع والقياس، والأدلة المختلف فيها، والاستصحاب والعمل به، وقول الصحابي، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسدّ الذرائع. ويذكر في التوضيح أنّ تقديم الأدلة الشرعية على الأحكام الشرعية لشرفها ويُسرّ تذاكرها. وفي الصفحة العشرين من الكتاب - نجد أمثلة على الاحتجاج بالاجماع منها:

١. كفر الحاكم بغير ما أنزل الله، ومن تحاكم إلى غير الشرع فهو كافر.

٢. كفر من ناصر الكفار على المسلمين.

٣. وجوب الخروج على الحاكم المرتد (وهو يجب على كل مسلم، ومن داهنه فعليه الإثم).

٤. اشتراط القرشية في الخليفة.

وكل هذه الامثلة - كما هو بيّن - تخدم فكرة الخليفة والدولة الإسلامية وهي تكريس لخلافة البغدادي، كما أنها للتأكيد على ثقافة التكفير التي يراد لها أن تكون ثقافة المجتمع في دولة الخلافة لتكفير ورفض كل ما عداهم.

- كتاب الكيمياء: للصف الأول العلمي - الفصل الدراسي الأول - طبعة ابتدائية - ١٤٣٧ هـ. ويقع الكتاب في (١٠٢ صفحات)، ويحوي خمس وحدات دراسية، كلٌّ منها في عنوان عام، وينقسم إلى عناوين فرعية. وتتصدر كل درس آية قرآنية من وحي موضوع الدرس:

١. الوحدة الأولى: حول المفاهيم الأساسية للذرة وقوانينها- والكتلة الذرية- والمول والنسب المئوية للعناصر- والصيغة الكيميائية.

٢. الوحدة الثانية: حول تطور المفهوم الذري والجدول الدوري- والإشعاع الكهرومغناطيسي- وأعداد الكمّ- والجدول الدوري- والخواص الدورية.

٣. الوحدة الثالثة: حول الغازات- والنظرية الجزيئية ووحدة قياس الغازات وقوانينها (القانون الموحد- قانون الغاز المثالي- قانون دالتون- قانون كراهام) وتسييل الغازات.

٤. الوحدة الرابعة: المعادلات والحسابات في التفاعل الكيميائية- المعادلة الكيميائية الموزونة- وكيفية احتسابها- والنسب المئوية للنتاج.

٥. الوحدة الخامسة والأخيرة: حول المحاليل وأنواعها وقابلية الذوبان، وتركيز المحلول والمولارية، والمحلول الغروي والحقيقي والعالق- وتأثير المذاب على المذيب.

ويُلاحظ في المواضيع التي احتواها كتاب الكيمياء أنّ غالبيتها مواد تصلح للإستخدام في صناعة التفجير للعبوات الناسفة، وبالتالي هي دروس تمهيدية تقدم فكرة كاملة حول المواد التي يحتاجها العمل العسكري والأمني - الذي يجبر الطلاب على التدريب عليه والإنخراط فيه.

المبحث الثالث

المرأة في مجتمع داعش

لا يمكن الحديث عن الدولة دون التطرق إلى المجتمع (الشعب) الذي يشكّل أحد أهم عناصرها، ولا يمكن النظر إلى المجتمع نظرة أحادية لا تشمل المرأة ودورها فيه، من هنا يتوجب على الباحث في موضوع تجربة دولة الخلافة أن لا يعفي نفسه من البحث عن النصف الآخر في مجتمع الدولة أي النساء، لا سيما عندما يكون موضوع المرأة وتمكينها، ودورها في المجتمع وفي السياسة أحد نقاط السجل اليومي، وموضوع استغلال لدى مؤيدي ومعارضتي الدولة الإسلامية في الترويج لها، أو نقدها وإتهامها على حد سواء.

٣٧٩

وللوهلة الأولى يحضر في الذهن، التعارض بين طبيعة [داعش] العنيفة والقاسية من جهة، وبين طبيعة المرأة العاطفية والحساسة، التي لا تميل إلى هذا النمط من الحياة عادة.

والسؤال الذي يطرح نفسه في البحث هنا: هل تمّ تحويل النساء عند [داعش] إلى دمي وعرائس للجهاديين؟، وهل تم استغلالهن من قبل الدولة الإسلامية عبر آليات الاستقطاب والجذب؟، وهل وقعن ضحية الدعاية التي أطلقتها الدولة وأوصلتها إلى أبعد مدى من الانخراط بالعمل العسكري، حتى أصبحنا نشهد عمليات انتحارية للبعض منهن؟.

ثم ما هي الأسباب التي دفعت عدداً من النساء من معظم بلدان العالم للإنتهاء إلى [داعش] والقبول بالتضحية بكل شيء في سبيل الالتحاق بأراضي

الدولة الإسلامية، على الرغم من انتهاج التنظيم أفكاراً وسياسات تؤسس لمجتمع ذكوري أبوي.

وكيف تخطى السلفيون الجهاديون معضلاتهم الفقهية (في فقه المرأة) للوصول إلى مرحلة تهاجر فيها أكثر من ٥٥٠ امرأة جهادية من أوروبا وحدها إلى أراضي الدولة الإسلامية في العراق وسوريا؟ فضلاً عن الآلاف من النساء من العالمين العربي والإسلامي^(١).

وهل هناك عوامل لها علاقة بخلفيات وأسباب الالتحاق عند هؤلاء النساء تتعلق بالمستوى التعليمي المنخفض أو المستوى الاقتصادي المتدني أو الخلفيات العائلية غير المستقرة والمأزومة مثلاً؟.

هذه الأسئلة وغيرها تدفعنا للبحث في الثنايا، والقراءة عن قصص هذه النساء، والتعرف على أحوالهن بعد الالتحاق، والاستماع لشهادتهن عندما يتسنى لنا ذلك بشكل مباشر أو عبر وسائل الإعلام والانترنت. أو البحث في المصادر والمراجع المعتبرة التي تحدثت عن الموضوع وما يتعلق به وأنجزت دراسات حوله.

ولكن بداية لا بد من تعريف وتصنيف المرأة الجهادية، بغض النظر عن الجغرافيا التي تتواجد فيها سواء داخل أراضي الدولة أو خارجها، ولكنها تلتزم بأفكار ومنهج الدولة الإسلامية وتعمل من أجلها، فحسب الباحثان محمد أبو

(١) أكدت تقارير صحفية متعددة، ومصحوبة بصور فيديو وبعض المقابلات السريعة مع الخارجيين من الباغوز (آخر معاقل [داعش]) قبل سقوطه، على وجود ثلاث تجمعات لعوائل مقاتلي [داعش] في المناطق الكردية، تضم عشرون ألف طفل وتسعة آلاف امرأة من البلاد العربية والاجنبية، راجع تقرير نشرته قناة (فرانس ٢٤) حول الموضوع بتاريخ ٢٣ شباط / ٢٠١٩.

رمان وحسن أبو هنية، يمكن تصنيف المرأة الجهادية إلى أربع فئات:

١. المهاجرات إلى أراضي الدولة الإسلامية، أو اللواتي حاولن الهجرة إليها.
٢. المرأة التي تعلن صراحة إيمانها بأفكار الدولة أو القاعدة أو الجماعات الجهادية المعروفة.
٣. النساء اللواتي شاركن أو حاولن المشاركة في عمليات إرهابية أو انتحارية.
٤. النساء اللواتي أُعتقلن على خلفية تلك المحاولات أو خلفية نشاطهن لصالح الدولة الإسلامية أو دولة الخلافة، أو القاعدة والتنظيمات السلفية الجهادية الأخرى^(١).

وإذا كانت مسألة انخراط الجهاديات في صفوف تنظيم «القاعدة» محدودة الأثر والتأثير وذات أدوار هامشية (على الأقل في ما أظهرته الأحداث ووسائل الإعلام والسجون التي ضُمَّت معتقلي القاعدة في العالم، والمعلومات المنشورة عن القاعدة ونشاطاتها)، فإن حقبة صعود الدولة الإسلامية أو دولة الخلافة، قد شهدت تنامياً وتطوراً لافتاً على هذا الصعيد، يشير إلى تبدل وتغير في أدوار النساء الجهادية التقليدية. فقد شهدت هيكلية الدولة الإسلامية، تشكيلات نسائية خاصة (كتيبة الخنساء)، ضمن شرطة الحسبة وهي قسم خاص بالنساء تعمل ميدانياً لضبط التزام النساء ضمن أراضي الدولة الإسلامية بالحجاب وتطبيق أحكام الشريعة عليهن. كما شهدنا مضافات خاصة لاستقبال النساء المهاجرات تشرف عليها وتعمل فيها مجندات دولة الخلافة، كما نشرت وسائل الإعلام وتحدثت عن العديد من العمليات الانتحارية التي قامت نساء مجندات في دولة

(١) حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، عاشقات الشهادة - تشكيلات النسائية الجهادية (من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية)، مؤسسة فريديش ايبيرت، بدون سنة، ط ١، ص ١٦.

الخلافة الإسلامية. فضلاً عن النشاطات الدعوية والاجتماعية التي مارستها. والمتصفح للمواقع الجهادية على الانترنت، خصوصاً المواقع التابعة أو المؤيدة للدولة الإسلامية، أو القارئ لمجلة دابق وصحيفة النبأ، يلحظ بوضوح الدور الذي تلعبه المرأة في صناعة الدعاية للدولة، «التي تدرك على ما يبدو أهمية عمل المرأة في هذا المجال وفاعليته ضمن الاستراتيجية الإعلامية التي تستند إلى رؤية دينية شمولية تؤمن بنظام الخلافة، وهي ليست مجرد ضحية ساذجة، كما تصورها الصور الاستشراقية النمطية»^(١).

أ- دراسة تجريبية حول النساء في داعش

فقد نشر موقع (news sky عربية) تقريراً يقول: بحسب الخبراء فإن تكتيكات النساء في [داعش] في عملية التجنيد، دفعت «فيسبوك» إلى تمويل دراسة تجريبية تحاكي أساليب أولئك النسوة لمعرفة كيفية وصولهن إلى الأفراد المستهدفين والقدرة على تغيير وجهات نظرهم نحو الإرهاب والتطرف.

توضح سالتمان*: دور النساء في [داعش] لا يتمثل في حمل الاسلحة أو التقاط الصور التذكارية في الصحراء، إنهن يلعبن دوراً محورياً من وراء الكواليس/ ونفس الكلام ينطبق على الحركات المتطرفة التي تؤمن بتفوق العرق الأبيض (اليمينية).

وتردف: إنهن يجهدن إلى درجة كبيرة لتجنيد الإرهابيين والمتطرفين من خلال أساليب عاطفية وإنسانية تلعب على وتر المظالم وتعسف الحكومات والأنظمة،

(١) المصدر نفسه. ص ١٨.

* إيرين سالتمان (المدير الرئيسي لسياسة مكافحة الإرهاب في فيسبوك).

بحيث يقنعن الشخص المستهدف ان التطرف والإرهاب هو الحل. فمبدأ التجنيد يعتمد بشكل أساسي على سلعة الكلام، والنساء جيدات في هذا الأمر.

وللتدليل على أهمية النساء في تجنيد المتطرفين والإرهابيين فإن دور سالي جونز أو «الأرملة البيضاء» في تنظيم [داعش] الإرهابي كان بادياً للعيان، ونفس الأمر ينطبق على «توأمتي الإرهاب» زهرة وسلمى هالان من مدينة مانسستر البريطانية، واللتان استخدمتا أساليب «رومانسية وعاطفية» عبر الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي لحث النساء على الانضمام للتنظيم المتطرف^(١).

وضمن نفس الدراسة، قام باحثون في معهد الحوار الاستراتيجي، بتوظيف ضحايا الإرهاب ومتطرفات سابقات، وتبين ان أفضل من كان لديها قدرة على الاقناع هي امرأة انضمت لفترة من الزمن إلى [داعش] قبل أن تغادره.

٣٨٣

وقد جرى تقسيم عينة الدراسة إلى رجال ونساء، من بين (٥٦٩) شخصاً جرى التواصل معهم، كان هناك ٧٦ مقابلة طويلة، وأظهرت ثماني علامات وضعت لقياس النتائج وجود نجاح كبير للنساء في التجنيد.

وقالت سالتان: «أثناء عمليات التجنيد تبحث النساء الإرهابيات في البداية عن أرضية مشتركة للنقاش، ثم يقمن بعد ذلك بخوض النقاشات بناءً على ذلك.

ومن خلال الدراسة التجريبية تبين ان الفتيات والنسوة كن قادرات على تحقيق نتائج مبهرة في الوصول إلى كلا الجنسين من الأشخاص المستهدفين.

(١) إيرين سالتان: تجنيد الإرهابيين، موقع سكاي نيوز عربية، ١٠/ ديسمبر/ ٢٠١٨ (نساء [داعش] الوديعات «الاقوى» في الاستقطاب والتجنيد).

وفي الختام أوضحت سالتان التي تقود فريق يضم أكثر من ٢٠٠ خبير في مكافحة الإرهاب يشرف على (١٥) ألف شخص من مراجعي محتوى فيسبوك على مستوى العالم، ان منصة التواصل الاجتماعي أزال ٣, ١٤ مليون منشور تتضمن محتوى إرهابي في الأشهر التسعة الأولى من العام الجاري (٢٠١٨).

هذه الدراسة وغيرها من المراجع والمصادر^(١)، تؤكد أن من أهم الأدوار التي استثمرت فيها النساء في الدولة الإسلامية، هي التجنيد والاستقطاب، وكنا أشرنا إلى ذلك سريعاً في البحث تحت عنوان الاستقطاب والتجنيد، في الفصل الرابع.

ب- المرجعيات الفقهية للمرأة بين القاعدة وداعش

لا بد من التعرف على آراء ومواقف المرجعيات الفقهية والتنظيمية للقاعدة وداعش في مجال دور المرأة الجهادي وحدوده من خلال استعراض نصوص لهذه المرجعيات، وتنظيرات أيديولوجية للجهادية المعاصرة في العمل النسوي وهي في غالبيتها الساحقة تشير إلى أدوار تقليدية.

وللتأكيد على تقليدية دور النساء في خطاب منطريّ وشرعيّ القاعدة نورد هنا مقطع من وصية عبد الله عزام المنظر الفكري الأول للقاعدة وشريك ابن لادن في تأسيس القاعدة للتدليل على النظرة القاعدية للمرأة:

(١) من المراجع المهمة في هذا المجال: دراسة قام بها الباحثان حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، لصالح مؤسسة فريدريش ايبرت الألمانية، مكتب عمان، منشور على الانترنت، بعنوان عاشقات الشهادة- تشكيلات النسائية الجهادية من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية. باللغة العربية، بدون سنة إصدار، ولا دار نشر. ولكن يشير الكاتبان في المقدمة بأن الكتاب ترجم إلى الألمانية والانكليزية، ونشر بهاتين اللغتين.

«يا معشر النساء: إياكن والترف، لأن الترف عدو الجهاد، والترف تلف للنفوس البشرية، واحذرن الكماليات واكتفين بالضروريات، وربين أبناءكن على الخشونة والرجولة وعلى البطولة والجهاد، لتكن بيوتكن عريناً للأسود. وليس مزرعة للدجاج الذي يسمن ليذبحه (الطغاة). أغرسن في أبنائكن حب الجهاد وميادين الفروسية وساحات الوغى وعشن مشاكل المسلمين وحاولن أن تكن يوماً في الاسبوع على الأقل في حياة تشبه حياة المجاهدين والمهاجرين حيث لا يتعدى الإدام الخبز الجاف وجرعات من الشاي»^(١).

إن السلطة المرجعية للمؤسسة الجهادية النسائية المعاصرة تستند على صعيد الأيديولوجية النظرية والممارسة وطبيعة الأدوار وحدودها - إلى المصادر الفقهية السنية ومذاهبها الرئيسية، وهي مصادر تكاد تكون متطابقة في الأحكام المتعلقة بجهاد المرأة، وتعتمد على سير الصحابييات والتابعيات اللاتي شاركن بطرائق عديدة في الأعمال الحربية والفتوحات، كمساندات بصورة أساسية، ومقاتلات بحالات استثنائية.

فثمة توافق كبير في المراجع الفقهية على عدم وجوب قتال المرأة في حالة الجهاد الهجومي، في مقابل التساهل أو القول بالاستحباب أو بالوجوب في حال الدفاع، إذ تتحدث المصادر السنية عن دور النساء في الفتوحات وأدوارهن اللوجستية المتعددة، كشحذ همم الرجال، والتطبيب والمؤازرة والرعاية، ونقل الماء والسلاح وإعداد الطعام للجيش، وحراسة الأسرى، وغيرها من الأعمال

(١) عبد الله عزام/ وصية الشهيد عبد الله عزام، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_9082.html.

غير القتالية المباشرة^(١).

ونقرأ لأبي محمد المقدسي المنظر السلفي الجهادي البارز، في حديثه عن المرأة والجهاد، وهو لا يخرج عن الأطر التقليدية، قائلاً بأن مكان المرأة الأساسي هو البيت، ويحاجج بأن مكانة المرأة في الإسلام تتفوق على المنظورات الحديثة، ويؤكد على دورها في حمل راية الإسلام، والدفاع عن أمته، فيقول: «والمأمل بتاريخ المسلمين يرى دور المرأة الفاعل في نصرة الدين ورفع رايته، حيث اشتركت منذ فجر النبوة، فكان أول من آمن بالنبى ﷺ وصدقته امرأة، وفي بيعة العقبة كانت المرأة مشاركة، وفي قصة الهجرة كانت عوناً ودرءاً، وفي كثير من غزوات المسلمين كان للمرأة تواجد ومشاركة واضحة على مستوى المشورة وإعانة المقاتلين بصور شتى بل وبالقتال»^(٢).

٣٨٦

أما أبو قتادة الفلسطيني فيؤكد الرؤية قائلاً: «دور المرأة المهم في التربية، في صناعة النساء للرجال، وتربية أبنائها على حسب الجهاد والتضحية والشهادة في سبيل الله»^(٣).

(١) للمزيد من التفصيل في الأحكام الفقهية للنساء، أنظر: عالية أحمد صالح ضيف الله، أحكام جهاد المرأة في الشريعة الإسلامية وصوره المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠١٣ م. (وتروي عائشة أنها قالت: هلى على النساء جهاد؟ فقال: جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة)

2004 http://elibrary.media.edu.m.y/books/Mal_11744pdf.

(٢) ابو محمد المقدسي، مشروع الشرق الاوسط الكبير، منبر التوحيد والجهاد، ص ٥١، على الرابط المذكور سابقاً للمنبر.

(٣) ابو قتادة الفلسطيني، لقاء غرفة الفجر الإسلامية في برنامج بالتوك، مؤسسة التحايا،

<http://doramouba3tara.blogspot.com/2015/6/30html> ٢٠١٥ / ٦ / ١ م.

وهو أفتى بعدم جواز هجرة المرأة للمشاركة في الجهاد دون إذن وليّها وأجاز لها السفر للالتحاق بزوجها إذا كان ذلك مأموناً.

ومن خلال المراجعة التاريخية لمسار الجهاد الأفغاني يمكن ملاحظة استبعاد المرأة من الأعمال القتالية خلال حقبة الجهاد الأفغاني، سواء لدى الجماعات الأفغانية، أو لدى كافة الجماعات المتضامنة العربية والإسلامية فعلى الرغم من زيادة انخراط المتطوعين العرب بالقتال فقد بقيت المرأة مستبعدة^(١).

ويمكن القول بأن الأصول الفكرية المرجعية لنساء القاعدة والدولة الإسلامية هي ذات الأصول والمصادر الذكورية التي تعود إلى المدرسة السلفية بنسختها السعودية الوهابية، والمدرسة الحركية بترسيمها القطبية، على أن نساء القاعدة كرجالها، أقرب إلى استلها المصادر المرجعية لسيد قطب بينما تستلهم نساء الدولة الإسلامية [داعش] كرجالها، المستندات الفقهية لمحمد بن عبد الوهاب^(٢).

فلم تحظ مشاركة المرأة في [تنظيم القاعدة] باهتمام مؤسس التنظيم اسامة بن لادن وخليفته أيمن الظواهري، إذ تخلو خطاباتهم ورسائلهم من الحديث حول قضايا المرأة، وتقتصر مساهمتهم الفكرية على بعض التوجهات النادرة بالتشديد على عدم مشاركة المرأة في الأعمال القتالية والحفاظ على أدوارها التقليدية في رعاية المنزل، وتربية جيل جهادي باعتبار ذلك ذا قيمة أساسية في الحفاظ على الهوية. ولم نر في الهيكل التنظيمي للقاعدة أيّ حيز تنظيمي للعمل النسائي، رغم وجود حالات فردية نسائية رغبن بالالتحاق والمشاركة والانتفاء للتنظيم.

(١) ابو محمد المقدسي، مشروع الشرق الاوسط الكبير، منبر التوحيد والجهاد، ص ٥١، على الرابط المذكور سابقاً للمنبر.

(٢) محمد ابو رمان، حسن ابو هنية، عاشقات الشهادة، مصدر سابق . ص ٥٧.

وقد بدأت فروع التنظيم الاقليمية باستدخال المرأة بطرائق عدة في المجالات الدعوية والدعائية لاحقاً عن طريق فروع التنظيم في جزيرة العرب بقيادة يوسف العييري الذي أولى عناية خاصة بالمسألة الإعلامية النسائية، ومشاركتهن في الأدوار اللوجستية، كجمع التبرعات، ورعاية أسر القتلى والسجناء.

ودافع عن من سمّاهما سيدة المجاهدات في الشيشان «حواء برايين» التي قامت بعملية استشهادية عندما وصفها البعض بأنها «متحرة»^(١).

ج- الزرقاوي يستعين بالمرأة

لقد بادر [الزرقاوي] إلى إدخال النساء في الأعمال القتالية وصولاً إلى العمليات الانتحارية، وشهدت مشاركة المرأة في الدولة الإسلامية طفرة في عملية التجنيد والاستقطاب، منذ سيطرتها على مدينة الرقة السورية ومدينة الموصل عام ٢٠١٤، وإعلانها قيام الخلافة الإسلامية، حيث التحقت مئات النساء بالدولة الإسلامية من مختلف أنحاء العالم.

ويبدو أنه كلما اقترب المشروع من تنفيذ فكرة الدولة والخلافة ميدانياً وبالتالي ظهرت الحاجة إلى المؤسسات والتعامل مع المجتمع والعالم بعقلية الدولة وليس التنظيم أو العصابة فإن الالتفات إلى دور المرأة يأخذ مكانه ويفرض نفسه. فقد فرض توسيع الدولة الإسلامية، وضرورة حضور المرأة في مجالات الصحة والتعليم والحسبة (الشرطة النسائية) وغيرها، ونشطت نساء الدولة الإسلامية في مجال الدعاية والتنظير الفقهي وتدريس الشريعة، وشاركت بعض النساء في

(١) انظر: يوسف العييري، هل انتحرت حواء أم استشهدت، ص ٢، منبر التوحيد والجهاد،

الأعمال القتالية وخصوصاً العمليات الانتحارية^(١).

ويعتبر هذا الأمر تحوّلاً يتمثل بمشاركة المرأة في تأسيس خطاب جهادي نسائي، يساعد على تأسيس وتجنيد واستقطاب ليس أفراداً جهاديين فحسب تحتاهم الدولة كمقاتلين، بل أسر وعوائل جهادية يشكلون جزءاً أساسياً من الحاضنة الاجتماعية الجهادية التي تحتاجها الدولة في تثبيت أركانها في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والساحات الداخلية التعليمية والصحية والمهنية المختلفة.

لقد أصبحت المرأة بناءً على هذا التحوّل، تتحدث عن نفسها بدلاً من حديث الرجال عنها، ومع ذلك لم تخرج مقولات النساء وخطابهن في الدولة الإسلامية عن اجتهادات وتفسيرات المنظرين والقادة الذكور، كونها تستند إلى الشريعة الإسلامية التي لا مجال فيها لتفسيرات نسوية وأخرى ذكورية، مع الإقرار بأن جميع منظري الجهادية في الدولة كما في القاعدة هم من الذكور فقط.

ولا يفوتنا أن نذكر ملاحظة بارزة في مسار عمل القاعدة وابن لادن ثم أبو مصعب في معسكر هيرات في أفغانستان، وهو أنهم أدركوا مبكراً أهمية الروابط العائلية بين المجاهدين، لذا رأينا علاقات المصاهرة بين بعضهم البعض متكررة وعديدة «لتكوين مجتمع إسلامي مصغر» يشكل نواة المجتمع أو الدولة التي يطمحون لإقامتها لاحقاً، وتعددت الزوجات لكل منهم لتأكيد وتمتين هذه الروابط^(٢).

(١) محمد أبو رمان، حسن أبو هنية، عاشقات الشهادة، مصدر سابق . ص ٥٨.

(٢) ابن لادن، تزوج خمس مرات، وأنجب عشرين ولداً وبناتاً، وزوج أبناءه مع عوائل المجاهدين وأعطى بناته أيضاً لأزواج من المجاهدين. والزرقاوي تزوج أكثر من مرة، وهو قام بتجهيز والد زوجته الثانية (ياسين جراد) لتفجير نفسه في محيط مرقد الامام علي عليه السلام في النجف بتاريخ ٢٩/٨/٢٠٠٣. (راجع فواز جرجس، [داعش] إلى أين؟ مصدر سابق، ص ٧٥).

في سياق توسع [الزرقاوي] باستخدام العمليات الانتحارية لاستهداف القوات الأميركية والشيعة، وتزايد الانتقادات بهذا الشأن، وتمهيداً لاستدخال المرأة في العمليات الانتحارية شدد [الزرقاوي] في كلمة بعنوان «وعد أحفاد ابن العلقمي» في مايو/ أيار ٢٠٠٥ على جواز العمليات الانتحارية ومسألة كفر الشيعة ولخص ما قرره شيخه أبو عبدالله المهاجر، ورّكز على ممارسات الاحتلال الأمريكي والشيعة بحق النساء من الاعتقال والتعذيب والاعتصاب^(١).

وفي كلمته الموجهة للمرأة لأول مرة حمل [الزرقاوي] النساء مسؤولية مباشرة وطالبهنّ القيام بأدوار لوجستية متعددة، ومهد لبداية إشراك المرأة في الأعمال القتالية والانتحارية، حيث وجه خطابه إلى المرأة بقوله «هذه رسالة إلى الحرائر من نساء الرافدين خاصة وإلى نساء الأمة عامة «أين أنتن من هذا الجهاد المبارك؟ وماذا قدمتن لهذه الأمة؟ ألا تتقين الله في أنفسكن؟ أترين أولادكن ليذبوا على موائد الطواغيت؟ أراضيتن بالخنوع والقهود عن هذا الجهاد؟ ألا ترين أن الرجال قد أذالوا الخيل ووضعوا السلاح وقالوا؛ «لا جهاد»؟ فما لكنّ لا تلقين أولادكن في أتون المعركة حتى يصطلوا بناها ويدافعوا عن هذا الدين؟ لماذا لا تُحرضن أزواجكن وأولادكن على جهاد الصليبيين وقتال المرتدين، وبذل نفوسهم ودمائهم رخيصة في سبيل هذا الدين؟... ولقد بعث لي كثير من الأخوات المجاهدات في أرض الرافدين، يطلبن القيام بعمليات استشهادية، ويلحّحن في طلب ذلك، وقد كتبت لي إحداهن رسالة سطرتها بمزيج دمعهما ودمها، وذلك بعد استشهاد الاخوة في عملية أبي غريب، التي كانوا يرومون منها استنقاذ

(١) أبو مصعب الزرقاوي، وعد أحفاد ابن العلقمي، بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٠٥، سلسلة محاضرات، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أبو مصعب الزرقاوي، شبكة البراق الإسلامية، ص ٢٥٩ ٢٦١.

الأسيرات من سجون القهر الصليبي، كتبت تلح عليّ فيها بتنفيذ عملية استشهادية، قائلة: (إن الحياة لا تطيب بعد مقتل هؤلاء)، واستحلفتني بالله طويلاً أن أستجيب لها في طلبها، ومنذ ذلك اليوم وإلى هذه الساعة - وذلك قرابة ثمانية أشهر - وهي تواصل الصوم لا تفطر.

«ويعلم الله مقدار تأثري بكلماتها وما تمالكت نفسي فبكِيت أسفاً على حال هذه الأمة. ألهذا الحد وصلت المهانة بأمتي، هل فُني الرجال فاضطررنا لتجنيد النساء؟! أليس من العار على أبناء أمتي أن تطلب أخواتنا الطاهرات العفيفات أن يقمن بالعمليات الاستشهادية ورجال أمتي في سباتهم نائمون وفي لهوهم يلعبون؟!»^(١).

دشن هذا الخطاب مرحلة جديدة من «استدخال النساء» في هياكل السلفية الجهادية العالمية. فقد مثل موقف [الزرقاوي] تحوّلاً في أدوار المرأة الجهادية - كما يلاحظ فائق الجنابي - حيث أسس لنموذج «المرأة الاستشهادية» في مقابل «الرجل المتخاذل» عن الالتحاق بساحات القتال في العراق، بعد أن تجنب منظرو [تنظيم القاعدة] هذه القضية «الشائكة» دينياً واجتماعياً لسنوات. وبحسب الجنابي؛ فإن معظم الباحثين لم يتمكنوا في ذلك الوقت من الربط بين استخدام [الزرقاوي] لورقة «الاستشهاديات» من أجل جذب المزيد من المقاتلين الأجانب، وبين مرحلة العنف الطائفي التي بدأت بعد خمسة أشهر من ذلك والتي بدأت مع تفجيرات المراقد المقدسة بمدينة سامراء في شباط/ فبراير ٢٠٠٦^(٢).

(١) أبو مصعب الزرقاوي، «أينقص الدين وأنا حي؟» بتاريخ ٧ تموز ٢٠٠٥، الارشيف الجامع لكلمات وخطب الزرقاوي، م. س، ص ٣٠٦ ٣٠٨.

(٢) انظر: ميادة داود، أجيال الانتحاريات في العراق: بين رباعية الموت والإخلاص لأمرء غرباء، تحقيق، شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج)، ١٥ حزيران ٢٠١٢، على الرابط:

بالطبع، كان [الزرقاوي] يسعى لحشد السنة في العراق والعالم العربي والإسلامي لخوض حرب ضدّ «الصليبية» و«الصفويّة» الطائفية، وهي مفردات تقع في المعجم الهوياتي لقاعدة [الزرقاوي] والدولة الإسلامية. وقد استثمر [الزرقاوي] ما تتعرض له المرأة في العراق من السجن والاعتقال والانتهاكات في مجتمعات دينية محافظة؛ تشكل قيمة العرض والشرف فيها مسألة حيوية وجودية لإثارة الحمية الدينية والقبلية وجلب المقاتلين، مع تنامي نذر حرب أهلية طائفية تحت الاحتلال.

عند الإعلان عن التشكيلة الوزارية لحكومة دولة العراق الإسلامية في ١٩ نيسان/ إبريل ٢٠٠٧، خلت التشكيلة من تولي المرأة لأي منصب وزاري^(١). وعلى الرغم من إعلان الدولة، إلا أنّ التنظيم بدأ واقعياً بالانحسار، بعد تمرد المجتمع السني عليه. وكان التنظيم يعاني حالة من العزلة والضعف، ويفتقد إلى الجاذبية الأيديولوجية الضرورية للحشد والتعبئة والتجنيد، كما كان يفتقد إلى الموارد البشرية والمالية اللازمة للصمود، ويفتقر إلى الحاضنة الاجتماعية الأساسية للازدهار والنمو، ولا يتوافر على عمق جغرافي استراتيجي لإسناد حروب الاستنزاف^(٢).

سوف تحافظ خطابات وكلمات زعيم التنظيم أبو عمر [البغدادي] على نهج [الزرقاوي] باستحضار معاناة المرأة لتحريض الرجال على الانضمام للتنظيم من خلال التركيز على ما تتعرض له النساء من انتهاكات في السجون وفي المناطق

(١) انظر: التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، ١٩ إبريل ٢٠٠٧، الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

(٢) برايان فيشمان: اختلال الوظيفة والانحدار: الدروس المستفادة من داخل شبكة القاعدة في العراق، مركز دراسات الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت، آذار/ مارس ٢٠٠٩، ص ١.

السنية، كما يعبر عن ذلك أحد عناوين خطابه، في تموز/ يوليو ٢٠٠٩، «العزّ بصيانة الدين والعرض»^(١).

وعلى الرغم من خلو وزارات [داعش] من النساء، إلا أن أدوار المرأة اللوجستية والقتالية قد تنامت في صفوف [داعش]، فزادت وتيرة اعتقالات النساء بتهمة الانتماء لتنظيم الدولة. وفي أواسط ٢٠٠٧ اتسعت ظاهرة الانتحاريات لتتحول من التجنيد الفردي إلى التنظيم الجماعي، وقد أعلن [داعش] عن تشكيل أول «كتيبة استشهادية» في العراق؛ باسم كتيبة «الخنساء». وبين ربيع عام ٢٠٠٧ وصيف ٢٠٠٩ كانت عشرات «الانتحاريات» المفترضات في السجون، على خلفية مشاركتهن بتجنيد انتحاريات أو محاولة تنفيذ عمليات انتحارية. ورغم تضارب الأرقام حول عدد العمليات الانتحارية النسائية خلال هذه الفترة إلا أنها تبلغ، بالمعدّل، أكثر من ٩٠ عملية^(٢).

يُمكن القول بأنّ تعاضم حضور المرأة وتعدد أدوارها داخل الدولة الإسلامية قد بدأ فعلياً بعد التنامي الأخير لقوة الدولة الإسلامية، عقب فشل التحولات الديمقراطية، والانقلابات على حركات الاحتجاج الثوري السلمي في العالم العربي بداية ٢٠١١، وخصوصاً مع وصول الاحتجاجات إلى سوريا وعسكرتها، فتحوّلت سورية خلال فترة وجيزة إلى أكبر ساحة لاستقطاب الجهاديين العرب والأجانب؛ إذ يشير التقرير الثالث للأمم المتحدة إلى أن قرابة ٣٠ ألف «مقاتل

(١) أبو عمر البغدادي: العز بصيانة الدين والعرض، تموز/ يوليو ٢٠٠٩، الكتاب الجامع لكلات قادة دولة العراق الإسلامية، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

(٢) انظر: ميلاد الجبوري، أجيال الموت: انتحاريات تحت ظلال قتلة غرباء، شبكة أريج، على

أجنبي» ينتشرون في العراق وسوريا^(١). وبحسب جون بول لابورد، رئيس المديرية التنفيذية للجنة الأمم المتحدة لمحاربة الإرهاب، فإن «القضية الأولى التي أذهلت المحللين في فريقتي هي أن ٥٥٠ امرأة أوروبية سافرن إلى مناطق خاضعة لتنظيم الدولة الإسلامية. وفي بعض الدول تمثل النساء ما بين عشرين وثلاثين في المئة من المقاتلين الإرهابيين الأجانب، كما أن عدد الفتيات الصغيرات اللاتي أقسمن بالولاء لتنظيم الدولة على الإنترنت قد ازداد أيضاً»^(٢).

د- رؤية داعش للمرأة

عقب سيطرتها على الموصل وعلان الخلافة أصدرت «الدولة الإسلامية»، عن طريق المكتب الإعلامي في «ولاية نينوى»، وثيقة تأسيسية تمثل دستور الدولة الجديدة، وأطلق عليها «وثيقة المدينة»^(٣). تتضمن مادة خاصة موجهة لعموم النساء تقرر أن الأصل هو التزام المرأة بيتها إلا للضرورة والحاجة.

وتدعو إلى الالتزام بارتداء الجلباب في الفضاء العام، حيث خاطبت الوثيقة (في المادة ١٤) «النساء الفضيلات الكريهات: الله الله في الحشمة والستر والجلباب

(١) انظر: تشارلز ليستر، المقاتلون الأجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟، معهد بروكنجز، الدوحة، ٢٠١٥، ص ١، على الرابط:

<http://www.brookings.edu/~media/Research/Files/Papers/2015/08/13-foreign-fighters-lister/Ar-Fighters-Web.pdf?la=ar>

(٢) انظر: النساء يمثلن نحو ٣٠٪ من المقاتلين الإرهابيين الأجانب، تقرير دولي، مركز أنباء الأمم المتحدة، ٢٦ فبراير ٢٠١٦، على الرابط:

<http://www.un.org/arabic/news/story.asp?NewsID=٢٥٦٢٩.WFsSu١N٩VIU>

(٣) انظر: الدولة الإسلامية في العراق والشام، وثيقة المدينة، ولاية نينوى، ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ، العدد ٣٤ على الرابط:

<http://justpaste.it/Nenwa>

الفضفاض، فالقرار في البيت وملازمة الحدر وترك الخروج إلاّ الحاجة هو هدي أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات رضي الله عنهن جميعاً^(١).

بقي حضور المرأة في الدولة الإسلامية، على صعيد المناصب القيادية العليا، معدوماً، على الرغم من وجود أدوار فاعلة للمرأة في مجال الوظائف الإدارية واللوجستية في دواوين عديدة.

من الضروري هنا الإشارة إلى أنّ «النسائية الجهادية» - كما هو الحال بالنسبة لواقع المرأة في «الدولة» - هي بمثابة فعل استعادة هوية راديكالي عنيف يناهض كافة اجتهادات النسوية الإسلامية المطالبة بإعادة تأويل الشريعة بخصوص المساواة والحقوق، إذ تنظر الجهاديات إلى هذه الدعوات باعتبارها خضوعاً واستسلاماً للنسوية الغربية. وتتماهى أطروحات «النسائية الجهادية» مع نظرة الجهادية الذكورية بادعائها أنها تحتكم إلى مرجعية تتعالى على الذكورة والأنوثة، وفق رؤيتها، نشأت عن مصدر إلهي حدّد الأدوار والوظائف بغضّ النظر عن مسألة النوع الاجتماعي للرجل والمرأة.

إذاً تنطوي رؤية نساء الدولة الإسلامية على منظور أصولي حدّي يرى في اجتهادات النسويات الإسلاميات كفراً وردةً وانحرافاً عن أصول الإسلام، واستسلاماً لمقولات النسوية الغربية المعولمة باعتبارها استراتيجية للغزو والسيطرة والهيمنة. فجهاديات الدولة الإسلامية، على نقيض النسويات الغربيات، ينظرن بارتياب شديد لمسألة تحرير المرأة من السيطرة الذكورية، ويعتبرن بأنّ تغطية جسد المرأة إكرام، وليس امتهاناً لها، بل ويبالغن بالقول بوجود ستر المرأة لجسدها كله؛ حتى وجهها وكفيها.

(١) الدولة الإسلامية في العراق والشام، وثيقة المدينة، المرجع السابق.

هـ- قراءة في وثيقة المرأة في الدولة الإسلامية داعش

في سياق بيان دور المرأة ومكانتها والتعريف بالأسس الفلسفية الأيديولوجية وتحرير المبادئ الرئيسية الدينية العقديّة والفقهية، أصدرت سرية الخنساء الإعلامية النسائية في الدولة الإسلامية (في ٢٣ كانون ثاني/ يناير ٢٠١٥) وثيقة تأسيسية بعنوان «المرأة في الدولة الإسلامية: رسالة وتقرير»^(١)؛ تضمنت تصوراتها وفلسفتها بخصوص المرأة. تتكون الوثيقة من مقدمة وثلاثة أقسام؛ خصص القسم الأول حديثه عن رسالة المسلمين في الحياة، والثاني حول المرأة في الدولة الإسلامية، والثالث أجرى مقارنة سريعة بين واقع المرأة في الدولة السلوية (التسمية المفضلة عند [داعش] للسعودية) وبين المرأة في الدولة الإسلامية. ويهيمن على منظورات الوثيقة ومقولاتها، النزوع نحو التأكيد على هوية نسائية دينية مغايرة لأطروحات الرؤية النسوية العلمانية.

٣٩٦

تحتفي الوثيقة بعودة الخلافة التي بعودتها «انتهى هذا التيه الذي عاشته أجيال المسلمين منذ عقود طويلة، وانقضى زمن التقليد للأقوى، وهو المنتصر الغربي، في أسلوب الحياة ومنهاج العيش». وتشير الوثيقة إلى أن مرجعية رؤيتها للمرأة هي القرآن والسنة «بعيداً عن تعكير هذه الأزمان المتأخرة، التي عبثت بفطرتها وبدينها حتى أنستها وأنستنا سبب وجودها ووجودنا على ظهر الأرض»^(٢).

تشدد الوثيقة على أن المرأة والرجل في الحياة يخضعان لمعايير شرعية ومرجعية

(١) انظر: المرأة في الدولة الإسلامية: رسالة وتقرير سرية الخنساء الإعلامية، ١٦ فبراير ٢٠١٦،

على الرابط: https://justpaste.it/almarah_resalh

(٢) المصدر السابق نفسه.

إلهية، وأن رسالتها في الحياة واحدة «وأصل هذه الرسالة، أن المرأة خلقت كما الرجل لإعمار الأرض، ولكن على نحو ما أراد الله تعالى، فقد خلقها من آدم ولأجل آدم، فبعد أن تؤدي حق خالقها فيما افترض عليها لا يكون هناك حق أعظم من حق زوجها عليها». والمشكلة اليوم، بحسب الوثيقة، أن المرأة لا تجد نفسها متمية لوظيفتها الحقيقية المتماشية مع فطرتها وطبيعتها لسبب وجيه، وهو أنها تجد نفسها أمام صورة رجل لا أمام رجل حقيقي. ومع كل هذا، يجب على المسلمات أن يهذبن أنفسهن ويربين بناتهن على ما أراد الله خالقهن منهن ليقوم البيت المسلم، ويقوم من بعده مجتمع المسلمين لرب العالمين. «إن وظيفة المرأة الأساسية ومكانها الصحيح في المجتمع، هو ذلك المسكن الهادئ، بين أبنائها وأهلها، تربي وتعلم، تحفظ وترعى الأجيال، ولا يتأتى هذا لها إذا كانت أمية جاهلة. والإسلام لا يقر منع التعليم وحجب الثقافة عن المرأة»^(١).

إن الوظيفة الأساسية للمرأة كما تقررها الوثيقة هي التزامها بيتها مع زوجها وأطفالها، وتخرج إذا اقتضت الظروف لخدمة المجتمع المسلم، في عدة حالات وهي: الجهاد المتعين، إذا هاجم العدو بلدها، ولم تحصل بالرجال الكفاية، وطلب العلم وأهمه علوم الدين، وقد تخرج المرأة طبيبة أو معلمة تنفع غيرها من النساء، فبحسب الوثيقة، «لم تجن النساء من خرافة «المساواة» بالرجال إلا الشوك»^(٢).

يقدم القسم الثاني من الوثيقة بعنوان «المرأة في الدولة الإسلامية» صورة وردية عن أوضاع المرأة في ظل «الخلافة وولاياتها»، باعتباره تغييراً جذرياً في واقع المرأة منذ حقبة الاستعمار وما مرّ بعدها من غزو صليبي غاشم، تلتها سيطرة

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

لشريعة على سدة الحكم في العراق، وسيطرة للنصيرية على الحكم في بلاد الشام. ولكل بلد، بحسب الوثيقة، «مراحل خاصة من الظلم والاضطهاد الذي مورس على المسلمات باسم الحرية والإنسانية والمساواة»^(١).

تضمّن القسم الثالث من الوثيقة إجراء مقارنة بين السعودية والدولة الإسلامية في شأن المرأة، نظراً لأنّ كلا الدولتين تدعيان تطبيق الشريعة، ونظراً لأنّهما تستندان إلى ذات المرجعية المتمثلة بالمدّعى السلفي الوهابي. وتقول الوثيقة «نريد هنا أن نفصح هذا النموذج الخداع ونبين للناس زيف دعواه وكذب أخباره فيما يخص المرأة في عدة نقاط». فعن موضوع الخوف والمرأة، تتحدث الوثيقة عن اعتقال النساء وتعذيبهن وتهديدهن، وعن المحاكم السعودية الظالمة، وتتناول الوثيقة تحت عنوان المرأة والتغريب سياسات السعودية، وتصف منع النساء من «قيادة السيارة» بأنه لم يكن بسبب حرصهم على الدين، وإنّما لاعتبارات «أمنية». فالتغريب، بحسب الوثيقة، يتمثل بالتعليم والابتعاث للخارج ودعم القنوات الفضائية الفاسدة التي تنشر الرذيلة. وبخصوص المرأة والفقير تذكر الوثيقة بأن الدولة النفطية الثرية مليئة بالأحياء الفقيرة، وتنتقد نظام رعايتها الاجتماعية^(٢).

تختتم الوثيقة بتوجيه رسائل للنساء «لأخواتنا اللاتي ينعمن بحكم الله تحت ظل الخلافة، إتيقن الله وأدين واجبكن تجاه دولتكن، واحذرن أن تُسنن إليها من حيث تعرفن أو لا تعرفن، بادرن بتنشئة أبناء الخلافة على التوحيد الخالص، وبناتها على العفة والحشمة، واعلمن أنكن أمل هذه الأمة فمن بين أيديكن

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

يخرج لنا حراس العقيدة وحماة الأرض والعرض، بارك الله فيكُن وكتب أجر صبركن، أنتن منا ونحن منكن. والثانية: إلى النساء في كل مكان، وأخص منهن الغيورات على أمتهن، ليكن في خبركن أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لن تنهض بدون سواعدكن، فلا تحذلن الخلافة، واخذمنها ولو بكلمة، وليكن أبناؤكن حجارة أو لبنات في صرح المجد ومنارات دولة الإسلام، بارك الله فيكن وكتب أجر صبركن، أنتن منا ونحن منكن. والثالثة: إلى أعداء الدولة الإسلامية، وأعداء العفة والطهارة من العلمانيين والليبراليين من بني جلدتنا، لقد عادت فتياتنا إلى جلابيهن، وقرت نساؤنا في بيوتهن، فألقوا بصاق ثقافتكم وتحضركم وفكركم في البحر، قاتلكم الله، لستم منا ولسنا منكم»^(١).

و- نساء الخلافة

سوف تنعكس الرؤية السابقة المؤسّسة لأدوار المرأة في هياكل تنظيم الدولة الإسلامية على حضورها في المؤسسات التابعة للتنظيم، التي يمكن للمرأة أن تساهم من خلالها في خلق دولة و«مجتمع جهادي»، وخصوصاً مجالات الإعلام والتعليم والبحوث الشرعية والشرطة النسائية والخدمات والصحة وكافة الأعمال غير القتالية. لكن ذلك لن يمنع من قيامها بأعمال قتالية إذا لزم الأمر أو إذا استنفرت كما جاء في الوثيقة، أو إذا رغبت بطلب الشهادة.

سوف تقوم نساء التنظيم الناشطات في مؤسساته الدعائية المتعددة من البحوث والإعلام والدعوة على نشر رسالته الفكرية، وخصوصاً سرية الخنساء الإعلامية، والتي تم إلغاؤها ودمجها مع سرية حفيدات عائشة في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: بيان إلغاء سرية الخنساء الإعلامية، ودمجها مع سرية حفيدات عائشة، مؤسسة

البتار الإعلامية، ٦ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط: <https://justpaste.it/njss>

وقد نشطت سرية حفيدات عائشة بصورة لافتة على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في حملات دعائية منسقة^(١)، واعتمدت على نساء معظمهن من السعودية في حملتها؛ رغم أن أشهر نساء الدولة الإسلامية وقيادتها لسن سعوديات حيث تعتبر إيمان البغا وأم سمية المهاجرة من أبرز القيادات.

تعتبر [إيمان البغا] من أكثر نساء الدولة الإسلامية شهرة وهي تحمل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية. عملت في جامعات سعودية ثم التحقت بالتنظيم في تشرين الثاني/ أكتوبر ٢٠١٤، وتولت مناصب رفيعة في ديوان البحوث. وقد تكون البغا هي المرأة الوحيدة في مجلس شورى الدولة الإسلامية، وكانت قد أصدرت كتاباً بعنوان «أنا داعشية قبل أن توجد داعش»، تدافع فيه عن أيديولوجيا الدولة الإسلامية^(٢).

أما [أم سمية المهاجرة] فهي أيضاً من أكثر نساء الدولة الإسلامية شهرة وإثارة للجدل. ولا يعرف اسمها الحقيقي، ويرجح بأنها أوروبية من أصول مغاربية وتحديدًا تونسية. ويقال بأنها زوجة المفتي الشرعي للدولة الإسلامية، البحريني تركي البنعلي. وهي تكتب في مجلة الدولة الإسلامية الإنجليزية الأشهر «دابق» بشكل شبه دائم وتدافع بشراسة عن أكثر فتاوى التنظيم إثارة للجدل، فقد كتبت مقالاً تدافع فيه عن سبي النساء بعد أن أصدر التنظيم فتوى تميز سبي النساء الكافرات^(٣) وتدافع عن تطبيق التنظيم للفتوى من خلال سبي

(١) انظر نموذجاً لحجم المشاركة النسائية وتنوعها من خلال مقالات وكتابات وصور وتقارير متنوعة في سياق حملة «لاجئون إلى أين»، انظر: رابط شامل لكل ما نشرته سرية حفيدات عائشة في حملة لاجئون إلى أين، ١٧ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط:

<https://justpaste.it/nsji>.

(٢) د. إيمان مصطفى البغا، أنا داعشية قبل أن توجد [داعش]، مكتبة الهممة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

(٣) انظر: سؤال وجواب في السبي والرقاب، الدولة الإسلامية، مكتبة الهممة، محرم ١٤٣٦ هـ.

النساء الأيزيديات^(١)، فكتبت مقالاً بعنوان «أسبايا أم بغايا؟» تدافع فيه عن السبي وتعتبره حكماً شرعياً كان مطبقاً في الإسلام وبإجماع الفقهاء^(٢).

وكتبت [أم سمية] مقالاً بعنوان «لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلونّ لهنّ» - بعد أن أصدرت تنظيم الدولة الإسلامية فتاوى بتكفير فصائل الثورة السورية وخصوصاً جبهة النصرة- أكدت فيه على كفر فصائل المعارضة السورية، وطالبت زوجات مقاتلي الفصائل وجبهة النصرة بترك أزواجهنّ بذريعة أن الكفر يوجب التفريق بين الأزواج واعتبرت بأنّ بقائهنّ مع أزواجهنّ نوع من الزنا^(٣). وتؤكد أم سمية المهاجرة في مقال بعنوان «جهاد لا قتال فيه» على أنّ عدم وجوب الجهاد والقتال على المرأة المسلمة - إلاّ دفعاً للصائل عليها - لا يسقط عنها دورها في بناء الأمة وصناعة الرجال والدفع بهم إلى معمرات النزال^(٤).

(١) كتّبت الكثير حول مأساة الأيزيديات ومحتتهن في الأسر والسبي على يد تنظيم الدولة الإسلامية، انظر عينة من التقارير الحقوقية التي توثق قصصاً من المأساة: الفرار من الجحيم: التعذيب والعبودية الجنسية في الأسر لدى الدولة الإسلامية في العراق، منظمة العفو الدولية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

(٢) انظر: أم سمية المهاجرة، أسبايا أم بغايا، مجلة دابق العدد التاسع، شعبان ١٤٣٦، ص ٤٤.

(٣) انظر: أم سمية المهاجرة، لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلونّ لهنّ، مجلة دابق العدد العاشر، رمضان، ١٤٣٦، ص ٤٢.

(٤) انظر: أم سمية المهاجرة، جهاد لا قتال فيه، مجلة دابق، العدد الحادي عشر، ذو القعدة، ١٤٣٦، ص ٤٠.

وبعد أن أصدرت الدولة الإسلامية مجموعة من الكتب الرسائل حول وجوب الهجرة إلى أراضي الخلافة من الدول التي تعتبر دار كفر^(١)، كتبت أم سمية مقالاً بعنوان «شقائق المهاجرين» تدعو فيه إلى الهجرة إلى أرض الخلافة وتستعرض آراء الفقهاء بوجوبه وترد على فتاوى المعارضين^(٢).

لاحقاً، سوف تنخرط مجموعة من الجهاديات المخضرمات في الأجهزة الشرعية والإعلامية للدولة الإسلامية من اللواتي يتوافرن على تاريخ جهادي في مناطق عديدة، واللواتي هاجرن إلى أراضي الخلافة أمثال المغربية فتيحة المجاطي، إلا أن المساهمة الكبرى كانت من الجهاديات السعوديات اللواتي يتوافرن على معرفة بالعلوم الشرعية وخبرة في المجالات الإعلامية الإلكترونية. فقد أصبحت الجهاديات السعوديات أكثر حضوراً في الجهاز الشرعي والإعلامي مع توافدهن إلى أرض الخلافة في العراق وسوريا؛ أمثال ندى معيض القحطاني، التي تطلق على نفسها لقب أخت جلييب، تذكيراً بشقيقها جلييب عبد الهادي القحطاني، الذي سبقها إلى سوريا وانضم لتنظيم الدولة الإسلامية. وقد ظهرت عدة أسماء نسائية وألقاب حركية تشير كتاباتهن وألقابهن إلى انتابهن إلى بلدان متعددة؛ وخصوصاً السعودية وتونس ومصر والعراق.

(١) أصدرت الدولة مجموعة من الفتاوى والكتب والرسائل يدعو فيها إلى الهجرة من البلاد التي يطلق عليها وصف الكفر إلى أراضي الدولة الإسلامية، انظر على سبيل المثال: أسد المارك الأثري، الهجرة وأحكامها، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ٢٠١٥. وأبي ماري الأسيف، الهجرة والمقام في دار الإسلام، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. وسهيل الحجازي، لجوء المسلمين إلى أراضي الصليبيين والإقامة فيها، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

(٢) انظر: أم سمية المهاجرة، شقائق المهاجرين، مجلة دابق العدد الثامن، جمادى الآخرة ١٤٣٦،

حيث انخرطن في الأجهزة الشرعية الإعلامية وأصدروا مجموعة من الكتب والرسائل التي تعزز الرسالة الأيديولوجية للدولة الإسلامية؛ أمثال: إرهاب القحطانية^(١)، وأخت لمن بايع دولة الإسلام^(٢)، ولع الأسنة العدنانية^(٣)، وماوية العدنانية^(٤)، وأم نسيبة ندى الخلافة^(٥)، وأم مارية العراقية^(٦)، وأم عمارة الوزيرة^(٧)، وأم السمح القرشية^(٨)، وأم أسيد الغريبة^(٩).

(١) انظر: إرهاب القحطانية، أحيو سنة الرباط، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٢) انظر: أخت لمن بايع دولة الإسلام، الحشود الخاضعة بقوة الله القاهرة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أخت لمن بايع دولة الإسلام، النظام التركي الخائب بين برائن الأجدل الغاضب، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٣) انظر: لع الأسنة العدنانية، موالة الكافرين تنقض أصل الدين، مؤسسة أشهاد الإعلامية، ٢٠١٦.

(٤) انظر: ماوية العدنانية، السياحة الحقيقية في تركيا، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٧.

(٥) انظر: أم نسيبة ندى الخلافة، أسيرات الكنانة: صرخات مصرية في سجون الطواغيت، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥. نسيبة ندى الخلافة، القول المبين في أسباب بيع الجسر والجزيرتين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. نسيبة ندى الخلافة، المرأة الإسلامية بين جحيم العلمانية ونعيم الدولة الإسلامية، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

(٦) انظر: أم مارية العراقية، اقتل الكفار والمرتدين واشف صدور المؤمنين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦. أم مارية العراقية، الحق الماحق لجنود الصليبيين في دابق، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦، أم مارية العراقية، إنذار المتجسسين على دولة الحق والدين، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٧) انظر: أم عمارة الوزيرة، خواطر على طريق النفي والشهادة، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦، هل أتاك نبأ آل سعود؟، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٨) انظر: أم السمح القرشية، يريدون الرقة ونريد روما، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

(٩) انظر: أم أسيد الغريبة، أيفك الأسير أسيراً، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.

أصدرت [أحلام النصر] ديواناً شعرياً بعنوان «أوار الحق»^(١)، عام ٢٠١٤ تمجد فيه الجهاد والجهاديين. وهي تنشر أشعارها عبر وسائل التواصل الاجتماعي في تمجيد الدولة الإسلامية، ولها بحوث ودراسات منها رسالة بعنوان «سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجية»، الذي يتمثل بالأطفال اللذين نشؤوا في ظل الدولة الإسلامية، فحسب «أحلام النصر»: «الأطفال.. الجيل المسلم الناشئ في ظل الخلافة الإسلامية؛ هو رعب الكفر الحقيقي! هو سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجية»^(٢).

وعلى الرغم من الحرب الإلكترونية الشديدة وإغلاق آلاف الحسابات التي تتبع وتروج للدولة الإسلامية على وسائل التواصل الاجتماعي، فإن اتباع الدولة ينشطون في مواقع «فيس بوك» و«تويتر»، وأصبحوا يعتمدون بصورة كبيرة على تطبيق «تلغرام» لاعتماده السرية. هكذا، تشكل نساء الدولة الإسلامية جيشاً إلكترونياً، إذ ظهرت مجموعة كبيرة من الجهاديات الافتراضيات بأسماء وكنى حركية، وقدمن البيعة لأبي بكر [البغدادي] كخليفة للمسلمين، وصدر بيان جماعي ضم قرابة (٢٠٠) جهادية على الشبكة العنكبوتية^(٣).

أصبح واضحاً بأن المرأة تؤدي دوراً كبيراً في دعاية الدولة الإسلامية، وهي تدرك أهمية وظيفتها ودورها، وليست مجرد ضحية ساذجة، بل إنها تعمل بصورة

(١) انظر: أحلام النصر، أوار الحق، فرسان البلاغ للإعلام، ٢٠١٤.

(٢) انظر: أحلام النصر، سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجية، مؤسسة البتار الإعلامية، ١٣ أغسطس ٢٠١٥، على الرابط:
<https://justpaste.it/mzsm>

(٣) انظر: النصر الحية للدولة الإسلامية، ورشة جنود الإعلام لنصرة الإسلام، ٢٦ مايو

٢٠١٤، على الرابط: justpaste.it/fm65

فاعلة ضمن الاستراتيجية الإعلامية، التي تستند إلى رؤية دينية شمولية تؤمن بنظام الخلافة، وترتكز دعائها على أفكار ومفاهيم تخاطب عواطف المتلقي الإسلامي من حلم ويوتوبيا الخلافة، التي تقيم الحق والعدل والمساواة وتحقق الكرامة والشعور بالاستعلاء.

ز- كتيبة الخنساء: المرأة المحتسبة

بدأت [داعش] بتطبيق رؤيتها الأيديولوجية على الأراضي التي سيطرت عليها في مدينتي الرقة السورية والفلوجة العراقية في كانون ثاني/ يناير ٢٠١٤، وشرعت بتطبيق نظام مستمد من رؤيته للفقهاء السياسي الإسلامي التقليدي والأنظمة السياسية الإدارية الحديثة. وقد استدخل التنظيم المرأة في أجهزة عديدة، فأسس كتيبة نسائية باسم [كتيبة الخنساء] في ٢ شباط/ فبراير ٢٠١٤، وكانت وظيفتها هي التفطيش والتدقيق بالحواجز والسيطرات، التي تقع تحت نطاق سيطرة وحكم الدولة. وقد فرضت الظروف الأمنية ضرورة تشكيل هذه الكتيبة، بعد وقوع عمليات نُفذت بزي نساء، فبحسب شهادة إحدى منتسبات الكتيبة، فإن ما عَجَّل بتأسيس كتيبة «الخنساء» هو ما حدث على حاجز السباهية غرب الرقة، حين قُتل ثلاثة عناصر من الدولة، وقتل أربعة آخرون على حاجز المشلب شرق المدينة، على أيدي مجهولين يرتدون لباساً نسائياً، ويغطون وجوههم بالبرقع.

«وخوفاً من تكرار العملية، سرَّعت «أم ريان» في الخطوات التنفيذية لتشكيل الكتيبة.

كنا بداية ٣٥ امرأة: ٣ سوريات، ٢ يمنيات، ٤ سعوديات، كويتية واحدة، ٧ تونسيات، ٣ ليبيات، ٩ شيشانيات، ٣ مصريات، ٣ عراقيات. كانت المهمة

العاجلة لنواة هذه الكتيبة هي تفتيش النساء في الشوارع والمحلات خوفاً من تكرار العمليات، وأيضاً من أجل إزالة العقبات التي تواجه التنظيم أثناء «توعية» أو اعتقال أو محاسبة النساء اللائي «يخطئن»، أو يخالفن الشريعة الإسلامية^(١).

تطورت كتيبة الخنساء بعد السيطرة على الموصل في حزيران ٢٠١٤، وأصبحت جزءاً من ديوان الحسبة وتوسع نطاق عملها وزادت مهامها ووظائفها. فباتت بمثابة وزارة شؤون المرأة في الدولة الإسلامية، فهي تعمل في مجالات الإعلام والتعليم والدعوة والمساجد والأمن والشرطة والتحقيقات وإقامة الحدود. فبعد أن استكمل [داعش] بناء مؤسسات الدولة الإسلامية، تم فتح باب الوظائف في ديوان التعليم والتربية، وفي ديوان الركاز، حيث تقدم الآلاف من رعايا الدولة لهذه الوظائف، وكان من بين آلاف المتقدمين نسبة كبيرة من النساء تم قبولهن للعمل في الديوانين السابقين، بعد تهيئة المؤسسات لمنع الاختلاط وتوفير الشروط الشرعية في مكان العمل. وبحسب شهود فإن الرواتب التي يتقاضاها العاملون تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٦٠٠ دولار، بحسب التخصص والوظيفة^(٢).

وتشارك الكتيبة أحياناً في العمليات القتالية، وتقوم بدور مساند في ديوان الجند والجهاز العسكري من خلال الخدمات الطبية وإعداد الطعام، فقد ورد في

(١) انظر (أحمد إبراهيم، هاجر، وكتيبة الخنساء، موقع الجمهورية، ٧ يوليو ٢٠١٥، على الرابط: <http://aljumhuriya.net/33606>)

(٢) انظر: عبيدة الدليمي، تنظيم الدولة يوظف النساء في المؤسسات العامة بالعراق، موقع عربي ٢١، ٢٧ أغسطس، ٢٠١٥، على الرابط: <https://goo.gl/fDmjhR>.

وثائق التنظيم، الصادرة عن ديوان الدعوة والمساجد، المخصصة لسير وقصص الجهاديات أن إحدى بنات أم خالد الوهاجي المغربية، التي تعمل في جهاز الحسبة في الرقة، قد نفذت عملية استشهادية ضد قوات حماية الشعب الكردي في مدينة عين العرب-كوباني. وتحدّث وثيقة أخرى عن قصة فاطمة الشامي، وهي سورية انضمت لصفوف التنظيم، وعملت في مطابخ التنظيم لإعداد الطعام للمقاتلين وخدمت في أقصى الجبهات في ريف دمشق والفوجة ودير الزور^(١).

تتمثّل إحدى مهام كتيبة الخنساء في العمل الأمني الاستخباري لتتبع الجواسيس والجاسوسات والكشف عنهم. وقد أعلنت الدولة الإسلامية (في العدد الرابع من مجلة «المنبع») تنفيذ حكم القصاص على امرأة من شمالي القوقاز، تدعى «إلفيرا كارايفا» أو «سمية»، إذ أدينّت بالتجسس لصالح جهاز الاستخبارات الفدرالي الروسي FSB. وبحسب تحقيقات التنظيم فقد سرّبت «كارايفا» خلال عملها أسرار عدد كبير من مجاهدي شمالي القوقاز، وتسبّبت بمقتل ٦ إخوة، بينهم زوجها الأخير «أبو مسلم»، وأخت مجاهدة كانت تعدّ نفسها لتنفيذ عملية استشهادية^(٢).

تشرف على إدارة كتيبة الخنساء مجموعة من النساء المهاجرات من دول عديدة

(١) انظر: أيمن جواد التميمي، أرشيف قصص المجاهدين: المرأة في الدولة الإسلامية، ١٧ أكتوبر ٢٠١٦، على الرابط:

<http://www.aymennjawad.org/19291/the-archivist-stories-of-the-mujahideen-women>

(٢) انظر: الجاسوسة «إلفيرا كارايفا» والمصير المحتوم، عيون الأُمَّة، ٤ / ٦ / ٢٠١٦، على الرابط: <https://justpaste.it/uycx>، انظر كذلك: [داعش] يعدم جاسوسة روسية في القوقاز، صحيفة الوفد المصرية، ١١ / ٥ / ٢٠١٦.

أوروبية وعربية وإسلامية، بالإضافة إلى النساء المحليات من العراق وسوريا، ومنهن أم الريان وتعرف بأم مهاجر، وكانت المرأة الأقوى في [داعش] في مع بداية تأسيس الكتيبة، وهي مهاجرة تونسية جاءت مع عائلتها من العراق بعد أن زوجت ابنتها إلى قياديين في [داعش]، وهما من زكياها لتشكيل كتيبة الخنساء بالرقعة^(١).

قدّمت أم سيف، نسرین أسعد إبراهيم العبيدي^(٢)، اعترافات هامّة وإن كانت مشوّشة - عقب اعتقالها - عن كتيبة الخنساء وأدوار النساء في الدولة الإسلامية، حيث قالت في اعترافاتها: إن معظم عمليات [داعش] يديرها رجال، ولا يعدو دور النساء أن يكون دوراً بسيطاً، يتمثل في مراقبة نساء رهينات، وأن مرتبة المرأة داخل التنظيم ترتبط بزوجها، فكلما كان الزوج قيادياً كبيراً في [داعش]، كلما كانت مكانة المرأة وأدوارها أهم داخل التنظيم النسائي الموازي. وقالت بأن دور النساء ينحصر أساساً في الزواج من مقاتلي [داعش] والعناية بالبيت، وولادة مقاتلين مستقبليين لداعش. وباستثناء كتيبة الخنساء التي تعمل على مراقبة الأخلاق العامة في المناطق التي يسيطر عليها [داعش]، لا توجد أي أدوار تنظيمية أو قتالية أخرى للمرأة داخل الدولة الإسلامية، فالقتال والعمليات

(١) انظر: أحمد إبراهيم هاجر، وكتيبة الخنساء، مرجع سابق.

(٢) وهي عراقية كردية زوجة أبو سيف أحد قياديين تنظيم الدولة الذي قتل خلال عملية أميركية شرق سوريا في ١٥ أيار ٢٠١٥ وهو تونسي اسمه فتحي بن عون بن الجليدي مراد، وكان له دور بارز في الإشراف على مصادر النفط والغاز وإدارتها المالية. واعتقلت زوجته أم سيف أثناء العملية، ثم سلمتها القوات الأمريكية بعد التحقيقات لحكومة إقليم كردستان في آب ٢٠١٥.

الانتحارية داخل [داعش] هي حكر على الرجال^(١).

يُمكن القول بأنّ شهادة أم سيف تتوافر على نصف الحقيقة، وأنها لم تُفصح عن الوجه الكامل للحقيقة عمداً أو جهلاً، فأدوار المرأة الأساسية، بحسب رؤية التنظيم، هي أدوار إسنادية لوجستية تتمثل في بناء الأسرة وتربية الأطفال وإعداد جيل جهادي من أشبال الخلافة، لكن الدولة الإسلامية أصدرت بيانات ووثائق تؤكد على دور المرأة القتالي ومشاركتها في العمل الاستشهادي. على أنّ رواية أم سيف غاية في الأهمية فهي تقدم شهادة متوازنة بعيداً عن الخرافات والأساطير وهرطقات الدعايات التي نُسجت حول نساء الدولة الإسلامية.

ح- جهاد النساء (انتحاريات داعش)

في البحث عن تفسيرات سوسولوجية لداوفاغ الفعل الانتحاري للجهادين السنّة، يتحدث [أوليفيه روا] عن الجذور الدينية، من خلال مقارنة ثقافية استشرافية، ويقرر أنّ العمل الانتحاري فعل عديمي لا عقلائي على المستوى الجيوسياسي، فالرغبة بالموت جلية وتتجاوز مجرد التضحية^(٢).

بالمقابل تعتبر الباحثة [ميا بلوم]: أنّ جميع المؤلفين في حقول علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية يحددون أسباباً جذرية يعتبرونها أساسية لفهم وقوع معظم العمليات الإرهابية والتحول إلى العنف من الرجال والنساء، وهي

(١) انظر: داعش.. أي دور للنساء؟ (أم سيف) تفضح التنظيم، موقع راديو سوا، ٦/٦/٢٠١٥، على الرابط:

<http://www.radiosawa.com/a/isis-women-rule-/274663.html>

(٢) راجع: أوليفيه روا، القاعدة وعدمية الشباب، ترجمة نائلة منصور، موقع الجمهورية ٥/٤/٢٠١٤، على الرابط:

<http://aljumhriya.net/26882>

تتلخص فيما يلي:

- الافتقار إلى الديمقراطية والحريات المدنية وحكم القانون.
- وجود دول فاشلة أو ضعيفة توفر ملاذاً آمناً للإرهابيين.
- الأيديولوجيات المتطرفة، العلمانية والدينية على حد سواء.
- وجود تاريخ من العنف السياسي والاحتلال والحروب الأهلية وأنظمة الحكم الديكتاتورية.
- وجود حكومات فاسدة أو غير شرعية، ووجود قمع من قبل احتلال أجنبي وقوى استعمارية
- التعرض للتمييز على أساس الانتماء (الإثني أو العرقي أو الديني) والظلم الاجتماعي.
- وجود زعماء أيديولوجيين كاريزماتيين.

ويرى خبراء مثل [يورام شوايتزر] و[فرحانة علي]، أن النساء يملن إلى التأثر بدوافع شخصية أكثر من تلك التي تؤثر في الرجال، ويمكن تلخيصها بأربعة هي:

١. الانتقام وغسل عار الخطيئة، بالتضحية في سبيل الآخرين.
٢. الاحترام والعلاقة، وتشمل خصوصاً فقدان شخص عزيز (يكون عادة الذكر المهيمن في حياتهن).
٣. الحاجة إلى إعادة صياغة أنفسهن بسبب سوء تصرف جنسي مزعوم أو فعلي.
٤. عدم القدرة على إنجاب الأطفال أو كونهن يعتبرن غير صالحات للزواج، والرغبة بتحسين وضع النساء في مجتمعهن، وإثبات أنهن متفانيات تماماً

كالرجال في خدمة القضية، وكونهن شقيقات أو بنات أو زوجات متمردين معروفين^(١).

ولعل في ما يلي تظهر بعض هذه الدوافع في العمليات الاستشهادية النسائية المختلفة.

وإذا كانت المقاومة في لبنان أول من استخدمت استراتيجية العمليات الاستشهادية بعد الاحتلال الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ من خلال عملية الشهيد أحمد قصير، فلقد جاء استدخال النساء في العمليات الاستشهادية في لبنان أواسط الثمانينات (١٩٨٥) عن طريق الحركات العلمانية كالحزب القومي السوري الاجتماعي والحزب الشيوعي وحزب البعث (سنة محيدي، لولا عبود، وغيرهن حيث بلغت العمليات الانتحارية ضد الاحتلال الاسرائيلي التي نفذتها النساء تسع عمليات)^(٢).

وانتقلت العمليات الاستشهادية النسائية إلى فلسطين عطف عليان (١٩٨٧)، ووفاء ادريس (٢٠٠٢م) وهبة الدراغمة (٢٠٠٣م) ودارين أبو عيشة (٢٠٠٢م) من كتائب الأقصى، وريم الرياشي (٢٠٠٤م) من حماس، وغيرهن^(٣).

(١) راجع: ميابلوم، النساء كضحايا أو مواقع ضحايا، في التصدي للعقلية الإرهابية، أجنحة السياسة الخارجية، مكتب الإعلام الخارجي في وزارة الخارجية الأمريكية، آي جورنال يو. اس. ايه، مايو ٢٠٠٧، ص ١٧.

(٢) راجع: كارول أندره ديسون، الاستشهاد في الشرق الأوسط... ظاهرة في صيغة المؤنث أيضاً، ترجمة جنيفير بري، موقع ناو ٢٨ / ١ / ٢٠١٤: <http://google/SaGq2>

(٣) راجع: كاي أولر، نساء في حركة حماس، (الإسلام يمنحنا الحماية) ترجمة عارف حجاج، موقع قنطرة ٢١ / ٨ / ٢٠١٦ على الرابط: <http://ar.qantara.de/content/ns-fy-hrk-hms-islam>

فماذا عن القاعدة وداعش والانتحاريات؟:

إذا كان [يوسف العييري] أحد منظري القاعدة قد امتدح مشاركة المرأة في العمليات الاستشهادية دون أن يُشركها فعلياً، فقد عمل [الزرقاوي] على إدماجها وتأسيس كتبية جهادية نسائية، حيث يعتبر [الزرقاوي] أكثر الجهاديين توسعاً باستخدام العمليات الانتحارية عموماً. وهو الذي أدخل ظاهرة الانتحاريات ودشنها من خلال انتحاريتين قامتا بتنفيذ عمليتهما في نفس اليوم (٩ تشرين الثاني ٢٠٠٥ م) في مكانين مختلفين ومتباعدين، وقد نجحت الأولى وهي البلجيكية (موريل ديغوك) أو مريم كما أطلقت على نفسها بعد إسلامها. وهي مطلقة بعد تجربة زواجها الأول، وارتبطت بمغربي رافقها الى العراق في خريف (٢٠٠٥)م والتحقّت بالزرقاوي وطلبت تنفيذ عملية انتحارية، ونالت ما تريد بتفجير سرتها المحملة بالمتفجرات وسط دورية أمريكية راجلة في مدينة بعقوبة.

أما الثانية فكانت العراقية ساجدة مبارك الريشاوي، التي شاركت في تفجيرات الأردن مستهدفة ثلاثة فنادق في عمان، لكنها نجت عندما لم ينفجر حزامها، وهي أرملة علي حسين الشمري الذي نفذ تفجيرات فندق «راديسون ساس» وهي من عائلة جهادية حيث كان قتل ثلاثة من أشقائها على أيدي قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، حافظاً لها على الانتقام.

وفي منتصف عام ٢٠٠٨ تشكلت كتبية أخرى للانتحاريات على يد زوجة أحد قيادات القاعدة شمال العراق تدعى أم سلمة، ونشرت بيان توعدت فيه «بانتهاء تصبه عشرات من نساء الفلوجة وبغداد وديالى وئكالى وأرامل الموصل» ويبدو أنها نفذت بالفعل عمليات في ديالى وبغداد، وهي أولى كتائب الانتحاريات النسائية التي ظهرت بشكل علني. وأم سلمة هي زوجة الشيخ أبو عبيدة الراوي القيادي في

[تنظيم القاعدة] شمال العراق، والذي قتل بإنزال أمريكي جوي خريف عام ٢٠٠٧^(١).

ووفقاً لمركز أبحاث الإرهاب، يقدر عدد النساء اللواتي شاركن بمهام انتحارية في العراق بين أيار ٢٠٠٥ وآب ٢٠٠٨ نحو خمسين امرأة. ووفقاً للجيش الأمريكي فقد بلغ العدد ٣٢ في ٢٠٠٨ مقابل ثمانية نساء في العام ٢٠٠٧^(٢).

كما شهدت الولايات الخارجية التابعة لـ [داعش] مثل بوكو حرام في نيجيريا، وولاية سرت وبرقة الليبيتان، عمليات انتحارية قامت بها نساء من تنظيمات موالية للخلافة الإسلامية وذلك عام (٢٠٠٤)م. وظهرت انتحاريات ضمن خلايا وشبكات وذئاب منفردة تتبع أو تناصر الدولة الإسلامية مثل [ديانا رمضانوف] التي فجرت نفسها بنقطة شرطة في تركيا- استانبول (٢٠١٥) بعد مقتل زوجها في سوريا. في حين قامت تاشفين مالك وزوجها في كانون الأول ٢٠١٥، في الولايات المتحدة بهجوم على احتفال في مركز إنلاند الاقليمي (بحسب موقع CNN عربي - ٧ ديسمبر ٢٠١٥).

وبالخلاصة يمكن القول، إذا كانت الفتاوى والنصوص الشرعية عند الفقهاء والمنظرين في القاعدة والدولة الإسلامية قد أجازت العمليات الانتحارية في العمل الجهادي، إلا أننا لم نعثر على أي نص صريح بإجازة العمليات الانتحارية للنساء عند هؤلاء.

(١) راجع سامان نوح، ظاهرة الانتحاريات في العراق نتاج تخلف وفقر أم مقاومة احتلال، مركز أمان ٣٠/ تشرين الثاني-أكتوبر ٢٠٠٨ على الرابط: <http://ror21.d1g.com/qna/show/24006378>

(٢) راجع كارول اندره ديسون، الاستشهاد في الشرق الأوسط ظاهرة في صيغة المؤنث ايضاً. مصدر سابق.

الأمر الذي يؤكد أن دخول المرأة على خط العمليات الانتحارية (الاستشهادية) قد تم في أغلب الأحيان - تحت ضغوط وإلحاح النساء بتنفيذ عمليات انتحارية، واللاتي بغالبيتهم كن قد عشن أو مررن بظروف خاصة رفعت من نسبة الحماسة والرغبة في الانتقام لمقتل قريب لهن أو أرادت ترسيخ صورتهن كـ [إستشهاديات] لإشباع الذات وتحقيق المساواة مع الرجل والمساهمة في تأسيس مجتمع الجهاد، فمعظمهن إما زوجات أو بنات أو أرامل أو أخوات لجهاديين قتلوا في المعارك والمواجهات.

ولعل قادة الدولة الإسلامية أرادو من إشراك المرأة في العمليات الاستشهادية تحقيق دعاية فعالة في عمليات الاستقطاب والتجنيد وتحفيز الرجال للالتحاق بصفوف الدولة والقيام بالعمليات الانتحارية بدل أن يوسم الرجل بالمتخاذل والجبان، فضلاً عن كون النساء هن الأقل عرضة للتفتيش وإثارة الشكوك الأمنية في مجتمع محافظ كالمجتمعات السورية والعراقية؛ وللتذكير فإن أبو عمر [البغدادي] كان قد فتح باب استقبال المتطوعات من النساء لتنفيذ العمليات الانتحارية، كما فعل سلفه [الزرقاوي] حين أشركهن في العمليات الانتحارية.

في خلاصة ما تقدّم في هذا الفصل، تعرض البحث لمقاربة ثلاثة عناوين هامة وحساسة في تجربة [داعش]، في محاولة قراءة سوسيولوجية لأبرز ثلاثة مرتكزات في مجتمع الدولة، وهي: الإعلام والدعاية والاستقطاب والتجنيد، والتربية والتعليم (المدارس والجامعات والمناهج والكتب الدراسية)، والمرأة في مجتمع [داعش] وأدوارها وجهادها.

ويسجل للدولة ومؤسساتها إنجازات ونجاحات مشهودة في مجال الاستقطاب للعرب والأجانب لم تقتصر على المقاتلين من الرجال بل أيضاً للنساء

اللواتي التحقن ليشكلن النصف الآخر من مجتمع [داعش] الخاص، فجرى تزويج العازبات منهن، وتشكيل كتائب منهن لأموال الحسبة، وانخراط البعض منهن في العمل العسكري من خلال العمليات الانتحارية أو التفتيش على الحواجز.

كما شهد خبراء الإعلام بالمستوى المهني والأداء المحترف لوسائل [داعش] سواء في الإنتاجات المطبوعة كمجلة [دابق] وصحيفة [النبأ] أو في الإنتاجات المصورة والموزعة على منصات اليوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى. وكانت استراتيجيات العمل الإعلامي لدى [داعش]، محل تحليل وقراءة من قبل الباحثين الذين عبروا عن تميزها في الجمع بين تحقيق أهداف لها علاقة بالترويج للدولة وكسب ثقة المتعاطفين معها، واستقطابهم وبين إرهاب العدو، وتوجيه رسائل بالغة الدلالة على قوة وصلابة موقف الدولة وقدرتها على الصمود والتحدي للأعداء.

وإذا كانت المقاربة في هذا الفصل قد اتجهت إلى العناوين السوسولوجية كالاستقطاب والإعلام والتربية والمرأة، فذلك يعود إلى الأهمية الخاصة في جذب المقاتلين والعمل على صقل شخصياتهم تربوياً بما يتلاءم وحاجات المعركة، فضلاً عن كون المرأة تشكل المحور الأساسي في الخلية الاجتماعية الأولى في كل مجتمع لا سيما المجتمع الإسلامي، لذا كان لا بد من تناول ديناميكية [داعش] السوسولوجية من خلال استقطاب وتوجيه السلوك والموقف من المرأة وكيف استطاعت تجاوز وتخطي المعضلات في فقه المرأة إلى مستويات جديدة وغير مسبوقة في الحركات الإسلامية الجهادية، تمثلت في إشراك المرأة بالعمل الجهادي سواء على مستوى التدريب والإعداد العسكري والأمني والمساهمة في العمل على

الحواجز الأمنية والعسكرية في التفيتش، فضلاً عن دورها الأساسي في الاستقطاب والتجنيد ووصولاً إلى تنفيذ عمليات انتحارية نسائية وكان [الزرقاوي] أول من تجرأ في تجاوز وتخطي العقبات الفقهية في ذلك.

وقد حرصت المقاربة على تحديد تعريف واضح للمرأة الجهادية تجنباً لأي التباس في استخدام المصطلح في البحث، كما تمت مقارنة بعض الدراسات الغربية حول النساء في [داعش] وهي دراسات تجريبية أودت إلى نتيجة حاسمة تؤكد نجاح وأفضلية النساء في [داعش] في عمليات الاستقطاب والتجنيد.

وقد قارب الفصل تحليلاً لمضمون وثيقتين صادرتين عن [داعش] بموضوع المرأة، الأولى [وثيقة المدينة] التي تضمنت مجموعة توجيهات وضوابط وقوانين اجتماعية وسلوكية للنساء في مناطق الدولة الإسلامية، والثانية هي وثيقة [المرأة في الدولة الإسلامية] وتؤكد على أهمية دور المرأة في نصرة الدولة الإسلامية وصناعة المجاهدين وتربية الأجيال جهادياً، كما تجري الوثيقة مقارنة مع دور المرأة في المملكة السعودية وتنتقد المملكة في ظلها للمرأة وعدم إعطائها حقوقها المشروعة.

وقد لحظ الفصل في فقرة تحت عنوان [نساء الخلافة] استحضار نماذج من النساء الناشطات في الترويج والدفاع عن الدولة الإسلامية، وبعض قصصهن المميزة، وأدوارهن المؤثرة في الإعلام خصوصاً على وسائل التواصل الاجتماعي، وما كتبه في إصدارات [داعش] كمجلة [دابق] وصحيفة [النبأ].

بالإضافة للتطرق إلى دور المرأة في الميدان العملي وهيكلية الدولة في كتيبة الخنساء، التي عملت فيها [المرأة المحتسبة] في الأسواق والنسيج الاجتماعي

لفرض تنفيذ القوانين والسياسات الاجتماعية ومراقبة المخالفات ومحاسبتهنّ.

وفي الخلاصة يمكن القول أن المباحث الثلاثة في هذا الفصل ساعدت على استكمال المشهد السوسيولوجي للمجتمع الداعشي، والذي يخدم معالجة الإشكالات التي طرحها البحث في المقدمة حول الفجوة الملموسة عند مقارنة الخطاب النظري لـ [داعش] و تفاصيل تجربته العملية، فضلاً عن معالجة إشكالية الإرباك والتخبط في التجربة وعدم القدرة على توفير مستلزمات الاستمرار لهذا المشروع.

الفصل الخامس

إشكاليات تجربة الحكم وتحدياتها

المبحث الأول / إشكاليات الشرعية والمشروعية

- الشرعية الإسلامية الدينية العامة
- التوترات الداخلية وقابليات التشطي
- البيئة الحاضنة

المبحث الثاني / إشكاليات ممارسة السياسة في تجربة [داعش]

- إشكالية التسرع في إعلان الخلافة
- تحديات الحكم وإشكالاته
- السياسة الداخلية
- الإشكالات الإدارية والتنظيمية

الفصل الخامس

إشكاليات تجربة الحكم وتحدياتها

بعد أن استعرض البحث في الفصلين الثالث والرابع بنية الدولة ومجتمعها نظرياً وسوسيوولوجياً وعملياً وقارب عمل المؤسسات المنضوية فيها قضائياً وعسكرياً وأمنياً والآليات المعتمدة في إدارة الدولة في مختلف القطاعات والمساحات الإعلامية والدعائية والتجنيد والاستقطاب بالإضافة إلى التربية والتعليم والمرأة في مجتمع [داعش]؛ سيتعرض البحث في هذا الفصل لطرح الإشكالات والتحديات التي واجهتها دولة الخلافة في شقيها النظري والعملي وفق المسارات التالية:

٤٢١

الشرعية والمشروعية الدينية، مما يستدعي البحث في معنى الشرعية ومعنى المشروعية ومصدرهما، وكيفية تحصيلهما بوصفهما ضرورتان يتوجب تحصيلهما في مشروع الدولة، أية دولة. وسيتم معالجة هذه الإشكالية بالنظر إلى المرجعيات المعتمدة لدى [السلفية الجهادية] كتيار تنتمي إليه هذه الدولة المفترضة.

وفي ظل اختلاف المرجعيات داخل السلفية الوهابية الجهادية وغياب وحدة المرجعية القادرة على حسم الاختلافات وتوحيد التوجهات، ستكون شرعية [داعش]، في حالة من التخبط التنظيري والمعرفي، وستواجه حالة من الاستنكاف عن إعطاءها الشرعية الدينية عند غالبية المرجعيات غير الرسمية الوهابية والجهادية، فضلاً عن المرجعيات السلفية الرسمية.

ما تقدم يحيلنا للبحث عن التوترات داخل السلفية نفسها، وحجم ما تحمله

في داخلها من قابليات للتشطي والانقسامات، لا سيما في الموضوعات السياسية، حيث تظهر هذه التشققات في المواقف والآراء والفتاوي إلى درجة التناقض والتباين الكبير الذي يؤدي أحياناً إلى التصادم العنيف ميدانياً.

ستشكل السياسة والأحداث والمواقف السياسية، الساحة الرئيسية للتوترات الداخلية في السلفية واختلاف واضطراب المرجعيات، الأمر الذي سيعمل البحث لمقارنته واستحضار شواهد من الواقع والتجربة لتأكيد ذلك وإثباته.

وسيتعرض البحث ويقارب أيضاً أبرز الموضوعات السياسية التي شكّلت في تجربة الدولة الإسلامية (الخلافة) نقاط تصادم واختلاف مع القاعدة وجبهة النصرة تحديداً وسيتم استحضار المواقف للطرفين في هذا المجال.

كما سيُعالج إشكاليات الممارسة السياسية في تجربة [داعش] سواء في تعاملها الداخلي مع المجتمع المحلي الذي من المفترض أن يشكّل البيئة الحاضنة لداعش، وتجربة التعامل مع العشائر والفصائل السنيّة الأخرى المسلحة، وحالة الإرباك والتصادم التي حصلت بين [داعش] وبين فرقاء هذه البيئة الداخلية، نتيجة غياب أي نوع من سياسات الاحتواء والمداراة للآخر، واستخدام العنف كوسيلة وحيدة للإخضاع والسيطرة على المجتمع الداخلي.

وفي سياق الإشكالات السياسية، ستأتي مقارنة موضوع التسرع في إعلان الخلافة وأهدافه والغايات من هذا الاعلان، وبالمقابل انعكاساته في الاختلافات مع المرجعيات السلفية خارج [داعش].

وبالانتقال إلى نوع آخر من الاشكاليات المتعلقة بالحكم والإدارة سيتم مقارنة السياسة الداخلية، وتحديات الحكم وتوفير مستلزماته التي تأتي في مقدمها

الاحتياجات الأساسية للخدمات وكيف تعاملت [داعش] في مجال إصدار القوانين الداخلية الصارمة اجتماعياً بعد استيلاءها على الموصل وإصدارها [وثيقة المدينة].

كما سيتم التوقف أخيراً في هذا الفصل عند إشكالات البيئة الإدارية والتنظيمية وكيفية تأمين الكادر البديل، في ظل استنزاف الكادر المحلي والمهاجر نتيجة المعارك والاستهداف للمقاتلين من قبل طائرات التحالف.

المبحث الأول

إشكاليات الشرعية والمشروعية

١- الشرعية الإسلامية الدينية العامة :

يعلّمنا التاريخ أن المجتمعات المأزومة، هي من أكثر المجتمعات عناية بماضيها، وبإعادة الانتباه إليه، وإعادة التفكير فيه وقراءته، عساها تعثر في خبرته التاريخية عن أجوبة ناجزة أو خدمات قابلة لتصنيع أجوبة عن مشكلات حاضرها، وقد تأخذ الأزمة في هذه الحال شكل انقسام ثقافي واجتماعي داخلي حول تصور المستقبل بين قوى مهيمنة تفرض هيمنتها باسم ماضٍ تخلع عليه أودية من التقديس (الخلافة مثلاً) وقوى جديدة صاعدة تحاول أن تعيد قراءة الماضي في ضوء مصالحتها الجديدة^(١) (الحركات الإسلامية مثلاً).

٤٢٤

وفي كلتا الحالتين فإن السعي للحصول على الشرعية أمر لا بد منه لإضفاء طابعاً دستورياً وقانونياً على مشروع أيّ منها في تجربته.

ولكن مجموعة أسئلة تفرض نفسها، أيّ شرعية يمكن تحصيلها؟ ومن أين؟ وما هي المرجعية التي تمنح هذه الشرعية لاسيما الشرعية الإسلامية في التجربة التي سيتم بحثها هنا؟

قبل الإجابة على السؤال لا بدّ من التعرف على معنى الشرعية واستخداماتها الاصطلاحية.

(١) بلقزيز، عبد الاله، نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

في معنى الشرعية جاء في لسان العرب، الشريعة والشرعة: ما سنَّ الله من الدين وأمر به، والشرعة الدين والمنهاج والطريق. ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاً﴾ (سورة المائدة - الآية ٤٨) (١).

والشرعية صفةً ونعتاً: تفيد الالتزام بالشرع وأحكامه وقوانينه وسُننه المنصوصة، والانطباق عليها. وتُستخدم عادة كصفة ونعت للنصوص القانونية الإسلامية، فيقال: النصوص الشرعية، أي التي توضّح تفاصيل الشرع الإسلامي، وتفسره (٢).

وفي الغرب، أُستخدم هذا المصطلح عند ماكس فيبر (Max Weber) في قوله: ليس هناك سيطرة دائمة دون حد أدنى من الشرعية، والسلطة الشرعية هي تلك القدرة على جعل قراراتها مقبولة كونها قائمة على أساس صحيح، وما يهتم فيبر بشكل خاص في الشرعية هي الأسس الأيديولوجية والمؤسسية التي تمنحها لممارسة الأنماط المختلفة لسلطة ما، سواء كانت تقليدية، عقلانية، كاريزمية (٣).

ويذكر الدكتور محمد طي في محاضرة بعنوان الشرعية والمشروعية، بأن المشروعية هي مفهوم يعني عملية الاستجابة لما يتصوره الناس من النظام والقانون والحكم أو يرضونه، وهي لا تُفرض فرضاً، بل تأتي من خلال اتباع مفاهيم العدالة والانسجام مع ثقافة الناس، وتفرض نفسها بشكل تحكّمي (من

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب المجلد الثاني، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص ٢٩٩.

(٢) سعدي ابو حبيب، القاموس الفقهي، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨ م. ص ٨.

(٣) ر. بودون ون. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٨٦ م. ص ٣٧٣.

الدين، والثقافة العامة) بحيث تطابق التطلّعات السياسيّة والعادات الاجتماعية للناس^(١).

وبالخلاصة: يمكن اعتبار الشرعيّة، هي قيمة الالتزام بالقانون وسيادته وهي مصدر مقبولة النّظام السّياسي. أما المشروعيّة فهي مدى احترام القوانين ورضا الناس عن النّظام السّياسي الذي يحكمهم، وهما مفهومان يكملان بعضهما البعض، رغم أنّهما يفترقان أحياناً ويلتقيان أحياناً أخرى^(٢).

ويأتي جواب السؤال المطروح بناءً على ما تقدم، فتصبح «الشرعيّة الإسلامية» هي الأمر الذي يتطلبه مشروع الدولة الإسلامية (الخلافة) وهي تكمن في مدى انطباق مشروعها على النصوص الشرعيّة الإسلامية والتزامها بهذه القوانين الإلهية في مصادرها المعتمدة (القرآن والسنة).

والمشروعية هي معيار مقبولة الخلافة والدولة الإسلامية لدى المحكومين من الناس المنضوين تحت هذه الدولة/ الخلافة.

ولكن هنا من الذي يحدّد المعايير، ويوجب على التساؤل في مدى شرعيّة مشروع الخلافة [داعش] أو عدم شرعيّتها، في ظل غياب النبي والخلفاء والصحابة الذين شكّلوا في صدر الإسلام مرجعاً لمعرفة مدى انطباق أيّ فعل أو عمل على الشريعة الإسلامية أو عدم انطباقه.

وإذا كان الجواب يكمن في وجود النصّ المتمثّل بالقرآن والسنة الشريفة، اللذين يمثلان المرجعية الشرعيّة لكل المسلمين، ومع أن القرآن يأمر بالرجوع

(١) محمد طي - بحث ومحاضرة في معهد المعارف الحكمية، بعنوان الشرعية والمشروعية في القانون، ١٧ شباط ٢٠١٦، بيروت.

(٢) د. علي الضاوي، محاضرة حول الشرعية والمشروعية، ٨/ آب/ ٢٠١٢ م. القاهرة.

لأهل العلم ﴿أَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل آية: ٤٣) يقول القرطبي: لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنها المراد بقوله عز وجل ﴿أَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا، لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم^(١)، ولكن في ظل تعدد المرجعيات الإسلامية، والمذاهب والتيارات التي تختلف في تفسير وتأويل النصوص الشرعية الأصلية، وفي ظل الاجتهادات المتعددة نصبح أمام إشكالية منهجية، في سلوك الطريق المفضي إلى تلمس معايير هذه الشرعية عند المرجعيات المتعددة. فأبي منها هي المرجعية الصالحة لإضفاء هذه الشرعية، وإعطائها لهذا المشروع.

فحتى السلفية الجهادية التي ينتمي إليها مشروع دولة الخلافة المعاصر ليست موحدة، وتفتقد لوحدة المرجعية التي من المفترض أن يتفق عليها السلفيون الجهاديون في أخذ الأجوبة الشرعية على ما يطرح من إشكالات أو فيما يواجهون من تحديات مستجدة.

وذكر سابقاً حجم التوترات الداخلية في السلفية والتشظي الذي يوزع التيار السلفي إلى أقسام متعددة (سلفية علمية أو تقليدية، سلفية وهابية سعودية، سلفية إصلاحية، سلفية جهادية)^(٢)، أو بتصنيف آخر (محافظة - حركية - جهادية)^(٣).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج ١١، ص ٢٧٢.

(٢) مروان شحادة، دراسة ماجستير حول تحولات الخطاب السلفي، قناة الميادين، برنامج أول م، ١١/١٤/٢٠١٤م.

(٣) محمد ابو رمان، السلفية في المشرق العربي، الحركات الإسلامية في الوطن العربيين مجلد ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣، ص ١١٥٥.

ويؤكد تاريخ الأفكار على بديهية الصراع والاختلاف بين النظرية والتطبيق، في أيّ تيّار، ممّا جعل طبيعياً وقوع الخلاف بين المنظر النصوصي والسلفي الجهادي أو بين الفكري العملي والقائد الميداني، كما نجد في تحفّظات جماعة الجهاد على بعض آراء عبد القادر بن عبد العزيز التي أوردها في كتابه «الجامع في طلب العلم الشريف»... كما يتضح تقديم التنظيم على النظرية في العلاقة بين السلفية الجهادية والقاعدة، لاسيّما في التحفّظات التي أبدتها عدد من منظرّيها على العمليات الانتحارية (مثل أبي بصير الطرطوسي، وأبي محمد المقدسي)^(١).

ويبدو من خلال متابعة مسارات الافتراق والاختلاف بين السلفيات المتعددة أن الموضوعات السياسيّة والعمل السياسي وتبعاً له العمل الجهادي تمثل قطب الرحى في هذه الاختلافات والتشظّيات التي أصابت التيارات السلفية، فمع كل محطة سياسيّة كبرى ومهمّة نجد اختلافات المواقف والاجتهادات تؤدّي إلى بروز تيارات جديدة في السلفية أو انشقاقات داخل التيارات القائمة.

فمثلاً، شكّل الجهاد الأفغاني والمشاركة هناك بلورة لتيار السلفية الجهادية من خلال تلاقح فكري وعملي بين الإخوان المسلمين القطبيين (الجهاديين) وبين السلفية الوهابية، كما كانت أزمة «عاصفة الصحراء» في الجزيرة العربية هي المحرّك الأساسي لبروز تيار «الصحوّة السلفية الإصلاحية»، وأحداث ما سُمي بالربيع العربي، ولاحقاً الأزمة السورية، محطّات متتالية لتشقّقات وانعطافات في التيارات السلفية حتى الجهادية منها (داعش وجبهة النصرة).

فبينما وقفت السلفية التقليدية (الوهابية السعودية) المحافظة إلى جانب السّلطة

(١) هاني نسيرة، السلفية الجهادية والقاعدة، المنطلقات الفكرية والمرجعيات الفقهيّة، الحركات الإسلامية في الوطن العربي، مصدر سابق، مجلد ٢، ص ١٢١٢

السعودية في ما تحتاجه من تبريرات شرعية تتطلبها تغطية قرار الاستعانة بالجيوش الأمريكية والغربية لاستعادة الكويت وتحريرها من جيش صدام، ولاحقاً لحماية المملكة وثروتها النفطية في مواجهة تهديدات محتملة ومعتبرة نفسها مكتملة للسلطة السياسية و مصدر شرعيتها.

بالمقابل برز اعتراض فئة غير قليلة من مشايخ السلفية الإصلاحية الحركية على الأمر، مما أدى إلى بلورة تيار الصحوة السلفي المعارض. ولكن معارضته هو الآخر لم تخرج عن عباءة المملكة والنظام السعودي، معتبرةً نفسها جزءاً من مكونات المجتمع، تقدم النصيحة وتجهر بها دون الخروج على الحاكم^(١).

أما السلفية الجهادية فذهبت إلى تكفير النظام السعودي وهاجمته بعنف، معتبرةً أنه استعان بالكفار، وخرج عن التعاليم الوهابية. وبالتالي أصبح نظاماً مرتداً كبقية الأنظمة العربية المصنفة لدى السلفية الجهادية بالارتداد والكفر^(٢).

أ- شرعية داعش (تقاطع الدين والسياسة)

وبالرغم من كل ما تقدم، نتساءل مع « يحي أبو زكريا » - هل انتهاء السلفيات المتعددة كلها إلى الوهابية السلفية هو السبب الموضوعي الذي جعل معظم علماء السلفية يوافقون (مبدئياً) على قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، مما أعطى لـ [داعش] شرعية كبيرة من قبل علماء السلفية بمختلف تياراتها في السنوات الأولى من تأسيس الدولة، بحيث لم نسمع صوتاً واحداً ضد ما تفعله

(١) راجع: مروان شحادة، السلفية وداعش، برنامج آل م، قناة الميادين، مصدر سابق، ٢٠١٤/٩/١١.

(٢) راجع (ابو محمد عاصم المقدسي، الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية، مصدر سابق، ص ٢١).

[داعش] في العراق^(١). ما عدا بعض النصائح والتوجيهات التي أرسلت إلى أبي مصعب الزرقاوي، من ابن لادن وأيمن الظواهري، ورسالة النصيحة من أبي محمد المقدسي أستاذه، منظر السلفية الجهادية، الأردني المشهور. وهي ملاحظات على الأداء، وليست رفعاً أو سحباً للشرعية عن مشروع الدولة، بل شهدنا مباركة من أيمن الظواهري ومدياً لجهاد الدولة الإسلامية^(٢).

وبالحمد الأدنى، لم يظهر أي موقف سلفي علني وواضح ضد [داعش]، بل كان السكوت سيد الموقف عند الكثيرين، الذين لم يُظهروا تأييداً علنياً، وإن عملوا ضمناً على الدعم بالمال، وحثّ الشباب للالتحاق بالجهاد في الساحة العراقية (تحت عنوان مظلومية السنة هناك، واستيلاء الشيعة على الحكم)^(٣).

بينما بدأت الأصوات ترتفع، للتحدث عن عدم شرعية الدولة عندما تمددت إلى سوريا واصطدمت بتحدّيين:

الأول: سياسي دولي برز مع إعلان [داعش] إلغاء الحدود بين سوريا والعراق والتّحدث عن كسر [سايكس بيكو]، واحتلال الموصل، وظهور الوعد والوعد للأنظمة في الخليج من قبل قادة [داعش].

(١) يحي ابو زكريا، السلفية وداعش، برنامج آل م، قناة الميادين، ١١/٩/٢٠١٤.

(٢) راجع: ياسر عبدالحسين، الحرب العالمية الثالثة - [داعش] والعراق وغدارة التوحش، مصدر سابق، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٣) راجع محمد ابو رمان، حسن ابو هنية، تنظيم الدولة الإسلامية، الازمة السنوية والصراع على الجهادية العالمية، مصدر سابق. ص ٦٥-٦٦.

الأمر الذي حرّك فتاوي وانتقادات علماء السلفية الوهابية بتعليمات من السلطة والنظام السعودي^(١).

الثاني: الاصطدام الداخلي مع النصر في سوريا وتمرد الجولاني على قرار دمجها بالدولة. فظهرت اعتراضات منطري وشرعي القاعدة (الجهادية السلفية) أمثال أبي مصعب السوري، أبي بصير الطرطوسي، أبي محمد المقدسي وابو قتادة الفلسطيني وآخرين.

إذاً، هي السياسة والمصالح والحسابات الخاصة لكل طرف من الأطراف السلفية التقليدية الوهابية، أو الوهابية الجهادية. والشرعية هنا تصبح رهن السياسة (بما تعنيه في مصطلحات السياسة الشرعية، المصالح والمفاسد وتحديد أجندة الأولويات السياسية) وليس رهن المبادئ والعقيدة والأحكام الشرعية الدينية.

يعتبر مروان شحادة أن هناك مستويان من المعارضة لسلوك [داعش]، وليس لفكرها أو أيديولوجيتها:

١. مستوى رسمي من قبل الدول العربية والإسلامية، التي اكتوت بنيران عمليات [داعش].

٢. المرجعيات الفكرية والمنظرة لتنظيم القاعدة، وهي أقل من مراجعات، إنما يمكن تصنيفها اجتهادات ونصائح وانتقادات وعلى رأس هؤلاء: أيمن

(١) يقول المفتي العام في المملكة السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «ان [داعش] والقاعدة لا يُحسبان على الإسلام وهذه الجماعات الخارجية لا تُحسب على الإسلام وأهله المتمسكين بهديه، بل هي امتداد للخوارج». (الميادين - برنامج آل م، السلفيون وداعش، ١١/٩/٢٠١٤، م. س.

الظواهري، والشيخ عمر محمود أبو عمر (من داخل سجنه في الأردن)، وأبو محمد المقدسي.

ويعتقد أن الخلاف هو خلاف اجتهادي فقهي - سياسي، يتعلق بمسائل الولاية العامة والولاية الخاصة، وأولويات القتال والتوسع، في الاستناد إلى الهوية الطائفية المذهبية في قتال الآخر، فضلاً عن العمليات الانتحارية، وكثرة استخدامها بتفلت من الضوابط والشروط الشرعية، وبعض هذا كان محور الخلاف بين القاعدة وداعش في العراق والشام.

وهذا الأمر يذكرنا بما تقدم في مجمل تاريخ الخلافة (الأموية والعباسية والعثمانية) من استخدام العقائد الدينية والاختلافات الاجتهادية وتطويرها واستثمارها لاستجلاب وإضفاء الشرعية الدينية وتغطية أعمال وممارسات السلطة السياسية، للخليفة والحاكم، حيث يندر أن نجد خليفة كان فقيهاً أو عالماً في الشريعة أو مجتهداً قادراً على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المقررة (الكتاب والسنة)، بل في الغالب يقوم الحاكم/ الخليفة بتقريب العلماء والقضاة أصحاب الآراء والاجتهادات التي تناسب إضفاء الشرعية على سلطته وممارساته السياسية، وقيادته للمجتمع الإسلامي^(١).

أمّا في موضوع دولة الخلافة المعاصرة التي أعلنتها [داعش] ونصّبت أبا بكر [البغدادي] من خلالها خليفة للمسلمين، فقد أثار عاصفة من الاعتراضات الشرعية المستندة إلى خلفيات فقهية - سياسية، وتفيد المعطيات المتوافرة بأن [حجي بكر] (المساعد الأول لأبي بكر البغدادي) سعى عبر بعض أنصار الدولة الإسلامية في تحصيل تأييدات شرعية من أساء مشهورة لعلماء في السلفية سواء

(١) راجع: الفصل الثاني - المبحث الأول - الخلافة في التاريخ، ص ٧٤.

في الجزيرة العربية أو المشرق والمغرب العربي؛ فلم يوفّق لتوفيرها^(١).

ذلك أن موضوع الخلافة، موضوع كبير وحساس وخطير يستلزم تداعيات على جميع المسلمين في كل بقاع الأرض ولا يخصّ فئة المقاتلين الجهاديين أو بعض فئات المجتمعين العراقي والسوري المنضوين تحت سيطرة [داعش] وخلافتها.

وإن الاستجابة لطلب البيعة الذي أطلقه أبو محمد العدناني (الناطق باسم الدولة الإسلامية في العراق والشام) والموجهة لكافة المسلمين، لم يكن بالأمر السهل ولا المتيّسّر على العلماء والفقهاء والمنظرّين سواء من السلفيين الجهاديين الذين كانوا أول من اعترضوا ورفضوا المبايعة أو من عامة السلفيين الإصلاحيين والتقليديين الذين انسجموا مع موقف الحكومات الرسمية لاسيّما المملكة العربية السعودية التي تعتبر الموطن الأصلي والأول للسلفية والتي رغم أنها تزعم تبني المنهج السلفي الوهابي وتطمح دوماً لدور قيادي وريادي في العالم الإسلامي، إلا أنها لم تجرؤ أن تعلن الخلافة الإسلامية.

في هذا المجال، ينظر أحد علماء السلفية (علوي عبد القادر السقاف) مقدّمًا رؤية شرعية وواقعية حول شروط تحقق الخلافة على منهج النبوة معتبراً أنه بالإضافة للشروط المعروفة حول شخصية الخليفة من القرشية، والذكورة والعدالة والعقل والحرية والبلوغ، هناك شرطين مهمّين وأساسيين ينطلق منهما في نقاشه لخلافة [داعش] وإسقاط شرعيّتها وهما شرطا التمكين والمشورة.

(١) قام [حجي بكر] بمساعدة أبي بكر القحطاني (السعودي) بمحاولة مستميتة لتجنيد مفتين وعلماء شرعيين لصالح [البغدادي] لإعطائه الشرعية الدينية، وباءت المحاولة بالفشل (راجع: الرصد، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ملحق رقم ٤، آب ٢٠١٤، بيروت، ص ٨٥).

والمشورة: هي مشورة أهل الحل والعقد والشوكة من العلماء والوجهاء والقادة وأهل الرأي والمشورة، القادرين على عقد الأمور وحلّها، ليتبعهم الناس.

ويرفض السقاف أن يكون (أهل العقد والحلّ) هم مجموعة من الناس تختارهم جماعة من المسلمين جهاديّة كانت أو غير جهاديّة، وهذا ما يشير به إلى ما حصل في [داعش].

ويستشهد السقاف بما جاء في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب، أنه قال: «مَنْ بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يُبايع هو، ولا الذي بايعه، تغرّة أن يُقتل» أي حذراً من أن يُقتل.

ويعتبر أن الإمامة إذا كانت صغرى على بلد، فلكلّ بلد أهل حلّ وعقد وشوكة من علمائه ورؤسائه، وهذا يكون في حالات العجز والاضطرار (المقصود أن يكون هناك تعدّد للإمامة، فلكلّ بلد إمام).

أما إذا كانت إمامة عظمى وخلافة إسلامية فلا تنعقد إلا بمشورة جمهور أهل الحلّ والعقد في جميع أقطار المعمورة، وقرّر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنّة (١/٥٢٦). وهو يردّ بذلك على بعض أهل الكلام الذين يرون انعقاد الخلافة بالأربعة والثلاثة ودون ذلك. وينقل عن الإمام أحمد بن حنبل بأنّها تنعقد بالإجماع في قوله: «من ولي الخلافة فاجمع عليه الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير المؤمنين فرفع الصدقات إليه جائز، برياً كان أو فاجراً».

ويضيف بأن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن حديث النبي ﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»، ما معناه؟ فقال: أتدري ما الإمام؟ الإمام الذي يُجمع عليه المسلمون، كلّهم يقول: هذا إمام. (منهاج السنّة النبوية: ١/٥٣٠).

وينقل عن ابن تيمية في منهاج السنّة النبوية (١/٥٣١) قوله: لو قُدِّرَ أن عمر وطائفة معه بايعوه (يعني أبا بكر) وامتنع سائر الصحابة عن البيعة، لم يصّر إماماً بذلك، وإنما صار إماماً بمبايعة جمهور الصحابة، الذين هم أهل القدرة والشوكة.

أمّا في الشرط الثاني: التمكين، فلا يصح لأيّ جهة أن تعلن خلافتها على كافّة المسلمين وتنصّب إماماً من عندها، ثم تطلب من جميع المسلمين أن تبايعه كخليفة، وهي لم تتمكن بعد ولا تستطيع أن تحمي القريب منها فضلاً عن البعيد عنها، فهذا عبث وحقاقة (حسب تعبيره)، فإقامة الخلافة لا تكون بمجرد الإدّعاء والإعلان، متسائلاً: فأيّ قيمة لإعلان ليس له حقيقة في الوجود؟!.

ثم إن الإمام جُتِّه، «إنما الإمام جُتِّه يُقاتل من ورائه ويُتقى به». رواه مسلم والبخاري في صحيحهما، من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمعه من رسول الله ﷺ.

والجُنَّة: كالستر، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتقى الناس ويخافون سطوته.

ويستشهد السقاف بما جرى في الدولة العثمانية، حيث لم يعلن العثمانيون الخلافة إلا بعد ثلاثمائة سنة على بدء حكمهم، أي بعد أن سيطروا على كامل المناطق الإسلامية وهزموا دولة المماليك وانتصروا عليها عام ٩٢٦ هـ.

والأمر نفسه ينطبق على محمد بن عبد الوهّاب والإمام محمد بن سعود وأولادهم وأحفادهم، فهم على الرغم من توسّع سيطرتهم من نجد إلى معظم الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية) لم يعلن أحد منهم الخلافة لنفسه، رغم استمرار دولتهم أكثر من ٨٠ عاماً.

ونفس الحالة نراها في تجربة إمارة طالبان، التي استطاعت السيطرة على كامل بلاد الأفغان خلال ستّ سنوات، ومع ذلك أطلقوا عليها إمارة أفغانستان الإسلامية ولم يجعلوها خلافة، ولم يطلب الملاً عمر (والطالبان) من مسلمي الهند والصين وباكستان والجزيرة العربية ومسلمي أوروبا وأمريكا وأفريقيا مبايعته^(١). كما سمعنا من [البغدادي] والدّاعين لخلافته.

في ما تقدم تمّ استعراض نموذج من نماذج إبطال شرعية الخلافة الإسلامية لداعش. علماً بأنّ العديد من المنظرين تحدّثوا في أمور أخرى كالغلو في التكفير والقتل ومنهم أبو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي، وأبو مصعب السوري، أبي بصير الطرطوسي (عبد المنعم مصطفى حلّيمة) وغيرهم ممّن يُعتبرون من أبرز منظرّي السلفية الجهادية^(٢).

وإذا كانت الخلافة وعلانها قد استفزت معظم المرجعيات الشرعية السلفية وغير السلفية الجهادية وغير الجهادية، ولم يبقى حول الخليفة [أبو بكر البغدادي] سوى بعض الأسماء المغمورة من الشرعيين والمشايخ المشكوك بعلمهم وقدرتهم الفقهية [أمثال: ابو علي الانباري (من ضباط صدام السابقين) والذي استلم رئاسة الهيئة الشرعية في عهد ابو بكر البغدادي، وعبد الله يوسف الخاتوني، وعبد الله العاني، وميسر علي موسى الجبوري، وأنس حسن خطاب، وهؤلاء جميعاً اعتمد عليهم في التنظير والكتابات الشرعية وبكل أنواع التأليف والفتوى والشروح والردود على الخصوم (وكلهم عراقيون)^(٣).

(١) راجع: علوي عبد القادر السقاف، رؤية شرعية وواقعية في الخلافة الإسلامية، موقع طريق الإسلام: www.ar.Islam way.net

(٢) راجع: مواقف شرعية من دولة الخلافة، موقع منبر التوحيد والجهاد www.tawehed.ws.

(٣) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، مصدر سابق، ص ٢٢٧.

وكان [البغدادي] قد عين أميراً شرعياً للدولة الإسلامية ابو بكر القحطاني (سعودي) ولكنه انشق مع جبهة النصره عن الدولة^(١).

ب- أسباب صمت المعارضين لشرعية الدولة

لقد كان لافتاً الصمت وعدم الجهر بالمواقف بعدم شرعية الدولة الإسلامية، من قبل العديد من الشرعيين السلفيين الجهاديين، والاكتفاء بتوجيه انتقادات أو نصائح أو رسائل إلى قادة الدولة حول سلوكياتها العسكرية والأمنية وعدم مراعاة الإيغال في دماء المسلمين، واستسهال العمليات الانتحارية في الأسواق والأحياء السكنية، وهدم المساجد، وذبح الأسرى وغيرها من التصرفات التي عدت عند هؤلاء الشرعيين أن فيها الكثير من الغلو والامعان في التكفير للمسلمين.

ويبدو أن هذا الصمت وعدم الجهر بالموقف المعارض كانت أسبابه متعدّدة نذكر منها:

محاولة احتواء تجربة الدولة الإسلامية واعطاءها الفرصة لتعديل سلوكياتها وفق الضوابط الشرعية، علّها تعود لطريق الرشد والصواب.

الارتياح العام للمشروع الجهادي في العراق كونه يقف في مواجهة الحكومة العراقية التي يقودها الشيعة وتؤثر عليها إيران.

وجود تشجيع من بعض الأنظمة والأجهزة الاستخبارية، لاستثمار واستغلال حالة الفوضى والتوتر الطائفي في العراق وسوريا، وهذه الأنظمة والأجهزة ثبت

(١) حذيفة عزام، أسرار اكشفها لأول مرة، أخبارك أون لاين: www.Akhbaronline.com

وصفحته على الفيسبوك: www.facebook.com

أنها سهلت انتقال المقاتلين إلى العراق وسوريا للالتحاق بالدولة الإسلامية، بهدف التخلص من الجهاديين من جهة خارج أوطانهم، واستنزاف إيران وحلفاءها من جهة أخرى.

أما بعد وقوع الخلاف بين الجولاني وأميره الظواهري من جهة وبين [البغدادي] وحجي بكر من جهة أخرى حول دمج جبهة النصرة بالدولة وإعلان [البغدادي] (بتوجيه من حجي بكر) حل جبهة النصرة وإعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام وتحول هذا الصراع إلى أبعد من كونه صراع شرعي وولائي أو صراع سياسي يقف عند حدود الخصومة السياسية إلى الميدان العسكري والأمني، حيث بدأت بينهما المناوشات والهجمات والعمليات الانتحارية والاعتقالات.

فقد بدأت تظهر المواقف الشرعية إلى العلن عند هؤلاء الشرعيين (السلفيين الجهاديين) الذين في معظمهم أخذوا جانب «القاعدة» و«النصرة» مقابل الدولة الإسلامية التي كانوا يكتنون لها موقف المعارضة وعدم الشرعية للكثير من سلوكياتها، ويتهمون قادتها بالغلو في التكفير والتساهل في سفك الدماء البريئة، والإساءة للإسلام وسمعته.

فمثلاً أصدر أبو قتادة الفلسطيني موقفاً بعد إعلان الخلافة يقول فيه: إن تنظيم الدولة قد دخل فيه الانحراف من جهتين:

١. من أفراخ جماعة الخلافة، وهي جماعة قدمت في الجهل، إن من الشر من حيث زعموا أن الخلافة (الإمامة العظمى) حقيقتها تكون بأن يبايع واحد من المسلمين واحداً من آل البيت لتكون الحقيقة الشرعية لهذا المسمى العظيم. (ولقد قلت آخر كلام لي مع الخليفة المزعوم إن طريقكم يجمع بين ضلال

الروافض والخوارج). وأما أخذكم عن الروافض: حيث سميتم الوهم (صيغة الخلافة عندهم) اسماً شرعياً مباركاً (أي الخلافة) حيث يسمون الغائب المعدوم إماماً ويعلقون عليه أحكام الإمامة. أما نهج الخوارج، حيث كفرتم المخالف لكم في هذا المعنى (تكفير من لم يبايع خليفتم وقد وقع نتيجة ذلك جهالات كثيرة من إباحة الدماء والأموال)، وهذا مصدر الانحراف الأول في جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام.

٢. أما مصدر الانحراف الثاني، فهي بقايا جماعات التوقف والتبين وبقايا جماعات الغلو ممن يطلق عليهم جماعات التكفير، وقد نفر بعض هؤلاء إلى الجهاد في بداية الأمر. وهؤلاء أحدثوا من الشر في رؤوس البعض وصار لهم تأثير كبير في رؤوس الشباب الجدد الذين نفروا من مناطق صحت فجأة من هوة الجهل العميق إلى حالة التدين. ومثل هؤلاء كالأعجمي إن أسلم، فإن وُفِّقَ لصاحب سنة اهتدى، وإلا كان فساده عظيماً كما قال الأئمة من قبل.

ويكمل أبو قتادة قوله: لذلك نجد عامة اتباع هؤلاء من الجهلة المتبدئين في التدين، حيث يعجز جهلهم عند فهم مضايق مسائل العلم. ومعلوم لأهل العلم أن تنزيل الأحكام الشرعية من مضايق الفقه، بل هو أعوص ما يلاقيه الفقيه نفسه، فكيف يُجَعَلُ حكم الكفر والايان على الأشخاص والجماعات في يد جاهل لا يعرف أحكام المياه والوضوء والصلاة^(١).

وكان بعض الشرعيين القلائل أعلنوا موقفهم الحاسم من عدم شرعية الدولة الإسلامية، قبل إعلانها الخلافة ومنهم: أبو عبد الله محمد المنصور فقد

(١) نقلاً عن أبي سفيان عمرو وأحمد سادات الشيخ، وأبي زياد محمد محمود يعقوب النوبي، حقيقة تنظيم الدولة [داعش]، دار المنهج للنشر والتوزيع ط ٢٠١٦م، الجزائر، ص ٥٠.

أصدر كتاباً بعنوان الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم (١٦٥ صفحة)، حيث يقول «إن خلافتنا مع ما يسمى زوراً بدولة العراق الإسلامية ليس مقتصرًا على دعواهم ومشروعية دولتهم الموهومة، وأركان الدولة لم تتحقق بعد (وسنذكر الأدلة) وإنما خلافتنا الأكبر معهم في مسائل التكفير بغير حق، والقتل بغير حق، والكذب، ومسائل كثيرة متعلقة بالسياسة الشرعية، وأساس ذلك كله تأمير الجهلة الأحداث (جديدي العهد بالإسلام) أصحاب الأهواء في المسائل الشرعية، كعدم مراعاة السياسة الشرعية في العمل الجهادي»^(١).

وقد حرّر كتابه - كما يقول - بعد صدور كتاب أعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام للتميمي بأشهر قليلة، كردّ على ما جاء في كتابهم هذا، وكان كتاب أعلام الأنام قد صدر عام ٢٠٠٩، ولكنه أحرّ نشره لسنوات. والأسباب الذي يذكرها في تأخير النشر تتقاطع مع جملة أسباب الصمت وعدم الإجهار بالمواقف المعارضة للدولة والمبطلّة لشرعيتها حيث يقول: «إننا تريشنا كثيراً في إظهاره، رجاء أن يفني القوم، ويرجعوا إلى الحق دون نصيحة العلن، وكنا نظن أن بعض مراجعهم خارج العراق يصوبهم وينبّههم ولكن للأسف الشديد لم نر من ذلك شيئاً. وقد أصبح الآن نشره واجباً - كما نراه شرعاً - للإعذار بإقامة الحجّة»^(٢).

ومما يذكره في رده، وفي كتابه حول الأدلة على عدم شرعية الدولة الإسلامية:

- التأكيد على عدم أهلية [البغدادي] وقلة علمه.

- تشبيه صفاتهم بصفات الخوارج (بشجاعتهم وعبادتهم، ورغم ذلك وصفهم الرسول ﷺ بكلاب النار).

(١) أبو عبد الله محمد المنصور، الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، ص ٣، بدون دار نشر، ولا تاريخ.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤.

- الجهل بالعلم الشرعي عند غالبية قاداتهم، ولا سيما الجهل بالسنة الشريفة.
- التكفير بغير حق، ودون أدلة شرعية معتبرة، ويعتبرهم غلاة مجرمين.
- الاستخفاف بالدماء. والتفجيرات الانتحارات العشوائية.
- السفاهة والحماقة. وكذبة التمكين، مع عدم وجود مقومات الدولة عرفاً.

وقد نشر الكتاب على الشبكة العنكبوتية ليستطيع ايصاله إلى عناصر الدولة ومقاتليها ولحُثمهم على اتخاذ القرار بترك هذه الدولة.

ويذكر أبو عبد الله محمد المنصور، معرفته الشخصية بأبو بكر [البغدادي] معرفة دقيقة، فيقول: وكان محدود الذكاء، بطيء الاستيعاب، (حيث كان من تلامذته) من طلبة العلم المتوسطين، ويقول عنه، أنه كان معنا جندياً عادياً حتى نهاية عام ٢٠٠٥، وأنه لا يحسن الفتوى في المسائل، ولم يكن من المبرزين في الميدان فلا من أهل الصولة والجولة ولا المهمات الكبار، ولا نذكر له واقعة مشهودة لا في الامداد ولا في المواجهة، حتى ابتليت بدخول المعتقل، عندها تغير الرجل على الاخوة وتممر، وبدأ يثير المشاكل في الجماعة وانقلب رأساً على عقب.

وبالخلاصة، يتبين ضحالة الشرعية الدينية المدّعاة عند [داعش] خصوصاً في موضوع الخلافة التي يستنكرها عليهم الغالبية العظمى من المرجعيات الفقهية السلفية وغير السلفية. وتقتصر مصادر شرعيتهم الدينية على بعض مدّعي التفقه من المجهولين في الساحة الإسلامية والوهابية السلفية عموماً. ويتضح مستوى تطويع الدين في خدمة المشروع السياسي لقادة [داعش] الذين تحكمهم خلفية الانتقام من نزع السلطة من أيديهم في العراق، باعتبار غالبيتهم العظمى هم من الضباط السابقين في جيش صدام حسين الذين يرون ضرورة عودة الحكم إليهم.

٢- التوترات داخل السلفية وقابليات التشظي في الممارسة :

مع إن الجاذبية العقدية للسلفية تكمن في وضوحها وفي ادعائها النقاء، فهناك العديد من التوترات في السلفية، وهذه التوترات مبنية في عقائد الشخصيات المهمة التي أسهمت في تشكيل السلفية من حيث هي عقيدة، وهذه الشخصيات من أمثال احمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥ م) وتقي الدين ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨ م) ومبنية - أي التوترات - في معاودة ظهورها في الوهابية وهي حركة الإصلاح التي ظهرت في القرن الثامن عشر في نجد في وسط شبه الجزيرة العربية. ومنها خرجت «جماعة إخوان من أطاع الله»، والتي لم تكن تفتقر إلى الرؤية الشرعية المحددة والواضحة، بل كان الخلل في تصورهما السياسي للنظام الحاكم في الرياض، ففي الوقت الذي شكلت رأس حربة في حروب عبد العزيز بن سعود، الذي لم يجد صعوبة في التخلص منها والقضاء عليها في معركة السبلة عام ١٣٩٧ هـ، بعد أن انتهت مهمتها بالنسبة له^(١).

٤٤٢

وينشأ التوتر الأساسي من التناقض القائم بين بسط تفصيلي لعقيدة صارمة من الاستسلام الكامل لله تعالى، ممثلة بعقيدة التوحيد، وبين الأوامر التي يفرضها هذا التوحيد على المؤمن ليتقيد بهذه العقيدة، وهذه القضية في بعض منها قضية سياسية تستوجب على المؤمن بها أن يطرح السؤال على نفسه: أيستطيع المؤمن أن ينفذ هذا الأمر الأساسي بقبول السلطة السياسية حتى ولو لم يتقيد الحاكم بالقانون الإسلامي أي الشريعة الإسلامية؟

وهل ينبغي على المؤمن في تلك الحالة أن يركّز عمله وسعيه في التربية والدعوة، بمعنى نشر الإسلام كي يُنشئ مجتمعاً إسلامياً نقياً؟ أم هل ينبغي على

(١) عبد الله بن محمد، الجمع القيم للمذكرة الاستراتيجية، مؤسسة المساعدة الإعلامية، ٢٠١١، جزيرة العرب، ص ٤٧.

المؤمن الحقيقي أن يصحح الحاكم المنحرف بأن يؤنّبهُ شفهيّاً؟ أو حتى يثور ضده؟. وبكلمات أخرى أتكون السلفية بالدرجة الأولى مستكينة أم نشيطة؟ إلى أيّ درجة ينبغي أن تكون السلفية بديلاً من هذين البديلين؟^(١).

أ- خلافات المرجعيات الدينية واضطراب الشرعية

وبالرغم من التوجه العقدي المشترك عند السلفيين، فإن انقساماً شديداً يُلحظ في صفوف جماعتهم حول قضية الخطط التكتيكية التي ينبغي استخدامها لتعزيز مذهبهم السلفي وتنفيذه، فمن جهة يجادل السلفيون الاصلاحيون بأن العنف محرّم دينياً، ويعطي نتائج عكسية بسبب حقائق ميزان القوى الدولي، وهذا ما نجد نموذجه في انتقاد الدكتور فضل (سيد امام الشريف) في ثلاثة وثائق صدرت عنه (التعريّة، ترشيد العمل الجهادي، الصراع في أفغانستان) حيث يستخدم عبارة «الجهلاء يشعلون الحرائق»^(٢) كتعبير عن التهور وممارسة العنف في غير محله، والنتائج الكارثية التي تستجلبها على الأمة، كما حدث في تفجير البرجين في نيويورك عام ٢٠٠١م.

وبدلاً من العنف (المحرّم دينياً) يتبنى هؤلاء التغيير الشخصي والجماعي في المجال الديني عن طريق الدروس والمواظب والتربية والتعليم وأدوات الدعوة الأخرى.

(١) رول ميير، السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، ترجمة محمد التوبة، الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٤، ص١٧-١٨.

(٢) سيد امام شريف، هو صاحب كتاب (العمدة في اعداد العدة) الذي يعتبر دستوراً للقاعدة، بدأ بكتابة مراجعاته الفكرية والفقهية عام ٢٠٠٨، وصدر عنه ثلاثة منها حتى الآن. راجع موقع السكينة، رؤية تحليلية لمراجعات الجماعات الجهادية، دراسة منشورة على الموقع بتاريخ ٨/ شباط/ ٢٠١٢.

ومن جهة أخرى فإن السلفيين الجهاديين يؤمنون بأن الكفاح العنيف ليس فقط يوافق عليه الدين، بل هو التزام فردي ومسؤولية للمسلمين جميعاً، وأن العنف يجب أن يستخدم في مواجهة الكفار (المشركون/الخارج) وضد المرتدين (الأنظمة/الداخل).

ومما يزيد الخلافات تفاقماً بين الكتلتين، تركيب الحركة السلفية غير المركزي، حيث لا وجود لقيادة مركزية أو مرجعية واحدة متفق عليها تمثل سلطة مركزية، مما أوجد اتجاهات طاردة عن المركز نحو تفتت الجماعة^(١).

وبالخلاصة فإن المشهد داخل صفوف السلفية: فإن أكثر الصراعات وجوداً، هو الجدل حول استخدام العنف تكتيكياً لإحداث التحوّل الديني، وهذا الجدل فتت الجماعة السلفية إلى مجموعتين كبيرتين: تقليدية (مستكينة) و جهادية (نشطة).

ب- السياسة محور الخلافات

وكمثال على ما تقدم يذكر [رول ميير] في كتاب السلفية العالمية «أن السياسة قد فتت الحركة السلفية، وان الطريقة التي عاجلت بها السلفية السياسة على نوعية قادتها، فمثلاً مقبل هادي الوادعي في اليمن، كانت مؤسسته السلفية حريصة على العلاقة الجيدة مع الدولة، وكان يعمل معها ضد الأعداء المشتركين (الاحوان/الزيديون)، وفي الوقت نفسه، كان يشجب ابن باز لإصداره فتوى عام ١٩٩٠ باستضافة القوات الاميركية»^(٢)، ويخلص إلى نتيجة أن مثل هذه الأمثلة توضح بجلاء كيف أن السياسة قد فتت الحركة السلفية.

(١) كويتان فيكتورونيكس، الحركة السلفية: العنف وتفتت المجتمع، الفصل العاشر، من كتاب الشبهات الإسلامية، العبيكان، ترجمة محمد البجيرمي.

(٢) رول ميير، السلفية العالمية، مصدر سابق . ص ٤٣.

فالتكفير السياسي وحش تحاول سلفية التيار العام أن تبقيه في قفصه في حين أن تيارات أخرى (كالتيارات الجهادية السلفية) داخل الحركة قد بذلت جهداً لتطلقه، ليهرب من قفصه^(١). فالإشكاليات الكثيرة في ممارسة العمل السياسي عند السلفيين، تبدو بوضوح في مواقف متناقضة وفي اختلافات في الممارسة، وتبريرات غير منطقية^(٢).

فضلاً عن رأي الالباني بالوهابية (وهو أشدّ تطرفاً منها) ویتهمها بتقليد أحمد بن حنبل، هناك مظهر آخر له صلة بالتناقضات الداخلية للعقيدة الوهابية/السلفية، وهو ميلها إلى أن تفتت، وهو مظهر يقف لينكر في أن التوكيد القوي على النقاء العقدي والنزعة الحرفية التي ورثتها السلفية من الوهابية تؤدي لا محالة إلى النزاعات الداخلية والانقسامات والتفتت. وسواء كانت تعود إلى الجماعات السلفية في مصر، أو الجماعة المنتفئة حول جعفر عمر طالب في أندونيسيا، أو في بالي أو أثيوبيا، أو هي فعالة ونشطة في لندن (المهاجرون)، فالسلفيون يقضون مدة طويلة من الوقت لا يُستهان بها، ويصرفون طاقة لا يستهان بها في منازعات وسجلات في مختلف المواضيع لاسيما عندما تتصل بالعنف والسياسة.

إن معظم «الصراعات التي برزت بين التيارات السلفية في السعودية والأردن والكويت بُعيد حرب الخليج» مرتبطة في غالبيتها بموضوع سياسي هو موضوع تواجد القوات الاميركية في الخليج والاستعانة بها لإخراج جيش صدام من الكويت^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠-٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥-٤٦.

(٣) محمد أبو رمان، الصراع على السلفية، مصدر سابق. ص ١٢٣.

فمع دخول عام ١٩٩٧ بدأت السلفية تشهد انقساماً أكثر حدّةً ووضوحاً بين السلميين والجهاديين وباتت مشكلة الاختلاف في مفهوم الإيمان. ومسألة تكفير الحكّام تطغى على النقاشات الجارية.

وتأثر التيار السلفي العراقي بالتيار السلفي الأردني بسبب شخصية الشيخ ناصر الدين الألباني الذي أثر بشكل ملفت على مجمل الدعوة السلفية في العراق والمشرق العربي والعالم الإسلامي.

وأخذ سلوك الجماعات السلفية مسارات حادّة بعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م، ودخول القوات الاميركية وعمليات الفرز والاستقطاب الطائفي بين السنّة والشيعة، فقد تحوّلت جماعات سلفية دعوية سلمية إلى جماعات سلفية جهادية، ودخلت في صراع مسلّح مع قوات الاحتلال الاميركي وحلفائه ومع الميليشيات الشيعية.

وفي مثال آخر على سرعة الانقسامات نتيجة الاختلاف على الأحداث السياسية الكبرى في المنطقة، فقد انقسمت الدعوة السلفية في العراق بعد الاحتلال الاميركي على نفسها واتخذت مواقف عديدة من الاحتلال:

الأول/ الرافض لمقاومة المحتل، لتوجه شرعي متأثر بسلفية الأردن، وبفتوى عبد المحسن العبيكان، وأشهر هؤلاء أبو المنار العلمي.

الثاني/ رافض لمقاومة المحتل، بسبب عدم تكافؤ القوات الاميركية والعراقية، وهم سلفية كثر من طلبه العلم، ومن أصحاب هذا الرأي كان (أبو بكر البغدادي).

الثالث/ يرى أولوية مقاومة الشيعة، وتبنى هذا الرأي جمع من السلفية، ممّن ركّز على خطر التشيع إبان مرحلة التسعينات.

الرابع/ يرى مقاومة المحتل، وهؤلاء انقسموا إلى مذاهب شتى، فبعضهم شكّل فصائل جهادية معتدلة التوجه، اعتماداً على مرجعية التيار الصحوي السعودي، أمثال: سلمان العودة، وسفر الحوالي، ويقترّب من طروحات السرورية، ومن هؤلاء الجيش الإسلامي، وبعض كتائب ثورة العشرين، وجيش المجاهدين^(١).

وبعضهم اتخذ مساراً أكثر تشدّداً، أمثال جماعة أنصار الإسلام، وتنظيم القاعدة بزعامة أبي مصعب الزرقاوي.

ومما تقدم، تتأكد مقولة بأن الاختلافات في داخل السلفية مردها في الغالب يعود إلى الممارسة السياسية والمواقف من الأحداث والتطورات السياسية الأساسية التي عصفت بالمنطقة، في ظل تشظي سابق في تعدد المرجعيات الدينية، وفرديتها، وعدم وجود سلطة مركزية دينية وازنة تستطيع حسم مثل هذه الاختلافات عند حدوثها.

وفي مثال آخر، فقد كشفت حرب الخليج الثانية عن ظهور سلفيات متعددة داخل السلفية الوهابية:

- الأولى: سلفية وهايبة حافظت على العلاقة التاريخية مع السلطة السعودية تمثلت بهيئة كبار العلماء، والتي أفتت بجواز الاستعانة بالقوات الأجنبية، وعلى رأسها الشيخ ابن باز مفتي المملكة آنذاك.

- الثانية: سلفية وهايبة جهادية، تبنّت شعار «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» وعلى رأسها الشيخ أسامة بن لادن.

(١) محمد أبو رمان، الصراع على السلفية، مصدر سابق . ص ١٢٤.

- الثالثة: سلفية وهابية حركية إصلاحية (الصحوه) تحفظت على موضوع الاستعانة بالقوات الاميركية، وطالبت بإصلاحات في مؤسسات الدولة والمجتمع، وعلى رأسها الشيخ سفر الحوالي، وسلمان العودة وناصر العمر.

- الرابعة: سلفية وهابية تقليدية، تماهت مع الدولة من خارجها، وعلى رأسها الشيخ محمد أمان الجامي والشيخ ربيع المدخلي^(١).

فالجهاديون مثل عبد الله عزام، أسامة بن لادن، أبو مصعب السوري، والزرقاوي وأمثالهم يؤمنون بشن الجهاد ضد الولايات المتحدة، وكذلك ضد الحكومات المسلمة المرتدة (التي يعتبرونها غير إسلامية) وعميلة، وهم ينفذون عمداً منهجاً سلفياً، بتحديد أدلة دينية لإضفاء الشرعية على أعمالهم العنيفة ومواقفهم المكفّرة لهؤلاء.

وعلى عكس ذلك، فإن السلفيين الإصلاحيين يعطون الأولوية لتكتيكات أقل عنفاً لإحداث الإصلاح، مثل الوعظ، والنشر، والدروس.

ولقد ولدت الخلافات التكتيكية بين هاتين المجموعتين صراعاً قاسياً مريراً حول الترخيص بالجهاد، الذي شقّق الحركة منذ انتهاء الحرب في أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي (أي عندما دخلت السياسة على خط الدعوة).

وعادة يشجب أعضاء كل واحدة من هاتين المجموعتين السلفيتين أعضاء المجموعة الأخرى، ويحاجّوهم في مواقع الانترنت، والمطبوعات، والخطب العامة، فيهاجمون بعضهم بعضاً، ويتهمون خصومهم بالجهل، والانحراف عن صراط

(١) محمد ابو رمان، الصراع على السلفية- قراءة في الايديولوجيا والخلافات وخارطة الانتشار.

الإسلام المستقيم^(١).

ورغم ان الجميع يعملون ضمن شبكة من المعاني والمفاهيم المشتركة للتيار الوهابي السلفي، فإن الخلافات العميقة تكمن بينهم حول تفسيرات الخطط التكتيكية والجهاد واستخدام العنف، ويتفاقم هذا الخلاف بسبب الطبيعة اللامركزية للنشطاء القائم على الشبكات (المجموعات) في ظل غياب سلطة تنسيق قادرة على فرض التفسيرات والمقاييس. وبسبب الطبيعة الفردية غير المؤسسية للعلماء الأفراد، فلكلّ منهم أتباعه، ونظراً لأنهم يعتقدون أن هناك فهماً صحيحاً واحداً فقط للإسلام، ولأيّ نقطة مطروحة، فإن كل واحد منهم يعتقد أن تفسيره هو الذي يمثل الصراط المستقيم في الإسلام، بينما يعكس الآخرون جهلاً ونقصاً بمعرفة الدين. وبالنتيجة، فإن السلفية تتكلم بخطابات متعددة، خاصة عندما يصل الأمر إلى السياسة والى موضوع العنف واستخدامه تحديداً، وقد يصل الأمر إلى درجة التكفير لبعضهم البعض (كما شهدنا في تكفير أبي محمد المقدسي للنظام السعودي في كتابه (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)، واتهامه لابن باز وابن عثيمين بانسلاخهم عن التوحيد (فهم كفار عنده)^(٢). وينقل أبو عبد الله المنصور العيساوي في كتابه: «إن [الزرقاوي] وأركانهم استخدموا التكفير كسلاح، لقد كانوا تكفيريين بإمتياز، واستخدموا التكفير كأداة في خدمة أجندتهم الأيديولوجية»^(٣).

(١) ابو محمد عاصم المقدسي - الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية - كتاب منشور في الانترنت في (Google (good reads). للإطلاع أكثر على آرائه. وكذلك موجود على موقع منبر التوحيد والجهاد <http://www.tawhed.ws> الطبعة ٢، ١٤٢١ هـ.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أبو عبد الله المنصور العيساوي: الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، لا طبعة، لا مدينة، لا دار، ٢٠١٤، ص (١٦٧).

ولا يقتصر التشظي في السلفية والاختلاف بين هاتين المجموعتين الرئيسيتين بل نجده يمتد داخل كل مجموعة منهما، وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بموضوعات سياسية وجهادية ولأن البحث بين يدينا يختص بتجربة سلفية جهادية (الدولة الإسلامية / الخلافة) [داعش]، فإننا سنتناول الاختلافات داخل هذه المجموعة السلفية الجهادية، ونترك المجموعة الأخرى وتقسيماتها المتعددة وتصنيفاتها خارج هذا البحث.

ج- اختلاف المرجعيات والصراع بينها

إذا كانت التوترات والاختلافات الأساسية بين المجموعتين الأساسيتين في السلفية المعاصرة (المستكينة والنشطة) سببه الأساس الموقف من الحاكم (بين القبول بالسلطة السياسية حتى لو لم يتقيد الحاكم بالقانون الإسلامي، وبين الرفض له إذا لم يكن متقيداً بالحكم والقانون الإسلامي). وهذا ما أنتج انشقاق تاريخي ومفصلي داخل السلفية أدت إلى نوع من التزاوج أو الاندماج بين الأفكار السلفية من جهة والقطبية الجهادية من جهة أخرى والتي (تبلورت في مرحلة أفغانستان بشكل حاسم وواضح) وإن كانت سابقة على مرحلة أفغانستان في تعددها وتنوعها، كما يقول أبو مصعب السوري (عمر عبد الكريم): لقد حصل التزاوج الفكري بين فكر الإخوان المسلمين والمنهج الحركي (الجهادي) للسيد قطب، وبين الفقه السياسي للإمام ابن تيمية والمدرسة السلفية، مضافاً إليه التراث الفقهي العقدي للدعوة الوهابية، وأنتج هذا التزاوج، المنهج السياسي الشرعي الحركي للسلفية الجهادية^(١).

(١) عمر عبد الكريم (أبو مصعب السوري) - دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، بدون دار نشر، بدون طبعة، ٢٠٠٤م.

ونلاحظ هنا هذه المشارب الفكرية المتنوعة التي تلاقحت في لقاء الجهاديين في أفغانستان^(١) وتبلور من خلال هذا التلاحح والمزج (الواضح والحاسم) تيار السلفية الجهادية.

وكانت القاعدة بزعامة ابن لادن التجسيد الأبرز لهذا التيار آنذاك. إلا أن هذا التيار هو الآخر لم يسلم من الاختلافات والتشققات داخله والتي وصلت ليس فقط إلى انشقاقات تنظيمية عن القاعدة، بل إلى صدامات دموية بينهم، كما حصل بين [داعش] وجبهة النصرة في سوريا، وكما يحصل الآن بين الفصائل السلفية المقاتلة هناك.

ومرد هذا الاختلاف والتشقق هو غياب المرجعية الواحدة للتيار السلفي الجهادي فبعد مقتل بن لادن، وعبد الله عزام قبله، وانتهاء حرب أفغانستان وعودة هؤلاء الذين اجتمعوا في أفغانستان إلى دولهم أو إلى اصقاع مختلفة من العالم نتيجة الضربات الأميركية لأفغانستان، فإن التيار السلفي الجهادي فقد المرجعية الشرعية والتنظيمية الواحدة التي جمعتها تحت راية عبد الله عزام (شرعياً) وابن لادن (تنظيماً).

فإذا كانت ظروف اجتماع اتباع التيار السلفي الجهادي في أفغانستان ساعدت على إيجاد مرجعية شرعية وتنظيمية موحدة هي [تنظيم القاعدة] (عبد الله عزام - ابن لادن) فإن تغير الظروف وتفرق الاتباع، أفقدتهم هذه المرجعية أو ساعدت

(١) رصد أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» الذي يشكل مرجعاً مهماً حول مسار الحركة الجهادية منذ (١٩٦٣ - ٢٠٠٤م) أكثر من ١٤ حركة وجماعة جهادية التقت في حرب أفغانستان، وهي جاءت من بلدانها وتحمل معها تجارب قاسية (المغرب، تونس، الجزائر، مصر، ليبيا، لبنان، طاجكستان، أوزبكستان، تركستان الشرقية).

على ذلك، خصوصاً وإن كل من هؤلاء سعى لبلورة مشروعه الخاص الجديد في دولته أو في غربته وخصوصاً في ظل تراجع تأثير أيمن الظواهري على أتباع القاعدة.

وهذا ما لحظناه في بناء مشروع [أبو مصعب الزرقاوي] في العراق الذي مرت علاقته بالقاعدة الأم بحالة من المد والجزر واختلاف في الآراء والتكتيكات وتحديد الأولويات^(١).

وهذا ما يؤكد كويتان فيكتور روفيكس، بقوله: «في الحركات التي يتشارك نشاطها في منظور عقدي مشترك كالحركة السلفية، فإن التنافس الداخلي كثيراً ما يحدث حول اعتبارات تكتيكية مؤقتة... وكثيراً ما يتفرون حول كيفية تحقيق أهداف المجموعة والتحول الاجتماعي... وفي ظل تعدد الخيارات يوجد إمكانات التخالف والتفتت ضمن الحركة»^(٢).

وقد شهدت مرحلة الإنتفاضات العربية (أو ما سمي بالربيع العربي) واطلاق بعض رموز الجماعات المتطرفة من السجون، انتعاش الجماعات الجهادية السلفية وحدثت لديهم انقساماً واضحاً، فالجيل السابق يرى أنه الأحق بالقيادة والريادة والجيل الحالي هو المتمكن فعلياً في الميدان، لذلك ظهرت جماعات

(١) بالعودة إلى العلاقة بين [أبو مصعب الزرقاوي] وابن لادن، نشهد اختلاف واضح في تحديد الأولوية، فالزرقاوي كان يركز على قتال الشيعة في العراق ثم الأميركيين، بينما كان رأي بن لادن التركيز على الأميركيين وتأجيل أو تجنب الصدام مع الشيعة هناك. راجع الرسائل المتبادلة بينهم (كتاب فؤاد حسين، [الزرقاوي] الجيل الثاني للقاعدة، م. س، ص ٧١ وما بعدها).

(٢) كويتان فيكتور روفيكس، الحركة السلفية - العنف وفتت المجتمع (الفصل العاشر من كتاب الشبكات الإسلامية) ص ٢٨٥ - ٣١٦ ترجمة محمد البجيرمي، العبيكان.

استطاعت الخروج الفعلي من عباءة القاعدة ودخلت في مرحلة إعادة التأسيس والتكوين الفكري والتنظيمي، وساعدها على ذلك وجود أماكن صراع في سوريا والعراق ومالي واليمن، ولكنها كانت بوتيرة أسرع من القاعدة وأكثر عنفاً منها، وأقل محتوى علمي وفكري وأكثر قدرة على الانتشار والبت نظراً لاستخدامها الكثيف للإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي^(١).

كما شهدت الساحات في مصر والسعودية والجزائر وبلدان أخرى مجموعة كبيرة من المراجعات الفكرية والتنظيمية لرموز ومنظرين جهاديين ولتنظيمات جهادية.

د- اختلاف الموقف من الربيع العربي (بين الفرصة والتهديد)

بعد تحولات «الربيع العربي» وفشله في أكثر من دولة من خلال الثورات المضادة وعسكرة الثورات استثمرت الجهادية العالمية التحولات العميقة وعززت من وجودها وتمدها فقد أصبحت الفروع الجهادية الإقليمية للقاعدة، التي تطورت تاريخياً من حركات جهادية محلية أكثر تحراً من اشتراطات المركزية واللامركزية. كما ظهرت شبكات وجماعات جديدة تشارك القاعدة في انتمائها الأيديولوجي السلفي الجهادي وأهدافها البعيدة بإقامة الخلافة الإسلامية.

وكان الموقف السلفي الجهادي منقسماً بين من رأى في أحداث الربيع العربي فرصة للسلفية الجهادية حيث أنتجت هذه الأحداث حالات من ضعف الحكومات المركزية وتفسخ الواقع الأمني وغياب السيطرة المركزية للحكومات، وبالتالي الوصول إلى حالات توحشٍ تشكّل فرصاً للاستثمار لدى الجهاديين

(١) موقع السكينة، قراءة في التغيرات الفكرية للجماعات المتطرفة خلال ١٠ سنوات، نشر

لإدارة هذا التوحش والسعي إلى التمكين والسيطرة ولو على جزء من الجغرافيا في هذه الدول، حيث اعتبروا «أن محطة الثورات العربية هي محطة استثمار واستفادة من هذا الحدث التاريخي»^(١).

بالمقابل، رأى البعض الآخر في أحداث الربيع العربي تهديداً لمشروع الجهاديين يقطع الطريق على مشروعهم، مما يستوجب الالتفاف على هذا التهديد وتحويله إلى فرصة عبر المشاركة في الانتخابات لإيصال الإسلاميين إلى السلطة، وتمكينهم منها. وهذا الأسلوب برأيهم سيوفر عليهم مشقة التنقل في مراحل التوحش وإدارة التوحش وصولاً إلى التمكين بعد بذل جهود ودماء، وكان من أبرز أصحاب هذا الرأي أيمن الظواهري، الذي وجه رسالة تتضمن دعوة الإسلاميين في مصر لدعم وصول مرشح جماعة الإخوان المسلمين محمد مرسي إلى سدة الرئاسة.

واللافت في الأمر أنه في زمن الثورات المضادة ما بعد الربيع العربي، شهدت الجهادية العالمية من جديد انشطاراً بين نهجين:

- أحدهما: بزعامة أيمن الظواهري (يتمسك بأجندة القاعدة التقليدية) والتي تنص أولويتها على قتال العدو البعيد ممثلاً بالغرب عموماً وأميركا خصوصاً (باعتبارها حامية للأنظمة العربية الاستبدادية) وراعية لحليفها الاستراتيجية إسرائيل من جهة والسعي لتطبيق الشريعة وإقامة الخلافة من جهة أخرى.
- ثانيهما: بزعامة أبو بكر البغدادي، وترتكز أجندته على أولوية مواجهة العدو القريب والتصدي للنفوذ والتوسع الإيراني في المنطقة ومحاربة [المشروع الصفوي] كما يصفه التنظيم^(٢).

(١) راجع (عبد الله بن محمد: المذكرة الاستراتيجية، مصدر سابق، ص ٤٦).

(٢) محمد أبو رمان وحسن هنية: تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢١ - ٢٢.

هـ- الخلافات على خلفية الانتماءات الوطنية

عندما نقرأ عن القاعدة وبن لادن و«الأفغان العرب» وأبو مصعب [الزرقاوي] (الاردني) وأحلامه بدولة الخلافة ثم سعيه لدمج الفصائل لتوسيع [تنظيم القاعدة] في بلاد الرافدين ليسمى هذا الدمج (مجلس شوري المجاهدين). ثم إعلان دولة العراق الإسلامية على يد [أبو عمر البغدادي]، نجد في الشايات الخلفيات والكواليس خلافات ذات منشأ ينتمي إلى هويات وطنية (جزائرية - ليبية - عراقية - أردنية - سعودية - مصرية... إلخ).

وهذا ان دلّ على شيء فهو يدل على وجود آثار مهمة في اللاوعي عند جميع هؤلاء لفكرة الوطنية وإن كانت بالنسبة لهم على المستوى العقائدي مرفوضة.

ففي رسالة الظواهري للزرقاوي يقول له: هل تولّي قيادة غير العراقيين للمجاهدين أو لفصيل من المجاهدين يمكن أن يثير حساسية لدى البعض؟ وإذا كان ثمة حساسية؟ فما أثرها؟ وما الطريق لإزالتها؟. ومن المعروف النصيحة التي قدمها قادة القاعدة لأبومصعب حول ضرورة تصدر العراقيين المشهد الجهادي في العراق.

لم تستطع السلفية الجهادية ولا تجربتها في أفغانستان أن تمحو من نفوس الجهاديين انتماءاتهم الوطنية أو تتجاوزها وتذبيها ضمن بوتقة الأخوة الإسلامية، التي شهدتها دولة الرسول وبقي الانتماء الوطني حاضراً لاسيما في التنافس على المواقع والمسؤوليات لاسيما ان العراقيين كانوا ما زالوا جديدي عهد بالسلفية الجهادية وهم لم يقبلوا ان يكونوا تحت أمره المهاجرين العرب، لاسيما الضباط السابقون من الجيش العراقي (جيش صدام حسين).

لذلك برزت سيطرة متنامية لهؤلاء (العراقيين) على مواقع القيادة والتأثير داخل [داعش]، على حساب انحسار دور المهاجرين العرب في دولة الخلافة.

و- الانشقاقات والصراع داخل داعش

تؤكد التقارير ان [داعش] تشهد انشقاقات كبيرة في صفوفها في الفترة الأخيرة بسبب تحديات داخلية وخارجية التي تواجهها إذ باتت المئات من عناصرها يفرون من المناطق التي تسيطر عليها [داعش] باتجاه تركيا أو الدول المجاورة. كذلك سجل قتال داخل [داعش] في الرقة ودير الزور والموصل بين [الأنصار] المقاتلون الأجانب وبين السوريين والعراقيين الذين يشعرون أن لهم الأفضلية على الأجانب في تولي كل المراكز القيادية في إدارة المناطق المسيطر عليها من قبل [داعش] في بلديهما^(١).

وتعزى أسباب الانشقاقات إلى تزايد حدة التوترات بين مسلحي [داعش] بدافع الخلافات العقائدية والفكرية بسبب أصولهم ومنابتهم القادمة من مشارق الأرض ومغارها، إضافة إلى النزاعات بين عناصر التنظيم والسكان المحليين واحفاقها في تجنيدهم وارسالهم إلى الخطوط الأمامية لساحات القتال والانتكاسات التي مُنيت بها في المناطق التي تسيطر عليها.

وتجلت الخلافات والنزاعات أيضاً بين مسلحي [داعش] المحليين والمسلحين الأجانب القادمين إليه من الخارج في المعاملة التمييزية التي يحظى بها العناصر الأجنبية، من حيث الأوضاع المعيشية التي يعيشونها والرواتب الشهرية التي يتلقونها وتوزيع السبايا والغنائم.

(١) فواز جرجس: [داعش] إلى أين؟، مصدر سابق، ص ٢١٩.

وشكّل الانتقال والتغيير الجذري الحياتي للمسلحين الأجانب الذين قدموا من المدن وتعودوا على رغد العيش وكمالياته هاجساً كبيراً خاصةً عند الشباب الذين لم يألفوا ظلف العيش وانخدعوا بالإغراءات والعهود الرنانة لـ [داعش] حيث بات يراودهم حلم العودة لما كان عليه حالهم وكيفية الخروج من عباءة الدولة الإسلامية.

فقد ترجمت الخلافات إلى اقتتال داخلي ومواجهات وحشية بين صفوف الدولة الإسلامية، كما نتج عنها تصفيات واعتقالات لمعارضين [داعش] حسبها ذكرت بعض قيادات [داعش] التي خرجت منه^(١).

وفي حديث أشار الكاتب الصحفي والمحلل السياسي السعودي [خالد الفرغ] إلى أن هناك أسباب عدّة تفسر الفرار الجماعي لعناصر التنظيم منها ما يتعلق بهشاشة بنية التنظيم داخلياً وعدم وجود روابط لهذا التنظيم بالمعنى السياسي والفكري إضافة إلى اكتشاف حقيقة التنظيم داخلياً.

وأضاف [الفرغ] إن حالة الانفتاح في خطاب عدد من الدول الإقليمية، وإشراك كافة مكونات وعناصر المجتمع في محاربة التطرف الفكري ساهمت في انحسار حالة الاستقطاب للتنظيم الذي كان يعوّل عليها كذخيرة استراتيجية، مشيراً إلى أن التدخل العسكري الروسي في سوريا ربما يأتي بنتائج عكسية ويغذي الخطاب الأيديولوجي لـ [داعش] لمحاربة الأجنبي وطرده المحتل.

ومؤخراً أورد المرصد السوري لحقوق الإنسان تصريحات لأحد القيادات المنشقة عن [داعش] قوله إن التنظيم أقدم على تصفية مئات من مسلحيه من

(١) راجع (ويكيليكس البغدادي: تكشف [داعش] على حقيقتها.. تغريدات مؤلمة.. زمان الوصل ٢٠١٥/١/٥).

الشيشان وعناصر أخرى قادمين من وسط آسيا حاولوا الانشقاق عنه.

وأشار القيادي بحسب المرصد إلى أن سبب الانشقاق يعود إلى اعتقاد المسلحين بأن خيار القتال مع [داعش] كان خياراً خاطئاً بسبب الخلافات بشأن العقيدة القتالية للتنظيم وأنه كان الأخرى بهم القتال ضد النظام الروسي خاصة مع تسارع وتيرة الأحداث بالتدخل العسكري الروسي خلال الأسابيع الماضية.

وعبر تسجيل صوتي نشر على موقع التواصل الاجتماعي أكد [أبو وليد المقدسي] وهو أحد القيادات في صفوف [داعش] أن بنية التنظيم بدأت بالاهتراء من الداخل بسبب الممارسات التي لا تمت للإسلام بصله كالنزاع على السلطة والسلطان والفساد الذي بات يأكل أوصال الدولة الإسلامية من الداخل.

وأشارت أنباء أخرى إلى أن انشقاقات بين صفوف [داعش] في قضاء الرطبة غربي الأنبار على خلفية توزيع السرقات من معبر طريبيل غربي الأنبار، كما أوردت تقارير عدة تشير إلى حدوث انشقاقات وفرار جماعي في صفوف [داعش] ومحاولة هروب لأمرء الحرب في [داعش] خارج الأنبار.

ويبدو أن المتتمين للدولة الإسلامية باتوا يعيشون حالة من التملل بسبب الصدمة التي يعيشونها على أرض الواقع بخلاف ما اجترحته لهم أحلامهم الطوباوية عن تلك الهالة التي أحاطت بالتنظيم ليصطدموا بأوضاع معيشية بائسة وتنظيم استبدادي استشرى فيه الفساد والنهب والاختلاسات^(١).

والخلاصة فإن لوثة الخلافات المرجعية عند السلفيين والجهاديين عموماً

(١) راجع (صحيفة الديار - الاثنين ٠٢-١١-٢٠١٥، مقال لرئيس التحرير في الصحيفة شارل أيوب).

تمثل قطب الرحى في أسباب فشل المشاريع السياسية والجهادية عندهم وإن الأحداث السياسية والموقف منها تشكّل العامل الرئيسي في الاختلافات فضلاً عن مسألة الزعامة والإمساك بالقيادة، وهي يمكن أن تتلخص في هذه الأمثلة:

١- خلاف داخل الإخوان المسلمين بين القطبيين والآخرين من الإخوان على خلفية مصطلح «الجاهلية» و«الحاكمية» عند سيد قطب وانسحب إلى الخلاف على الأولويات هل هي للدعوة أم للجهاد ضد الأنظمة الكافرة.

٢- خلاف الفصائل الأفغانية وقتالهم المرير مع طالبان في أفغانستان، وسقوط الآف القتلى في المعارك بينهم في ظل الصراع والتنافس على السلطة، ونفس الأمر حدث بين الفصائل السلفية الجهادية في الجزائر وليبيا.

٣- تفرق الأفغان العرب كل إلى دولته بعد (أفغانستان) وشروعهم بمشاريع قتالية وجهادية ضد الأنظمة كل على حدة (الجزائر - ليبيا - مصر - الشيشان - البوسنة وغيرها).

٤- الخلاف بين القاعدة والزرقاوي على الأولوية في قتال العدو القريب أو البعيد والذي تطور فيما بعد [الزرقاوي] إلى خلاف حول الدولة وإعلانها وعلى نوع البيعة لإمارة حرب (خاصة) أو لإمارة المؤمنين (عامة) وعلى خلفية اجتهادات فقهية في تكفير الشيعة عموماً وتوسيع دائرة التكفير.

٥- الخلاف على الموقف من المشاركة في الانتخابات بعد الربيع العربي كما حدث في مصر وتونس.

٦- خلاف جبهة النصرة - وداعش في سوريا على كيفية العمل في الساحة السورية بين دمجها أو استقلالها عن الساحة العراقية والقتال المرير بينهما والذي وصل

إلى مستوى من العنف غير مسبوق استخدموا فيه العمليات الانتحارية ضد بعضهم البعض.

٧- تعددية الفصائل المقاتلة السلفية منها وغير السلفية في سوريا - والعراق (أكثر من ثمانون فصيلاً ومجموعة جهادية)، والفوضى في التحالفات والانشقاقات المستمرة.

٨- تعددية المرجعيات وتكفير البعض للبعض الآخر، وقد ذكرنا امثلة التكفير بين رموزهم ومرجعياتهم لبعضهم البعض (أبو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي، وأبو مصعب السوري - يقال أنه أُغتيل بعملية انتحارية-)، وعبد الله المحيبي - تعرض لأكثر من محاولة اغتيال).

وهذا أبرز ما يمكن رصده في إطار الخلافات والاجتهادات في الرأي بين قادة السلفية الجهادية، المنطلقة في غالبيتها من خلفيات المواقف السياسية من الأحداث والتطورات والصراع على السلطة. وبالمقارنة مع تاريخ الخلافة الإسلامية وما أثير حولها من إشكالات، نجد الكثير من التقاطع بين التجربتين لاسيما في تطويع الدين والفتوى لخدمة السياسة وليس العكس كما هو في اصل العقيدة الدينية.

٣- البيئة الحاضنة :

منذ [الزرقاوي] وحتى [أبو بكر البغدادي] عملت [داعش] ضمن استراتيجية التوتير الطائفي حيث يمكن الاستفادة من هذا التوتير الطائفي لشد عصب السنة في العراق خصوصاً وثانياً في سوريا، وقدمت [داعش] نفسها كمدافع عن الطائفة السنية، ونادراً ما نجد خطاب لقاداتها يخلو من الشحن الطائفي، وإظهار العدا للروافض (الشيعة)، ففي خطابه العلني الأخير (قبل

مقتله) في ٧ حزيران ٢٠٠٦، أكد [الزرقاوي] بأنه «لا يمكن أن يكون للمسلمين نصر ولا غلبة على المحاربين الكفار من اليهود والنصارى إلا بعد القضاء على من دونهم من العملاء المرتدين وعلى رأسهم الرافضة»^(١).

وإذا كان الهدف الأساسي من إثارة التوتر الطائفي شد العصب المذهبي عند أهل السنة في العراق، فهو لتحقيق غاية كامنة في عقل [الزرقاوي] ومن جاء بعده لتحصيل بيئة حاضنة لديهم شعبياً وجغرافياً، وهي استغلال واضح لحالة الشعور بالظلمية جراء فقدانهم للحكم بعد سيطرة الشيعة على الحكم بمساعدة أميركية بعد سقوط نظام صدام حسين إثر الغزو الأميركي للعراق.

واستمرت دولة العراق الإسلامية في استغلال الانقسامات السياسية والاجتماعية القائمة، لكن وببساطة بالغت دولة العراق الإسلامية في تقدير قدرتها على حشد الدعم الشعبي السني ووزعت قواتها على مناطق واسعة (معظم المحافظات السنية في شمال وشرق العراق) ما جعلها ضعيفة في وجه ما ستواجه لاحقاً^(٢)، حيث واجهت مجالس الصحوة العشائرية (السنية) المسلحة التي كانت تحظى بدعم الولايات المتحدة، وقوات الأمن العراقية الحكومية، والتي جعلت [داعش] ترزح تحت ضغوط شديدة في العراق ونتيجة لذلك عانت دولة العراق الإسلامية بشكل ملحوظ في الفترة بين ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩م، فغادر العديد من مقاتليها الأجانب العراق وتراجعت وتيرة العنف الطائفي بشكلٍ ملموس^(٣).

(١) نقلاً عن هدرسن انستيتوت: www.hudson.org.

(٢) تشارلز ليستر، تحديد معالم الدولة الإسلامية، مركز بروكنجز الدوحة، ٢٠١٤م، ص ٧.

(٣) كولن كال، فورين بوليسي، ٣١ آب ٢٠١٠م.

<http://mideastafrica.foreignpolicy.com/posts/2010/08/31/breaking-down>

إذاً [داعش] ليست نتاج قبول المجتمع المحلي، كما يقول فالح عبد الجبار، لكنها نتيجة اخفاق الدولة في بناء مجتمع تعددي، وفي قبولها الفعلي المؤسساتي بالتعدد، وإلى وجود تيار اجتماعي يحمل إيديولوجيا الخلافة في المجتمعات العربية الإسلامية ومنها العراق منذ أمد بعيد^(١). ويضيف محلاً تخيال المجتمع السني قبل غزو الدولة الإسلامية المدن السنية الكبرى في العراق، قائلاً: وتتبدى في هذا الحقل الصورة الذاتية لهذا المجتمع وتقلبات تخياله على امتداد عقدين يمكن تسميتها فترة الانقلاب في الرؤى، وبرأيه، مهد التقارب الانتقالي بين البعث الصدامي، والتكفيريين لبناء هوية طائفية سنية محاربة، تعطل المسعى السياسي لباقي القوى السنية وتمهد لتنامي الآمال بظهور مخلص جديد بعد تنامي الأزمات.

وفي البحث عن المخلص، يتناول تخيال المجتمع المحلي إزاء الدولة الفاشلة أو دولة اللادولة منذ ٢٠١٢. الذي يعد عام تحول ونكوص، فالدولة الإسلامية اغتنمت ما اعتبرته الفرصة الكبرى للعودة إلى الساحة العراقية من خلال الاعتصامات التي كانت على أشدها والغضب عاصف، واتجاه امزجة القادة والشباب السياسية إلى التحدي فالعنف، وعملت [داعش] على الإفادة من الغضب المحلي لتحقيق مكاسب التجنيد واطلاق الوعود بعدم السير في طريق الدماء، والتي اقترن انتشارها (الدولة الإسلامية) من جديد بحملة دعائية طائفية سافرة في التحامل على الشيعة واعلاء شأن الهوية السنية لكن المجتمع المحلي كان يبحث عن خلاص وليس عن مخلص^(٢).

(١) فالح عبد الجبار، دولة الخلافة، التقدم إلى الماضي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٧م، الفصل الأول ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه، الفصل الخامس، ص ١٣٢.

وهنا يأتي الحديث عن التعامل مع العشائر والفصائل السنيّة المسلحة، فما الذي جرى؟

عجّلت هجومات الدولة الإسلامية عبر العراق وإقامتها لما يسمّى بالخلافة دفقاً مستمراً من العناصر المتمردة والعشائرية التي أعلنت استسلامها عبر أنحاء دير الزور. وعزز كل استسلام تفوّق الدولة الإسلامية في مناطق أخرى كانت جماعات المعارضة المتنافسة ما زالت تسيطر عليها. وقد ضعفت هذه الجماعات المعارضة أكثر بفعل عرض الدولة الإسلامية إتاحة الاستسلام السلمي أمامهم مقابل توبتهم ونزع سلاحهم. وبحلول منتصف أغسطس ٢٠١٥، وعلى الرغم من تمرد عشيرة الشيعيات - التي تعرّضت للقمع بوحشية مما أدى إلى مقتل ٧٠٠ رجل واختفاء ١٨٠٠ آخرين - كانت الدولة الإسلامية قد عزّزت سيطرتها على نحو فعال على جزء كبير من محافظة دير الزور^(١).

وبعيداً عن الديناميكيات المحلية المحددة، أثبتت الدولة الإسلامية أنها قادرة على وضع وتنفيذ استراتيجية متعددة المراحل تهدف إلى إنشاء فراغ فوضوي في السلطة يمكنها من النفاذ إلى المنطقة.

فمن خلال الجمع بين استراتيجية المتمردين النموذجية القاضية بالاستنزاف المقرون بالوحشية المتطرفة (مثل إعدام حوالي ٢٠٠ رجل ألقوا القبض عليهم من قاعدة الطبقة الجوية في أواخر شهر أغسطس)، تستطيع الدولة الإسلامية اكتساب النفوذ اللازم لتصبح مهيمنة على المستوى المحلي. وعند بلوغ تلك المرحلة، تبدأ وحدات الدولة بلعب دور محوري في جميع الشؤون المحلية، كما

(١) رويترز، ٢٦ آب، ٢٠١٤، Islamic State Turns Radical Islam on Syria Mus-
www.reuters.com:ilms"

أوضح في شهر أيار ٢٠١٤ أبو أسامة، وهو مقاتل بريطاني متمركز في حمص: «أيامنا هنا متشابهة، إذ نقف على نقاط التفطيش ونسيّر دوريات في المنطقة ونسوي النزاعات بين السكان المحليين وبين العشائر ونعقد الكثير من الاجتماعات مع شيوخ القرية ورؤسائهم لنتمكن من مناقشة همومهم وشكواهم»^(١).

تعمل الدولة الإسلامية في بيئات معقدة، ففي خلال المرحلة التي تلت هجوم حزيران ٢٠١٤ في العراق، عُقدت تحالفات مع فصائل سنية مسلحة أخرى، عادةً ما تعتبر الكثير منهم أعداءً. وفي حين أنّ هذه التحالفات أبعد ما تكون عن الديمومة - فقد وقعت اشتباكات متكررة على نطاق صغير، وبخاصة مع جيش رجال الطريقة النقشبندية الذي يضم عناصر بعثية كثيرة - فهي سوف تستمر باستمرار المعركة الأكبر ضدّ الحكومة. في الواقع، وعلى الرغم من التوترات، أثنى [عزت إبراهيم الدوري]، زعيم جيش رجال الطريقة النقشبندية ونائب الرئيس العراقي السابق في عهد [صدام حسين]، بوضوح على الدور القيادي الذي يلعبه «أبطال وفرسان القاعدة والدولة الإسلامية» في بيان صوتي صدر في ١٣ تموز^(٢).

هذا ما يدفع للقول إن سياسة [داعش] في كسب الحاضنة الشعبية السنية كانت تمر بانتكاسات، رغم صعودها على موجات التوتر الطائفي إلا أنها سرعان ما كانت تفقد هذه الحاضنة الشعبية بمجرد مواجهة عمل جدي من قبل الحكومة والعشائر أو من قبل القوى الداعمة لها سواء من الخارج (التحالف

(١) مقابلة أجراها تشارلز ليستر مع أبو أسامة، أيار ٢٠ ونشرت في (تحديد معالم الدولة الإسلامية) ٢٠١٤، مصدر سابق، ص ١٦.

(٢) موقع قناة العربية، ١٣ تموز ٢٠١٤، «Saddam's Deputy: Baghdad Will Soon Be

الدولي) وإيران، أو من الداخل (الحشد الشعبي)، والجيش العراقي.

فهي لم تستطع الحفاظ على حاضنة مستقرة، نظراً لعدم تغلغل ثقافة [داعش] العنيفة من جهة والصارمة اجتماعياً من جهة أخرى في النسيج المجتمعي السني العراقي، وحتى الذين تعاملوا معها في البدايات كمخلص، سرعان ما نفروا من الممارسات الدموية، والقوانين الاجتماعية الصارمة التي طبقتها [داعش] في مناطق سيطرتها.

فلم نشهد أي حالة تعاطف شعبية حقيقية على انحسار [داعش] عن مناطق نفوذها بل على العكس، شهدنا غالباً حالة من الفرح والشعور بالانعتاق من القيد عند السكان المحليين، هذا فضلاً عن حالات النزوح من هذه المناطق خصوصاً للفئات المسورة مادياً، والتي تستطيع العيش خارج تلك المناطق بحرية أكبر وخوفاً من تعرضها للابتزاز المادي من قبل [داعش].

أخيراً بعد تحرير الباغوز المعقل الأخير لداعش، بتاريخ ٢٣-٠٣-٢٠١٩م. تم الإعلان عن نهاية [داعش] في تغريدة على تويتر نشرها مصطفى بالي، مدير قوات سوريا الديمقراطية القضاء التام على ما يسمى بالخلافة وخسارة التنظيم لأراضي سيطرته بنسبة ١٠٠٪.

وأكدت القوات الكردية خروج أكثر من ٦٧ ألف نازح من آخر جيوب [داعش] (الباغوز) منذ مطلع العام ٢٠١٩م، بينهم خمسة آلاف مقاتل تم توقيفهم، وعدد كبير من أفراد عائلات مقاتلي التنظيم، الكثير منهم من الأجانب، وقد نقلوا إلى مخيمات أبرزها مخيم الهول (شمال شرق البلاد- سوريا)^(١)، وهذا

(١) نقلاً عن موقع رصيف ٢٢، بتاريخ ٢٣ / ٠٣ / ٢٠١٩، www.reseef22.com.

يؤكد أن خمسة سنوات انطوت من سيطرة [داعش] على منطقة جغرافية بحجم مساحة بريطانيا وبعدها سكان يتراوح بين ٨-١٠ ملايين، لم يبق منهم سوى عدة آلاف يدافعون عنه في معقله الأخير ومعظمهم من الأجانب الذين لا خيار لهم سوى الصمود حتى النهاية.

وحتى هذا المجتمع الداعشي الخاص هو مجتمع شتاتي (٨٠ دولة) وهو مضطرب، وشهد الكثير من النزاعات الداخلية، كما تقدم في أكثر من شهادة للعائدين والخارجين من [داعش]، فقد كان محكوماً بالكاريزما «المقدسة» للخليفة، وبأجهزة أمنية قمعية تحدث عنها العديد من المعتقلين من مقاتلي [داعش] الذين عبّروا أنهم كانوا يخشون من الانتقاد أو الاعتراض خوفاً من العقوبة التي قد تصل إلى الموت، وحتى يخافون السؤال خوفاً من التشكيك بولائهم.

المبحث الثاني

إشكاليات ممارسة السياسة في تجربة داعش

إن المدخل الطبيعي لتلمس إشكاليات السياسة في تجربة الدولة الإسلامية هو التعريف بمعنى السياسة وتحديد المقصود منها في تجربة [داعش].

في معنى السياسة: يكمن المعنى عادة في اللغة، والسياسة في اللغة: تولى الأمر.

جاء في لسان العرب، وساس الأمر سياسة: قام به، ورجل ساس من قوم ساسةً، وسوّاس، وسوّسه القوم: جعلوه يسوسهم ويقال سُوّس فلان أمر بني فلان أي كُلف سياستهم. وسستُ الرعيةً سياسةً، وسوّس الرجل أمر الناس، إذا ملك أمرهم، والسياسة: القيام على الشيء بما يُصلحه، والسياسة فعل السائس^(١).

كما جاء في معجم المعاني: السياسة إسم مصدر ساس يسوس وتعني تولى أمر الناس وإرشادهم إلى الطريق الصالح، والسياسة المدنية هي تدبير المعاش مع العموم على طريق العدل. وساس القوم: تولى قيادتهم وعني بأمرهم. وساس الأمر: قام به، ودبره^(٢).

وفي المعجم السياسي، عرفت السياسية بأنها علم الدولة، ولغةً هي القيام بشؤون الرعاية، واستخدام المصطلح بمعنى فن الحكم والقواعد المنظمة بين الدولة وغيرها من الدول أو المنظمات الدولية مما يدخل في نطاق القانون الدولي والدبلوماسية^(٣).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، دار لسان العرب، بيروت، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٢) معجم المعاني، تطبيق إلكتروني يجمع مجموعة معاجم (الرائد، الوسيط، الغني)، Apple Store.

(٣) أحمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨م، ص ٦٦١.

ومما تقدم يقتضي أن دراسة إشكالية السياسة في تجربة دولة الخلافة الإسلامية المعاصرة [داعش] يستدعي الإضاءة على ما اعتمده ومارسته [داعش] من أنظمة وقوانين وأساليب حكم، داخل الجغرافيا التي سيطرت عليها، من جهة وكيف تعاملت مع الدول المحيطة الأخرى في الإقليم والعالم وكيف نظرت إلى الدبلوماسية والقانون الدولي، من جهة أخرى.

وقد تم استعراض العديد من هذه الموضوعات في البحث خلال الفصول السابقة، وبشكل تفصيلي، وحن الوقت للبحث في الإشكاليات التي تم استخلاصها من تلك الموضوعات.

ففي الفصل الخامس تم استعراض المفاهيم والأفكار المؤسسة للدولة (الخلافة)، وكيف استندت إلى الفكر السلفي الجهادي، وانطلقت من شعار وجوب قيام الخلافة وتأسيس الدولة، واتخذت من السنة في العراق حاضنة شعبية مزعومة بذريعة الدفاع عن حقوق أهل السنة هناك، حيث استغلت وجود مشاعر احباط وغضب ومظلومية عندهم، نظراً لسيطرة الشيعة على مفاصل الحكم، والأمر نفسه في سوريا، باتهامها النظام العلماني للأسد بأنه نظام علوي يقصي أهل السنة. وتم استعراض المؤسسات التي أقامتها في الدولة على صعيد القضاء والخدمات والتعليم والإعلام فضلاً عن النظام العام كخلافة والأمن الاجتماعي للناس، ولكن تزدحم مجموعة أسئلة عن التجربة، والسؤال الأول الذي يطرح نفسه هنا، هل نجحت [داعش] في انتزاع شرعية تمثيل الفكر السلفي في دولتها وخلافتها، أم أنها أخفقت في ذلك، وكيف؟ وهذا ما تم استعراضه في المبحث الأول في هذا الفصل تحت عنوان إشكالية الشرعية وتعدد المرجعيات.

أما السؤال الثاني المطروح فهو عن الحاضنة الشعبية ومدى وجودها وتماسكها وثباتها ومستوى احتضانها للتجربة فضلاً عن تأييدها والدفاع عنها كدولة خلافة تشكل يوتوبيا في بناء تاريخ مجيد مقبل، في المخيال الشعبي الإسلامي لا سيما عند أهل السنة منهم.

كما يطرح سؤال ثالث حول مدى قدرة [داعش] على الإمساك الأمني بالأرض وتأمين الأمن الاجتماعي للناس في ظل دولة الخلافة، ومدى سيادة القانون والنظام في المؤسسات التي أنشأتها واعتمدها كأدوات حكم في الدولة الإسلامية ومستوى الوحدة والانسجام في انتشار هذه المؤسسات على الرقعة الجغرافية التي تواجدت فيها دولة الخلافة، وحجم الفساد الذي أصاب البنية الإدارية في الدولة.

أما السؤال الرابع فيكمن في نوع العلاقات السياسية والدبلوماسية (إن وجدت) مع الدول والأطراف الإقليمية والدولية بما يمكن أن يدل على جانب من جوانب الاعتراف بالشرعية السياسية لهذه الدولة من جهة، ويدل من جهة أخرى إلى سيادتها وقدرتها على التعامل مع الآخرين كدولة ذات سيادة.

ويبقى السؤال الأخير حول أسباب الانحسار الذي شهدته التجربة، وخسارتها التدريجية لمناطق انتشارها وصولاً إلى خسارتها آخر معقل لها في الباغوز (على الحدود العراقية السورية) واستسلام من بقي من مقاتليها وتشريد أو هروب البعض الآخر منهم لا سيما القيادات المعروفة والمشهورة. مع وجود علامات استفهام حول مصيرهم؟!

فيما يلي نحاول البحث عن اجابات لهذه الأسئلة بالاستفادة من مجموعة آراء الباحثين في هذا الموضوع، كما بالرجوع إلى خطاب [داعش] وقادتها في هذه الموضوعات.

١- إشكالية التسرع في إعلان الخلافة :

لا يمكن تناول الإشكالات السياسية في تجربة [داعش] دون الولوج من المدخل الديني، ومفهوم الخلافة الذي يشمل كلا المعنيين الديني والسياسي معاً.

يقول [الماوردي] في الأحكام السلطانية: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين والسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة، واجب بالإجماع»^(١).

فالإمامة التي تمثل خلافة النبوة تجمع مسؤوليتين لا تنفكان عن بعضهما؛ هما حراسة الدين كعقيدة وشريعة، وسياسة الدنيا (تسيير شؤون المجتمع)، وبالتالي تندك السياسة بالدين في موضوع واحد يقوم به الإمام / الخليفة، فيحكم بمقتضى الشرع في السياسة والعلاقات الخارجية، كما في النظم والسياسات الداخلية. وبالتالي فإن الدولة التي ينشدها الإسلام هي التي تقيم الدين أولاً، قبل أي اعتبار آخر، وعلى رأس ذلك تحكيم الشريعة، الذي يأخذ بعين الاعتبار مضامين الأحكام وغاياتها في كافة المجالات الحياتية للناس^(٢).

ينظر مسؤول الهيئة الشرعية في الدولة الإسلامية (التميمي) في كتابه «أعلام الأنام» إن دولتهم الناشئة «لم تستلم ميراث من دولة سبقتها، بل هي تشق طريقها للحياة في جو محفوف بالصعاب، واصفاً إياها بأنها بناء إسلامي ينتهض

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، مصدر سابق، ج ١، ص ٥.

(٢) التميمي، عثمان بن عبد الرحمن، إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، مصدر سابق. ص ١٠.

من واقع جاهلي، أشبه ما يكون في ملامحه بمراحل الدولة الإسلامية الأولى، التي أقامها النبي محمد ﷺ. وفي هذا تبرير للإقتناع بمسايرة القدرة الممكنة والمتاحة على قاعدة العمل بمبدأ «ما لا يُدرك كله لا يُترك جلّه».

وهو لا يرى في الأمر تسرعاً، رغم اعترافه بأن «الخطط والبرامج ستنبع بالتأكيد من الظروف الواقعية، والموقف الذي يناسب المصلحة الجهادية في المقام الأول، ويخدم استمرار الجهاد وزيادة مكاسبه وثمراته، ويُعتبر هذا الموضوع الذي هو محلّ تساؤل البعض، ليس بحثاً شرعياً بقدر ما هي رؤية تعكس نظرة القيادة الجهادية للواقع»^(١).

وهو قد اتخذ من الظروف العسكرية الميدانية، والتحديات التي يواجهها مشروع الدولة مبرراً لكل القرارات التي تصدر عن القيادة في الدولة قائلاً «نحن تيار عامل يتحرك في الواقع بقوة، وينخرط في مواجهة كلّ تحدياته ومعتراكه، ويتشعب في برامج ومشاريعه بحسب ما تملّيه مصالح المشروع الجهادي»^(٢). ويضيف معتبراً أن مشروع الدولة، خطوة تشكّل خطورة وإثخان وإرغام للأعداء، رغم خلّوه من البرامج غير العسكرية، إلا أنه سيشكل الضربة السياسية الكبرى والصدمة العظمى للعدو، الذي يلتقط أنفاسه الأخيرة على أرض العراق، مما سيؤدّي حتماً لفشل الأهداف الاستراتيجية للعدو^(٣).

فالآمال والأحلام كبيرة في عقول أصحاب المشروع، ولكن الظروف والإمكانات هي التي تحكم مسار هذا المشروع، الأمر الذي يدلّ على نوع من

(١) للمزيد أنظر: المصدر نفسه ص ١١ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧.

البساطة في التفكير، وتدني في الخبرة السياسية، وعدم القراءة العميقة للواقع والظروف المحيطة، وقصور في تحديد مستوى التحديات التي تواجه المشروع وفرص نجاحه.

من الواضح أن البراغمية تسيطر على منهج التفكير لديهم، رغم الادعاء بأن «السيادة للشرع» كما يذكر التميمي في كتابه، وهذا يأخذنا إلى تلمس حجم الهوة والفجوة بين النظرية وإمكانية تطبيقها في الواقع والميدان.

فـ [التميمي] يقول: «الأصل الذي نُرجع إليه قراراتنا وخطط عملنا هو الكتاب والسنة والأقوال المعتمدة لأهل العلم، المشهود لهم من السلف والخلف»، ويستدرك قائلاً: «ولا نعلم في هذه الأصول توصيفاً للدولة المسلمة يجعل من مقوماتها وجود أجهزة معينة على نحو ما يراه العالم اليوم من شأن الحكومات»^(١).

وبالحقيقة فإن [البغدادي] بإعلانه دولة الخلافة في المنطقة، فتح النار على نفسه في داخل التيار السلفي الجهادي تحديداً، قبل محاربتة الدولة التي نشأ فيها، وافتتحت هذه الشرارة بإعلان البيعة لخلافته. وعليه فقد دخلت دولة الخلافة في صراعٍ دامٍ مع التيارات والفصائل الأخرى من أجل المبايعة، قبل أن يبدأ التحالف الدولي على [داعش].

في ٢٩ حزيران ٢٠١٤م أعلن عن إقامة الخلافة. في اليوم عينه، نشرت المجموعة مقطعاً فيديو بعنوان «كسر الحدود» و«تخطيم حدود سايكس بيكو» اللذين أظهرتا التدمير الفعلي لحاجز أرضي يفصل الحدود السورية عن العراقية، ومسلاً يتجول في حاجز حدودي عراقي مجاور لسوريا تمت السيطرة عليه. كما

(١) المصدر نفسه، ص ٦٦.

صدر في ١ تموز بيان صوتي احتفل فيه [البغدادي] بإقامة الخلافة، وتبعه بتاريخ ٥ تموز مقطع فيديو ليظهر للمرة الأولى علينا كـ «خليفة».

في حين أنه بدا أنّ هذه السلسلة الدراماتيكية والمصممة بدقة قد استقطبت دعماً كبيراً بين الجيل الجديد الأصغر سناً من الجهاديين المحتملين في جميع أنحاء العالم، كان إعلان الخلافة خطوة جريئة جداً، ولا سيما بالنظر إلى افتقارها للشرعية الإسلامية. يقول الدكتور أسامة حسن، وهو زميل أول في مؤسسة كويليام وإمام بدوام جزئي وخبير في الفقه الإسلامي:

«من حيث التعريف، تغطّي الخلافة الإسلامية العالم الإسلامي بالكامل... وتنطوي العودة الافتراضية للخليفة في الفقه الإسلامي على درجة كبيرة من الوحدة الإسلامية، مع إعلان الجماهير الإسلامية الموحّدة ولاءها له طوعاً. هذا هو الخطأ الأساسي الذي ارتكبه [الدولة الإسلامية] وهو خطأ فادح في معتقداتها الدينية. قد يكون يحقّ لهم إعلان إقامة إمارة إسلامية (كما فعلت طالبان في أفغانستان) أو حتى دولة إسلامية، كإيران وباكستان وأفغانستان وموريتانيا التي تُعرف كـ «جمهوريات إسلامية». أما إعلان الخلافة على جميع المسلمين وهم يحكمون، في أحسن الأحوال، بضع عشرات الملايين من السوريين والعراقيين من بين حوالي ١،٢ إلى ١،٥ مليار مسلم في جميع أنحاء العالم فهو تدمير لأي فكرة تمثيل المسلمين أو وحدتهم^(١).

وهذا يؤكد قصور الفهم والتفكير والتخطيط السياسي عند قادة [داعش]

(١) مقابلة أجراها تشارلز ليستر مع الدكتور أسامة حسن، ٢٧ آب ٢٠١٤ ووردت في دراسة تحليلية (تحديد معالم الدولة الإسلامية) عن مركز بروكنجز / الدوحة في كانون الأول ٢٠١٤م، ص ١٥.

وتوهمهم بأن اعلان الخلافة سيمثل مدخل لاستقطاب جميع الفصائل والشباب المتحمس للجهاد ويقطع الطريق على القاعدة في تزعم الجهاد العالمي، أو تصدر المرجعية الجهادية للجهاديين في العالم، ولم يأخذ بالاعتبار ان هناك آلاف الفقهاء ومئات المرجعيات الفقهية الإسلامية الرسمية وغير الرسمية والسلفية والجهادية التي لن تقبل ولن تغطي شرعية هذه الخلافة. هذا فضلاً عن الرفض الدولي والاقليمي الرسمي لها.

ولكن إذا كان التراث الذي يشكّل مرجعية الأصل للدولة؛ لا يقدم توصيفاً واضحاً لها، فهل هناك ما يبرر عدم توفير احتياجات المشروع من أجهزة وبنى قادرة، ومنظومات حكومية فاعلة لتيسير شؤونها؟!.

لقد سعى [داعش] لتشيد مشروعه الجهادي الذي ابتداءً كتنظيم أو فصيل جهادي لقتال الأميركيين والشيعة تحت عنوان [رفع المظلومية عن أهل السنة] ولتحصيل حاضنة شعبية له في العراق تحت مسمى جماعة التوحيد والجهاد. ثم انضم إلى [تنظيم القاعدة] ليكون فرعها العراقي ثم عبر ائتلاف جهادي مع الفصائل السنّية شكّل مجلس شورى المجاهدين، ليعبر من خلاله إلى إعلان دولة العراق الإسلامية، ويتوسّع ويمتد إلى سوريا لتصبح الدولة الإسلامية في العراق والشام، وصولاً إلى إعلان دولة الخلافة. وفي هذا المسار، نظرياً، وفي خطابه كان يحمل لواء الدفاع عن السنّة ومظلوميتهم في العراق وسوريا، ولكنه عملياً كان أكثر ضحاياهم من الطائفة السنّية (العشائر والمواطنين في مناطق سيطرته)، وتحوّلت مناطق السنّة إلى مناطق أشدّ فقراً وأدنى مستوى من الخدمات لأنها خرجت من رعاية الدول والحكومات القائمة، ولم تعوّض [داعش] مستوى ما فقدته هذه المناطق من الرعاية الخدمائية. هذا فضلاً عن إقامتها لأحكام وقوانين متشددة

وصارمة ومنع حريّات في الرأى والسّلك^(١).

٢- تحديات الحكم وإشكالاته :

من خلال إعلان قيام الدولة واستعادة الخلافة، جعل [أبو بكر البغدادي] قدرة الدولة الإسلامية على الحكم عملاً محدّداً لنجاحها. ولذلك تواجه الدولة الإسلامية ما كان «معضلةً أساسية» بالنسبة إلى المجاهدين: «لا يستطيعون تحقيق أهدافهم إذا لم يحكموا، ولكنّ السجلات تبين أنهم فشلوا مراراً في جهود الحكم»^(٢). ولكن على الرغم من ذلك، استطاعت الدولة الإسلامية أن تسيطر على أراضٍ، بما فيها مراكز محافظات ومدن متعددة، ولم ينجح مشروعها الديني - السياسي في إقامة الحكم فحسب، بل في توسيعه أيضاً. وقد وصف مواطنون محليون يعيشون في مناطق خاضعة لحكم الدولة الإسلامية إدارتها المحلية على أنها «سريعة وفعالة» وأنّ «كل شيء... منسّق» وجميع [أجزاء الإدارة مترابطة]. [هم] يتبادلون المعلومات، وبشكل عام، يبدو ناجحين في العمل معاً»^(٣).

استفادات المجموعة في العراق من قدرتها على استغلال الاستياء السني

(١) أنظر: ادريس هاني، في مقدمته لكتاب د. ياسر عبد الحسين، الحرب العالمية الثالثة، [داعش] والعراق وإدارة التوحش، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٥م ص ٥١-٨٢.

(٢) دافيد غارتنتستين - روس وأميشاي ماغن، «The Jihadi Governance Dilemma»، ذا واشنطن بوست، ١٨ تموز ٢٠١٤:

<http://www.washingtonpost.com/blogs/monkey-cage/wp/2014/07/18/the-jihadist-governance-dilemma>

(٣) غوهاز نايل، «Manbij and the Islamic State's Public Administration»، جهادولوجي مدونة، ٢٢ آب ٢٠١٤:

<http://jihadology.net/2014/08/27/guest-post-manbij-and-the-islamic-states-public-administration>

السائد من الحكومات التي يقودها الشيعة، والتي يُنظر إليها على أنها تقمع حقوق السنّة. وقد وفّرت نسبة ما من الرغبة الشعبية في شكل من الحكم السنّي العملي والمستقر للدولة الإسلامية فراغاً ملئته. وتقوم الدولة الإسلامية بملء هذا الفراغ من خلال الإدارة البلدية (الشرطة والتوعية الإسلامية والشؤون العشائرية والتوظيف والتدريب والتعليم والمحاكم الشرعية) والخدمات القائمة على المساعدات (المساعدات الإنسانية وإدارة المنشآت) على حد سواء. ومن خلال القيام بذلك، حاولت أن تقدّم الدولة الإسلامية للمدنيين جزء من الخدمات التي توفرها أنظمة الدولة، ولكن في ظل إشراف أشدّ حدة.

تمثّل الموصل هذا الواقع. فبعد أن استولت الدولة الإسلامية على المدينة خلال ٢٤ إلى ٣٦ ساعة في يومي ٩ و ١٠ حزيران ٢٠١٤، أصدرت «وثيقة المدينة» يوم ١٢ حزيران، التي أوجزت القانون الجديد في المنطقة في ١٦ نقطة^(١). تمّ وضع الأحكام التي فُرِضت في الموصل استناداً إلى ما كانت الدولة الإسلامية تطبّقه في الرقة، حيث احتاجت هناك إلى خمسة أشهر لتقويض سلطة المجموعات المنافسة والسيطرة بشكلٍ أحادي على المحافظة في شهر تشرين الأول ٢٠١٣. وبدأت الدولة الإسلامية عندئذ بتطبيق رؤيتها للحكم، التي، في سياق الصراع المدني السوري المستعصي، أدت في وقت لاحق إلى استقرار نسبي وقبول شعبي ضمنى يستبطن الخوف من تبعات المعارضة أو الرفض.

إنّ الفترة التي تأتي مباشرة بعد السيطرة على السكان هي الأهم بالنسبة إلى الدولة الإسلامية. ومن شأن العروض الجريئة للقوة العسكرية في أولى ساعات السيطرة على الأراضي أن تعزز من صورة سلطة المجموعة، ولطالما شجّع ذلك

(١) جنان موسى، تغريدة على تويتر، ١٢ كانون الثاني ٢٠١٤: www.twitter.com

على عمليات استسلام جماعي للمسلحين في «مكاتب التوبة» التي أقامتها الدولة الإسلامية مؤقتاً.

مما لا شك فيه أنّ تطبيق الشريعة بصرامة أمر أساسي في حكم الدولة الإسلامية. ويشمل ذلك فرض الحدود؛ وفرض أداء الصلوات الخمسة؛ وحظر المخدرات والكحول والتبغ؛ والتحكّم بالمظهر الخارجي الشخصي، بما في ذلك الملابس؛ وتحريم القمار والموسيقى غير الإسلامية والاختلاط بين الجنسين؛ والأمر بتدمير الأضرحة الدينية، بالإضافة إلى قوانين أخرى. وظهر أيضاً فرض عقد الذمة على الموحدّين من غير المسلمين في الرقة (منذ أواخر شباط ٢٠١٤) (الموصل) منذ ١٧ تموز ٢٠١٤. (وقد وضع ذلك السكان غير المسلمين تحت جناح «الحماية» في ظلّ الدولة الإسلامية، طالما أنهم يدفعون الجزية بانتظام ويلتزمون بقوانين صارمة أخرى. ومن بين هذه القوانين نذكر عدم بناء أماكن إضافية للعبادة؛ وإزالة جميع إشارات الإيمان الواضحة؛ وعدم حمل الأسلحة؛ وعدم بيع لحم الخنزير والكحول أو استهلاكها^(١). ولكن في الواقع، مثلت هذه «الحماية» تخفيضاً ليصبح المواطنون من الفئة المعنية مواطنين من الدرجة الثانية. في الموصل، أعقبت الدولة الإسلامية إنشاء عقد الذمة بالتهديد القائل: «ليس بين التنظيم وبينهم إلا السيف» في حال لم يقبله المعنيون به أو لم يعتنقوا الإسلام أو لم يفرّوا من المدينة في خلال ٤٨ ساعة^(٢).

وفي وقت لاحق، تمّ وضع علامات بحرف «النون» على ممتلكات المسيحيين

(١) راجع على سبيل المثال، عقد الذمة الخاص بالدولة الإسلامية في الرقة، والذي تمّت إقامته

في شباط ٢٠١٤: www.justpaste.it/ejur

رويترز، 2 «Convert.Pay Tax.or Die, Islamic State Warns Christians» (2)

تموز 2018: www.theguardian.com

للإشارة إلى كلمة «نصراني»، وحرف «الراء» على ممتلكات الشيعة من الشبك والتركمان للإشارة إلى كلمة «رافضي»، وفي خلال ثلاثة أيام، كانت الغالبية العظمى من المسيحيين والشيعة في المدينة قد لاذت بالفرار⁽¹⁾.

أما بالنسبة لأتباع الديانات غير التوحيدية، فقد أثبتت الدولة الإسلامية أنها لا تقبل معهم المساومة على الإطلاق. فبعد عدة أشهر من المزاعم غير المؤكدة، اعترفت في تشرين الأول ٢٠١٤ بأنها تعتبر الأزيديين مشركين، وبالتالي فإنّ استعبادهم مشروع، فتصبح نساءهم مسييات من محظيات الدولة الإسلامية⁽²⁾. في نهاية المطاف، يستند المشروع السياسي للدولة الإسلامية على إقامة دولة إسلامية سُنّية، وبالتالي فإنّ من هم من غير أهل السنة لا يحظون إلا بالحد الأدنى من الحقوق.

ونظراً إلى محيطها الذي يفتقر إلى الاستقرار، تسعى الدولة الإسلامية إلى فرض القانون والنظام بعد السيطرة على الأراضي مباشرة. يتمّ تشكيل قوات الشرطة من الذكور والإناث بسرعة، ويتمّ نشرها للقيام بدوريات في الشوارع لفرض القوانين المدنية وقوانين الشريعة التقليدية، كما يتمّ إنشاء المحاكم الشرعية على وجه السرعة. وغالباً ما تسهّل الرواتب السخية سرعة هذه التعبئة. ولكن على الرغم من هذا التركيز الواضح على القانون والنظام، يبدو أنّ مستوى التنفيذ يختلف بين محلّة وأخرى. فاعتباراً من منتصف شهر تشرين الأول من العام ٢٠١٤ على سبيل المثال، لم يكن نطاق قانون السلوك الخاص بالدولة الإسلامية

تموز 22، الجزيرة، "Last Remaining Christians Flee Iraq's Mosul" «أوتن، كايشي (1) 2015: www.aljazeera.com

مجلة دابق، العدد 4، أكتوبر، "The Revival of Slavery: Before the Hour" «(2) 2014: www.ia601403.us.archive.org

في الموصل مماثلاً للمستوى المفروض في الرقة. ومن الواضح أن الدولة الإسلامية تتكيف مع الديناميكيات الفريدة التي تواجهها في المناطق المختلفة. ولكن مع ذلك، ثمة شيء ثابت. وهو أنه كلما طالت فترة سيطرة المجموعة على بلدية ما، كلما أصبح حكمها أكثر تشدداً. ولكن على أي حال، لم يبلغ مستوى التشدد في أي مكان بعد المستوى الذي شهده العام ٢٠٠٨، عندما حظرت دولة العراق الإسلامية بيع البوظة لأنها لم تكن موجودة في عهد النبي محمد ﷺ^(١).

ولكن الدولة الإسلامية لا تهتم بالعدالة التأديبية فحسب، بل تنفق موارد مالية كبيرة أيضاً لتوفير الخدمات الاجتماعية. من بين الأمور التي تقوم بها المجموعة فور سيطرتها على بلدية مسألة التحكم بالصناعات والخدمات والمرافق البلدية بغية ضمان ما تعتبره توفيراً للخدمات بشكل أكثر كفاءة ومساواة. وفي جميع الحالات، فرضت سلطتها على مرافق الكهرباء والمياه وإمدادات الغاز والمصانع المحلية وحتى المخابز، ما يمنح الدولة الإسلامية السيطرة الكاملة على الاحتياجات الأساسية للمدنيين. كما أن الدولة الإسلامية تدعم أسعار المنتجات الأساسية في كثير من الأحيان، وبخاصة أسعار الخبز، ومن المعروف أنها تحد من الإيجارات. على سبيل المثال، بعد سيطرة الدولة الإسلامية على جزء كبير من محافظة دير الزور في شهر تموز من العام ٢٠١٤، قامت بتمويل خفض أسعار الخبز من ٢٠٠ إلى ٤٥ ليرة سورية، وفرضت على المخابز دفع الزكاة للفقراء^(٢).

أما في الموصل، فقد قامت الدولة الإسلامية بتأسيس مستشفى مجاني قبل يوم

تيليغراف، «ذا"Al-Qaeda in Iraq Alienated By Cucumber Laws and Brutality»(1)
www.telegraph.co.uk :11 2008 آب

صدي، 14، «Islamic State in Syria.Back with a Vengeance»، حسن حسن (2)
www.carnegieendowment.org/ :تموز 2014

من الاستيلاء على المدينة، ثم خفّضت من أسعار الإيجارات الشهرية للمساكن لتجعلها معقولة أكثر من ذي قبل، فأصبحت تكلفتها ٨٥ دولاراً أمريكياً^(١).

غالباً ما تُنشأ خدمات الحافلات المدنية وتقديمها مجاناً كما تُصان خطوط الكهرباء والطرق والأرصفة والبنى التحتية الحيوية الأخرى؛ ويتم إنشاء الخدمات البريدية؛ وتقديم الرعاية الصحية المجانية والتطعيمات للأطفال؛ وإنشاء مطاعم مجانية للفقراء؛ ومنح القروض لمشاريع البناء؛ وافتتاح المدارس الإسلامية للبنين والبنات. أما في الرقة، تقوم الدولة الإسلامية بتشغيل مكتب لحماية المستهلك، وقد أغلق هذا المكتب المحلات التجارية التي كانت تبيع منتجات ذات نوعية رديئة^(٢) بكلّ بساطة، تحاول الدولة الإسلامية تقديم الخدمات التي تقدّمها الدول القومية لمواطنيها، بطريقة أكثر أخلاقية.

إنّ مسألة التعليم الشرعي والدعوة عنصران أساسيان آخران في الحكم الديني السياسي للدولة الإسلامية، فبالإضافة إلى فرض مناهج دراسية جديدة، غالباً ما يتمّ عقد لقاءات دعوية عامة تتيح للتنظيم تثقيف سكّان المناطق الواقعة تحت سيطرته بشأن فوائد العيش في ظلّ حكم الدولة الإسلامية^(٣)، وغالباً ما يتمّ تقديم وجبات مجانية وهدايا للأطفال في خلال هذه اللقاءات، والاحتفال بمبايعة زعماء العشائر المحلية أو غيرهم من كبار الشخصيات للدولة الإسلامية. ويقول

إنستيتيوت فور ذا ستادي أوف وور، "Life Under ISIS in Mosul"، 29، جينا ليفلر (1) تموز 2014،
www.iswiraq.blogspot.com

The Islamic State of Iraq and Syria Has a Consumer Protection Office" «زيلن، آرون (2) :www.theatlantic.com 2014 كانون الثاني 13 أتلانتك،

سيريا دايركت، ٣ سبتمبر، ٢٠١٤ IS Instills its Own Curriculum in A-Raqqa Schools" (٣) www.syriadirect.org

المقاتل في صفوف الدولة الإسلامية أبو دجاجة: «عندما دخلت [داعش] إلى محافظة حمص، كان الناس خائفين جداً منّا، ولكن بعد أربعة أو خمسة أشهر، كان معظم زعماء القرى قد بايعونا وتطوّع المئات من رجالهم للانضمام إلى صفوفنا.. . قمنا بتثقيف الناس وعلمناهم القراءة وشغلنا عيادات التطعيم للأطفال وأوقفنا اللصوص وقطاع الطرق وسمحنا باستئناف التجارة بشكل صحيح»^(١).

وضعت الدولة الإسلامية شكلاً شبه كامل للحكم، فأبقى المدن تعمل والشعب راضٍ ضمناً إلى حدّ كبير. إنّ فرض شكل الحكم هذا في سياق أوسع للصراع وعدم الاستقرار زاد من احتمال قبول المدنيين السُّنة فرض معايير صارمة عليهم. وهذا عاملٌ أساسيٌّ لضمان ديمومة الدولة الإسلامية أو زوالها.

أظهرت عمليات الإعدام (بالصلب أو الرجم في بعض الأحيان) وبترو الأطراف عقاباً على القتل والزنا والسرقه مستوىً مروّعاً من الوحشية. فهذه «العصا» مقرونةً بـ«الجزرة» التي تقدمها الخدمات الاجتماعية جعلت الدولة الإسلامية تبدو، أقله في المدى القريب، كبديل عملي للحكومات القمعية والطائفية والمتأثرة بالأطراف الخارجية وللمعارضة العاجزة و«المعتدلة»^(٢).

(١) سنان صلاح الدين وفيبيان سلامة، «State Group Issues New Curriculum in Iraq»

"Islamic"، آي أف بي، ١٥ سبتمبر ٢٠١٤: <http://bigstory.ap.org>

(٢) مقابلة أجراها تشارلز ليستر مع أبو دجاجة، نشر مضمونها في (تحديد معالم الدولة الإسلامية)

مصدر سابق ص ١٧.

٣- السياسة الداخلية :

تُعتبر [داعش] «لاعباً ثورياً» تتلخّص كامل طريقة عملها بكونها «تستهدف التغيير السياسي والاجتماعي الجذري»^(١). ولهذا السبب بالتحديد، تعمل [داعش] كمنظمة بيروقراطية تخضع لرقابة مشددة.

مع الحفاظ على «مجلس وزراء»، أصبحت القيادة العليا للدولة الإسلامية أصغر حجماً وأكثر حصرية منذ أن تولى [أبو بكر البغدادي] القيادة في عام ٢٠١٠. ولدى [البغدادي] مستشار شخصي أو مساعد (حجي بكر سابقاً)، يليه نائبان مباشران (واحد لسوريا وآخر للعراق) ومجلس وزراء من ثمانية عناصر ومجلس عسكري يضمّ ١٣ عنصراً على الأكثر^(٢).

الشهادات التي ذكرت سابقاً في الخليفة [البغدادي] تشي بشخصية غير مميزة وعادية جداً، وأنه كان متوسط الذكاء، ودرس الماجستير في الشريعة الإسلامية، وعمل إماماً في أكثر من مسجد، لكن تحوله إلى السلفية الجهادية كان بعد سجنه في بوكا (السجن الأميركي الشهير في العراق)^(٣).

(1) The Logic of Violence in the Islamic State's War»، 2014 تموز 7 بوسنت، كاليفاس، اشنتن ستايس (1)

<http://m.washingtonpost.com/blogs/monkey-cage/wp/2014/07/07/the-logic-of-violence-in-islamic-states-war/>

(2) "Inside the Leadership of the Islamic State: How the New Caliphate Is Run" تموز 9 2014 شيرلوك، تيليغراف، روث

<http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/iraq/10956280/Inside-the-leadership-of-Islamic-State-how-the-new-caliphate-is-run.html>

(3) «New ISIS Leaks Reveal Particulars of Al-Qaida Strategy»، ماثيو باربر (3) سيريا كومنت (مدونة)، 12 كانون الثاني 2014

<http://www.joshualandis.com/blog/new-isis-leaks-reveal-particulars-of-al-qaida-strategy/>

ولكن تبقى الأهمية إلى الخبرة العسكرية والاستخباراتية التي يتمتع بها العديد من نواب البغدادي، التي أضفت مستوى من المهنية على قدرة الدولة الإسلامية على العمل كمنظمة فعّالة وقادرة. فعلى سبيل المثال، كانا نائبا [البغدادي] ضابطين سابقين في الجيش العراقي. وكان رئيس العمليات في سوريا أبو علي الأنباري لواءً في الجيش العراقي ورئيس العمليات في العراق فضل أحمد عبدالله الحياي (أبو مسلم التركماني) مقدّماً في الاستخبارات العسكرية العراقية وضابطاً سابقاً في القوات الخاصة العراقية^(١). وعلاوة على ذلك، ضمّت المجموعة ما يقرب من ألف «قائد ميداني من المستويين المتوسط والعالي ممن يتمتعون بالخبرة الفنية والعسكرية والأمنية»، وفقاً لبيانات تمت مصادرتها من منزل الرئيس السابق للمجلس العسكري العام عدنان إسماعيل نجم البيلاوي) والمعروف بأبو عبد الرحمن البيلاوي (في مطلع حزيران من العام ٢٠١٤)^(٢).

كان قرار تغيير اسم مجلس شوري المجاهدين إلى دولة العراق الإسلامية في العام ٢٠٠٦ أمراً رمزياً بالغ الأهمية، وتحديدًا باعتباره يضمّ كلمة «الدولة». فقد سعت الدولة الإسلامية، من خلال اعتبار نفسها دولةً وتقديم نفسها على أنها كذلك، إلى السيطرة على الأراضي وحكمها والحفاظ على مجلس وزراء مسؤولين عن مجموعة واسعة من «الوزارات» التي تضمّ الواجبات العسكرية والمدنية والسياسية والمالية.

ووفقاً لتقرير يُفصّل وثائق خاصة بوزارة الخارجية الأمريكية، كانت دولة العراق الإسلامية تشغل بيروقراطية معقدة تركّز على التفاصيل بين العامين

(١) روث شيرلوك، "Inside the Leadership of the Islamic State" (مصدر سابق).

(٢) المرجع نفسه.

٢٠٠٥ و ٢٠١٠، ووفقاً للكاتب، ما زالت هذه البيروقراطية مطبقة إلى حدّ كبير^(١).

في العام ٢٠١٠ طُلب من خلايا (دولة العراق الإسلامية) إرسال ما يصل إلى ٢٠ بالمئة من مدخولها من المشروعات المحلية - على غرار الفديات من الخطف والابتزاز - إلى مستوى القيادة التي يليها. وكان القادة الأعلى رتبة يتحققون من الإيرادات ويعيدون توزيع الأموال على المجموعات التابعة الإقليمية أو المحلية التي تعاني من وضع سيئ أو تحتاج إلى أموال إضافية لتنفيذ الهجمات... وكانت النفقات الأعلى إلى حدّ بعيد تتمثل بإعادة توزيع الدخل وتكاليف الرواتب - التعويضات لأفراد الأعضاء المتوفين وأسرهم... وقد شكّلت ما يصل إلى ٥٦ بالمئة من إجمالي الدفعات في خلال فترة معينة... وعندما أصبح واضحاً أنّ «المرتدين والصلبيين» يقومون بتجنيد الدعم العشائري ضدّهم بنجاح... أنشأ قادة الدولة الإسلامية وكالة جديدة ضمن الهيكل الحاكم لإعادة استرضاء قادة العشائر، وكان كتاب الحسابات يقومون بتسجيل الزيارات التي يقوم بها أعضاء «اللجنة العشائرية» الحديثة النشأة ويتابعون عن كثب الأموال النقدية والمصاحف وغيرها من الهدايا التي يقومون بتقديمها إلى من يشار إليهم بـ «كبار الشخصيات» قبل كتابة تقارير إلى القيادات الأعلى رتبة حول مدى تقبّل العشائر للمبادرات^(٢).

في بعض الأحيان، بدت قوة الدولة الإسلامية العسكرية أقرب إدارياً إلى

(1) العربية، 13 شباط 2014، «Exclusive: Top ISIS Leaders Revealed»، <http://english.alarabiya.net/en/News/2014/02/13/Exclusive-Top-ISIS-leaders-revealed.html>

(2) هانا «Records Show How Iraqi Extremists Withstood U.S. Anti-Terror Efforts»، مارك «دي كلانشي»، 23 سبتمبر، 2014، http://www.mcclatchydc.com/2014/06/23/231223_records-show-how-iraqi-extremists.html?rh=1

جيش دولة، وكانت وحداتها تنتقل بين أداء الواجب على الخطوط الأمامية الشطة وبين قضاء أيام العطل في المناطق «المحررة» وعمليات نشر المقاتلين الأخرى «في القواعد». وقد أوضح المقاتل البريطاني أبو عثمان البريطاني المتمركز في دير الزور في حزيران ٢٠١٤: «في الواقع، الحياة هنا أشبه بالحياة في الغرب، باستثناء أنك تحمل سلاحاً معك هنا... قد تختلف واجباتك باختلاف مكان تواجدك، ولكنّ الرباط واجبك الرئيسي... يمكنك أن تسافر إذا كنت ترغب في ذلك إذ يتمّ منحك العطل ولا تحتاج إلاّ إلى إذن مكتوب^(١)».

٤- الإشكالات الإدارية والتنظيمية :

أ- تقييم البنية التنظيمية وتطورها

من الواضح أن هنالك مسارات بيانية تصاعدية في البنية الهيكلية الداخلية لتنظيم الدولة الإسلامية، فقد بدأ بصورة بسيطة عنقودية شبيهة بالجماعات الإسلامية الجهادية المحلية، خلال الأشهر الأولى، ثم بدأ يتطور مع تأسيس جماعة التوحيد والجهاد، بإضافة وتشكيل لجان وهيئات متخصصة، ووصل إلى مرحلة أكثر تطوراً مع انضمامه إلى القاعدة المركزية بعد أن أصبح اسمه «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين».

انتقل [داعش] نحو الصيغة المؤسسية التي تحاكي ما جاء في كتب التراث الإسلامي، مع الإعلان عن إقامة الدولة الإسلامية في بلاد الرافدين، بعد مقتل الزرقاوي، عبر الإعلان عن تشكيل وزارات وتعيين ولاية على المناطق التي يسيطر عليها [داعش]، في محاولة للانتقال من صيغة التنظيم إلى بنية الدولة، إلا أن الطفرة الحقيقية حدثت، لاحقاً، مع تولي أبي بكر البغدادي، إذ تم تطوير عمل

(١) تشارلز ليستر، تحديد معالم الدولة الإسلامية، مركز بروكنجز / الدوحة ٢٠١٤م، ص.

الأجهزة المختلفة وتأطيرها مؤسسياً ومنحها مهام محددة ودقيقة تجمع ما بين طبيعة المؤسسات في الدولة المعاصرة وأدوارها الوظيفية من جهة، وطبيعة التنظيم وظروف عمله، التي تمتاز بدرجة أكبر من التعقيد والغموض، وهو ما جعلنا أمام حالة هجينة وخاصة، تزوج بين صورة الدولة والتنظيمات السرية في الوقت نفسه.

لم يحدث التطور على الصعيد المؤسسي والوظيفي فقط، بل تواكب مع إعادة هيكلية القيادة، وتصعيد القيادات المحترفة المحلية، على أكثر من صعيد، بخاصة عسكرية وأمنية واقتصادية، فنجد أسماء رئيسة لعبت دوراً حيوياً في الوصول إلى هذا المستوى من الاحتراف، مثل [حجي بكر] وأبي عبد الرحمن البيلاوي وأبي علي الأنباري وأبي أيمن العراقي.

الملحوظة الأخرى اللافتة هي قدرة «الدولة» على توزيع المهام وتقسيم الأدوار بين العنصر المحلي والقادمين من الخارج «المهاجرين العرب والمسلمين»، فبالرغم من هذه «الازدواجية التنظيمية»، وبالرغم من سيطرة العراقيين في الآونة الأخيرة على المفاصل الرئيسية في قيادة الدولة، إلا أنها استطاعت أن تدمج العنصر الخارجي، وتحدد له أدوار ومهام، وتضعه في إطار يجمع الطرفين، يزوج بين الطابع المحلي (العراقي) والإقليمي، وحتى «العالمي»؛ ألا وهو مظلة «الخلافة الإسلامية»، وربما ذلك يفسر لنا أحد أهم الأسباب التي تقف وراء إعلان الخلافة، أي الحفاظ على التماسك الداخلي للدولة وقدرتها على استيعاب هذا التنوع الكبير في الداخل، بين العراقيين والسوريين والعرب والآسيويين وحتى الأوروبيين، طالما أن هنالك منصباً دينياً يؤطر الجميع، ويذكر بالخلافة العباسية التي كانت في بغداد، ولعل ذلك، أيضاً، يفسر ارتداء [البغدادي] في خطبة الجمعة

المصورة للباس الأسود، وهو اللون الذي ارتبط بالخلافة العباسية تاريخياً.

من الضروري، هنا، الإشارة إلى تقديرات غربية تذهب إلى أن أعداد الذين ينتمون إلى [داعش] ارتفعت بصورة مضاعفة، بعد السيطرة على الموصل وإعلان الخلافة، وهو أمر طبيعي، مرتبط بعامل القوة والهيمنة والنفوذ، فمن المعروف أن [داعش] عندما يسيطر على أي محافظة أو ناحية يطلب من الأهالي مبايعة الخليفة، ويقوم بحملة تجنيد ودعاية مكثفة، ويدخل في أجهزته المختلفة، التعليمية والإعلامية والدعوية والقضائية، ما يجعل نسبة كبيرة من أهالي تلك المناطق يدخلون في التنظيم، إما خوفاً من عقوبات شديدة لمن يرفض ذلك، أو التحاق بالطرف القوي المسيطر. كما أعطت اعلان الخلافة والسيطرة على مدن كبيرة كالموصل تشجيعاً للمتدربين بحسم قرارهم بالالتحاق بالدولة الإسلامية من كل الأقطار الخارجية.

بالرغم مما أظهره [داعش] من عمل مؤسسي وتنظيمي معقد ومتطور، ومن كفاءة كبيرة في التجنيد والدعاية، وفي العمل الاحترافي، وحماية التماسك الداخلي؛ إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه لا يواجه تحديات حقيقية، فما يزال التوسع الكبير في عمله ومهاته والمناطق التي يسيطر عليها يحمل في ثناياه مخاطر حقيقية على قدرة التنظيم على التماسك والتوسع في حال تعرض لضربات عسكرية وأمنية كبيرة، أو في حال نجحت الضغوط الأميركية في حصاره اقتصادية وجغرافياً واستنزافه وتبديد جاذبية القوة التي حصل عليها بصورة كبيرة خلال الفترة الأخيرة، وربما هذا الجزء المهم المرتبط بالآفاق المستقبلية^(١).

(١) حسن أبو هنية، ومحمد أبو رمان، تنظيم «الدولة الإسلامية» الأزمة السنوية والصراع على الجهادية العالمية، فريدرش ايبرت - ٢٠١٥ - عمان.

ب- إشكالات بيئة الإدارة

هناك ثلاثة ظروف ذات صلة خاصة بفهم بيئة الإدارة لتنظيم دولة العراق الإسلامية:

• أولاً، وكما هو الحال مع جميع المنظمات، فإن مديروه كانوا مقيدين معرفياً. ومن المرجح أن المشكلة كانت أسوأ بالنسبة إلى تنظيم دولة العراق الإسلامية، لأن هدفه السياسي في إعادة هيكلة المجتمع جذرياً فور هزيمة الحكومة الموجودة كان من شأنه بالتأكيد الحد من قبوله لدى أنواع الأشخاص ذوي الخبرة في الإدارة. ومع ذلك، بعض الجهاديين كانت لديهم بعض هذه المهارات، إما طبيعياً، أو من خلال عمل سابق، أو من خلال تعلمها ميدانياً، وحقيقة ظهور مديرين أقوياء هي أحد أسباب برهنة تنظيم دولة العراق الإسلامية على كونه قادراً على التكيف.

• ثانياً، قوات التحالف وقوات الأمن العراقية كانت تستهدف قادة دولة العراق الإسلامية على المستويات العالية والمتوسطة والميسرين الرئيسيين بقوة. وكانت حملة الاستهداف من قوات التحالف قوية على وجه الخصوص بدءاً من مطلع ٢٠٠٦ وحتى منتصف ٢٠١٠ وحملة الاستهداف أجبرت كبار القادة من شاكلة الزرقاوي، وأبا عمر البغدادي، والمصري، على ضمان تأمينهم من خلال الحد من اتصالاتهم المباشر مع أنشطة الدولة وتفويض الوظائف المهمة بالدولة إلى بيروقراطية من القادة على المستوى المتوسط ومع ذلك، أودت حملة الاستهداف بحياة مئات القادة من الطبقات الأدنى من الطبقة العليا. وهذه الحملة من المحتمل أنها قد تسببت في انعدام قدرة تنظيم دولة العراق الإسلامية على تجديد القادة على المستوى المتوسط ومجموعة من الأفراد المرعوسين بمرور الوقت، وهي اتجاهات يبدو أنها

كانت ذات مغزى في الموصل فيما بين ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩، وكذلك في الأنبار في ٢٠٠٦. وفي الأنبار، تقترح وثائق [تنظيم القاعدة] في العراق المحتوية على عينة من ٢٥١ عضواً أن نحو ثلثهم من المحتمل أنهم قد قُتلوا. وفي أحد جداول بيانات التَّبُّع اللاحقة لأعضاء دولة العراق الإسلامية في الموصل في خريف ٢٠٠٧، أُدرِجَ ٥٢٦ من ١٣١٨ عضواً على أنهم قُتلوا أو أُسروا، بما يزيد عن ٤٠ في المائة من العضوية المسجَّلة^(١).

• ثالثاً، استجمع [داعش] جماعة غير متجانسة تماماً من الأعضاء. بينما جماعات مارقة كثيرة استخدمت روابط اجتماعية سابقة الوجود في تخفيف مشكلات المنظمة. وهذا يمكن أن يحدث من خلال الفرز أو المشاركة في أنشطة سياسية سابقة على التجربة^(٢) واضطرت [داعش] إلى الإسراع في دمج الأفراد من عشرات البلاد وكانت تنتقل إلى مناطق لم يكن لها فيها غالباً إلا تاريخاً محلياً قليلاً وروابط محلية قليلة ذلك أن الأدوات المحلية التقليدية التي يستخدمها المارقين بنمط «أبناء الأرض» ببساطة لم تكن متاحة للدولة الإسلامية.

مهمة إنتاج الإيرادات الأساسية بالنسبة إلى [داعش] كانت بسيطة إلى حد بعيد: وهي إدرار موارد مالية ومادية لتمكين أنشطة الجماعة العسكرية والسياسية.

(١) Harmony document NMEC-2008-614686 ؛ 2015 ، «ISIL, Syria and Iraq Resources»

(٢) انظر المرجع: Eli Berman. Radical, Religious, and Violent: The New Economics of Terrorism, Cambridge, Mass.: MIT Press ٢٠٠٩. لمناقشة كاملة عن أسباب حيازة الجماعات الدينية ميزة نسبية في استغلال الشبكات الاجتماعية سابقة الوجود في إدارة مشكلات المنظمة. فالْحُجَّة الأساسية هي أن قدرة الجماعات على فرز المجندين وتهديد عائلات الأعضاء بمصداقية عند الارتدادات، وفرت ميزة في الاحتفاظ بانضباط داخل الجماعات.

لكن ما جعل هذه المهمة تحدياً هو أن خيارات كثيرة لجمع المال في العراق أثناء الحرب استتبعته تهريباً، وخطفاً، وابتزازاً، وأنشطة إجرامية أخرى مما أثار غالباً عداوة بين [داعش] والعشائر المحلية، والميليشيات المحلية سابقة الوجود، والتنظيمات الإجرامية^(١).

في التعامل مع تحدياته الإدارية، واجه [داعش] ظرفين بيئين رئيسيين. أولاً، كان لديه قوى عاملة متنوعة ذات تباين في وجهات النظر ومستويات الدوافع، التي غالباً اختلفت على كيفية إنفاق المال وكيفية استخدام العنف. ثانياً، اضطر تنظيم دولة العراق الإسلامية إلى التعامل مع معدل إحلال متكرر غير مخطط له في القيادة بسبب عمليات «مكافحة الإرهاب» الكثيفة من قوات التحالف. وبالنظر إلى هذين الطرفين، فإن مؤلفات الشؤون الاقتصادية التنظيمية تؤدي إلى تنبؤات واضحة عديدة.

لم يكن ينبغي لـ [داعش] عرض أجور عالية لجذب المواهب، لكن العاملين الذين يجذبهم بأجور متدنية سيريدون غالباً الإفراط في الإنتاج لزيادة أجورهم من خلال الكسب غير المشروع. وتخلق مشكلات المنظمة تلك حاجة إلى تتبع مصروفات العاملين وتوفير فرص للإدارة من أجل تحديد سوء السلوك وتصحيحه. إضافة إلى أنه مع معدل إحلال متكرر، ستكون هناك حاجة إلى الاحتفاظ بذاكرة تنظيمية. من ثم، ستحتاج الجماعة إلى استخدام قدر كبير من حفظ السجلات رسمياً. علاوة على ذلك، مع معدل الإحلال العالي والحاجة إلى استحثاث المقاتلين للقيام بإجراءات خطيرة، ينبغي لـ [داعش] استخدام ممارسات

(١) سلسلة الإجراءات هذه موثقة جيداً في المرجع: Long، ٢٠٠٨، (راجع: أسس تنظيم الدولة الإسلامية، مركز rand للبحوث، كاليفورنيا، ٢٠١٦).

وتقديم بدلات أتعاب تبعث برسائل ذات مصداقية من القادة بأنهم يستخدمون محاربيهم بحكمة، بالنظر إلى الخطورة العالية من الموت أو - في حالة التفجيريين الانتحاريين المتطوعين - الرغبة في الموت التي لها تأثير كبير.

ويتضح في نهاية المطاف أن [داعش] قد واجه التحديات ذاتها مثل التنظيمات الشرعية، ومن ثم المنظورات المستخدمة في فهم هذه التنظيمات يمكن تطبيقها على تحليل هذه التجربة لدولة [داعش].

على ضوء ما تقدّم في هذا الفصل، وبعد أن اكتملت في أبحاث الفصول الأربعة السابقة المسارات التأسيسية النظرية والتاريخية للخلافة والدولة ثم للسلفية الجهادية في أجيالها القاعدية والداعشية، وبعد استحضار مشاهد الواقع البنيوي الذي عاشته تجربة دولة الخلافة، وقد جرت مقارنة سوسولوجية لهذا الواقع المجتمعي في الساحات الأساسية والأطر والمؤسسات وآليات الحكم المنظمة للدولة الداعشية في الفصل الثالث والرابع، انتقل البحث في هذا الفصل لطرح ومعالجة الإشكالات التي أفرزتها المقاربة الفكرية السوسولوجية سواء على مستوى البحث في التحديات النظرية والمعرفية التي واجهتها دولة الخلافة لجهة الشرعية والمشروعية، أو لجهة التوترات الداخلية في التيار السلفي الجهادي وما يحمله في داخله من قابليات للتشظي والانقسام لا سيما في لحظات الاقتراب من تحديات السياسة والمواقف من الأحداث المستجدة والتي شكّلت في غالبية الأحيان نقاط توتر وخلاف بين منظّري ومرجعيات هذه السلفية الوهابية التكفيرية الذين رغم اجتماعهم حول الأفكار الدينية والرؤى العقديّة، ولكنهم سرعان ما اختلفوا في تجسيدها سياسياً بمواقف متناقضة ومتباينة في مواجهة التحديات التي واجهوها.

فقد جرى استعراض المسار الذي سلكته هذه الاختلافات السياسية والتي استدعت الفتاوى الدينية للتغطي واكتساب الشرعية للمواقف المستجدة، والتي كانت أحياناً غير معلنة ونحت منحى الصمت، أو تغطيتها رسائل النصيحة الموجهة للقادة والمراهنة على تجاوز التحدي وتصحيح المسار والعودة إلى الصواب، ولكنها سرعان ما ظهرت للعلن وبقوة نتيجة تراكم الاختلافات واشتداد الأزمات الميدانية والسياسية.

إن تداعيات اختلاف المرجعيات السلفية الجهادية لم يبقَ في مواجهة تحديات التجربة الداعشية أمراً يمكن إغفاله أو التعاضي عنه، لأنه وصل إلى مستوى إنتاج الصدمات الدموية في الميدان (النصرة وداعش) مثلاً.

أضف إلى ما تقدّم، فإن الموقف من الربيع العربي، شكّل موضوعاً افتراقياً بين هذه المرجعيات، إلى جانب موضوعات أخرى كالموقف من استهداف وقتل عامة الشيعة والعلويين شكّلت هي الأخرى لائحة الموضوعات الخلافية التي تجمعت في الساحة السياسية وانعكست على الفتاوى الصادرة عن هذه المرجعيات والتي وصلت أحياناً إلى التكفير لبعضهم البعض، ولسفك الدماء والاغتيالات حتى قتل بعضهم بالعمليات الانتحارية، كما حصل مع [أبو مصعب السوري]، و[أبو خالد السوري]، و[حجي بكر] وغيرهم من القيادات والمنظرين.

كما قارب البحث الإشكاليات في مجال الحكم والإدارة، لجهة التحديات التي واجهتها تجربة الدولة في استنزاف كادرها الميداني من أصحاب الخبرة في ظل عدم القدرة على إنتاج بدائل بشكل مستمر ورغم قدرتها في المرحلة الأولى على ذلك ولكن مع استمرار هذه الاستنزاف بدأت تظهر هذه المشكلة بوضوح أكثر، الأمر الذي تحدثت عنه الأبحاث العلمية التي درست الوثائق الصادرة من [داعش] والتي تحوي لوائح الرواتب والمخصصات والتي أظهرت نسبة عالية وصلت إلى ٤٠٪ وأكثر أحياناً من القتلى في صفوف كوادر الدولة في المستويات الوسطى والميدانية (خلال خمس سنوات)^(١).

وفي نفس السياق ظهرت إشكالات داخلية من نوع آخر تفتح أبواب

(١) لباتريك بي جونستون وآخرين: أسس تنظيم الدولة الإسلامية، لا طبعة، كاليفورنيا، مركز راند الأميركي للأبحاث، ٢٠١٦.

الصراع الداخلي في الدولة على خلفية فقدان التجانس بين المقاتلين الذين جاؤوا من بيئات مختلفة ومتعددة، وكان اللاف الأكر فيها هي الانقسام بين المهاجرين والمحليين، فضلاً عن توترات داخل كل فريق منهما على خلفية الانتماءات الوطنية لهؤلاء المقاتلين والعصية التي تولدها هذه الانتماءات والتي لم تستطع مظلة الخلافة الإسلامية محوها أو إزالتها من نفوس المقاتلين.

وبالخلاصة فإن طرح ومعالجة الإشكالات التي أفرزتها المقاربة السوسيولوجية لبنية الدولة ومؤسساتها عند [داعش]، كشفت عدداً من نقاط الاختلال والإرباك في الأداء، في ظل غياب الشرعية والمشروعية للكثير من المواقف والممارسات، إلى جانب الاختلافات الحادة للمرجعيات الدينية في السلفية الجهادية الوهابية، مما دفع دولة الخلافة إلى مزيد من الانشغال بالصدامات والتوترات مع المنظرين والمفكرين والشرعيين داخل السلفية الجهادية الوهابية نفسها، وهذا ما ترتب عليه تداعيات زادت من المحاصرة والاستهداف للدولة من داخل النسيج العقدي والفكري الذي تنتمي إليه، الأمر الذي جعل دولة الخلافة وحيدة في مواجهة الجبهة الخارجية التي اجتمعت فيها أيضاً كل التحالفات الدولية والإقليمية ومعها القسم الوازن من البيئة المحلية، لقتال [داعش] ومحاصرتها وإنهاء مشروعها أخيراً بعد سلسلة من التراجعات والخسائر والانكماش إلى مناطق محدودة وخسارة معظم الجغرافيا التي سيطرت عليها.

الفصل السادس

داعش والآخر: المواقف المتضادة

المبحث الأول / داعش والنظام الدولي

- الشرعية القانونية الدولية

- الموقف من النظام الدولي

المبحث الثاني / داعش والغرب بين الاستثمار والتصادم

- صناعة أم استثمار؟

- استراتيجية التحكم غير المباشر

- ارتدادات التورط الغربي مع [داعش]

المبحث الثالث / إشكالية العلاقة مع الخارج: محلياً وإقليمياً ودولياً

- موقف [داعش] من الآخر

- تقاطع المصالح ضد داعش

الفصل السادس

داعش والآخر: المواقف المتضادة

يستكمل الفصل السادس مقارنة الإشكالات والتحديات التي واجهتها [داعش] في مشروعها المسمى [دولة الخلافة]، وتتجه المقاربة فيه إلى موضوع علاقة [داعش] مع الخارج (الآخر) بعد أن قارب البحث في الفصل السابق موضوع العلاقة مع الآخر في الداخل، لجهة الشرعية والمشروعية للدولة داخل البيئة الدينية والاجتماعية والسياسية الإسلامية والسلفية، ولجهة التوترات الداخلية وقابليات التشظي في داخل [السلفية الجهادية]، كما جرت مقارنة إشكالات الممارسة السياسية، في الحكم والبيئة التنظيمية والإدارة.

٤٩٧

والمقصود بالآخر هو كل ما عدا [داعش] من القريب أو البعيد فالآخر عندهم هو كل من لا ينخرط في مشروعهم ولا يعطيهم الولاء والبيعة سواء كان مسلماً (مرتداً) أو كافراً، والآخر هنا يشمل الأفراد والجماعات والدول والتنظيمات على حد سواء.

وتهدف المقاربة هنا للمعالجة وتقديم الأجوبة على بعض إشكالات البحث المطروحة في مقدمته والتي تدور حول مدى قدرة الدولة الإسلامية (الخلافة) على الاستمرار بالحياة في ظل أيديولوجيتها التي ترفض الآخر بكل مسمياته وتصنيفاته الدينية والمذهبية والسياسية، ومنها النظام الدولي ومؤسساته المنضوية ضمن منظومة قانونية دولية، والتي تشكل مرجعية لدى الدول المعترف بها من قبل هذه المؤسسات، وتكتسب من خلال هذا الاعتراف ما يصطلح عليه بالشرعية القانونية الدولية.

أما المبحث الثاني في هذا الفصل فسوف يُخصّص للبحث في علاقة [داعش] بالغرب بدءاً من اشكالية المنهج في النظر إلى هذه العلاقة وتعدد الزوايا في النظر إلى هذه العلاقة المتنبسة، وسيتم التوقف بشكل أساس عند النظرة الموضوعية التي تتوسط نظرتين أخريتين، تقوم الأولى على مبدأ ما يسمى [نظرية المؤامرة]، فتوصف العلاقة بأنها علاقة [أداة بمشغل] وبالتالي تحمل الغرب وأجهزته الاستخبارية المسؤولية الكاملة لولادة [داعش] وتداعيات مشروعها الدموي والتخريبي في المجتمعات العربية والإسلامية، بينما تذهب الثانية إلى الطرف المقابل تماماً، لتبرئ الغرب من هذا المشروع معتبرة أن الأمور واضحة ولا تحتاج إلى بحث كثير لمعرفة أسماء اصحاب المشروع وانتماءاتهم الدينية السلفية والتكفيرية الجهادية، التي تتحمل كامل المسؤولية عن تداعيات هذا المشروع ونتائجه، وإن هذا الفكر هو المسؤول الأول والأخير عن سلوكيات [داعش] وعنفاها ودمويتها، لأنه يدعو إلى الوصول إلى السلطة وإقامة الخلافة عن طريق العنف كسبيل وحيد لذلك.

أما النظرة الموضوعية فتقضي بالبحث عن نقاط التقاطع بين الغرب ومصالحه وبين مشروع داعش، وتتوقف عند التجارب السابقة في مثل هذه التقاطعات كتجربة أفغانستان مثلاً، لتؤكد وجود سياسة استشار وتوجيه لدى أجهزة الاستخبارات الغربية وبعض العربية أيضاً، إذ عملت منذ الأيام الأولى لهذا المشروع على الاستفادة من بعض تقاطعات المشروع مع مصالحها وسياساتها الإقليمية وأهدافها التكتيكية في المنطقة، ولجأت إلى الاستشار في هذا المشروع لاستنزاف بعض دول المنطقة وإشغالها بحروب داخلية، تحقق من خلالها أيضاً، التخلص من هؤلاء الجهاديين وتزجهم في نيران هذه الحروب بعيداً عن دولها فتتخلص من أخطارهم عليها (العدو القريب بدل العدو البعيد).

كما سيتوقف البحث عند ارتدادات هذه السياسات على دول الغرب جزئياً عبر استحضار أبحاث ودراسات وأرقام وإحصاءات حول هذه الارتدادات وحجمها وأخطارها.

أما في آخر مبحث من مباحث هذا الفصل، سيُسلط الضوء على مجمل العلاقة مع الآخر عند [داعش] محلياً وإقليمياً ودولياً، للتوصل إلى خلاصة مفادها أن أيديولوجية [داعش] القائمة على عدم الاعتراف بالآخر ومحاولة إقصائه وإلغائه، دفعت كل المنظومين تحت عنوان الآخر بالنسبة لـ [داعش] للعمل ضمن منطق تقاطع المصالح (رغم التباينات وتضارب المصالح والسياسات) إلى مواجهة ومحاربة هذا المشروع الذي شكل خطر على الجميع، لذا تم العمل على محاصرته، بعد نزع الشرعية الدينية والمشروعية المحلية عنه، وشنّت عليه الحرب المفتوحة بأشكال متعددة لإنهائه واجتثاثه ليس فقط من الجغرافيا، بل أيضاً من العقول والوجدان والعواطف، لا سيما عند الشباب. وفي الختام تمت معالجة التساؤلات عن الآفاق المستقبلية لـ [داعش] في ظل الانحسار والتراجع الميداني للمشروع وفي ظل دخول المئات من قيادات [داعش] وفلول مقاتليها إلى السجون والمعتقلات أو فرارهم وتحولهم إلى خلايا نائمة أو «ذئاب منفردة» مع الأخذ بالاعتبار بقاء المشروع كفكرة دون جغرافيا محددة.

المبحث الأول داعش والنظام الدولي

١- الشرعية القانونية الدولية :

ينطلق التأسيس للفكر التكفيري من إشكالية منهجية حادة ليس مردها انتهاك جماعات هذا الفكر لثوابت المجتمع الدولي، رغم معرفتها ووعيتها بانتهاكها للمحظور «وفقاً لمبادئ الشرعية الدولية»، وإنما مردها بصفة خاصة إلى «إنكارها» - في الأصل - المشروعية القانونية لهذه المبادئ غير المهيئة لجعل هذه الجماعات منضوية تحت رايتها وحيثياتها؟. ولعل هذا العلو من قبل [داعش] والتنظيمات التكفيرية لمفروضاتها الشرعية غير المسندة إلا انتقاءً واستثناءً لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية - سواء حال لجوئها إلى العنف المسلح أو غير المسلح - هو ما سوف يهيء هنا لتحليل هذه الأزمة الحادة «للحوار المستحيل» التي تمثل إلى الآن صمام الدفاع الأمني الأول الذي تلوذ به في هذا الشأن [داعش]؛ بل إنه لسوف يتهياً كذلك فرصة التأمل في مستوى التوافق القائم في هذا الشأن بين أطروحات [داعش] والأطروحات التي ذكتها قبلها جماعات العنف الصهيونية ذاتها^(١).

(١) حازم محمد عتلم: العنف التكفيري من منظور القانون الدولي، بحث منشور في كتاب لمجموعة مؤلفين (جماعات العنف التكفيري: الجذور، البنى، العوامل المؤثرة)، مصدر سابق، ص ١٤٦ وما بعدها (بتصرف).

أ- إنكار مبدأ سيادة الدولة

من المعلوم ان مبدأ سيادة الدولة، ولو في حيثياته التي قامت داخل القانون الدولي التقليدي، ينصرف ابتداءً إلى ضمان استقلال الدولة في إدارة شؤونها الداخلية والدولية، وفي ضمان اختصاصاتها المادية والأقليمية والشخصية عن الخضوع للدول الأخرى، وخضوعها من ثم فحسب للقواعد المتفق عليها من قبلها -ولو على الصعيد الشكلي المجرد وحده- مع الدول الأخرى. غير أن الجماعات التكفيرية الإسلامية وداعش -فيما يعيننا هنا- وقد صارت إلى إذكاء الالتحام مع النظريات الفقهية غير المسندة إلى مبادئ الشرعية الإسلامية، والمستحثة لتقسيم المعمورة إلى ثنائية دار الإسلام ودار الحرب^(١)، فقد رتبت على ذلك انكار قيام كل من مبدأ الحرمة الإقليمية للدول داخل حدودها السياسية القائمة، واستقلالها في مواجهة الدول الأخرى.

٥٠١

إذن، دار الإسلام وفقاً لهذا التنظير ليس من شأنه أن يرتب إضفاء الشرعية الدولية على العدوان ذاته فحسب على نحو ما سوف نرى بعد قليل، وإنما يرتب إفراغ القانون الدولي من حيثته الأولى المفترضة، أي استناده إلى وجود دول متعددة مستقلة في سيادتها بعضها عن بعضها الآخر، ومتكافأة في السيادة فيما بينها في غير اعتبار لتباين حضارتها وثقافتها. فالواقع أن المقدمة التحليلية لهذه الجماعات التكفيرية، ولو لم تكن بعد قد شحذت اللجوء إلى العنف، تتصرف إلى استحاث إعلاء هامة «الوحدة القسرية للمجتمع الدولي داخل المنظومة المنسوبة

(١) راجع: الشيباني: السير، تحقيق: مجيد خدوري، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ص ٢٠ وما بعدها؛ وحازم محمد عتلم، قانون النزاعات المسلحة الدولي، دار النهضة العربية، ط ٣، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٥٥ وما بعدها؛ انظر كذلك: محي الدين قاسم، التقسيم الإسلامي للمعمورة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٩٧ وما بعدها.

من قبلها إلى الإسلام في شأن إذكاء «الحرب العادلة» في مواجهة الديار غير الإسلامية، وإلى حين الانغلاق، بعيداً عنها بالتأسيس كذلك على حتمية عدم إحداث التعاون الدولي معها إلا في ظل الخضوع إلى افتراضاتها الذاتية^(١).

وإذا كان هذا لسان حال هذه الجماعات إزاء المعمورة غير الإسلامية، ففي الواقع أن ذات هذا التحليل لا يتباين كثيراً حال تنظيرها لطبيعة العلاقات القانونية المفترض شحذها من قبلها داخل النسيج الوطني لكل من الدول ذات السيادة التي تنسب إليها كل من هذه الجماعات بجنسياتها المتباينة؛ إذ ينهض تحليلها التكفيري إلى الانطباق كذلك ومن جانب آخر، في مواجهة دولها الوطنية، وفي إطار صفة خاصة لعلاقتها بالمؤسسات الرسمية لهذه الدول؛ وسواء في ذلك المؤسسية أو التشريعية أو التنفيذية أو القضائية^(٢)؛ إذ التحليل ذاته لعلاقتها القانونية مع دولها الوطنية.

فالسيادة داخل دار الإسلام والديار الإسلامية لا تتصرف إلى الشخص الاعتباري الموسوم بالدولة التي تلتصق بها هذه السيادة، وإنما إلى الله تعالى وحده، وهو الوضع المرتب لشرعنة لجؤها إلى العنف في سائر صورته إزاء هذه السلطات كلما جنحت عن إذكاء حيثياتها النظرية، وإلى حين إنكار قيامها وإنكار الخضوع، من ثم إلى ما تفرزه هذه السلطات من مفترضات الانصهار داخل منظومة مقتضيات ضمان النظام العام داخلها. فهذا التنظير يرتب إذن هنا إضفاء

(١) حازم محمد عتلم: العنف التكفيري من منظور القانون الدولي، مصدر سبق ذكره.

(٢) راجع: عز الدين فودة، «فكرة السيادة في الدولة الإسلامية: نظرة على الفقهاء الحنفي والشافعي»، مجلة: مصر المعاصرة، الجمعية المصرية للإقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، عدد يوليو ١٩٧٠م، ص ٥٨٦ وما بعدها.

«المشروعية القانونية» وفقاً لمنظورها على ممارساته المقوّضة للسيادة دولها، والمرتبة من ثم للهدم الإحتيالي لها، بغية «إعادة بعث» الدولة الإسلامية لصدر الإسلام، وهو تحليل يستحيل ترتيبه بحسب المنطق العلمي بالنظر من جانب، إلى إنكار نظم العلاقات الدولية لنظرية بعث الدول التي شدّت عنها دولة موسومة بفاكهة الشرق الأوسط (إسرائيل)، ومن جانب آخر، بالنظر إلى استحالة انصهار النظرية السياسية الإسلامية ذاتها على نحو ما سوف نرى داخل مؤديات نظرية الدولة في مفهومها المعاصر.

بالنظر إلى إنكارها كل من مبدأ سيادة الدول والمساواة في السيادة بينها (المادة ٢ / ١ من ميثاق الأمم المتحدة)، فضلاً عن إنكار مبدأ الدولة المدنية، بل وعدم استنادها الضروري لمبدأ الجنسية أو إلى نظرة القوميات على نحو ما تقدم، وإنما كذلك بالنظر إلى إنكار هذه الجماعات للقواعد الأمرة الأخرى المنضمة داخل ميثاق الأمم المتحدة على نحو ما سوف نرى الآن.

ب- إنكار القواعد الأمرة الأخرى للقانون الدولي (المضمنة داخل ميثاق الأمم المتحدة)

ومن المعلوم إن مبدأ سيادة الدول وقرينه مبدأ المساواة في السيادة بينها لم تصر حيثياته إلى عدم التوافق مع المعتقدات النظرية لهذه الجماعات فحسب؛ إذ أنّ القواعد الأمرة الأخرى للقانون الدولي المعاصر ترتكز كذلك بالامتياز بحسب المادتين الأولى والثانية من ميثاق الأمم المتحدة إلى كل من مبدأ حظر استخدام القوة في العلاقات الدولية من جانب، وإلى ضمان حقّ الشعوب سواء الخاضعة للإستعمار أو المستضلة بدولها الوطنية في تقرير المصير من جانب آخر، فضلاً عن

الضمان داخل كل منها وعلى نحو متكافئ للحقوق الأساسية للإنسان في غير تمييز، وفي إطار الالتحام لإنفاذ مجمل هذه الأهداف والمبادئ مع مبدأ التعاون الدولي، الذي عهد ميثاق الأمم المتحدة ذاته للمنظمة العالمية للأمم بإدارة منظومته التشريعية والرقابية^(١).

ومن نافلة القول أنه يصعب ابتداءً إحداث التوافق بين هذه القواعد الآمرة للقانون الدولي مع المنظومة التحليلية لـ [داعش] وفصائل العنف التكفيري؛ إذ من جانب، فإن مبدأ حظر التهديد باستخدام القوة المسلحة أو استخدامها الحالي في العلاقات الدولية يصعب في غير شك انصهاره داخل الافتراضات النظرية لهذه الجماعات المسند تحليلها إلى ذات التقسيم الثنائي للمعمورة المرتب لدى هذه الجماعات إسباغ المشروعية القانونية - بل وفرض العين - على «الحرب العادلة للجهاد الإسلامي»^(٢) ذاته في مواجهة مجمل المعمورة غير الإسلامية.

ومن نافل القول، إن الكثير من الجرائم الصادرة عن الجماعات التكفيرية، سواء حين لجوءها إلى العنف المسلح أو قبله أو في أثره، تنضوي تحت لواء الكثير من هذه الجرائم الدولية الأشد خطورة؛ إذ هذا شأن جرائم الإرهاب الدولي، وجرائم غسل الأموال، وجرائم تمويل الإرهاب، والجرائم المنظمة عبر الدول، وجرائم الحرب، وجريمة العدوان، والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم التدخل غير المشروع في النزاعات المسلحة الدولية وذات الطابع غير الدولي، وجرائم التدخل العسكري أو شبه العسكري بمناسبة مثل هذه النزاعات، وانتهاك

(١) حازم محمد عتلم: العنف التكفيري من منظور القانون الدولي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢.

(٢) محي الدين قاسم، التقسيم الإسلامي للمعمورة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦، ص ١١٩ وما بعدها.

الحقوق الأساسية للإنسان، والتمييز ضد المرأة، وانتهاك حقوق الطفل، وجرائم تجنيد المرتزقة، والانتهاكات الجسيمة لمبادئ وقواعد القانون الدولي الإنساني.

إن تحليل الجماعات التكفيرية لعلو افتراضاتها النظرية الدينية -ولو جاز التجاوز هنا، حال استخدام هذه العبارة- رتب من جانب آخر، بعث هذه الجماعات لنظريات القانون الطبيعي التي كانت قد اسندت، فحسب الطابع الملزم لقواعد القانون الوضعي إلى توافقها مع قواعد القانون الطبيعي المضمون لها من ثمّ العلو على الأولى حال عدم التوافق بينها. ولا مرء في أن اسناد الطابع الملزم لقواعد القانون الوضعي في مجملها -وفي إطار قواعد القانون الدولي والأنظمة القانونية الداخليّة للدول في غير تمييز- إلى القانون الطبيعي فضلاً عن أنه يرتب التباين الحاد بين الدول في تحديد كنهه وماهيته، فإنه يغفل كذلك إسناد الطابع الملزم لقواعد القانون الوضعي -حال اعتمادها وحال انفاذها في غير تمييز- إلى الترتيب الطبقي القائم داخل كل من المجتمع الدولي والمجتمعات الداخلية للدول بين أشخاصها، ودونما إغفال لاستحالة إنصهار العنف التكفيري داخل منظومة القيم الأدبية لمدارس القانون الطبيعي التي تقع بينها الشريعة الإسلامية ذاتها.

إن مجمل التنظير الذي ساقته جماعات العنف التكفيري استبقها إليه من جانب، إبان المرحلة الثانية العصور الوسطى منظرو الحروب الصليبية وبصفة خاصة منذ القرن التاسع عشر وإلى الآن منظرو الصهيونية العالمية في شأن التهجير القسري للشعب الفلسطيني من وطنه التاريخي، وفي شأن تعضيد قيام الدولة اليهودية داخل الإقليم الفلسطيني في مجمله وهو وضع من شأنه يثير -في الحقيقة- التساؤل في شأن مدى قيام الدولة ثم التوافق واعتماد متبادل بين

العنف التكفيري الصهيوني والإسرائيلي، والعنف التكفيري للجماعات موضوع هذه الدراسة.

إن حقيقة إقصاء شعوب دول العالم الثالث عن المشاركة المتكافئة في صناعة قواعد القانون الدولي في إطار التقسيم الدولي غير المتكافئ للعمل؛ بل وإقصاء هذه الشعوب ذاتها داخل دولها من قبل حكوماتها عن التمتع بالحقوق الأساسية للإنسان - وبصفة خاصة في ما يعنينا هنا - الحق في التعليم والغذاء والتعبير السلمي عن الرأي، والعقيدة من خلال إذكاء هذه الحكومات ذاتها للتقسيم الداخلي غير المتكافئ للعمل في مواجهة شعوبها لا يمكن البتة عزله حين تحليل الأسباب الكامنة وراء تعاضم أطروحات جماعات العنف التكفيري. ولعل من الجدير بالذكر في هذا الشأن، أن بين منظري هذه الجماعات من صاروا إلى ذلك، منذ «استضافتهم» في غياهب المعتقلات المودع داخلها مرتكبو «جرائم» التعبير السلمي عن العقيدة والرأي.

إذا لا يستغرب من ثم هنا أن أحد رواد التنظير التكفيري - السيد محمد عبد السلام فرج - قد صار إلى إصدار مؤلفه ذائع الصيت «الفريضة الغائبة» داخل هذه المعتقلات، وقبل توقيع عقوبة الإعدام عليه^(١).

وأخيراً وليس آخراً، فإنه من وجهة نظر بعض الباحثين في القانون الدولي «أن منظّر العنف التكفيري - الذي يستحيل توطينه إلاّ خارج منظومة التاريخ - قد أغفل، وبالتأسيس على هذا التوطين الزماني له، حقيقة انصراف الكثير من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء والغراء داخلها؛ بين المصادر الشكلية

(١) حازم محمد عتلم: العنف التكفيري من منظور القانون الدولي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٨.

التكميلية التي تفرغ داخلها القواعد السلوكية الملزمة للقانون الدولي. ونقصد بذلك هنا [المبادئ العامة للقانون] الثابتة - على نحو مشترك - بين الحضارات القانونية الرئيسية الداخلية للدول؛ إذ أنّ هذه الحضارات - التي يقع داخلها كل من النظام القانوني للـ [Kemen Law]، والنظام القانوني الماركسي والنظام القانوني لدول الشرق الأقصى... - تتبوأ كذلك داخلها وعلى نحو متكافئ مبادئ الشريعة الإسلامية ذاتها التي جيء فضلاً عن ذلك اسناد احكام القضاء الدولي إلى مبادئها وقواعدها بمناسبة المنازعات التي انصرفت بين أطرافها إحدى الدول الإسلامية»^(١).

٢- الموقف من النظام الدولي؛

يعتبر [عبد الله بن محمد] أحد أبرز منظري السلفية الجهادية والمعتمد لدى [داعش] في كتابه المذكرة الاستراتيجية أن تغيير النظام الدولي أو زواله هو شرط لازم، لإقامة الخلافة أو الدولة الإسلامية بالمعنى الصحيح، «فطالما أنّ منظومة الأنظمة الراعية والعميلة تعمل فلا مجال في ظل هذا النظام الدولي لأيّ مشروع سياسي إسلامي أن يكتب له الحياة».

ويضيف «فهذا النظام الدولي المتوافق عليه بين الدول العظمى الراعية للمنطقة والأنظمة العملية لها يمنع منعاً باتاً قيام مثل هذه الكيانات السياسية والعسكرية، لما لها من خطر عظيم على النظام العالمي الذي يقوم بالأساس على جعل هذه المناطق كمجال حيوي للقوة العظمى، وأي عودة لمشروع الخلافة الإسلامية سيحرمها من ذلك ويفسد عليها نظامها العالمي المتوافق عليه»^(٢).

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٩.

(٢) عبد الله بن محمد، المذكرة الاستراتيجية م، س ص ١٢.

فالنظام الدولي بالنسبة لأصحاب مشروع الخلافة، هو العدو الأول لمشروعهم والعائق الأساسي امام قيام هذا المشروع، فهم يعتبرونه السبب في الغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٣ (في اتفاق لوزان بين أتاتورك والإنجليز)* وأهم بنود الاتفاق إلغاء الخلافة الإسلامية، وبقي المسلمون منذ ذلك التاريخ بلا رأس يقودهم وبلا كيان يجمعهم، ولم تنجح أي محاولة في إرجاع وإعادة هوية المسلمين السياسية المتمثلة بالخلافة الإسلامية (منذ ذلك التاريخ) وهذا الفشل يعود لطبيعة عمل منظومة الأنظمة الراحية (الكبرى) والعميلة (الدول القطرية)^(٢).

وتشكل أميركا رأس هذا النظام الدولي الذي يعتمد مجموعة مؤسسات دولية كانت نتيجة لانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وتزعم أميركا للمتصربين في هذه الحرب. فقد «حققت أميركا هيمنة شبه كاملة على المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن والبنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة التجارة العالمية وهي المؤسسات المسؤولة عن إدارة السياسة والأمن والاقتصاد في العالم»^(٣).

* معاهدة لوزان الثانية: هي اتفاقية سلام دولية وُقعت في سويسرا في ٢٤ تموز ١٩٢٣ بين كل من تركيا وبريطانيا، وتضمنت ١٤٣ بنداً موزعة على ١٧ وثيقة بين اتفاقية وميثاق وتصريح وملحق. ورُسمت فيها حدود امبراطورية الخلافة العثمانية (الرجل المريض) آنذاك، وهي أسست لقيام الدولة التركية بقيادة أتاتورك وعاصمتها أنقرة. -راجع (موقع مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية) www.rawabetcenter.com

(٢) راجع: أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، ص ٥ (مصدر سابق) وأيضاً عبد الله محمد، المذكرة الاستراتيجية، (مصدر سابق)، ص ١٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٢.

وهي الدولة الوحيدة في التاريخ المعاصر التي استطاعت فرض نظامها الخاص على العالم كله ومعاقبة كل من يخرج من هذا النظام كائناً من كان^(١).

ولعل هذه النظرة يتفق حولها معظم منظري السلفية الجهادية، فـ [بن لادن] أيضاً انطلق من هذا الفهم لخطر أميركا ودورها في تحريك إدارة الأنظمة القطرية المحلية ليضع استراتيجية العدو البعيد، بدل العدو القريب لقناعته بأن ضرب أميركا أكثر جدوى من الصراع مع أدواتها في المنطقة.

وإذا كان بن لادن قد خطط ووجه ونفذ عمليات ضرب السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام، ثم عمليات ١١ سبتمبر (التي يعتبرها عبد الله بن محمد كسرت مسار التاريخ)، فإن صاحب المذكرة الاستراتيجية، يتوقع انهيار أميركا اقتصادياً وإفلاسها بسبب حجم وأعباء الحروب التي تشنها دون جدوى في أفغانستان والعراق، وكانت المشكلة برأيه أتمّ لم تترك من خلفها من يستطيع ملأ الفراغ بنفس المقدرة والكفاءة، وهو من جهة أخرى يتفق مع تنبؤات (هنتنجتون) في نظرية صراع الحضارات بأن العالم لا يتسع لحضارتين فيقول:

«نحن كمسلمين نوافقه الرأي فيما ذهب إليه ونرى أن العالم فعلاً لا يتسع لحضارتين في آن واحد، لذا فنحن نقاتل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله... وقد قطع التيار الجهادي شوطاً طويلاً ليضع بصمته على المشهد العالمي ويججز المقعد الخاص به وسط دوائر الصراع المؤثرة فيه وهو بذلك وصل إلى مرحلة النضج الفكري والتنظيمي تؤهله لدور بحجم قيادة الأمة من خلال مشروع الخلافة الإسلامية... (ويختم بالقول)... فيأتي لا أجد أفضل من أن نعمل بجد واجتهاد كما علمنا الشيخ (أسامة) لبنني ونمد حدود الإسلام ومهد الخلافة

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢.

لتشمل بحر العرب وما وراءه»^(١).

بالمقابل فإن [التميمي] في كتابه إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام يصف الغرب أي الدول الكبرى الصليبيين والدول القطرية العملية للغرب (بأذناهم المرتدين) وفي هذين الوصفين دلالة واضحة على الموقف العدائي المبذئي للنظام الدولي المدار من قبل الدول الكبرى. ويعتبر أن «السيادة للشرع» وبالتالي فإن الدولة التي يطلبها الشرع هي دولة مركزة على عقيدة التوحيد، تحكم بمقتضى الشرع في السياسة والعلاقات الخارجية كما تحكم بمقتضى الشرع في النظم والسياسات الداخلية^(٢).

ويؤكد التميمي بأن مجيء «الغزو الأميركي الصليبي» لم يكن من فراغ بل لمحاربة كل مظاهر السيادة الإسلامية ومنع أي ظهور أو تمكن للإسلاميين من السلطة. وبالتالي لمنع إقامة دولة الخلافة التي ستمكن من بناء دولة قوية تحصد مصالح الغرب وتحصد أميركا في عقرب دارها، ويستدرك ولكن الأمور لم تجري على وفق رغبات الأميركيين. وإن خطوة الدولة المباركة تأتي لضرب البرنامج الصليبي في المنطقة بأعنف قوة سياسية يخافها ويتهيب من حصولها»^(٣).

ورغم أن كتابه يهدف بشكل أساسي للدفاع عن فكرة وشرعية إقامة الدولة الإسلامية في العراق، إلا أنه يشير إلى أن «أرض العراق تتهيأ لمشروع إسلامي كبير، كونها تموضع في قلب المنطقة الساخنة (الشرق الأوسط) مع ما تملكه من

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٥٣-٥٤.

(٢) التميمي، عثمان بن عبد الرحمن، اعلام الانام بميلاد دولة الإسلام، م س، ص ٨-١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨.

ثروات وخيرات كفلية بأن تفتح المنطقة نحو مَدِ إسلامي كبير»^(١).

وفي هذا دلالة واضحة، على الحلم الذي يراود أصحاب الدولة الإسلامية في السيطرة على المنطقة كلها، كما ظهر بعد ذلك في كسر الحدود بين العراق وسوريا، كخطوة واضحة لكسر [سايكس بيكو] تمهيداً لإعلان الخلافة التي ستمتد إلى كل دول العرب والمسلمين، بحسب زعمهم.

المبحث الثاني

داعش والغرب: بين الاستثمار والتصادم

١- صناعة أم استثمار؟

تسود في أوساط العديد من الكتاب والشخصيات والسياسيين في العالم العربي والإسلامي بأن [داعش] هي صنعة الغرب، خصوصاً الولايات المتحدة، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى ما ذكر على لسان بعض القادة الأميركيين، أمثال: رامسفيلد، وهيلاري كلينتون، وترامب أخيراً في اتهامه لمن سبقوه في الإدارة الأميركية بأن [داعش] من صنع الأميركيين، وأن الغرب يستخدم [داعش] وغيرها من الجماعات المتطرفة كذريعة للتدخل في شؤون الدول العربية والإسلامية^(١).

٥١٢

فمثلاً يقسم نسيب محمد حطيط في استقراءه لنشوء الحركات التكفيرية (السلفية أو التجديدية) منذ القرن الثامن عشر، إلى ثلاث مراحل:

- المرحلة الإنكليزية: ويتحدث فيه، عن الدور الاستعماري الإنكليزي في تأسيس حركة الإخوان الوهابيين (إخوان من أطاع الله) مع [محمد بن عبد الوهاب]، واتفاقه مع [محمد بن آل سعود]، واحتضان حركتهم، ورعايتها، واستخدامها لتقويض الخلافة العثمانية.

(١) وليد ابو الخير من القاهرة، عزاز الله سايرزلاند من كابول، ضياء الرحمن من كراتشي، وخالد الطائي من العراق، موقع المشارق، ١٩/٦/٢٠١٨، WWW.AI-MASHAREQ.com

- المرحلة الأميركية: تأسيس القاعدة والأفغان العرب بالتعاون بين أميركا والأنظمة التابعة والحليفة كباكستان والسعودية ومصر، والهدف إلحاق الهزيمة بالاتحاد السوفياتي.

- مرحلة التحالف الغربي-الإسرائيلي-العربي: والهدف إسقاط محور المقاومة، واستنزاف إيران وكل من نادى بتحرير فلسطين (دول الممانعة العربية) سوريا، وليبيا والعراق، وكانت الساحة الرئيسية بعد الربيع العربي سوريا، التي مازالت مستمرة حتى اليوم^(١).

في المقابل يعتقد عدد من الأكاديميين والخبراء والشخصيات الدينية أن هذه النظرة تستند لما يُسمى «نظرية المؤامرة»، والتي يُحمّل أصحابها مسؤولية كل مآسي وأوضاع العالم الإسلامي المتردية والسيئة، وما يحدث من صراعات وتوترات، للغرب وأجهزته المخبراتية وأذرع الوطنية التابعة، والعميلة له. ويستدلون على رأيهم، بأنّ مسار نشوء وتطور هذه الجماعات التكفيرية الجهادية وقادتها معروف وواضح، ولا يتحمّل كل هذه الأكاذيب والمؤامرات المزعومة.

يتحدث [هشام الهاشمي] حول الدعم الخليجي للفصائل المسلحة العراقية، فيقول: «دعمت دول الخليج الفصائل المسلحة العراقية حتى انتصار الصحوات على القاعدة، وانخراط معظمهم في العمل السياسي، فتوقف الدعم الخليجي لهم نهاية عام ٢٠١١. (ولم يستطع أحد إثبات العلاقات السرية بين [داعش] ونظام سياسي دولي رسمي علني أو مخبراتي سرّي حتى الآن)^(٢)».

(١) نسيب محمد حطيظ، السلفية التكفيرية، الجذور والمنهج، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) هشام الهاشمي، عالم [داعش]، م س ص ٢٠٨-٢٠٩.

بينما يقف فريق ثالث بين الرأيين، فيعتبر أن الحقائق تؤكد أن هذه الجماعات إستندت إلى أفكار وأيديولوجيات دينية متطرفة، واستفادت من ظروف وعوامل مساعدة، كحالة اليأس والإحباط، وانعدام الحريات، وسياسات الخضوع والاستسلام، وعدم المواجهة مع الهيمنة الغربية لدى قادة الدول العربية والإسلامية، ولكن الغرب عبر مجموعة أدواته المخبرائية والمحلية استطاع توجيه واختراق هذه المجموعات والاستثمار بها، وبالتالي استطاع تحقيق عدد من أهدافه ومصالحه في المنطقة، عبر إذكاء الصراعات والتوترات التي أنتجتها هذه الجماعات، ويستدلون على ذلك بالعديد من المؤشرات، والتي أهمها ما يلي:

١. من المعروف والمشهور أن تسهيل وتشجيع ذهاب المجاهدين إلى أفغانستان وتسليحهم، قد تمّ بالتفاهم والاتفاق بين أميركا وبعض الدول العربية كالسعودية ومصر وباكستان وغيرها، وأن الأجهزة الاستخباراتية في هذه الدول كانت تتابع وتسهّل وتوجّه هذه المجموعات بطريقة مباشرة وغير مباشرة في الكثير من الأحيان.

يقول ستوارت ليفي وكيل وزارة الخارجية الأميركية المسؤول عن مراقبة عرقلة تمويل الإرهاب، لقناة ABC NEWS: «أنه عندما نتكلم عن القاعدة وداعش، إذا كان بإمكاننا بطريقة ما، أن أقوم بقرعة أصابع يدي، وأقطع التمويل عن الإرهاب من دولة واحدة، سوف تكون السعودية».

وقد ورد في برقية نشرتها ويكيليكس في كانون الأول ٢٠٠٩: كتبت وزيرة الخارجية هيلاري كليتون «لا تزال المملكة العربية السعودية مركز الدعم المالي الحرج لـ [تنظيم القاعدة] و[حركة طالبان].. وغيرها من الجماعات الإرهابية».

وأضافت كليتون: «إنّ ما قامت به المملكة العربية السعودية ضد [تنظيم القاعدة]، كان بمثابة معالجة لتهديد داخلي، وليس ضد أنشطة التنظيم في الخارج».

وفي عام ٢٠١٣، نشرت المديرية العامة للسياسات الخارجية للبرلمان الأوروبي، دراسة بعنوان «تورط السلفية الوهابية في دعم جماعات الثوّار (الجهاديين) في جميع أنحاء العالم وتزويدها بالأسلحة»^(١).

٢. من الثابت والواضح، ولا يختلف عليه اثنان، أنّ تركيا وبتشجيع من أميركا والغرب عموماً، فتحت حدودها ليكون معبراً للجهاديين القادمين من كلّ دول العالم للوصول إلى سوريا والعراق للالتحاق بداعش أو دولة الخلافة. وأنّ تجميع القادمين، وتنظيم انتقالهم، كان يتم في أوتيلات وفنادق استانبول والمدن التركية الأخرى، على الحدود التركية السورية، وتحت أعين الأجهزة الرسمية التركية. وهذا ما أفادت به معظم المقابلات المنشورة في وسائل الإعلام خصوصاً «اليوتيوب» والتي أجريت مع معتقلين من [داعش]. كما تسمح تركيا بعبور الأسلحة والجهاديين المتطوّعين الذين يُحتمل أنّ العديد منهم إنتحاريون محتملون^(٢).

٣. المعروف أيضاً- والمنشور إعلامياً- وبشكل صريح، وباعتراف المئات من القادة الميدانيين للفصائل المسلحة في سوريا والعراق، بأنهم تلقوا الدعم المالي والتسليحي من دول الخليج (السعودية - قطر - الإمارات)، وأن غرف تنسيق مخبرائية في الأردن وتركيا كانت تضم مندوبين من كل هذه الدول، بالإضافة

(١) باتريك كوكبيرن: [داعش] - عودة الجهاديين، - ترجمة: ميشلين حبيب، دار الساقي، بيروت، ط ١، ٢٠١٥م، ص ٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦.

إلى مندوبين من الدول غربية وأمريكية تحديداً، وتركز عملها في توجيه وقيادة عدد من هذه الفصائل، وحتى تقرير العمليات العسكرية، التي تقوم بها، وتحديد توقيت هذه العمليات كـ [غرفة الموك] الشهيرة في الأردن.

«لقد دعم الأميركيون مخططاً وضعته السعودية لتشكيل جبهة جنوبية مركزها في الأردن، تكون معادية لحكومة الأسد في دمشق، ومعادية في الوقت نفسه للثوار، الذين هم تنظيم من تنظيمات القاعدة في الشمال والشرق... لكن أفلام الفيديو العديدة والشهيرة، تظهر أن لواء اليرموك قد قاتل في أغلب الأحيان إلى جانب جبهة النصرة، الفرع الرسمي للقاعدة».

«ويؤكد المسؤولون العراقيون أنهم صادروا أسلحة متطورة من مقاتلي [داعش] في العراق، كانت سلطات خارجية قد أرسلتها في الأصل إلى قوات تُعتبر مناهضة لتنظيم القاعدة في سوريا»^(١).

٤. لقد تحدثت أنباء إعلامية متعددة المصادر، حول وصول أسلحة أميركية الصنع وأنواع أخرى من الدعم، إلى [داعش]، عبر فصائل مسلحة، أو بشكل مباشر عبر إنزالها في مظلات من الطائرات، خصوصاً في الحالات التي تتعرض لها مواقع الدولة الإسلامية وداعش للحصار، كما حدث في مناطق شرق العراق، ومناطق دير الزور، وبعض مناطق البادية السورية.

كما تحدثت أنباء ونشرت فيديوهات لصور طائرات هيلكوبتر أميركية تقوم بإنزالات لسحب بعض القادة والمقاتلين من [داعش] المحاصرين في جبهات القتال ضدها، والتي كان يُتوقع أن تسقط في أيدي أعداء [داعش] كالجيش العراقي أو الحشد أو

الجيش السوري وفصائل الحلفاء الداعمة له. وهذا يؤكد وجود اختراقات استخبارتية غربية وعربية في صفوف [داعش].

ينقل باتريك كوكبيرن في كتابه [داعش]، عودة الجهاديين أنه: جاء في اعترافات صدام الجمل (قائد لواء في ألوية أحفاد الرسول) في الجيش السوري الحر، في مقابلة مذهلة، قامت بترجمتها مدونة براون موزس (وهي مقابلة تبدو موثوقة)، حيث قال: «إن ممثلين من أجهزة الاستخبارات السعودية والإماراتية والأردنية والقطرية، بالإضافة إلى ضباط من الاستخبارات الأميركية والبريطانية والفرنسية كانوا يحضرون اجتماعات هيئة أركان الجيش السوري الحر، التي كانت تُعقد في أنقرة/ تركيا... وأن أحد هؤلاء توجه إليهم طالباً تقديم احتياجاتهم من الأسلحة والذخيرة والمال.. ويكمل كوكبيرن قائلاً: «إنَّ الإنطباع الذي يتكون لدى البعض هو أنَّ وكالات استخبارات عربية وغربية تسيطر على المعارضة المسلحة بأكملها»^(١).

٥. لقد أدت الصراعات التي خاضتها [داعش] ضد الحكومة المركزية العراقية، والحشد الشعبي هناك، كما في سوريا ضد الحكومة والجيش السوري، والحلفاء هناك كـ [حزب الله]، خدمات جليّة وواضحة لجهة استنزاف جبهة المقاومة ومحورها الإقليمي، وإن كانت لم تحقق ما كان يطمح إليه الغرب وأمريكا والدول الحليفة في الخليج، من سقوط النظامين العراقي والسوري، وتغييرهما بما يتناسب مع مصالح تلك الدول.

(١) كوكبيرن باتريك - [داعش]، عودة الجهاديين، م س ص ٦٦-٦٧، وأيضاً تمت مراجعة عدة حلقات من اعترافات «صدام الجمل» على YouTube وهو أحد القياديين الميدانيين في سوريا، كان في الجيش الحر ثم عمل مع [داعش]، وتطبق مضامين اعترافاته مع ما جاء عند كوكبيرن باتريك.

٦. الأعداد الكبيرة من المهاجرين الأجانب (غير العرب)، وخصوصاً الأوروبيين والأميركيين، الذين تدفقوا على سوريا والعراق للالتحاق بداعش، وتحت نظر الأجهزة الرسمية الغربية، وعدم اتخاذ أي خطوات رادعة أو مانعة من هذا الانتقال إلا في حالات محدودة أخيراً، أي بعد سنوات من نشوء دولة الخلافة، وبعدها تبين أن المشروع في طريقه إلى الانكماش والزوال.

٧. لقد تمّ منح فرصة لأكثر الجماعات فتكاً وعنفاً وهمجيّةً (داعش)، من داخل العالم العربي والإسلامي، للقيام بما يمحي تفرّد إسرائيل بهذه الصورة النمطية للعنف والمجازر، وهكذا يتمّ قهر الصورة النمطية التاريخية لإسرائيل، التي مارست عنف الإبادة والتهجير (الترانسفير) في حروبها ضد العرب، والفلسطينيين طوال عقود، وهذا كلّه يجري وفق الهندسة التاريخية للمكان وفق مرجعية برنارد لويس^(١).

٨. التقاء مشروع الفوضى الخلاقة (الأميركي - الإسرائيلي)، القائم على إعادة تفكيك وإعادة تركيب دول المنطقة (الذي وضعه برنارد لويس) مع مشروع إدارة التوحّش الذي يقوم على إنهاك الدول وتحويل واقعها إلى فوضى متوحّشة تمهيداً لإدارة هذا التوحّش، ثم التمكين من السيطرة عليها، وإقامة دولة الخلافة فيها.

(١) هاني ادريس، برؤس الربيع العربي (مقاربة فلسفية-جيوستراتيجية)، دار روافد، بيروت، ط١، ٢٠١٧م. (برنارد لويس، مستشرق مخضرم، أعدّ خريطة بديلة لسايكس بيكو، بناءً على طلب البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية)، وتمت الموافقة عليها سرّياً عام ١٩٨٣ المصدر نفسه قلاً عن (عبد الحسين ياسر، الحرب العالمية الثالثة، [داعش] والعراق وإدارة التوحّش، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٥م.

والمتتبع للأحداث والمجريات، يجد الكثير من التقاطعات بين المشروعين إلى المستوى الذي يرسم علامة استفهام حول إمكانية أن يكونا من عقل مدبر واحد. ويخدمان هدفاً واحداً، وإن كانا في الظاهر يبدوان متصارعين ميدانياً، فهما، أي المشروعان، يتطابقان في الهدف المرحلي، وهو التفكيك والتدمير، وخلق الفوضى في الدول المستهدفة، وإن كانا يتعارضان في ما بعد هذه المرحلة، بين مشروع يهدف لإقامة دولة خلافة إسلامية، وبين مشروع يريد أن يبنى أنظمة تابعة له، وتخدم مصالحه واستراتيجياته (بغض النظر عن عنوانها أو شكلها)^(١).

وانطلاقاً من كون المعركة سارت باتجاه التبلور بين محورين، الأول أميركي سعودي خليجي، والثاني مثله محور المقاومة (إيران، سوريا، العراق، وحزب الله في لبنان)، واستناداً إلى ما تقدم، فإن التفجيرات والاعتداءات التي قامت بها داعش وجبهة النصرة، في لبنان (في الشمال والبقاع الشرقي، وبيروت والضاحية الجنوبية) كانت تهد إلى إيجاد حالة من الإرباك وبث الفتنة في الساحة اللبنانية، الأمر الذي دفع حزب الله وحلفاء سوريا في لبنان للمشاركة الفاعلة لبحر الإرهاب التكفيري عن لبنان، بالتعاون مع الجيش اللبناني، والتعاون الوثيق مع الجيش السوري، لقطع دابر هؤلاء في معقلهم داخل سوريا، لا سيما المناطق القريبة من الحدود اللبنانية، فضلاً عن تحرير الأراضي اللبنانية في مناطق البقاع الشمالي (عرسال ومحيطها) فيما ما سُمي بمعركة تحرير الجرود (التحرير الثاني).

(١) راجع عدة أبحاث تحمل هذا المعنى والمضمون منها:

محمد شري، صحيفة الأخبار، الأربعاء، ١٥/١٠/٢٠١٤. <https://al-aakhbar.com>

وصفي الأمين، صحيفة الأخبار، الأربعاء، ١٧/٦/٢٠١٥. <https://al-aakhbar.com>

عبد الرحمن الوائلي، الوطن أون لاين، من الفوضى الخلاقة إلى إدارة التوحش، 27/2/2015.

٢- استراتيجية التحكم غير المباشر:

وللتأكيد على ما تقدّم من سياسات غربيّة للاستثمار في الحركات الجهادية السلفية، وبعنوان «التحكّم غير المباشر» (حول الاستراتيجية الأميركية في توظيف الحركات السلفية الجهادية)، كتب [هادي قيسي] كتابه، محدّداً ثلاث سياسات لهذه الاستراتيجية: «إنّ استقراء مراحل العلاقة وتبدّل أشكالها بين الغرب، بقيادة الولايات المتحدة من جهة، والحركات السلفية الجهادية من جهة أخرى، في الفترة الزمنية التي تتخطى ربع قرن، بدءاً من العام ١٩٧٨. يتوصل الباحث إلى تأمل حزمة من السياسات (الأدوات) التي اعتمدها الغرب في التعامل مع هذه الظاهرة المتوترة والمتقلبة، ويمكن وضع هذه السياسات في مصفوفة منسجمة يمكن المحاججة بها، والدفاع عنها، لكنها تتميز بمرونة عالية، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع أساسية: الإتاحة، التوجيه، والضبط.

١. الإتاحة: لقد انصبّ الهمّ والتركيز الأميركي على جعل أفغانستان متاحة لنشاط الإسلاميين الغاضبين أو المغضوب عليهم في مختلف أنحاء العالم. وكانت الدول المحرّكة في عمليات توظيف العامل الإسلامي تقدم التسهيلات، ولا تزال إلى الآن، على مختلف الأصعدة.

إذاً، تمّ فتح المجال الجغرافي، فثمّة أماكن مناسبة للحراك الجهادي، وهذا من منظار توجيه الزخم والضغط الجهادي نحو مساحات مفيدة أو غير ذات مخاطر كبرى. حيث يشكّل فتح الأبواب أمام تدفق المجاهدين خدمة للسياسات الأميركية والغربية، سواء في تعديل سلوك الأنظمة، أو تشكيل الوقائع السياسية والديمقراطية، أو تدمير البنية وتعطيل قوّة معادية، أو حتى في إثارة مناخات نزاعية قوميّة أو مذهبية في الإقليم. كما جرى في أفغانستان والشيشان واليمن

وسوريا وغيرها^(١).

وتشير وزيرة الخارجية الأميركية سابقا هيلاري كلينتون في مذكراتها، إلى الدور المباشر الذي لعبه السفير روبرت فورد في دعم حركة المعارضة السورية على الأرض، حيث ذهب إلى مدينة حماة، وشارك في مظاهرات المعارضين، وشجّعهم على الاستمرار، ونظّم صلوات وصل دائمة معهم^(٢).

وكان السادات قد استفاد من الفرصة التاريخية للتخلص من الإسلاميين الجهاديين، حيث «فتح باب الهجرة إلى باكستان وأفغانستان بإيعاز من أميركا، وبناءً على ذلك تحركت مجموعات تمثل حركة الإخوان المسلمين، وتنظيمات أصولية متطرفة انضمتا إلى مجموعات من بلدان عربية عدة، وجدت نفسها في ساحة واحدة، وفي حوزتها أحدث الأسلحة، وأرقى التدريب، واحتشد الجميع تحت راية الجهاد»^(٣).

فالأطراف الإقليمية الحليفة للولايات المتحدة التي كانت تشكل الأدوات الرئيسية لتنفيذ تلك الاستراتيجيات، وتنفذ ضمنها أهداف محلية خاصة بها، وهذه الأهداف كانت متنوعة، ولكل دولة درجات من الأولويات ضمن هامش للحركة في إطار للشراكة الأميركية مع القوى الإقليمية المساهمة والتي توزعت وظائفها بين المصدر، الممول، والحاضن. وعادة يقع عبء المخاطرة الأكبر على الحاضن الذي يشكل خط الالتقاء الجغرافي المباشر مع ساحة القتال ويشكل المعبر اللوجستي الأخير للجهاديين واسلحتهم وأموالهم ولقد لعبت كل من

(١) هادي قيسي، التحكم غير المباشر، دار المودة، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ٢١-٣٠.

(2) Hillary Clinton Hard Choices London 2014 P464.

(٣) محمد صلاح، وقائع سنوات الجهاد، صحيفة الحياة، ١٨/١٠/٢٠٠١.

باكستان ١٩٧٩، وسوريا ٢٠٠٣، وتركيا ٢٠١١، هذا الدور... وحاولت الولايات المتحدة الأميركية إبقاء أيديها بعيدتين قدر الامكان عن التعامل المباشر مع الجهاديين لأسباب موضوعية. «ولذلك ظلت كثير من الوثائق والسياسات الأميركية المتعلقة بدعم الجهاديين بالسلاح ضد السوفيات سرية لسنوات عديدة»^(١).

ويتفق هذا مع ما نقله [سيمور هيرش]: «يقول مسؤولون حاليون وسابقون مقربون من الحكومة الأميركية إن بعض التكتيكات الأساسية لسياسة إعادة التوجيه غير معلنة، وبقيت بعض هذه العمليات السرية تجري في الخفاء، في بعض الأحيان عبر إحالة التنفيذ أو التمويل إلى السعوديين أو عبر إيجاد طرق أخرى لتفادي عرضها أمام الكونغرس لأخذ الموافقة عليها»^(٢).

وقد أجرى مراسل الـ BBC [بيتر أوبورن] تحقيقاً^(٣) في مزاعم تسليح الغرب غير المباشر لداعش، ووجد أدلة تفيد بأن الجيش الحر (المعتدل) يُستخدم عملياً ممراً لوصول الدعم الغربي إلى المتطرفين^(٤).

وفي العام ٢٠١٣ اعترف قائد جبهة ثوار سورية، جمال معروف: إن مسؤوليه الأميركيين أمروه بإرسال أسلحة إلى القاعدة^(٥)، وبطرق غير مباشرة كانت

(1) Steve Coll Ghost wars The Secret history of CIA, Afghanistan and Bin Laden, from the Soviet invasion to September 10, 2001, P70.

(2) Seymour M. Hersh, The Redirection Annals of National Security, March 5, 2007.

(3) <http://www.bbc.co.uk/programmes/bobsoqyg>.

(4) Steven Chovance, Please don't attack Al - Qaeda, Foreign Policy, March 4, 2016.

[داعش] والتنظيمات الجهادية تستولي على السلاح الأميركي من مخازن الفصائل التي تصلها عبر الاستخبارات التركية.

٢. التوجيه: حيث تقوم منظومة التوظيف الدولية والإقليمية بمجموعة من السياسات والبرامج المتعددة الأبعاد للحفاظ على وجهة الحركة الجهادية ضمن نطاق المصلحة، ولجم احتمالات التحوّل من الفرصة إلى التهديد. وهذا البعد غير المباشر يشمل المجال الإعلامي والثقافي والفكري وكذلك التدخل الأمني القتالي^(١).

وتهدف عملية التوجيه في بعدها الاستراتيجي، والذي يتخطى زمان الإتاحة إلى ما قبله وما بعده، إلى إيجاد الانحراف في زخم الوجهة الجهادية للعالم الإسلامي، بعيداً عن استهداف مصالح منظومة التوجيه الدولية والإقليمية.

٥٢٣

فمثلاً نجحت تلك المنظومة في تحويل الوجهة الجهادية بعيداً عن اسرائيل والغرب، حيث «عكرت حركة الجهاد الرسالة المعادية للصهيونية، وفقدت شرعيتها لدى العديد من المؤيدين المحتملين، وقد حاول [تنظيم القاعدة] مواجهة هذه الدائرة بالقول أن الدول الإسلامية «المرتدة» تحمي اسرائيل، وتجب ازالة هذه الدول قبل أن نبدأ بمواجهة اسرائيل»^(٢).

فمثلاً عملت هذه المنظومة لتحديد العدو المفضل (القريب الطائفي «الشيوعي» بدل البعيد الذي حدده القاعدة بأميركا) من خلال سياسات التعامل مع [الزرقاوي] في التجربة العراقية (٢٠٠٣-٢٠٠٦) حيث عمل الإعلام الأميركي على اعطائه الأفضلية على حساب صورة بن لادن.

(١) هادي قيسي، التحكم غير المباشر، مصدر سابق، ص ٥٩-٦٠.

(2) Self-inflicted wounds: Debates and Divisions between Al Qaeda and its Periphery, Combating Terrorism Center at West point, P10.

وظهرت هذه السياسة في كلمة وزير الخارجية الأميركي آنذاك كولن باول في مجلس الأمن وقال فيها: «منذ العام الماضي، تم القاء القبض على أعضاء من شبكة [الزرقاوي] الإرهابية في فرنسا، اسبانيا وإيطاليا، وفي آخر إحصاء لنا، تم اعتقال ١٦٦ قيادياً مرتبطاً بهذه الشبكة العالمية»^(١).

وقد كان إعطاء الأولوية للزرقاوي على بن لادن في الصورة الإعلامية العالمية بعد هذا التصريح أثر استراتيجي على [تنظيم القاعدة] والذي تحول بقيادة [الزرقاوي] نحو قتال العدو القريب كأولوية.

وقد طرح الكاتبان [مقدم] و[فيشان] توصية في بحثهما تشير إلى أنه: «سيتعين على الولايات المتحدة أن تقرر ما إذا كان تدمير تلك الجماعات يصب في مصلحتها وإذا لم يكن كذلك، عليها تحديد الخط الفاصل بين تلك التي قد تكون مقبولة وتلك التي يجب أن تدمر»^(٢).

وعند مراقبة سياسات الحكومة الأميركية في وضع تنظيمات وشخصيات على لوائح الإرهاب، يُلاحظ أنها وضعت [الزرقاوي] على اللائحة قبل أن يبدأ غزو العراق، بينما لم تضع بن لادن إلى ما بعد مرور عام على عمليات تفجير سفارتيها في تنزانيا وكينيا في العام ١٩٩٨ فيما وضعت حركة حماس منذ العام ١٩٩٥^(٣).

تحدد أميركا والدول الاقليمية التابعة لشخصيات (من القيادات الجهادية) التي يجب حذفها، فاختيار الهدف والتوقيت يخضع لمعايير أهمها أن يشكل الهدف

(١) نقلاً عن هادي قيسي التي أوردها في كتابه «التحكم غير المباشر»، م. س، ص ٦٤.

(2) Combating Terrorism Center at West point Self-inflicted wounds: Debates and Divisions between Al Qaeda and its Periphery.P11.

(3) The New York Times.Many say us planned for terror but failed to take action.30-12-2001.

خطراً على المصالح الأميركية أو ان نفوذه أو تأثيره يشكل عاملاً سلبياً في عملية التوجيه والتوظيف. فنرى مثلاً [عبد الله عزّام] يُقتل بانفجار غامض بعد حرب أفغانستان، عندما بدأ يطرح أولوية قتال اسرائيل، ونرى لائحة قيادات تم استهدافهم في اليمن وعلى رأسهم أيمن العولقي لإتقانهم اللغة الانكليزية وامتلاكهم روابط مع الإسلاميين داخل أميركا، واستخدامهم الانترنت للتحريض ضد أميركا، ويُقتل [الزرقاوي] في توقيت خاص بعد إعادة النظر في استراتيجيته وبدء التفكير بالعودة لقتال الأميركيين كأولوية بعد حصار الصحوات العراقية العشائرية له في الانبار والمحافظات الأخرى العراقية، وبحسب وثيقة ويكيليكس، قد يؤدي الاغتيال إلى تغيير استراتيجية التنظيم بما يناسب مصلحة الجهة المنفذة «فمن الآثار الإيجابية لعمليات الاستهداف ذات الأهمية العالية»^(١).

وأخيراً فإن الكثير من الحملات الإعلامية التي يقوم بها الإعلام العربي والدولي هي حملات متفق عليها كجزء من عمليات التوجيه المقررة، أو كجزء من العمليات النفسية التي تساعد على تحقيق الأهداف من قبل الأميركيين وحلفائهم وأدواتهم. ويؤكد [برينجسكي] في مذكرته المنشورة حول حرب أفغانستان «علينا أن نتفق مع الدول الإسلامية على حملة دعائية وفي المقابل حملة لمساعدة الثوار»^(٢).

يبقى أنه لا بد من الإشارة إلى ضرورة وجود تدفق المعلومات الميدانية الواقعية لتحقيق استمرارية التوجيه، كما أن وجود شخصيات قيادية أو مؤثرة في

(1) High Value targeting operation, WikiLeaks in December 18, 2014.

(٢) مذكرات أميركية عن أفغانستان (من برجنسكي إلى الرئيس كارتر) ٢٦-١٢-١٩٧٩.

التنظيمات الجهادية تحمل ارتباطاً مباشراً مع أجهزة الجهات المشغلة يعطي التوجيه ضمانات إضافية، وهذا ما توفره عمليات الإختراق الاستخباري للفصائل الجهادية المختلفة والتي تبدو بلباسها الايديولوجي وسلوكها المتطرف عصية على الإختراق، لكنها عن قرب تحمل عدداً من الثغرات المهمة التي جعلت من بناها التنظيمية هدفاً ممكناً للأجهزة المختلفة، وتختلف الأساليب في الإختراق ومستوياته والثغرات التي يتم الدخول منها في الإختراق إلى براغماتية الشخصية السلفية المتعددة الأعداء، والقابلة للتحريض، فضلاً عن التنوع الكبير في جنسيات الجهاديين، مثل إختراق [مورتن ستورم] لتنظيم القاعدة اليمني⁽¹⁾، أو [دوغلاس لاو] في إختراق القاعدة في أفغانستان⁽²⁾، أو إختراق العديد من الأجهزة الأمنية السورية والعراقية لداعش. وكذلك ساعدت الحرب الأهلية السلفية والنزاعات الدموية بينهم في تكوين أرضية خصبة لعمل أجهزة الاستخبارات، كما ان توقيع عقود للاجئين الجهاديين مع المخابرات الاجنبية في بلدان اللجوء السياسي لاسيما بريطانيا، فقد اعترف [عمر بكري فستق] باتفاق مع المخابرات البريطانية بعدم التحريض على الاعمال العنيفة، وتقديم معلومات عن أي شخص ينوي القيام بها في بريطانيا⁽³⁾.

واشتهرت قضية استقبال الكيان الصهيوني (إسرائيل) لجرحي الفصائل السورية بما فيها السلفية الجهادية، بحيث يستطيع جهاز الموساد اختيار المجندين المناسبين خلال فترات الطباة والنقاهاة، واشتهرت إعلامياً قضية انتقال أصحاب

(1) Storm Morton/Agent Storm: My life inside Al Qaeda and the CIA/Atlantic Monthly Press/2014.

(2) LauxDouglas / Left of the Boom / St. Martin's Press / 2016.

(3) Ron Susskind, The way of the world, Harper Collins, 2009, P181.

الخوذات البيضاء، من سوريا عبر إسرائيل إلى الأردن ومنها إلى بريطانيا، مع استعادة المزيد من المناطق تحت سيطرة الجيش السوري. كما تعمل منظمات الإغاثة في مناطق النزاع وشبكة العلاقات الاجتماعية الشاملة التي تملكها أحد مصادر الاختراق والحصول على معلومات والوصول إلى الأفراد القابلين للتجنيد.

يتحدث [بروس ريدل] ضابط المخابرات الأميركية، الخبير في الشؤون الباكستانية في كتابه عن الحرب الأفغانية، حول العلاقات بين الأجهزة الأميركية والجهاديين، عبر المخابرات الباكستانية التي «كانت معجبة جداً بالقدرات الفنية للولايات المتحدة في المعلومات، ولا سيما صور الأقمار الاصطناعية وتحليلها. فقد أمنت الولايات المتحدة للإستخبارات الباكستانية كمّاً هائلاً من الصور العالية الجودة وتحليلها، والتي كان لها دور أساسي في اختيار أهداف لعمليات المجاهدين»^(١).

ويعتبر [فيشمان] و[مقدم] أن «مكافحة التطرف والتقنيات التي قد تكون فعالة مع المنخرطين في الجهاد العالمي، قد لا تكون فعالة كما هو الحال مع حركات الجهاد الكلاسيكية، ان ممارسة التكفير والاعتداء على المسلمين هي إحدى نقاط ضعف الجهاديين»، وينبغي استغلالها بنشاط، كما ينقسم المجتمع الجهادي بشكل متزايد حول فكرة الشخصية القيادية خصوصاً أن الجيل الأصغر من المقاتلين يغتصب المصادر التقليدية للسلطة الاستراتيجية والايديولوجية»^(٢).

(1) Nafeez Ahmed, The circus: How British intelligence primed both sides of the "terror war", Friday 27 Feb 2015 Middle East Eye.

(2) Combating Terrorism Center at West point, Self-inflicted wounds: Debates and Divisions between Al Qaeda and its Periphery, P VI.

ولعل فيما قام به [بترابوس] قائد القوات الأميركية في العراق، خير شاهد على وجود خطط أميركية لافترال التقاتل الداخلي في مناطق التوتر، وذلك عندما تمت استمالة العشائر وتطويق جماعة الزرقاوي، الأمر الذي دفع جماعة [الزرقاوي] إلى استهداف تلك العشائر باعتبارها عميلة للأميركيين، وقد بلغت قوات الصحوات المكونة من أبناء العشائر ٨٠ ألف مقاتل تم تجهيزهم ودعمهم من الأميركيين^(١).

٣. الضبط: استخدمت الولايات المتحدة وحلفاؤها خلال مسار التوظيف مجموعة من أدوات الضبط التي أتاحت لها التحكم إلى حد بعيد بأولويات وحراك السلفية الجهادية وهي: الاستهداف المباشر، سقف التمويل والتسليح، الضبط الجغرافي، الاتاحة لجغرافية بديلة، التوجه الإعلامي، تصفية القيادات. ولعل النموذج البارز على سياسات تصفية القيادات هو اغتيال [بن لادن] في العام ٢٠١١، بحيث جاء اغتياله بعد تفكيك تنظيمه وضمور تأثيره وفعاليته وتحول مركز الثقل الجهادي إلى العراق منذ العام ٢٠٠٣م، لذا لم يكن لاغتياله تأثير يذكر على المصالح الأميركية، فلم نشهد ردود فعل غاضبة على ذلك.

النموذج الآخر، هو اغتيال [أختر منصور]، زعيم طالبان، بعد عودته في أيار من العام ٢٠١٦، من زيارة لإيران تكلفت بالتوافق على مواجهة تمدد [داعش] الجغرافي في أفغانستان. وكان لذلك تأثير كبير في سياسات إعادة التوجيه والضبط الأميركية، التي كرست منذ العام ٢٠٠٣ سفك الدم المتبادل بين القوى الجهادية الإسلامية على أساس مذهبي، لذا فإن أي تقارب مذهبي حقيقي بين

(1) Petraeus.David / Counter insurgency: FM 3 - 24 / Department of the Army / December 2006.

طرفين سيشكل خطراً على هذه السياسة^(١).

ويبقى الاستهداف المباشر الأكثر فعالية وسعة وتأثير، كان اجتياح أفغانستان في العام ٢٠٠١، وحملة القصف الاستراتيجي التي طالت مقرات ومعسكرات وكهوف [تنظيم القاعدة] في طوراً بوراً، وغيرها من المناطق، وكذلك الانزالات الضخمة التي أجرتها قوات الكوموندس، والتي أجهزت على الجزء الأكبر من البنية التحتية لتنظيم القاعدة، فيما تولت الأجهزة الأمنية الدولية المختلفة التخلص من الخلايا الأمنية المنتشرة في مختلف دول العالم.

في مجال آخر فإن إحدى أهم أدوات التحكم غير المباشر هي إدارة الموارد الحساسة من المال والسلاح، وذلك في الكم والتوقيت، وفي السلاح يدخل معيار إضافي هو النوع، ويتحدث عن ذلك [أبو مصعب السوري] حول تجربة الجهاديين في سوريا من خلال قراءة نقدية للتجربة في ثمانينات القرن الماضي: «كان خطأ قاتلاً دمر الطليعة في الداخل، ثم دمّر حشود المجاهدين في الخارج ثم دمّر القيادة الميدانية والإدارة العسكرية للضباط في حماة ودمشق (ما سمي بمخطط الحسم).

لقد تورط كل المعنيين بإدارة العمل الجهادي بالاعتماد على إمداد الخارج المهزوز وغير المستقر، بل تعدى ذلك بالاعتماد على الأنظمة المعادية في الجوار (كالعراق)...

وقد شكل ذلك مقدمة لتوجيهه وتحكم أعلى بالإخوان السوريين وعلى حد قوله: «فإن الاعتماد على المساعدات الخارجية من الأنظمة ولا سيما العراق،

(١) هادي قيسي، التحكم غير المباشر، م. س، ص ١٠٨ - ١١٠.

ومن الإسلاميين الأخوان، أدى إلى قطعهم في أواخر العام ١٩٨٠، والتسبب في دمارهم، ثم التلاعب بهم في مرحلة العمل في الخارج^(١).

وعندما تفسد أدوات الضبط المختلفة في السيطرة على حركة الفصائل الجهادية ضمن الجغرافيا المتاحة لها، وفي الاتجاه المحدد لأهدافها؛ تلجأ عادةً القوّة المشغّلة إلى تكرار عملية التوجيه من بدايتها، فتختار جغرافيا بديلة، وتبدأ بعملية توجيه دوافع، وفرض الحراك والمجهود الحربي نحوها، وهذا ما حصل عقب انتهاء الحرب الأفغانية الأولى، حيث تمّ توجيه نحو البوسنة والشيشان، وحصل أيضاً ما بعد تأثير [داعش] الكبير على زخم «الثورة السورية»، فتمّ فتح المجال العراقي لها.

وتُعدّ عملية الإتاحة لجغرافيا بديلة الحلّ الأمثل لكلفة، بدلاً من خوض الحرب المباشرة ضد الحركات الدينية المتطرفة، التي تعتمد على سلاح الموت في المواجهة مع جيوش الحضارة الماديّة الغربية، والتي تعتبر الموت نهاية الحياة. فلحاجة هذه الجيوش إلى من يقدّم الدماء بدلاً عنها، ولحاجة السلفية الجهادية إلى من يقدّم لها الدعم والوظيفة، تتقاطع هذه الحاجات جزئياً (كتقاطع للمصالح) ضمن عمليات إتاحة متتالية، وإن كانت منفصلة زمنياً، ومرتبطة بالظروف والقابليات والمتغيرات^(٢).

هكذا أصبحت الصورة أكثر وضوحاً في علاقة مشروع الخلافة عند [داعش] (الدولة الإسلامية) بالغرب، وكيف يمكن تفكيكها، ومن ثمّ إعادة تركيبها كي لا تقع في نظرة أحادية، تنظر إلى هذه العلاقة الملتبسة، بتصوّر مسبق، وإحكام

(١) أبو مصعب السوري، حول التجربة الجهادية في سوريا، ص ٥، موقع منبر التوحيد والجهاد،

www.goodreads.com :٢٠١٠

(٢) هادي قيسي، التحكم غير المباشر، مصدر سابق. - ص ١١٤-١١٥.

أيدولوجية أو سياسية، بل من خلال البحث والتمحيص في ثنايا العلاقة، ثم اكتشاف أين تلتقي المصالح، فتخدم السياسات المرسومة، وأين تختلف فتنفارق. وكيف تمّ التعامل من قبل الغرب عموماً، والولايات المتحدة خصوصاً، بعملية تحكّم غير مباشرة وغير كاملة، حيث لا يعني أنّ التحكّم غير المباشر استطاع أن ينجح في ضبط وتوجيه كامل تفاصيل وحركة المشروع، ولكن الأکید الذي توصلنا إليه، بأنه استطاع الاستثمار في هذا المشروع، خصوصاً في نقل المعركة إلى داخل السّاحة العربية والإسلامية لاستنزافها وإضعاف كلّ الأطراف المتصارعة داخلها، وهذا بحدّ ذاته نجاحاً لسياساته بنسبة كبيرة، وأبعدت من خلالها مسار المعركة ولو مؤقتاً من أن تكون متوجّهة ضده تماماً.

ولكن يبقى السؤال، هل ما حقّقه الولايات المتحدة والغرب عموماً في هذا الاستثمار أبعد عنهم تأثيرات هذا المشروع وشظاياها؟ وهل سيستطيع الغرب والولايات المتحدة الاستمرار بهذه اللعبة الخطيرة، دون أن يورّط نفسه بالاحترق بنارها؟!

الإجابة تستدعي منّا البحث عن تداعيات المشروع في السّاحة الغربيّة من خلال رصد حجم الخسائر البشرية والمعنوية والسياسية والاجتماعية التي أصابت هذا الغرب ومجتمعه وسياساته في العمق.

٣- ارتدادات التورط الغربي مع داعش:

يبقى سؤال رئيسي يفرض نفسه، ما هي ارتدادات التورط الغربي مع [داعش]؟

لم تكن أحداث ١١ أيلول، أحد ارتدادات التورط الأميركي في أفغانستان وحشد المجاهدين هناك، والتي ولّدت [القاعدة] وابتتها [داعش]، فيما بعد؟ هل

يصحّ القول بأنّ طابخ السّمّ آكله؟ وهو سُمّ شارك في صنعه أكثر من طرف غربيّ وعربيّ وإسلامي، وذاقوه جميعاً بعد خروج القاعدة من القمقم الذي ولدت فيه (أفغانستان).

ومعظم هؤلاء كما رأينا، ساهموا في عملية التحكّم غير المباشر في [داعش]، سواءً في رفع مستويات التوتير الطائفي في العراق، وتظهير الحركة المطلبية في المحافظات السنيّة العراقية على أنها ربيع عراقي كجزء من [الربيع العربي]، وبالتالي تهيئه الأرضية المناسبة لتحويل الحركة المطلبية إلى حركة مسلّحة تتيح لـ [داعش] الحضور في حاضنة شعبية مهيئة لاحتضانها، دون أن نعفي الحكومة العراقية وأدائها (غير الموفّق مع السّاحة السنيّة والصّحوات، وعدم استيعابهم) من المسؤوليّة في هذا الأمر، أو في فتح الحدود التركية، لمرور حشود المقاتلين الجهاديين القادمين من أكثر من ٨٠ دولة في العالم لالتحاق بداعش ودولة الخلافة، وعدم الجدّيّة في ملاحقة المسافرين من هذه الدول، والذين أعلن بعضهم قبل سفره نواياه في الالتحاق بداعش، والتأخر كثيراً باتخاذ قرارات حاسمة في إقفال حسابات الناشطين والمناصرين للدولة الإسلامية على وسائل التواصل الاجتماعي.

ولمعرفة حجم ارتدادات هذا التورّط، واللّعبة الخطرة للدول الغربيّة واستخباراتها في التحكّم غير المباشر، وفي محاولة نقل المعركة إلى السّاحة العراقية والسوريّة، أملاً بالتخلّص من الطرفين غير المرغوب بهما في الغرب، النظام السوري المتحالف مع طهران، والحكومة العراقية المتحالفة أيضاً مع الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، ولتحويل السّاحة العراقيّة والسوريّة إلى ساحة استنزاف لطهران ومحور المقاومة ومعهم روسيا أيضاً، باعتبارها العدو المحتمل مستقبلاً

وللتخلص من الجماعات والأفراد الذين يحملون فكراً تكفيرياً وجهادياً ويمكن أن يشكّلوا خطراً مستقبلياً على دولهم ومجتمعاتهم.

على هذه الارتدادات، يمكن الرجوع إلى دراسة موثقة قام بها [توماس هيجهامر، وبيتر نيسر]، وهما باحثان في شؤون الإرهاب، تحت عنوان تقييم التزام الدولة الإسلامية لمهاجمة الغرب*.

واعتمدت الدراسة منهج تحليل الوثائق الصادرة عن [داعش] (٩ خطابات أبو بكر البغدادي - وأبو محمد العدناني - وأشرطة فيديو بلغ عددها ٢١٠، صادرة عن [داعش]، وتسعة أعداد من مجلة دابق باللغة الانكليزية، وهي المجلة المتحدّثة باسم [داعش]، بالإضافة إلى تصريحات للملتحقين بداعش، من الدول الغربيّة، والتي نُشرت في أشرطة فيديو، وظهر بعضها في وسائل الإعلام المختلفة) بهدف الوصول للتعرّف على مدى التهديد الإرهابي التي تشكّله الدولة الإسلامية (IS) على الدول الغربيّة. بالإضافة إلى الاستعانة بالبيانات والمعلومات حول العمليات الإرهابية المنفّذة وعددها، وتصنيفاتها النوعية، ونتائج التحقيقات، مع التأكيد من قبل الباحثين بأنّ «التمييز بين المخططات المرتبطة بالدولة الإسلامية والمخططات المرتبطة بالقاعدة ليست واضحة دائماً»^(٢).

* الدراسة تقع في ثلاثين صفحة من القطع الكبير A4 - ترجمة إيمان سويد، وصدرت بالعربية عن مجموعة التمدن للأبحاث، ٢٠١٧م. بيروت، ودرست تصريحات الدولة الإسلامية وقادتها خلال الفترة الممتدة بين ٢٠١١-٢٠١٥م. وتمّ جمع البيانات والمعلومات والتحقيقات حول العمليات التي حصلت في الدول الغربية، وكانت بفعل [داعش] والمتعاطفين معها. ومن خلال التحليل الكمي للعمليات وتصنيفاتها النوعية تمّ استخراج مجموعة مهمة من المؤشرات.

(٢) توماس هيجهامر، وبيتر نيسر، تقييم التزام الدولة الإسلامية بمهاجمة الغرب، ترجمة إيمان سويد، مجموعة التمدن للأبحاث، ٢٠١٧م ص ١٠.

ومن النتائج التي يتوصل إليها الباحثان في الدراسة المذكورة ما يلي:

١. إن المتخصصين الأكثر شهرة بشؤون تنظيم الدولة الإسلامية يتفقون على أنّ الأولويات الاستراتيجية للمجموعة هي محلية، وان جميع مواردها تقريباً تصبّ في عملياتها في سوريا والعراق^(١). وهذا ينسجم مع استراتيجية العدوّ القريب كأولوية يتبناها [داعش] منذ أبي مصعب [الزرقاوي] وحتى أبي بكر البغدادي، على خلاف استراتيجية القاعدة التي تبنت استراتيجية العدوّ البعيد (أمريكا) من خلال تصريحات ابن لادن وهذه الاستراتيجية منسجمة مع مصالح الغرب في التحكم وتوجيه السلفيين الجهاديين.

٢. إن الدعوات للقيام بهجمات في الغرب والتهديدات هي بالضبط دعوة موجهة إلى المتعاطفين هناك وليس التزاماً من الدولة الإسلامية بتكريس مواردها لهجمات في المستقبل، وهي دعوات من جهة أخرى لمن يستطيع الالتحاق والهجرة إلى الدولة الإسلامية، وان نسبتها (الدعوات) هي صغيرة جداً سواء في أشرطة الفيديو أو في اعداد دابق إذا ما قيست بالدعوات والتهديدات الموجهة للأعداء المحليين.

٣. إن الوعود بقهر الروم، والتمني بعودة الاندلس، وفتح روما، يمكن تصنيفها ببضع جمل وردت في أسفل هذه الوعود والتهديدات كعلامة استراتيجية فارقة للمدى الطويل «واذا لم نصل في الوقت، فإن أبناءنا وأحفادنا سوف يصلون إليه»^(٢).

(1) See for example: Michael Weiss and Hassam Hassam. ISIS: Inside the Army of Terror (New York: Regam Arts.2015).

(٢) مجلة دابق، العدد الرابع، ص ٥ / والعدد التاسع، ص ٥٤.

٤. خلال ٤ سنوات ونصف (التي شملتها العينة في الدراسة) ٢٠١١-٢٠١٥، تم تحديد ما مجموعه ٥٩ مخطط هجوم (٣٧ في أوروبا و ٢٥ في أميركا الشمالية، ٢ في استراليا) وكان العدد الاجمالي للمتورطين حوالي ١٢٠ شخصاً (٨١ في أوروبا، ٥ في أميركا الشمالية، ٩ في استراليا) وقد ثبت أن أكثر من نصف هذه المخططات أي ٣٣ مخطط هي في الفترة (تموز ٢٠١٤ - حزيران ٢٠١٥) و ٢٦ منها أي ٧٩٪ لها صلة بالدولة الإسلامية (كعدم معلن، وليس اجتماعات أو اتصالات مع كوادر الدولة) وهذا يؤكد أن الدولة قد تجاوزت [تنظيم القاعدة] كمُلمهم للعمليات في الغرب.

٥. إن هناك ١٦ مخطط من أصل ٦٩ يشارك بها مقاتل أجنبي واحد على الأقل ووقعت كلها في أوروبا. ومن هذه الـ ١٦ مخطط تسعة منها تضمنت مقاتلين كانوا تدربوا في سوريا (١١ مقاتل) لدى الدولة الإسلامية. والبيانات تشير إلى أن معدل رد الفعل العكسي - أي نسبة المقاتلين الأجانب يعودون من سوريا ويخططون لشن هجمات ضد وطنهم، حتى الآن منخفض جداً (١١ من العائدين إذا نسبوا إلى ٤٠٠٠ مقاتل أجنبي وصلوا إلى سوريا (النسبة ١/٣٦٠) ولكن يمكن توقع زيادة النسبة مع الوقت.

٦. ان مستوى التحسب العالي من رد فعل سلبي عالٍ من جانب المقاتلين الأجانب العائدين من سوريا، ربما أثار عمليات اعتقال إستباقية، أكثر مما كانت عليه من العائدين من أفغانستان، وهذا يدل عليه فشل العدد الأكبر من المخططات (٤٠ مخطط لم ينفذ من أصل ٥٩ مخطط) حيث نفذ منها ١٩ فقط، والباقي تم اكتشافه قبل التنفيذ.

٧. خلصت الدراسة إلى أن العلاقة بين المخططين للهجمات والدولة الإسلامية،

- تتراوح بين ستة أنواع ونذكر اعداد العمليات وأسماءها في كل نوع وهي:
- التدريب والتوجيهات من قبل كبار القادة مع الدعم المادي (التكرار / صفر).
 - التدريب وتوجيهات المستوى المتوسط وتشجيعه من قبل هؤلاء مع دعم ضئيل (التكرار ٢) لندن - بومباي.
 - التدريب فقط، والالهام بالفكرة وهو الذي يطور نفسه وأداءه (التكرار ٤) الريفيرا - متحف بروكسل - كريتييل - سرجون.
 - الاتصال عن بعد مع التوجيهات (عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني أو وسائل التواصل الاجتماعي) ويكون بشكل ثنائي مع كادر جهادي (التكرار ٢) باريلي - أزارى - فيينا.
 - الاتصال عن بعد من دون توجيهات خاصة (دون مناقشة العمليات) (التكرار ٥) كان - تورسي - يوم الذكرى - سبتة - غارلاندا.
 - التعاطف، لا اتصالات: الالهام الايديولوجي من خلال استهلاك دعائها - بياناتها - الخطب والاصدارات (التكرار ١٧).
 - (بريسباني - ملبورن - كيبك - نيويورك - سيدني - تورز كوليبالي - كورنيل كابيتول - كوبنهاغن - فيرفيلد - يوم انزاك - فيلنتريس - سيديكواي - فورت رايلي - غرينفيل - ليون - أسامة رحيم - طلاب الملاحه الجوية في نيويورك).
٨. أخيراً التحليل يشير إلى أن الدولة الإسلامية لا تشكل نفس مستوى التهديد الذي كان يشكله [تنظيم القاعدة] للغرب في العقد الأخير من القرن الماضي، لذا لم تصبح الدولة تهديداً عالمياً مباشراً، ويبدو أنها حتى الآن (٢٠١٥) لم تُعد فرق هجوم، للقيام بعمليات كبرى في أوروبا وأميركا كما فعل [بن لادن] و[أيمن الظواهري]، ويبدو أن الأمر مرتبط بتموحيات [داعش] لبناء الدولة وتركيز اهتمامها في هذا المشروع.

ولكن في الوقت نفسه يظهر أن الدولة الإسلامية (الخلافة) نجحت أكثر من القاعدة في الإلهام بعمليات (الجهاد الفردي) من قبل متعاطفين غير متسبين لها في الغرب، وأن هؤلاء نسبتهم أكثر بكثير من منفذي العمليات الذين لديهم إرتباط ما بالدولة وكوادرها^(١).

في دراسة أخرى حول الجهاز الأمني لـ [داعش] أنجزها باحثان آخران هما: [آن سبيخارد] و[أحمد س. يايلا]، واستشهدنا بها سابقاً في الفصل الذي تحدثنا فيه عن المؤسسات في الدولة الإسلامية والأجهزة العسكرية والأمنية، وبالعودة إلى القسم المتعلق بالهجمات في الغرب ودور جهاز الأمن في [داعش] بهذه الهجمات، يذكر الكاتبان أن الهجمات تعود لسببين:

- الأول: إيجاد حضور لأفعال وقوة الدولة الإسلامية خارج سوريا والعراق واستخدام هذا الحضور كورقة ضغط على الحكومات والأنظمة.

- الثاني: وهو الأهم، معاقبة الأعداء الذين يهاجمون الدولة الإسلامية كأشد ما يكون العقاب.

وأن الجهاز الأمني في [داعش] الذي يقوده حجي بكر، يركز اهتمامه وعمله وموارده الأساسية للداخل واخضاع المتمردين في أراضي الدولة الإسلامية، وفي تركيا لتأمين انتقال المهاجرين إلى الدولة وتأمين ما يلزم من النقل والدعم اللوجستي في انتقلهم، ولكن هذا لا يعني اغفال العمليات الخارجية التي ذكرنا غاياتها أعلاه.

وتذكر الدراسة بأن المجندون الأوروبيون يتمتعون بعد تلقيهم التدريب السريع بعد وصولهم إلى أراضي الدولة أو على الحدود التركية السورية، يتمتعون بقدر كبير من الهوامش الذاتية في اختيار أهدافهم واتخاذ القرار بشأن طريقة

(١) توماس هيجهامر وبيتر نيسر، تقييم التزام الدولة الإسلامية بمهاجمة الغرب، م س، ص ٢٠.

الهجوم، الأمر الذي يشابه هجمات (أوفتراغستاكتيك Auftragstaktik) أو تكتيك المهات للجيش الألماني في القرن التاسع عشر، وهي مقارنة أعطى فيها القادة مرؤوسيهم الهدف والاطار الزمني لاكمال الهجوم مع حرية تامة في تحديد الوقت وكيفية تنفيذ ذلك الهجوم بالضبط أي منحهم «استقلالية تكتيكية كاملة، وبدون إدارة دقيقة تفصيلية»⁽¹⁾.

ويؤكد الباحثان هذه السياسات المعتمدة من خلال سجلات الاستجواب التي حصلوا عليها من استجوابات جرت مع عدد من كوادر [داعش] أمثال: [عادل حدادي] (الجزائري) الذي دخل أوروبا إلى جانب لاجئين سورين واعتقل في النمسا، و[هاري سارفو] الألماني المهاجر بالأصل من غانا والمنشق عن [داعش] والمسجون في ألمانيا، و[رضاهامي]، الأوروبي الفرنسي الذي تدرّب عند [داعش] واعتقل بعد عودته إلى فرنسا.

ونخلص مما تقدّم الى أن الاولوية لدى [داعش] هي في قتال العدو القريب (الانظمة المحلية المرتدة) وان تحريك العمليات ضد الدول الغربية ليس سوى تكتيك استدعته الحرب التي شنها التحالف الغربي - العربي على [داعش] وان هذه العمليات وتفاصيلها ومنفذوها هم من المؤيدين والمتعاطفين مع [داعش] وليسوا من مقاتليها الاساسيين، وأن غالبيتهم العظمى هم من الملهمين بخطابات قادة [داعش] (والخليفة) وهم يشكلون (الذئاب المنفردة) المتحمسين للعمل مع دولة الخلافة التي استفادة منهم للرد على ما تتعرض له من قصف جوي مستمر تقوم به طائرات التحالف وللتخفيف من آثار الخسائر التي تلحق بها في الجانب المعنوي والنفسي وتدايعيات ذلك على مقاتليها ومؤيديها.

(1) Callimachi,R. (March 29,2016) How ISIS built the machinery of terror under Europe's gaz. The New York Times. URL: <http://www.nytimes.com/2016/03/29>.

المبحث الثالث

إشكالية العلاقة مع الخارج: محلياً وإقليمياً ودولياً

١- موقف داعش من الآخر:

يشبهه [أبو بكر ناجي] في كتابه إدارة التوحش، صراع السلفية الجهادية مع أعدائهم بأنه شبيه في صراع الرُّسل مع أهل الكُفر والطَّغيان، وهو استمرار حقيقي لذلك الصراع.

ويعدّد في مقدمة كتابه، التيارات الحركية الإسلامية من الصحوة إلى الإخوان وحماس والترابي وغيرهم، طاعناً في كلٍّ منهم مطلقاً أو صافاً عليهم مثل: (بدعي، علماني، عفن، يدور في حلقة مفرغة، يتلاعب به الكُفار والطَّواغيت، ...)، وغيرها من الأوصاف التي يطلقها على هذه المشاريع المكتوبة لهؤلاء^(١).

ويقول في موضوع العلاقة مع العشائر أو التنظيمات المسلّحة أو الأحزاب، في مناطق التوحش (الخالية من الأنظمة المركزية)، فإننا ندعوهم أن يحكموا بالشَّرع، والدخول في الولاء، والاتحاد أو مقدمة الاتحاد، وإذا نكثوا عهودهم ودخلوا في أمر كُفري، كتحكيم قوانين طاغوتية، أو موالاة للكُفار المرتدّين؛ فما علينا إلا أن نواجه ذلك بما يتناسب مع قوتنا وقوتهم، وإذا كان كيان إدارة هذه المنطقة المنتكسة قوياً، فهي حرب نحضّر لها بما يناسبها، وإذا كان ضعيفاً؛ فعلينا استئصال زعماء الشَّر قبل استفحال أمرهم، ممّا يسهّل بعد ذلك سقوط هذه المنطقة ودخولنا لإدارتها^(٢).

(١) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش، مصدر سابق. ص ٣-٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨.

ويستشهد بقول الشيخ عمر محمود أبو عمر، وفتواه حول التعامل مع «الحالات الضّالة» من مشايخ أهل السنّة. «فأمثال هذه الانحرافات وهؤلاء الشيوخ يجب القضاء عليهم بالذّبّح في بداية أمرهم، وهم لا شهرة ولا حسّاً ولا خيراً، ولكن أهل السنّة الآن وللأسف يعالجون عامّة مشاكلهم بالتباكي ويبدأ صراخهم على الأمور بطريقة جنائزية»^(١).

ويؤكّد ناجي بأنّ عنصر البأس هو من أعمدة الرسالة، كما يؤكّد على اعتماد سياسة دفع الثّمّن التي تبثّ الرّعب واليأس في نفوس العدو. كما يعتبر أنّ الجهاد ليس سوى شدّة وغلظة وإرهاب وتشريد وإثخان^(٢).

وهو في أكثر من فصل من فصول كتابه، لا يجد حلاً لمشاكل الواقع سوى الجهاد والقتال والتعامل بالشدّة، والإغلاظ على الأعداء من الكفّار والمرتدّين، ولا يقبل أيّ تهاون أو انتظار أو مراوغة أو تفاهم مع هؤلاء.

أما المنظّر الآخر للسّلفية الجهادية [عبد الله بن محمد] صاحب المذكرة الاستراتيجية، فهو الآخر يدعو إلى إقامة دولة الخلافة بالسيف والغلبة، ولا يرى طريقاً ثانياً لها، «وقبل إعلان دولة الخلافة أرى من الواجب علينا أن نعمل على طرد اليهود وتهجير النصارى والدروز والنصيريّة والبهائيّة، إضافة إلى الشيعة وعبدة الشيطان وغيرهم من المشركين من كافّة الأراضي التابعة لمنطقة الشام.. وفي اعتقادي ان أفضل مناخ لتنفيذ هذا المخطّط يأتي في حالة من الحرب وليس في حالة السلم، أي أنّه من السهل علينا اتخاذ هذا الإجراء قبل انتهاء العمليات العسكرية الخاصّة بالتمهيد لإعلان الخلافة» معللاً ذلك «لأنّ الصّخب الذي

(١) المصدر نفسه. ص ٦٩.

(٢) المصدر نفسه. ص ٣١-٣٢.

يمكن أن ينتج عن مثل هذا الإجراء أو يمنع تنفيذه يمكن أن يتلاشى مع غبار الحرب، لأنّ عمليات التهجير ستأتي كجزء من مشهد الحرب وليست منفصلة عنه». وبعبارة أوضح إنّ أفضل سياسة للتعامل مع الأقليات وما يحمله من مخاطر هو بفرض واقع جديد خالي من تلك الأقليات، وأفضل توقيت لهذا الإخلاء هو في ظلّ نهاية العمليّات العسكرية الكبرى^(١).

ومن خلال استعراض هذين الشاهدين تتضح صورة الموقف والممارسة التي تعامل بها [داعش] كلّ الآخرين من المسلمين والمواطنين الآخرين، سواء كانوا عشائراً أو مشايخ مخالفين بالرأي لهم، أو أقليات دينية، كما حصل من مجازر وحشيّة ودمويّة في العراق وسوريا (سبايكر، سنجار، عشيرة الشّيعيات، عشيرة البونمر، إغتيال الشيخ البوطي)، وغيره من العشرات من علماء الدّين السنّة، فضلاً عن خطف وقتل رجال دين مسيحيين وشيعة، وبعضها بعمليات انتحارية مثل استهداف محمد باقر الحكيم و٨٣ آخرين في مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف، وتفجير مرقد الإمامين العسكري والهادي في سامراء (عليه السلام)، وغيرها الكثير^(٢).

هذا من جهة المسلمين (بمختلف طوائفهم: السنّة المخالفون لهم، والشيعية، والعلويون، أو غيرهم). وقد وصل الأمر مع [داعش] (دولة الخلافة) إلى الصّراع الدامي ميدانياً مع جبهة النصرة، والتعامل بالعمليات الانتحارية مع مراكزها ومسؤوليها فقتل (أبو مصعب السّوري، وأبو طالب السّوري، وكبار الشّرعيين

(١) عبد الله بن محمد، الجمع القيم للمذكرة الاستراتيجية، مؤسسة المأسدة الإعلامية، ص ٤٥-٤٦.
 (٢) راجع حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، م. س، ص ٥٨ وما بعدها.
 وينقل موقف لأبي مصعب [الزرقاوي] ويقول فيه «لا فرق بين عدو خارجي باعتباره كافر أصلي، أو عدو داخلي باعتباره كافر مرتد، بل لا فرق بين أمريكي أو عراقي كردياً كان أو عربياً سنياً أو شيعياً». ص ٦٠.

والمُنظِّرين للسلفية الجهادية) على أيدي انتحاريو [داعش] ومقاتليها. رغم أنهم ينتسبون إلى نفس الفكر والعقيدة السلفية الجهادية^(١).

لا مكان لدى [داعش] للآخر القريب (المرتدين)، فضلاً عن الآخر البعيد (الكفار والطواغيت)، فقطع الرؤوس والذبح التي ذكرها أبو عبد الله المهاجر، أستاذ وشيخ أبي مصعب الزرقاوي، في كتابه «مسائل من فقه الجهاد» تحت عنوان فقه الدماء، قائلاً: «إنّ قطع الرؤوس بوحشية أمر مقصود، بل محبّب إلى الله ورسوله». موفراً الغطاء الشرعي الذي يسوّغ هذه الأعمال الدموية^(٢).

ولم يكن خلاف [داعش] مع [جبهة النصرة] (الممثّلة للقاعدة في سوريا) خلافاً دينياً أو فكرياً بل صراعاً سياسياً وتنافسياً على المرجعية والقيادة للسلفية الجهادية، والولاء للخليفة. فاستخدمت كلّ أنواع وأساليب القتال الميداني والعمليات الانتحارية ضد الرموز والمراكز والمقرّات عند الطرفين، بعد سقوط كلّ الوساطات وفشلها، وعدم الإكتفاء بحرب البيانات بينهما (والطرفان غصنان من شجرة واحدة)^(٣).

مما تقدّم يمكن الوصول إلى خلاصة مفادها أنّ [داعش] في علاقتها بالمحيط المحليّ قامت على إلغاء الآخر، مهما كان هذا الآخر في هويّته الدّينية والمذهبيّة أو في قوميّته ووطنّيته أو في بنيته العشائرية والقبلية. فقد حاربت [داعش] وحاولت التّخلص من جميع المنافسين والمختلفين عنها بالرأي، فضلاً عن الدّين والمذهب،

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٣) راجع للمزيد: حسن ابو هنية، محمد ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مصدر سابق، ص ١٥٧ -

ما يذكرنا بمقولة بوش الابن الشهيرة بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ عندما رفع شعاراً «مَن ليس معنا فهو ضدنا»، بكل ما يحمله هذا الشعار وهذه العبارة من ديكتاتورية، وعنصرية، وتآليه للذات.

ولعل هذه السياسة التفردية هي كانت من أحد أسباب عدم قدرة [داعش] على البقاء والاستمرار. كما كانت سبباً لفشل سياسة أميركا في قيادة العالم بأحادية قطبية.

وأما موقف وممارسة [داعش] في العلاقة مع الأحزاب الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، فهو لا يختلف في الجوهر عن هذه السياسة التي اعتمدها [داعش] في المحيط المحلي، فالموقف من الإخوان المسلمين في مصر، وحزب النور (السلفي)، الذي وصفه العدناني الناطق الرسمي لـ [داعش] بحزب الظلام لمشاركته في الانتخابات النيابية المصرية. فقد ذكر أبو محمد العدناني في كلمة له: «وما الإخوان إلا حزب علماني بعباءة إسلامية، بل هم أشر وأخبث من العلمانيين، حزب يعبدون الكراسي والبرلمانات، فقد وسعهم الجهاد والموت في سبيل الديمقراطية، ولم يسعهم الجهاد والقتل في سبيل الله»^(١).

أما مع بقية الأحزاب في تونس والجزائر ولبنان والخليج؛ فلا يختلف الموقف عما ذكر مع الإخوان وحزب النور السلفي. والموقف من الأحزاب الإسلامية الشيعية في العراق ولبنان؛ هو اعتبارهم مرتدين. ووصفهم بالارتداد يعني في قاموسه القتل والسيف.

(١) أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: السلمية دين من؟ على الموقع:

٢- تقاطع المصالح ضد داعش:

إذا كانت [داعش] قد استفادت في مسار صعودها من الظروف السياسية المضطربة في سوريا والعراق، وانعدام أو ضعف السيطرة الأمنية والعسكرية المركزية في هاتين الدولتين، واستطاعت كسب بعض التعاطف في الساحة السنّية ومناطقها، نتيجة الكثير من التوتير والاحتقان المذهبي الطائفي؛ فإنّ ممارستها العنيفة ضدّ أهل السنّة قبل غيرهم، وضدّ العشائر والمجموعات الأثنيّة والأقليات وضدّ كلّ مَنْ يخالفها الرأي ولا يعلن الولاء والطّاعة والبيعة لخليفتها، فضلاً عن التعاليم والقوانين الصّارمة اجتماعياً، وبعضها المتحرّج القادم من أعماق التاريخ، واستحضاره لتسيير المجتمع في القرن الحادي والعشرين؛ سرعان ما قلّص وجودها في الوجدان والقلوب، فضلاً عن العقول لدى الرّازحين تحت نير سلطتها، إضافة إلى انتشار سمعة سيئة لها في صفوف المسلمين العرب والعالم، كما أكدته استطلاعات الرأي في بعض الدّول العربيّة فداعش لا تكاد تملك أيّ دعم شعبي في مصر أو السعودية أو لبنان* .

ولقد ذكر حجم الاعتراضات التي أبداها السّلفيون بشكل عام والسّلفيون الجهاديّون أيضاً على إعلان الخلافة من قبل الدّولة الإسلاميّة، لذا حُوصرت [داعش] شرعياً (سلفياً) وشعبيّاً (عربياً وإسلامياً) قبل أن تحاصر أميناً وعسكرياً.

* ديفيد بولوك، مدير متدى فكرة، في نتيجة استطلاع رأي قام به مع زميل له (كوفمان) من معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى. وكانت النتائج تشير إلى نسبة لا تتعدى ٣٪ من المؤيدين لـ [داعش] في مصر، و ١٪ في الوسط السنّي اللبناني، حيث انعدم وجود مؤيدين له في الطوائف الأخرى، ولم تتعدّ ٥٪ في السعودية. نشر في الموقع في ٤/٤/٢٠١٩: www.washingtoninstitute.org وهذا يتماشى مع استطلاع أجراه المركز العربي للبحوث والدراسات السياسية، وخلص إلى ان ٨٥٪ من العرب ينظرون إلى [داعش] بشكل سلبي في مقابل ٤٪ فقط ينظرون اليهم بشكل ايجابي عام ٢٠١٤: <http://www.sasapost.com>.

وقد جاءت الحملات العسكرية البرية من قبل أعدائها في سوريا والعراق، والحملات الجوية من قبل التحالف الدولي لتؤكد عدم قدرتها على الصمود والتماسك والثبات في الجغرافيا التي سيطرت عليها وحكمتها وتوسّعت فيها خلال السنوات الأخيرة (٢٠١٤-٢٠١٦)، بل وصلت الأمور إلى فقدانها آخر معاقلها في الباغوز، بعد أن تم القضاء على تواجدها في الموصل والرقّة ودير الزّور والفلوجة والرمادي وحلب وغيرها من المدن التي كانت تتواجد فيها.

وإذا كان انحسار وضعف البيئة الشعبوية الحاضنة لها يشكل السبب الرئيسي لعدم قدرتها على الصمود، فإنّ السبب الثاني والأهم، هو تقاطع المصالح المحليّة لكلّ من العراقيين والسوريين على المستويين الرسمي والشعبي، والتقاءهما مع المصالح الإقليمية لروسيا والجمهورية الإسلامية الإيرانية ولحزب الله ولبنان والأردن والسعودية ومصر وغيرها من الدّول المؤثرة في المنطقة، وعلى الرغم من وجود تباينات في السياسات بينها، إلا أنها وجدت مصالحها متقاطعة في مواجهة داعش؛ كدولة خلافة تهدّد الأمن الإقليمي وتثير حالة من اللا استقرار في المنطقة، ويؤثر هذا الأمر على كلّ دولة من هذه الدول، التي عانت في مرحلة زمنية ما من شظايا وجود [داعش]، من خلال تفجيرات أو عمليات أمنية لها على أراضيها حصدت المئات من الأبرياء^(١).

(١) للتذكير، فقد قامت [داعش] بعدد من التفجيرات والعمليات الانتحارية في سيناء/ مصر وفي لبنان وفي السعودية وفي الاردن، وحتى في ايران وتركيا وروسيا.

وكرد فعل على ما ارتكبه [داعش] من مجازر بحق العراقيين (مجزرة سبايكر)^(١)، جاءت فتوى المرجعية الدينية في النجف الأشرف، بوجوب تشكيل قوة عسكرية شعبية لتدافع عن العراق والمراقد المقدسة التي هدّدت [داعش] باستباحتها، فتشكلت قوات الحشد الشعبي من مختلف أطراف الشعب العراقي، وبمساعدة لوجستية في التدريب والتسليح من قبل الإيرانيين، عبر حضور ومواكبة من قائد قوة القدس في حرس الثورة الإسلامية في إيران، الجنرال قاسم سليمان، مما أعطى للمعركة ضد داعش زخماً مادياً ومعنوياً إلى جانب الجيش العراقي، وساهم بفاعلية كبيرة في تحرير المناطق التي احتلتها داعش في وسط وشمال العراق، وصولاً إلى تحرير الموصل.

وبالإضافة إلى هذا التقاطع المحلي والإقليمي، كان التقاطع الثالث للمصالح الغربيّة (الأمريكية - الأوروبية)، حيث اكتوى الغرب بنيران [داعش]، فقد نفّذت [داعش] عدداً من التفجيرات في فرنسا وبلجيكا وبريطانيا، فضلاً عن إحباط مخططات عددٍ آخر من العمليّات في عواصم أوروبية عديدة^(٢).

ولقد تحوّل اهتمام وتركيز العالم الغربيّ على [داعش]، وبات الحديث عن خطورته وضرورة محاسبته؛ الشغل الشاغل للجميع عقب الهجمات الإرهابيّة

(١) صباح الأحد ٢٠١٤/٠٦/١٢، وبعد سيطرة داعش على مدينة تكريت في العراق، وبعد يوم واحد من سيطرتهم على مدينة الموصل، حيث أسروا أكثر من ٢٠٠٠ جندي ينتسبون إلى الفرقة ١٨ في الجيش العراقي، كانوا متواجدين في قاعدة سبايكر الجوية، فقادوهم إلى منطقة القصور الرئاسية في تكريت، وبعد تقسيمهم إلى مجموعات، وجرى تصفيتهم بدم بارد (راجع الملحق رقم ٦).

(٢) ذكرنا تفصيل هذه العمليات والمخططات في بحث سابق - الفصل الرابع - المبحث الثاني، عمليات [داعش] في الخارج.

التي نفذها تنظيم «الدولة الإسلامية» [داعش] في باريس في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر الماضي. وتبريراً للقيام بالحملة العسكرية؛ بدأت الصحافة تعطي حيناً أكبر من المعلومات للتعريف بجرائم [داعش].

في هذا الإطار نشرت صحيفة «ميامي هيرالد» الأميركية أخيراً مادة عن أبرز الأمور «التي يجب معرفتها عن داعش» منها: زيادة الاعتداءات والقتل في الأشهر الأخيرة، أسفرت اعتداءات التنظيم المتطرف عن مقتل ٥٠٠ شخص خارج العراق وسوريا، حيث يتمركز.

- إذ قتل ١٢٩ شخصاً في اعتداءات باريس.
- وأكثر من ٢٢٩ في حادث تحطم الطائرة الروسية فوق سيناء في مصر.
- وأكثر من ١٠٠ قتيل في تركيا.
- وحوالي ٤٠ قتيل في بيروت وضاحيتها الجنوبية.

وتضيف، متسائلة: ماذا فعل العالم بشأن داعش؟

قامت قوات التحالف والقوات الأميركية المسلحة بشن أكثر من ٨١٢٥ غارة جوية منذ آب/أغسطس ٢٠١٤، نفذت منها الولايات المتحدة (بحسب البنتاغون) حوالي ستة آلاف غارة بكلفة خمس مليارات دولار. والباقي مشاركات من مجموعة دول عربية وأجنبية مثل استراليا وبلجيكا وكندا والدنمارك والأردن والسعودية والإمارات وفرنسا التي قامت وحدها بثلاث موجات من الضربات الجوية عقب اعتداءات باريس.

تحول موقع تويتر إلى ساحة قتال في الفضاء الإلكتروني عقب اعتداءات باريس. إذا قام الموقع بشن أكبر عملية تستهدف حسابات التنظيم المتطرف لديه

ومواقع تابعة للمتطرفين، وتمّ إغلاق أكثر من خمسة آلاف حساب على (تويتر) ومواقع أخرى للمتطرفين^(١).

إذاً، شكّل هذا التقاطع الثلاثي للمصالح حالة من الإطباق على المشروع الداعشي للخلافة، وإن كان الأمر قد استنزف وقتاً وجهداً، وغابت في الكثير من الأحيان حالة التنسيق بين أطرافه في عملية المواجهة، حيث لكل طرف ومحور من هؤلاء استراتيجيته الخاصة، وأساليبه ومعطياته المنفصلة عن الآخرين.

فمن جهة كان التحالف الدولي - العربي الرسمي يشكّل محوراً تقوده الولايات المتحدة التي يشكك البعض في نواياها، وفي استراتيجيتها في التعامل مع [داعش]، ويتهمها البعض بأنها تستخدم التحالف وداعش في عملية توجيه غير مباشرة لخدمة بعض مصالحها الإقليمية في المنطقة، أو لاستنزاف أعدائها في محور المقاومة، وتوريط أعمق وأطول لروسيا في سوريا، وأحياناً لتعطيل أو تأخير إنجازات هؤلاء ميدانياً ضد [داعش].

بالمقابل فإنّ ما أطلق عليه محور المقاومة (إيران - العراق - سوريا - حزب الله) ومعهم روسيا وتركيا ينسقون بشكل أو بآخر في لقاءات أستانا، ولقاءات ثلاثية بين روسيا وتركيا وإيران - تغيب سوريا عنها بسبب الخلاف المستشري بين تركيا وسوريا والمستند إلى الموقف السلبي التركي من النظام السوري. رغم أنّ دول المحور المذكور وأطرافه يحظون بمستوى أعلى من التنسيق فيما بينهم. وتحظى سوريا بعلاقة خاصة ودعم مميّز من الطرف الروسي من جهة والإيراني من جهة أخرى وهناك لجنة ثلاثية ميدانية عملياتية عملت طوال فترة الأزمة في سوريا للتنسيق والتعاون بين الدول الثلاث.

(١) نقلاً عن جريدة الحياة/ الجمعة ٢٥/١١/٢٠١٥ (ترجمة للصحافة الغربية) ص ١٢.

بالخلاصة، فإن إشكالية [داعش] السياسية لا تقتصر على التعامل مع البيئة المحلية فقط وهي تتجاوزها إلى إشكالية للعلاقات السياسية مع المحيط الإقليمي والدولي، وبالتالي فإن مثل هذا النهج السياسي لا يمكن أن يوفر لمشروع [داعش] قدرة البقاء والاستمرار، لاسيما في ظل تقاطع مصالح الجميع للتخلص من هذا المشروع الذي أفقد المنطقة حالة الحد الأدنى من الاستقرار النسبي التي كانت تعيشها.

عقب الانتهاء من الفصل السادس، وبعد أن عالج الفصل السابق جانباً من إشكالات وتحديات الحكم والإدارة والسياسة في تجربة الدولة الإسلامية [داعش]، جرى استكمال البحث في هذا الفصل لمقاربة الجانب الآخر من الإشكالات التي لامست عنواناً رئيسياً هو علاقة [داعش] مع الآخر (الخارج)، ابتداءً من العلاقة والموقف من النظام الدولي والشرعية القانونية الدولية، مروراً بالعلاقة المتنبسة بين [داعش] والغرب والتي تراوحت بين الصدام والاستثمار، حيث تمت مقارنته من خلال أبحاث ورؤى استعرضت هذه العلاقة من زوايا متنوعة، وأضاءت على جوانب استثمار الغرب في الحركات الجهادية السلفية عموماً، الأمر الذي سرى على [داعش] تحديداً رغم قلة الوثائق والمصادر الموثقة في هذا الموضوع.

ويبدو أن البنى المعرفية للسلفية الجهادية والأيديولوجية التي تبنتها دولة الخلافة، تحسم الموقف منذ البداية وبالأصل انكاراً ورفضاً للمشروعية القانونية ومبادئ النظام الدولي وبالتالي لم يستدع الأمر دخولاً في التفاصيل والموضوعات المتعلقة بالقوانين الدولية أو النظام الدولي، فهي مرفوضة بالكامل استناداً لأيديولوجية [داعش] وعقيدته الدينية، وفي ظل حالة الجمود والتحجر في التفكير

والتمسك الصارم بنقل التراث وإسقاطه على الحاضر، دون أدنى محاولة لأخذ بالظروف [الزمكانية] التي تحيط بأحداث الماضي والتراث التاريخي، أو فتح باب النظر إلى مقاصد الشريعة بدل التعبد بالوقائع والمجريات التاريخية وتحويلها إلى نصوص مقدّسة غير قابلة للنقاش والتعامل معها بنفس مستوى التعامل مع النص والحديث النبوي، ودون النظر من جهة أخرى إلى ضعف السند في نقل بعض تلك النصوص واختلاف الصياغات والروايات عند المؤرخين للأحداث.

وقد تبين أن السلفية الجهادية وداعش قد تمسكت بصيغة الخلافة كنمط ونظام حكم، رغم اتفاق كل المؤرخين والمفكرين المسلمين على أن الإسلام لم يحدد تفاصيل وإشكال الحكم، بل اكتفى بالعناوين العريضة لشرعية الحاكم ومواصفاته وترك بقية الأمور وتفصيلها لحیثيات الزمان والمكان وتطوراتها ومصالحة الأمة إلا أن تقديسهم لتاريخ الخلافة دفعهم للتأهي مع تجربتها بشكل حرفي.

فقد اعتمدت السلفية الجهادية والتزمت [داعش] بها، منهجية تقسيم العالم إلى دار حرب، ودار إسلام، ما رتب على هذه المنهجية إنكاراً لمبادئ الحرمة الدولية الإقليمية للدولية وحدودها السياسية القائمة كما أن الفكر التكفيري الرفض لكل الآخر، جعل إمكانية قيام مجتمع متنوع ومتعدد الاعتقادات أمراً لا ينسجم مع دولة الخلافة، التي سعت منذ انطلاقتها لتصفية الأقليات وتهجيرها أو فرض العقيدة الإسلامية عليها بالقوة ومع الرفض تحولت إلى نيل العقاب في القتل والسبي والاستعباد والرق.

وهي لم تكتفِ بإنكار مبدأ سيادة الدول، بل أنكرت كل القواعد الآمرة للقانون الدولي والمضمنة داخل ميثاق الأمم المتحدة ومجلس الأمن وشتى المؤسسات الدولية في النظام الدولي.

إلا أن من الإنصاف أن يتوقف الباحث، عند مظلومية شعوب العالم الثالث في المشاركة غير المتكافئة في صياغة هذه القوانين الدولية والتعامل بموازين غير عادلة في تطبيقها، لا سيما أن الدول الكبرى المسيطرة على قرار هذه المؤسسات تعطي لنفسها الحق في حفظ مصالحها دون النظر إلى مصالح شعوب هذه الدول الفقيرة والنامية التي غالباً ما تذهب مصالحها ضحية لقرارات تلك المؤسسات الدولية.

كما تم التطرق في هذا الفصل الأخير من البحث إلى موضوع الالتباس في علاقات [داعش] مع الغرب، هذه العلاقات التي من خلال مقاربتها المتعددة والتي وضعها البعض في إطار نظرية المؤامرة وحمل الغرب مسؤولية نشوء [داعش] وأعمالها واعتبارها صنعة وأداة في يده، بينما رفض البعض الآخر هذا المنحى منهجياً بالكامل وحمل أصحاب المشروع الداعشي والفكر السلفي الوهابي كامل المسؤولية والمترتبات على قيام المشروع، وخطوات تنفيذه وتبعات ذلك.

بالمقابل رجح بعض الباحثين المنهج الأكثر موضوعية حين وضعوا علاقة [داعش] بالغرب في إطار يتراوح بين التصادم مع الغرب مبدئياً وبين التفاف بعض الدول الغربية على هذا المشروع والعمل على الاستثمار فيه من خلال التوجيه والتحكم غير المباشر، وتم اعتباره فرصة لضرب المنافسين لمصالح الغرب واستنزافهم وإضعافهم من خلال خلق ساحات صراع مع [داعش] متنقلة حيث تقتضي مصالح الغرب، ولتحقيق هدف آخر تكتيكي هو التخلص من الأفراد والجماعات التكفيرية التي يزح بها ويُسهل لها الالتحاق بهذه الساحات المفتوحة أمام العنف الدموي، وذلك بغية إبعاد خطرهما عن الدول الأصلية التي ينتمي إليها المنتسبون لهذه الجماعات، كما حدث في أفغانستان، والعراق وسوريا.

كما لامست مقاربات البحث في هذا الفصل استعراض الخلفيات التي تقوم عليها فكرة إنشاء فروع لـ [داعش] في الدول والأقاليم المختلفة شرقاً وغرباً، والغايات والاهداف التي ارادت دولة الخلافة تحقيقها من خلال هذه الفروع وهي تحدد وظائفها في هدفين رئيسين أولهما: الإنهك والنكايه مروراً بالتوحش وادارته وصولاً إلى التمكين لتشكيل أذرع ونماذج للإمارات والدول التي ستُنظَّم لاحقاً بدولة الخلافة، وتحقق التمدد المطلوب للخلافة على كامل الجغرافيا العربية والإسلامية، وثانيهما: أنها تنظر إليها كمكاتب فرعية وأشبه بسفارات للخلافة ويمكن أن تشكل ساحات استقطاب محلية ومصادر دعم للمركز في جوانب مختلفة وحسب الحاجة، وتعطي هالة من القوة من خلال سعة الانتشار وتعدد الفروع.

واستعرض البحث في هذا المجال الخطة الاستراتيجية للقاعدة التي نشرت عام ٢٠٠٥ أي مع الإرهافات الأولى لقيام [داعش]، وتضع الخطة في حسابها مجموعة من المراحل تعتمد على هذا الحجم من الانتشار للفروع والأذرع، والاعتماد عليها كجزء من الخطة الاستراتيجية للوصول إلى دولة الخلافة عام ٢٠٢٠ بحسب الخطة.

فيما توقف البحث أخيراً في الفصل عند إشكاليات هذه العلاقة مع الآخر على كل المستويات المحلية والاقليمية والدولية، لتبرز حالة من الانسجام بالمواقف من الآخر سواء كان مسلماً أو غير مسلم، ومن شتى المذاهب والاتجاهات والتيارات، للوصول إلى أن موقف [داعش] هو الرافض المطلق لهذا الآخر مهما كانت هويته أو عقيدته أو انتهاؤه.

هذا الموقف هو الذي شكل العامل الرئيس لدفع جميع هذا الآخر محلياً و اقليمياً ودولياً لتلاقي بتحالفات أو التقاطع بالمصالح المشتركة ضد هذا المشروع (دولة الخلافة) وبالتالي لمحاصرته ومحاربه وانهاءه جغرافياً من كل المناطق التي سيطر عليها في سوريا والعراق، لتكون الخلاصة بأن الفكر التكفيري والايديولوجية الوهابية الداعشية تحمل في داخلها برفضها للآخر، جذور موتها ونهايتها، وعدم قدرتها على الاستمرار والبقاء في ظل استعدادها ومحاربتها لكل المختلف عنها ومعها. الأمر الذي يجيب بشكل حاسم على جانب من الاشكالات التي طرحها البحث في مقدمته.

الخاتمة

منذ ظهور [داعش] في العراق، مروراً بتمددتها إلى سوريا، ووصولاً إلى إعلانها دولة الخلافة، كان يتردد سؤال على ألسنة الباحثين والمحللين وفي كتاباتهم، يتعلق بمدى قابلية [داعش] كدولة إسلامية مفترضة، ثم كدولة خلافة، على الاستمرار والبقاء والقدرة على الحياة أو عدمها. بما يعني أن الأمر لا يتعدى كونها مشروع لا يملك القدرة على البقاء والاستمرار والحياة لمُدَى طويل في ظل ما يحمله من إيديولوجيا تقوم على التكفير والعنف ورفض الآخر، واستغلال حالات الضعف والخلل الأمني في بعض المناطق داخل الدول وهو يستثمر في التوتير الطائفي والمذهبي، وبالتالي مع انتفاء كل أو معظم هذه الاختلالات والتوترات أو تراجعها سيتراجع هذا المشروع ولن يستطيع البقاء و الإستمرار.

فالإجابة على هذا السؤال تتطلب استحضار مجموعة مقدمات لأزمة ترتكز إليها الإجابة وتبلور علمياً:

١. إن [داعش] تملك إيديولوجيا إسلامية خاصة حيث تُعتبر أنّها بمثابة الإبن الشرعي للوهابية من الناحية الدينية وهي امتداد للسلفية الجهادية التي تبلورت في محطة أفغانستان وأدّت إلى ولادة القاعدة هناك، وإن كانت تمثل الجيل الثاني من القاعدة^(١) إلا أنّ هذه الإيديولوجية تفتقر إلى التماسك الضروري، فقد شهدت تشظي وتباين داخلي وتعدد مرجعيات، ومراجعات

(١) راجع: فؤاد حسين، الزرقاوي - الجيل الثاني للقاعدة، مصدر سابق .

فكرية ووصل الأمر بالبعض من منظريها إلى تكفير البعض الآخر^(١).

كما أنها تفتقد إلى القدرة الوظيفية بالمعنى السياسي والاجتماعي وهما الشرطان الضروريان لأيّ بنية تحتية يحتاجها مشروع قيام الدولة، أي دولة، لجهة توحيد المجتمع والأطراف فيه على قواسم مشتركة وتسامح وتعايش بين مختلف تياراته.

فهي إيديولوجيا لا تنسجم ولا تتصالح مع أيّ من الإيديولوجيات الإسلامية الأخرى من كافة المذاهب الإسلامية، بل هي تكفّر وتُخرج كل الحركات الإسلامية الجهادية السلفية وغير السلفية من دائرتها الخاصة.

وقد ذكرنا في الفصول السابقة من البحث العديد من الشواهد حول هذا الأمر، ولا داعي لتكرارها حيث يمكن العودة إليها. وما لوحظ في سكوت أو تغاضي بعض المرجعيات عن [داعش] في مرحلة من المراحل، كان يصب في الرهان على الاستئثار الوظيفي أكثر مما يوحى بوجود قواسم مشتركة مع الإيديولوجية الخاصة بداعش.

٢. ما تقدم يؤدي إلى عدة خلاصات أساسية في مجال البيئة الشعبية الحاضنة:

- اقتصار امكانية التمدد التعبوي لـ [داعش] على نطاق محدود وضيق، وبالتالي لا يستطيع جذب الشريحة الأوسع من المسلمين. لا سيما في ظل العمل الإعلامي والفكري الذي بدأ بمحاصرة واحتواء قدرتها على التجييش والتعبئة والاستقطاب، من خلال نشر وترويج المواقف والفتاوى الدينية والصادرة عن المرجعيات الإسلامية الرسمية في السعودية ومصر وإيران والعراق

(١) كما حصل مع منظري [داعش] وجبهة النصرة وأدى إلى مقتل وجوه بارزة منهم مثل: ابو مصعب السوري، وابو خالد السوري وآخرون.

وسوريا، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، فضلاً عن ما صدر عن المرجعيات الدينية غير الرسمية من كافة المذاهب الإسلامية، وفضلاً عن الحركات الإسلامية، والقادة والعلماء المسلمين من بيانات وتصريحات وخطابات تصب في استنكار مشروع [داعش] ورفضه، وتهافت ايديولوجيتها، واعتبارها انحرافاً خطيراً عن العقيدة الإسلامية وتشويهاً لها، وقد شهدت السنوات الأخيرة العشرات من اللقاءات والندوات والمؤتمرات* التي جمعت هؤلاء من كل الاتجاهات حول قاسم مشترك هو رفض ايديولوجيا التكفير والعنف عند [داعش] ورفض مشروعها في إعلان الخلافة واعتباره باطلاً. وهذا يعني أن التصادم والصراع الايديولوجي مع كل المسلمين الآخرين سيستمر ويتطور ولغير صالح [داعش] ومشروعها.

• إن تبرؤ الوهابية الرسمية السعودية من أبوتها لداعش، يدخل الوهابية كأيديولوجيا في حالة تناقض مع الذات وبالتالي يجعلها في أزمة بنيوية عميقة تطال السلفية الوهابية بصيغتها السعودية الرسمية، مقابل السلفية الوهابية بصيغتها الداعشية.

• إن غلو [داعش] في تكفير الآخرين واستباحة دماءهم يؤكد إن ايديولوجيا [داعش] لا تملك سوى استيلاء الخصوم والاعداء ضمن العالم الإسلامي

* أبرز هذه المؤتمرات: المؤتمر الإعلامي لمواجهة الإرهاب التكفيرى: دمشق ٢٤/٠٧/٢٠١٥. مؤتمر جماعات العنف التكفيرى (الجزور والبنى والعوامل المؤثرة): بيروت ١١ و ١٢/٠٩/٢٠١٥. المؤتمر العالمي للإفتاء: القاهرة ١٨/٠٨/٢٠١٥. المؤتمر الدولي الثاني لمنتدى الوسطية للفكر والثقافة: عمان (الأردن) ٢٤ - ٢٦ /٠٤/٢٠١٦. المؤتمر العالمي حول ظاهرة التكفير: (الأسباب - الآثار - العلاج): المدينة المنورة ٢٤-٢٦ شوال ١٤٣٢ هـ. المؤتمر الفكري الأول لدراسة ظاهرة التطرف: كركوك (العراق) ١٨/٠٢/٢٠١٩.

عموماً (سنة وشيعة) وهي عاجزة عن تكوين بيئة حاضنة حقيقية لها حتى داخل الساحة السنية وعند اتباع المذاهب الإسلامية التي تشترك معها في معظم الجذور الفقهية.

٣. إذا كانت [داعش] ومشروع الخلافة قد لاقَت تجاوباً إيجابياً في بعض البيئات السنية (في العراق وسوريا) في مرحلة الصعود، فإنَّ هذا التجاوب لم يكن لاعتبارات ايديولوجية كاملة بل نسبية وجزئية، فيما كانت الاعتبارات الأخرى التي فرضت هذا التجاوب عائدة إلى تأزُّم واقع هذه البيئات والظروف الطارئة التي تمر بها، أو إلى ضيق خياراتها، أو لمحاولات البعض استغلال [داعش] لاغراض سياسية خاصة، ومع ظهور ممارسات [داعش] العنيفة والدموية في البيئة الداخلية، وصرامة القوانين الاجتماعية التي فرضتها، بدأت حالة التذمر والتمرد والهروب عند البعض من المقاتلين فضلاً عن المدنيين، وبدأت التغييرات تحدث في البيئات الشعبية التي ترفض هذا التنظيم وتنبذه (العشائر كمثال) وقد دفع البعض ضريبة الدم جراء ذلك. وبالخلاصة فإنَّ [داعش] بدأت بخسارة البيئة الحاضنة على نحو متسارع، خصوصاً جراء الهزائم التي تعرضت لها في السنوات الأخيرة.

٤. لقد بدى واضحاً أنَّ [داعش]، عجزت عن إمكانية صياغة تحالفات أو علاقات وطيدة أو ايجابية مع مجموعات أو دول أو حركات توفر لها شبكة أمان واعتراف ودعم مباشر. فهي سرعان ما دخلت في صراعات حادة على النفوذ والسيطرة في العراق وسوريا مع التنظيمات التي تشبهها ايديولوجياً كجبهة النصرة وسواها من المجموعات المسلحة الجهادية السلفية وغير السلفية وقد تجاوز الخلاف بينها وبين [داعش] المستوى التكتيكي إلى كونه

خلافاً استراتيجياً، وحتى التنظيمات الجهادية السلفية كالقاعدة وحركة طالبان فإن علاقتها بهما لم تكن سوية وشهدت توترات وصلت إلى حد الصدام والصراع الدموي.

نعم يمكن القول أن دولة واحدة هي تركيا نسجت مع [داعش] علاقات أمنية وظيفية وذات طابع استغلالي، إلا أنّها لا ترقى إلى تشكيل عمق حيوي لداعش، ولا تشكل رافعة شرعية أو دولية له في ظل التوافق الدولي على اعتبار [داعش] تنظيمًا إرهابيًا. فتركيا أرادت توظيف [داعش] لإسقاط نظام الأسد^(١)، ولكنها لم تستطع تحقيق ذلك من خلالها، رغم أنّها لم تنخرط في التحالف الدولي لمحاربتها، وغضت الطرف عن مرور مقاتليها والمتحقيين بداعش من دول العالم عبر مطاراتها وأراضيها.

٥. لقد استخدمت الدولة الإسلامية/ الخلافة، سياسة التخويف والإرهاب والإكراه لفرض وجودها في البيئة الداخلية، والمعروف أن مثل هذه السياسة وإن نجحت لفترة في فرض سلطة ما، إلا أنّ هذا النجاح يبقى موهوماً، ومؤقتاً وافتراسياً، ويحمل في داخله بذور تقويضه، فضلاً عن أن فرض السلطة امر يختلف كلياً عن بناء دولة فعلية مستقرة.

٦. إن النجاح الجزئي للدولة الإسلامية/ الخلافة في بعض المجالات الخدمائية التي استطاعت تأمينها للمواطنين، وإدارة بعض الجوانب في شؤونهم لم يرقى إلى مشروع مؤسساتي خدماتي مكتمل وناجح فهو لم يستطع تجاوز الحد الأدنى من الضروريات كالحبز والوقود والمواد الغذائية وأحياناً المدارس والأجهزة القضائية الشرعية وضبط الأسعار، ولكنه لم يكن لخدماته أية صلة بالرفاه

(١) راجع (الأمين، حازم، العلاقة الموضوعية بين تركيا وداعش، <https://www.lhurra.com>، ٢٤/١/٢٠١٩).

والتقدم، فالحكم الفعلي يقتضي التعامل اليومي وغير اليومي مع متطلبات المجتمع على أنواعها وتوفير ما يلزم لها من موارد وقدرات وطاقات فعلية ولوجستية، وهذا ما لا تملكه [داعش] بالرغم من استيلائها على بعض الموارد القابلة للتسييل مالياً كالنفط والغاز، وبالرغم من إقامتها لبعض التشكيلات الادارية وفق نماذج هجينة (من الماضي والحاضر) لم تستطع التعامل بنجاح مع تعقيدات واحتياجات الحياة العصرية ومشكلاتها، فضلاً عن أن [داعش] وبفعل خوضها للحروب واسعة وعلى أكثر من جبهة فهي مضطرة لاستثمار معظم الموارد للحرب والقتال بالدرجة الأولى، ما جعلها عاجزة عن اعطاء أولوية لمتطلبات الحكم، فضلاً عن تقييد حركة سفر المواطنين من مناطقها وإليها في ظل تعقيدات الوضع الأمني غير المستقر والعلاقة السلبية مع المحيط.

٧. تعيش الدولة الإسلامية/ الخلافة وضعاً متصادماً مع كل الاستراتيجيات الكبرى لدول مركزية في العالم وفي المنطقة، وبالرغم مما شكله [داعش] من بعض الفرص والفوائد لبعض الدول الغربية خصوصاً أميركا، إلا أنه بقي في اطار الفوائد المرحلية والفرص التكتيكية، وقد تم التطرق في البحث لعملية الاستثمار عبر التوجيه غير المباشر، ولكن تبقى [داعش] من الناحية الاستراتيجية تشكل تهديداً فعلياً للغرب ودوله سواء في نموذجها كدولة إسلامية في المنطقة أو من خلال الجهاديين القادمين من دول الغرب والملتحقين بمشروع الخلافة والمتدربين في صفوفها، ثم العائدين إلى دولهم والذين يشكلون خطراً وتهديداً للأمن في دولهم، هذا فضلاً عن تصادم [داعش] مع مصالح هذه الدول في المنطقة واستهداف هذه المصالح أحياناً، كما إن تصادم مصالح دولة الخلافة مع المصالح الاستراتيجية لايران والسعودية ومصر وروسيا أمر لا يحتاج للكثير من الاستدلال والتوضيح.

وبناء عليه فكلما تراجعنا وانحسرت الفوائد المرحلية التكتيكية لداعش، كلما تحولت من فرصة إلى تهديد بالنسبة للدول التي تعاملت أو نظرت إليها على هذا الأساس، وبالتالي فإنّ التصادم الاستراتيجي معها سيكون وتشتد درجته. ولعل تشكيل تحالفات دولية وعربية لحررها والقضاء عليها خير دليل ما تقدم ذكره.

٨. لقد واجهت [داعش] في تجربتها كدولة إسلامية وخلافة مجموعة كبرى من التحديات الداخلية البنوية، وأبرزها كان توتر العلاقة بين مكونات الخليط غير المتجانس من مقاتليها وأمرائها (المهاجرون والمحليون). ويلحظ المتابع للتغيرات في المسؤوليات، أثر الاصول المختلفة والمشارب المتعددة، فمن اعتماد المهاجرين عند [الزرقاوي] واستبعاد العراقيين عن المسؤوليات ثم إشراكهم بناء على نصيحة قادة القاعدة له بذلك، مروراً بالبغداديان وابعادهما للمهاجرين من المسؤوليات الأساسية، والاعتماد عليهم في العمليات الانتحارية والانغماسية الأمر الذي تحدث عنه العديد من المهاجرين، والمنشقين عن [داعش]، وصولاً إلى الصدمات الدموية المتواصلة بين الفئتين، وآخرها ما نشر عن محاولة لاغتيال [أبو بكر البغدادي] في الباغوز (آخر معاقل داعش) من قبل مجموعة من المهاجرين العرب، وفشل العملية.

٩. إنّ الاوضاع الأمنية غير المستقرة، لم تساعد [داعش] على بناء الجيل المحلي الذي أرادته أن يشكل على المدى الزمني المتوسط (٥ إلى ١٠ سنوات) بديلاً عن المقاتلين الاجانب، والذين تراجع مستوى التحاقهم بداعش في السنوات الأخيرة من عمر الدولة.

لقد أرادت [داعش] أن تربي وتأهل في معسكرات الاشبال والمدارس والمساجد جيلاً محلياً مشبعاً في عقله ووجدانه باستعدادات التضحية بالنفس والاندفاع للقتال بمهارة من أجل مشروعها في الخلافة والدفاع عنها والاستماتة لبقائها واستمرارها وهو ما يمكن قرائته في الشعار الذي كرسته في أديباتها، (باقية... وتتمدد).

١٠. لقد كسرت [داعش] بإعلانها الخلافة (المفترض تمددها جغرافياً على كامل البلاد الإسلامية) - ملحق رقم ٤ - وبالغاء حدود [سايكس-بيكو] بين العراق وسوريا، كسرت آخر خيوط الصمت أو التساهل التي كانت عند البعض من الأنظمة الرسمية التي كانت تنظر إليها كفرصة توظف فيها بعض سياساتها الاقليمية والدولية، لذلك رأينا استفاقة دولية وعربية وإسلامية لنسج تحالفات دولية واقليمية لحرها والقضاء عليها، وهي بذلك عجلت في استهداف الجميع واجتماعهم على حربها والقضاء عليها ولإنهاء مشروعها ميدانياً.

١١. بناءً على كل ما تقدم يمكن القول أن دولة [داعش] حملت عوامل انهيارها في طيات قرار إنشائها وفي بنيتها الأيديولوجية، ومنذ عام ٢٠١٤ توقعت بعض الدراسات عدم قدرة [داعش] على الاستمرار والبقاء^(١).

فمثلاً توقعت دراسة مجموعة الازمات الدولية في تقرير لها «أن صعود نجم [داعش]، الرابح الآخر من الاستقطاب السائد في البلاد، لن يدوم طويلاً على الأرجح، حيث صعّد التنظيم أنشطته وبات يلعب الآن دوراً أكبر من حجمه في الأنبار، لكن من غير المرجح أن يضرب جذوره عميقاً في المنطقة، لقد صعّد

(١) راجع (محمود عيسى: [داعش] يتحول إلى اللا مركزية، مقال في صحيفة الوطن القطرية، بتاريخ ٢٠١٢/٠٣/٠٤).

نجمه نتيجة المأزق الذي وصل إليه السنة، لكن [داعش] لا تمتلك الوسائل التي تمكنها من تجاوز ذلك المأزق»^(١).

آفاق المستقبل: هل انتهت داعش ودولتها والخلافة؟

والآن ماذا بعد خسارة [داعش] آخر معاقلها في الباغوز؟ في ٢٣/٣/٢٠١٩ م سؤال يطرح نفسه، بعد الانتهاء الميداني لـ [داعش] (جغرافياً)، فهل تُطوى صفحة الخلافة ودولتها؟، أو أن هذا إيذان بولادة لـ [داعش] الافتراضية، وما هو حجم خطرهما؟ ما هو مصير القيادات في [داعش]، والتي لم تظهر في انتهاء عمليات الباغوز لآحية ولا ميتة؟ فهل استطاعت الهرب؟، أو هُربت؟، وماذا تخطط للمستقبل؟.

أليست [داعش] فكرة وإيديولوجيا قبل أن تكون تنظيم دولة وخلافة وجغرافيا؟، فهل تموت الفكرة والإيديولوجيا مع فقدان الجغرافيا؟ أم أنها تتمظهر وتستمر بأشكال وظروف أخرى؟.

وهل لديها قابلية للعودة مع بقاء الأزمات والتوترات المجتمعية والسياسية، والتدخلات والضغوط الدولية؟، وهل العودة هذه المرة إذا حصلت ستكون دراماتيكية كما حصل سابقاً في الموصل وعدد من المدن والمحافظات الأخرى؟، أم هناك ظروف أخرى تستدعي سيناريوهات أخرى لديها للعودة ومستلزمات أخرى يجب التحضير لها همدوء وجديّة؟.

هل كشفت التجربة العملية والميدانية أساليب وتكتيكات [داعش] وبالتالي

(١) راجع تقرير مجموعة الازمات الدولية العراق: الصفقة الخاسرة في الفلوجة، ٢٨ نيسان ٢٠١٤م، تقرير مجموعة الازمات رقم ١٥٠، ص ١٤).

صار من السهل مواجهتها في المرّة القادمة على قاعدة (إعرف عدوك)؟. وهل تم تفكيك [داعش] كمنظومة إداريّة ولوجستيّة بشكل كامل أم بقيت المجموعات النائمة والأفراد الشاردين لديهم القدرة على التواصل من جديد مع قيادة [داعش] وتنظيم صفوفهم في العراق وسوريا أو توسيع الإنتشار إلى جغرافيا جديدة؟، ما هو دور الفروع الإقليميّة لـ [داعش] هل ستضعف الجهود وتكثف نشاطها، أم تستكين مؤقتاً لتغيير الخطط والتكيف مع واقع إنحسار الدولة والخلافة؟، وهل هروب الخليفة واختفاءه، ثم ظهوره بإطلالة «ولوك» جديدين، يتماهيان مع إطلاقات ابن لادن في كهوف تورا بورا (أفغانستان). توحى يبدأ عودة [داعش] للعمل ولممة أوضاعها من جديد، أم أن الامر لا يتعدى محاولة اثبات لبقاء الخليفة على قيد الحياة والمحافظة على الحد الأدنى من المعنويات لانصاره؟.

هل انتقلت من المركزية إلى اللامركزية؟، كما توقع الباحث محمود عيسى في صحيفة الوطن القطرية، مستنداً إلى بقاء الافراد وربما المجموعات، ومستعيناً بتصريحات لمنسق الدبلوماسية الأميركية لمكافحة الإرهاب [ناثان سيلز]، الذي قال: «أنه مع تحقيق الانتصارات على [داعش] في ميدان المعركة فإنّ التنظيم يتأقلم مع انتصاراتنا»، مضيفاً «أعتقد ان ما نراه هو ان [داعش] يصبح لا مركزياً على نحو متزايد، إنه آخذ في التطور والتكيف»^(١).

«فداعش فكرة والفكرة لا تموت» هذه العبارة هي الأكثر تعبيراً عن الدعاية التي يقوم بها تنظيم [داعش] حالياً بعد فقدانه لآخر حيز جغرافي يتواجد فيه، وبعد تحوله إلى جماعات متمردة هاربة وسريّة على غرار فلول القاعدة في أفغانستان

(١) محمود عيسى: [داعش] يتحول إلى اللامركزية، مصدر سابق.

التي انبثق منها تنظيم [داعش] قبل أكثر من عقد من الزمان^(١).

إن الاجابة على التساؤلات هذه قد لا تكون مكتملة وجاهزة الآن، وهي تحتاج إلى مزيد من المعطيات والمعلومات والتحليل، ولكن الغربيين بدأوا في طرح تحليلاتهم، فالبعض يرى أنه من المتوقع أن ينظم [داعش] نشاطه في زوايا الانترنت المظلمة، لتجنيد مقاتلين والتواصل مع انصاره في الغرب (الذي تحمّله [داعش] مسؤولية أساسية في القضاء عليها) وذلك للقيام بعمليات «ذئاب منفردة» ضد «الكافرين».

بالمقابل يعتبر خبير علم الجريمة في جامعة كينت البريطانية-سايمون كوتي: «بأنّ الكثيرين من المراقبين يترددون في الاعتراف بحجم هزيمة [داعش]، وهم مقتنعون أنّه سيتحول إلى شيء أكثر إرهاباً، لدرجة أن البعض لا يستخدمون كلمة هزيمة مطلقاً ويبدو وكأنهم من دعاة [داعش] الذين يحولون كل خسارة داعشية إلى مجرد كبوة مؤقتة في طريق انتصارهم المحتوم، ويركزون على حقيقة أن التنظيم يمتلك معازل أخرى مثل أفغانستان، ويرون أنّه سيعود مستقبلاً مسترداً عافيته»^(٢).

إذاً مع خسارة [داعش] لمعقلها الأخير، خفت جاذبية عقيدة [داعش]، التي جذبت الآف المقاتلين الاجانب إلى سوريا والعراق، لكن لم تمت هذه الجاذبية بشكل كامل، وتظل الفروع الاقليمية للمنظمات التي تتعهد بالولاء لـ [داعش] والخلافة في غرب أفريقيا وليبيا واليمن والفلبين وأندونيسيا.

(١) وليد بروكسية: موقع المدن www.almodom.com (جريدة الكترونية مستقلة) الاربعاء ٢٠١٩/٣/٦.

(٢) نقلاً عن وليد بروكسية، موقع المدن، مصدر سابق، ٢٠١٩/٣/٦.

ولعل ما شهدته أخيراً سريلانكا من أحداث دامية في ذكرى عيد الفصح لدى الطوائف المسيحية الغربية بتاريخ ٢٢، ٠٤، ٢٠١٩^(١)، خير دليل على ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، وستبقى هذه الفروع نشطة بصورة ملحوظة وبدليل تكرار ظهور أعمالها في نشرات الأخبار اليومية العالمية.

وقد لا تتمكن [داعش] من توجيه ضربات وهجمات في أوروبا بعد الآن، لكن يظل أعضاؤها المتطرفون يطمحون لتنفيذ هجمات بإسمها ولو على طريقة «الذئاب المنفردة»^(٢) ليثبتوا بأن الفكرة لا تموت. ويبدو أن [داعش] ستظل على تواصل مع مقاتليها وانصارها عبر أساليب متعددة، منها ما سمعناه في الكلمة التي نشرتها مؤسسة الفرقان الإعلامية على اليوتيوب والتي جاءت بعد سقوط الباغوز.

وتحدث فيها ابو الحسن المهاجر (المتحدث باسم داعش) في رسالة مسجلة مدتها ٤٤ دقيقة، قائلاً إن «مشاهد القتل في مسجدي نيوزيلندا» ستوقظ الجهاديين النائمين وستحفز أنصار الخلافة على الثأر».

ووصف المهاجر، النصر الذي اعلنته الولايات المتحدة على [داعش] في سوريا بأنه «زائف ولا أساس له» متوعداً بالثأر لأولئك الذين تم حصارهم ثم اجلاؤهم من قرية الباغوز، قائلاً «انتظروا بحوراً من الدماء».

(١) اعلنت وكالات الانباء مقتل أكثر من ٣٥٠ مواطن وأجنبي وجرح المئات الآخرين في ثمانية تفجيرات انتحارية في كولومبو عاصمة سيرلانكا استهدفت كنائس وفنادق بتاريخ الاثني ٢٠١٩/٠٤/٢٢، وقد اعلنت [داعش] مسؤوليتها عن التفجيرات ونشرت مشاهد مصورة تظهر مجموعة مقاتلين يقسمون الولاء لابو بكر [البغدادي] (الخليفة).

(٢) نقلاً عن موقع DW الألماني في ٢٠١٨/٠٨/١٣.

وأكد على «أن بإمكاننا ان نستعيد كل المدن التي خرجنا منها في عام واحد»، مضيفاً بأنّ العدد ليس مشكلة لنا، فلدينا الاعداد الكافية من المجاهدين، وتوّعد بعمليات فيداوية، وزرقاوية (قنص وعبوات.. الخ) والهدف منها استنزاف العدو (دون أن يعرف من الفاعل)، معتبراً أنّ هذه حرب عقائدية-ايدولوجية صرفة، وأنّ الاعداء يريدون قتل المسلمين المجاهدين، وتحدث بلهجة المنتصر، والواثق بالنفس مدعيّاً أنهم هزموا التحالف الدولي مستشهداً بتصرّيات لقادة التحالف الدولي، كقول ماكورك مبعوث وممثل أميركا في التحالف الذي استقال معترضاً على الانسحاب من سوريا وصرح «بأنّ الدولة الإسلامية ما زالت تشكل خطراً على المنطقة والسلام العالمي».

وهو في كلمته يوصي المقاتلين بالصبر وعدم ترك الجهاد، ويخاطب عشائر أهل السنة ويحذرهم من مغبة الاشتراك في فصائل الأكراد الملحدون والكفار، ويدعوهم إلى منع أولادهم من المشاركة، وحضهم على التوبة. ويدعو أبناء الخلافة في شرق الفرات للاغارة عليهم عضاً ونسفاً بالعبوات والقنصات، كما يتوجه إلى أهل السنة في العراق والموصل لاستفزازهم طائفيّاً بقوله «ان الدولة الإسلامية ما هي إلاّ سفينة نجاتكم، فبادروا بالتوبة قبل أن تبادروا، فالدولة عائدة إلى المناطق التي انحازت منها طال الزمان أو قصر»^(١).

ونقل في ختام كلمته توصيات [أبو بكر البغدادي]: حيث يوصيهم بذكر الله، ويحذرهم من استخدام أجهزة الاتصال، ويوصيهم بأخذ الحيطة والحذر والالتزام بتعليمات الامراء.

(١) أبو الحسن المهاجر: كلمة بعنوان [صدق الله فصدقه]، مؤسسة الفرقان -www.alfurqam-

في الختام، إن إشكالية مشروع الدولة الإسلامية الملتبسة، ستبقى مفتوحة لمزيد من النقاش والدرس دينياً وسوسولوجياً وسياسياً، باعتبارها حدث ترتب عليه تبعات جيوسياسية وانسانية واجتماعية وفكرية ضخمة، وهو جاء في سياق وتوقيت حراك شعبي عربي في أكثر من دولة في ما سمي بـ [الربيع العربي] وأثر وتأثر به، وهذا المشروع شكل مفارقة تعبر بوضوح عن فشل الدولة القطرية العربية التي تشكو وما زالت من أزمات اجتماعية وسياسية وإقتصادية تؤدي في كثير من الاحيان إلى عدم الاستقرار.

ورغم أن [داعش] ناصبت الدولة القومية الحديثة العداء، بطرحها تصور للخلافة الإسلامية يقوم على قاعدة إلغاء الدولة القطرية، لإحلال الخلافة الإسلامية محلها، إلا أنها أخذت من الدولة جوهرها المؤسساتاتي في تجربتها وبنيتها التنظيمية فكأتمها دولة ضد الدولة.

إن [داعش] قامت بصورة واضحة على البنية التي تنهض عليها الدولة الحديثة بوصفها ليفياتان أو «إله فان» بحسب تعبير [هوبز]، يخضع له الجميع ويحتكر الحق في استخدام العنف بصورة مطلقة.

هنا المفارقة في تقديم [داعش] لنفسها كدولة خلافة ضد الدولة الحديثة ولكنها تبدو في جوهرها تمثل الدولة الحديثة في أبشع صورها التوتاليتارية، ففي تحليلها للظاهرة التوتاليتارية ترى [حنا أرنت] أن مسار النظام التوتاليتاري يتكون من: كاريزما، ايديولوجيا تاريخية، آلة القمع، وجهاز بروباغندا. وهذا نجده في ما قدمته تجربة دولة الخلافة عند [داعش]، فقد تضمنت العناصر الأربعة المذكورة:

١. تبني ايديولوجيا التاريخ (الخلافة) من خلال اعلان مبكر لقيامها.
 ٢. امتلاك الكاريزما من خلال الخليفة (منصب الخلافة) التي احيطت بهالة القداسة بوصفها وارثاً للنبوة، ومنوطاً بها حفظ الدين وسياسة الدنيا، ولها بيعة واجبة في عنق كل مسلم.
 ٣. لقد حولت [داعش] كل من ينتسب إليها إلى آلة قتل وامتهان للعنف، حتى أصبح اسمها مقترناً بالعنف.
 ٤. استغلت وسائل الإعلام بحرفية عالية، لا سيما وسائل الاتصال الحديثة لصناعة البروباغندا الخاصة بها، وقد حققت إنجازات مشهودة في هذا المضمار.
- يبقى أن نشير أن هذا الموضوع سيبقى مفتوحاً على مزيد من البحث والدراسة نظراً لأهميته في الاجتماع السياسي ولما تركته التجربة من آثار وندوب في المجتمعات العربية والإسلامية خصوصاً الهواجس التي تشير إلى إمكانية عودتها بمسميات وأساليب أخرى.

لائحة المصادر والمراجع

• الكتب السماوية

١. القرآن الكريم

• الكتب العربية

١. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، لا طبعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا سنة.

٢. ابن باز: مجموعة الفتاوى والمقالات المتنوعة، جمع وإشراف محمد بن سعيد الشويعر، لا طبعة، الرياض، دار القاسم للنشر، ٢٠٠٨.

٣. ابن تيمية: مجموع الرسائل والمسائل، ط ١، بيروت، دار الكتب العملية، ١٩٨٣.

٤. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، لا طبعة، الرياض، وزارة الأوقاف السعودية، ٢٠٠٤.

٥. ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق بن سليمان العثيمين، ط ١، الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥.

٦. ابن سند البصري: مطالع السعود بأخبار الوالي داوود، اختصار أمين حلواني، من خزانة التواريخ النجدية، جمع وترتيب عبد الله البسام، لا طبعة، بيروت، دار العربية للموسوعات، ٢٠١٠.

٧. ابن قاسم: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لا طبعة، الرياض، جمع عبد الرحمن بن محمد النجدي، ٢٠٠٤.

٨. ابن منظور: لسان العرب، لا طبعة، بيروت، دار لسان العرب، لا تاريخ.
٩. أبو الأعلى المودودي: نظرية الإسلام السياسية، لا طبعة، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٧.
١٠. أبو بكر ناجي: إدارة التوحش، لا طبعة، لا مدينة، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، لا سنة.
١١. أبو سفيان عمرو وأحمد سادات الشيخ، وأبي زياد محمد محمود يعقوب النوبي، حقيقة تنظيم الدولة [داعش]، ط ٢، الجزائر، دار المنهج للنشر والتوزيع ٢٠١٦.
١٢. أبو عبد الله بن محمد: المسائل الجياد في فقه الجهاد، لا طبعة، لا مكان، مكتب البحوث والدراسات، لا تاريخ.
١٣. أبو عبد الله محمد المنصور: الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، لا طبعة، لا مكان، لا دار نشر، لا تاريخ.
١٤. أبو عمر البغدادي: العز بصيانة الدين والعرض - الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية -، مؤسسة الفرقان، الطبعة الأولى ٢٠١٠.
١٥. أبو عمر البغدادي: المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية، ط ١، لا مدينة، نخبة الإعلام الجهادي، قسم التوثيق، ٢٠١٠.
١٦. أبو ماريّا الأسيف: الهجرة والمقام في دار الإسلام، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.
١٧. أحلام النصر: أوار الحق، لا طبعة، لا مكان، فرسان البلاغ للإعلام، ٢٠١٤.
١٨. أحمد الشيباني بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، لا طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية، لا سنة.

١٩. أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، ط ٥، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩.
٢٠. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١.
٢١. أحمد عطية الله: القاموس السياسي، ط ٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨.
٢٢. أخت لمن بايع دولة الإسلام: الحشود الخاضعة بقوة الله القاهرة، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
٢٣. أخت لمن بايع دولة الإسلام: النظام التركي الخائب بين براثن الأجدل الغاضب، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
٢٤. إدريس هاني: يؤس الربيع العربي (مقاربة فلسفية-جيوستراتيجية)، ط ١، بيروت، دار روافد، ٢٠١٧.
٢٥. إدريس هاني: مقدمة كتاب الحرب العالمية الثالثة، [داعش] والعراق وإدارة التوحش، لمؤلفه ياسر عبد الحسين، ط ١، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٥.
٢٦. أرسطو: السياسة، تعريب بارتلمس سانتليز، تعريب لطفي السيد، لا طبعة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٧.
٢٧. ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩٣٩) تعريب كريم عزقول، لا طبعة بيروت، دار نوفل، ١٩٩٧.
٢٨. امثال الحبش: الإمامة في القرآن والسنة، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ٢٠٠٠.

٢٩. أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط ١، بيروت، لا دار نشر، ١٩٢٨.
٣٠. إيمان مصطفى البغا: أنا داعشية قبل أن توجد [داعش]، ط ١، لا مكان، مكتبة الهمة، ٢٠١٤.
٣١. باتريك كوكبيرن: [داعش] - عودة الجهاديين-، تعريب ميشلين حبيب، ط ١، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٥.
٣٢. الباقلائي: التمهيد، تحقيق عماد الدين حيدر، ط ٣، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٧.
٣٣. براق زكريا: الدولة والشريعة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ط ١، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٣.
٣٤. برتراند باوي وبيار بيرنوم: سوسولوجيا الدولة، تعريب جوزيف عبد الله وجورج أبي صالح، ط ١، الدرا البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨١.
٣٥. بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، لا طبعة، بيروت، دار المعرفة، لا سنة.
٣٦. تشارلز ليستر: تحديد معالم الدولة الإسلامية، لا طبعة، الدوحة، مركز بروكجنز، ٢٠١٤.
٣٧. تقي الدين النبهاني: نظام الإسلام - حزب التحرير الإسلامي-، ط ٦، المدينة، لا دار نشر، ٢٠٠١.
٣٨. جاك دوفابر: الدولة، تعريب سموحي فوق العادة، ط ٢، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٨٢.

٣٩. جان توشار: تاريخ الفكر السياسي، تعريب علي مقلد، ط ١، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨١.
٤٠. جون س. حبيب: الاخوان السعوديون في عقدين ١٩١٠-١٩٣٠، تعريب صبري محمد حسن، لا طبعة، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٨.
٤١. الجويني: شرح الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أحمد السقا، ط ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧.
٤٢. حازم محمد عتلم: قانون النزاعات المسلحة الدولي، ط ٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠١٤.
٤٣. حسن أبو هنية و محمد أبو رمان: تنظيم «الدولة الإسلامية» الأزمة السنّية والصراع على الجهادية العالمية، ط ١، لا مكان، مؤسسة فريدرش إيبتر، ٢٠١٥.
٤٤. حسن ابو هنية، و محمد أبو رمان: عاشقات الشهادة- تشكيلات النسائية الجهادية (من القاعدة إلى تنظيم الدولة الإسلامية)، ط ١، عمّان (الأردن)، مؤسسة فريدريش ايبتر، ٢٠١٧.
٤٥. حسن بن عبد الله العسكري: كتاب الفُروق، ط ١، طرابلس، دار جروس برس، ١٩٩٤.
٤٦. حسن شحاته سعفان: أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية، لا طبعة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦.
٤٧. حسين ابن غنام: تاريخ نجد، تحقيق وتحرير ناصر الدين الأسد، ط ٤، بيروت، دار الشروق، ١٩٩٤.
٤٨. خالد الدخيل: الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة، ط ١، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣.

٤٩. خير الدين الزركلي: الإعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين -، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠.
٥٠. دوفرجه، موريس: علم اجتماع السياسة، تعريب سليم حداد، ط ٢، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠١.
٥١. ر. بودون ون. بورّيكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تعريب سليم حداد، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٦.
٥٢. رضوان السيّد، الجماعة والمجتمع والدولة، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧.
٥٣. روبرت. م. ماكيفر: تكوين الدولة، تعريب حسن صعب، ط ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.
٥٤. رول ميير: السلفية العالمية: الحركات السلفية المعاصرة في عالم متغير، تعريب محمد التوبة، ط ١، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٤.
٥٥. سعد الدين التفتنازي: الشرح، تحقيق محمد حسين إسماعيل، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
٥٦. سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي، ط ٢، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨.
٥٧. سهيل الحجازي: لجوء المسلمين إلى أراضي الصليبيين والإقامة فيها، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.
٥٨. سهيل الفتلاوي: تاريخ القانون، ط ١، بغداد، مكتبة الذاكرة، ٢٠١٠.
٥٩. سيد قطب: معالم في الطريق، ط ٦، القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٩.

٦٠. الشيباني: السير، تحقيق: مجيد خدوري، لا طبعة، بيروت، الدار المتحدة للنشر، لا سنة.
٦١. صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط ١، المدينة المنورة، المجلس العلمي للجامعة الإسلامية، ١٩٠٨.
٦٢. صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لا طبعة، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٩٩٤.
٦٣. صدر الدين القبانجي: الفكر السياسي عند الامام الشهيد الصدر، لا طبعة، بغداد، منشورات المكتب الإعلامي لجماعة العلماء المجاهدين في العراق، لا تاريخ.
٦٤. صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوافيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط تركي مصطفى، لا طبعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠.
٦٥. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، لا طبعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩.
٦٦. الطحاوي: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠.
٦٧. عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤.
٦٨. عبد الباري عطوان: الدولة الإسلامية-الجزور، التوحش، المستقبل-، ط ١، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٥.
٦٩. عبد الباري عطوان، ما بعد بن لادن (القاعدة، الجيل الثاني)، ط ١، بيروت، دار الساقى، ٢٠١٣.

٧٠. عبد الحسين ياسر: الحرب العالمية الثالثة - داعش والعراق وإدارة التوحّش -، ط ١، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٥.
٧١. عبد الحلّيم حمود: إعلام وأساليب الجهاد الإعلامي، لا طبعة، بيروت، مركز الدراسات والترجمة، ٢٠١٠.
٧٢. عبد الخالق النواوي: العلاقات الدولية والنظم القضائية، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤.
٧٣. عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد الله الدرويش، ط ١، دمشق، دار يعرب، ٢٠٠٤.
٧٤. عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ العلامة [ابن خلدون] (أو) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط ٣، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
٧٥. عبد الرحمن بن قاسم النجدي: الدرر السنيّة في الأجوبة النجدية، ط ٥، لا مدينة، لا دار نشر، ١٩٩٥.
٧٦. عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧.
٧٧. عبد الغني عماد: الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣.
٧٨. عبد الغني، عماد: الحركات الإسلامية في لبنان - إشكالية الدين في مجتمع متنوع -، لا طبعة، بيروت، دار الطليعة، لا سنة.

٧٩. عبد القادر عودة: المال والحكم في الإسلام، ط ٥، القاهرة، مطبوعات المختار الإسلامي، لاسنة.
٨٠. عبد الكريم بن أبي بكر (الشهرستاني): نهاية الإقدام في علم الكلام، تحرير وتصحيح ألفرد جيوم، لا طبعة، بغداد، مكتبة المثنى، لا سنة.
٨١. عبد الله أنس: ولادة الأفغان العرب، ط ١، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٢.
٨٢. عبد الله إبراهيم: علم الاجتماع (السوسيولوجيا)، ط ١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١.
٨٣. عبد الله بن محمد: الجمع القيم للمذكرة الاستراتيجية، لا طبعة، لا مدينة، مؤسسة المأسدة الإعلامية، ٢٠١١.
٨٤. عبد الله شبر: تفسير القرآن الكريم، ط ٣، القاهرة، الناشر مرتضى المرتضوي، ١٩٦٦.
٨٥. عبد الله بن محمد: الجمع القيم لسلسلة المذكرة الاستراتيجية، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة المأسدة، ٢٠١١.
٨٦. عبد الله قصير: حركة التجديد والاستنهاض - قراءة في الفكر السياسي للإمام الخميني -، ط ٢، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦.
٨٧. عثمان بن عبد الرحمن التميمي: إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، ٢٠٠٨.
٨٨. علي الخضير: الحقائق في التوحيد، تقديم حمود بن عقلاء الشعبي، لا طبعة، لا مدينة، دار الحكمة، لا سنة.

٨٩. علي بن محمد البصري الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد البغدادي، ط ١، الكويت، مكتبة دار ابن قتيبة، ١٩٨٩.
٩٠. علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، ط ٢، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٧.
٩١. علي يوسف: الإسلام وتهمة الإرهاب، ط ١، بيروت، دار المعارف الحكيمة، ٢٠١٥.
٩٢. عمر عبد الحكيم: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، صدر في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٤ ووزع على شبكة الانترنت في ٢٠٠٥.
٩٣. عمر عبد الكريم (أبو مصعب السوري): دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، لا طبعة، لا مكان، لا دار نشر، ٢٠٠٤.
٩٤. فؤاد ابراهيم: [داعش] - من النجدي إلى البغدادي -، ط ١، بيروت، مركز أوال للدراسات والتوثيق، ٢٠١٥.
٩٥. فؤاد حسين: الزرقاوي.. الجيل الثاني للقاعدة، ط ١، بيروت، دار الخيال، ٢٠٠٥.
٩٦. فاطمة الزهراء عبد الفتاح: المدونات الإلكترونية والمشاركة السياسية، لا طبعة، القاهرة، دار العالم الثالث، ٢٠١٢.
٩٧. فالح عبد الجبار: دولة الخلافة - التقدم إلى الماضي -، لا طبعة، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٧.
٩٨. فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠.
٩٩. فرنسيس بال: الميديا، تعريب فؤاد شاهين، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨.

١٠٠. فنسنت الغريب: دولة الخلافة الإسلامية -التنظير السلفي الجهادي-، ط ١، بيروت، دار الولا، ٢٠١٦.
١٠١. فواز جرجس: [داعش] إلى أين؟، تعريب محمد شيا، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦.
١٠٢. فيليب برو: علم الاجتماع السياسي، تعريب محمد عرب صاصيلا، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
١٠٣. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، لا طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.
١٠٤. القرطبي: تفسير الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٥.
١٠٥. كارل ماركس: بصدد الدولة، لا طبعة، موسكو، دار التقدم، ١٩٨٥.
١٠٦. كميل الطويل: القاعدة وأخواتها - قصة الجهاديين العرب-، ط ١، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٧.
١٠٧. ليساكا، خافير: أسلحة الإغواء الشاملة، لا طبعة، إسبانيا، دار أثالايا، ٢٠١٧.
١٠٨. ماجد راغب الحلو: الدولة في ميزان الشريعة، لا طبعة، الاسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤.
١٠٩. محسن الأمين العملي: كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب، ط ٢، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٠.
١١٠. محسن صالح: الفلسفة الاجتماعية وأصل السياسة، ط ١، بيروت، دار الحدائ، ٢٠٠٨.

١١١. محمد ابراهيم نجاد: داعش: دراسة نقدية، الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، لا دار نشر، ٢٠١٦.
١١٢. محمد ابو رمان: السلفية في المشرق العربي، لا طبعة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣.
١١٣. محمد أبو رمان: السلفيون والربيع العربي، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤.
١١٤. محمد أسعد طلس: تاريخ العرب، ط ٣، بيروت، دار الأندلس، ١٩٧٩.
١١٥. محمد القاسمي: مبادئ القانون الدولي العام، ط ١، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠١٥.
١١٦. محمد الكثيري: السلفية بين أهل السنة والإمامية، ط ٢، بيروت، مركز الغدير للدراسات والنشر، ٢٠٠٤.
١١٧. محمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ط ٢، الكويت، لا دار نشر، ٢٠٠٨.
١١٨. محمد بن أحمد الأزهرى: معجم تهذيب اللغة، لا طبعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١.
١١٩. محمد بن أحمد بن عبد الهادي: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، لا طبعة، لا مكان، دار الكتاب العربي، لا سنة.
١٢٠. محمد بن الحسين الآجري: الشريعة، تحقيق عبدالله الديمجي، ط ٢، الرياض، دار الوطن، ١٩٩٧.

١٢١. محمد بن الحسين البغدادي (أبو يعلى الفراء): الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، ط ٣، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٨٧.
١٢٢. محمد بن عبد الوهاب: كشف الشبهات، ط ٣، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، ١٩٩٩.
١٢٣. محمد حسن الدخيل: علم الاجتماع السياسي، ط ١، بيروت، مكتبة السنهوري، ٢٠١٧.
١٢٤. محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ط ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٣.
١٢٥. محمد سعيد العشماوي: الخلافة الإسلامية، ط ٢، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٢.
١٢٦. محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي - نقد العقل العربي ٣-، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.
١٢٧. محمد عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، لا طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.
١٢٨. محمد عبده: شرح نهج البلاغة للإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، ط ١، بيروت، دار البلاغة، ٢٠١١.
١٢٩. محمد علوش: [داعش] وأخواتها (من القاعدة إلى الدولة الإسلامية)، ط ١، بيروت، رياض الريس للكتب وللنشر، ٢٠١٥.
١٣٠. محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي، ط ٢، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٧.

١٣١. محمد عوض الخطيب: الوهابية - فكراً وممارسة-، ط ٣، بيروت، مركز الغدير للدراسات والنشر، ٢٠١١.
١٣٢. محمد كاظم مكي: النظم الإسلامية في إدارة الدولة وسياسة المجتمع، ط ١، بيروت، دار الزهراء، ١٩٩١.
١٣٣. محمد كامل ليلة: النظم السياسية، لا طبعة، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٩.
١٣٤. محمد مهدي شمس الدين: في الاجتماع السياسي الإسلامي، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٢.
١٣٥. محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط ١، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٢.
١٣٦. محمود حلمي: نظام الحكم في الإسلام مقارنة بالنظم المعاصرة، لا طبعة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٣.
١٣٧. محي الدين قاسم: التقسيم الإسلامي للمعمورة، لا طبعة، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦.
١٣٨. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ط ١، القاهرة، مطبعة البابي والحلبي، ١٩٦٠.
١٣٩. مصطفى محمود: الإسلام السياسي والمعركة القادمة، ط ١، القاهرة، دار أخبار اليوم، لا سنة.
١٤٠. منيرة السويحلي: القانون الطبيعي وعلاقته بالتشريع السياسي، ط ١، طرابلس (ليبيا)، منشورات اللجنة الشعبية العامة، ٢٠٠٦.

١٤١. مهدي الموسوي: تفكيك التكفير، تعريب محمد علي أيوب، ط١، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٨.
١٤٢. مهدي علي زادة: السلفية والوهابية - المباني العقدية-، ط٧، قم، مكتب التبليغ الإسلامي، ١٩٧٣.
١٤٣. ناصيف جاسم حمدان: [داعش] و حرب العقول، لا طبعة، بغداد، دار الكتب العلمية، ٢٠١٦.
١٤٤. نبيل نعيم: معركة داعش: الإرهاب المقدس، لا طبعة، القاهرة، دار مصر المحروسة، ٢٠١٥.
١٤٥. نجم الدين الطسبي: السلفية والسلفيون، ط٤، بيروت، دار المصطفى العالمية، ٢٠١٠.
١٤٦. نسيب محمد حطيط: السلفية التكفيرية، الجذور والمنهج، ط١، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠١٤.
١٤٧. النووي: روضة الطالبين، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، بيروت- عمان، المكتب الإسلامي، لا سنة.
١٤٨. هادي قبيسي، التحكم غير المباشر، ط١، بيروت، دار المودة، ٢٠١٨.
١٤٩. هشام الهاشمي: عالم [داعش]، ط١، لندن، دار الحكمة، ٢٠١٥.
١٥٠. هلا أمون: رحلة العنف المقدس من الوهابية إلى الدولة الإسلامية، ط١، بيروت، شركة الشرق الأوسط لتوزيع المطبوعات، ٢٠١٤.
١٥١. يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف): كتاب الخراج، لا طبعة، بغداد-بيروت، منشورات الجمل، ٢٠٠٧.

أبحاث منشورة

١. أشرف عبد الحميد: دراسة حول وسائل اعلام [داعش]، لا طبعة، القاهرة، موقع العربية، ٢٠١٦.
٢. أكرم حجازي: دراسات في السلفية الجهادية، الدورة التاريخية (٤)، موقع المراقب-العراق بين [البغدادى] الأول والبغدادى الثانى.
٣. آن سبيخارد، وأحمد س. يايلا: دراسة بعنوان أمني داعشي: أصول جهاز الاستخبارات في [داعش] وعمله الداخلى، ترجمة: ايمان سويد، لا طبعة، بيروت التمدن للدراسات، ٢٠١٧.
٤. ايمان أبو خليل: بحث بعنوان الإعلام الجديد ووسائل الاتصال الحديثة. قُدِّم لمؤتمر الجنوب الثانى (الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة) الجامعة اللبنانية - الفرع الخامس - ٢٠١٤ م.
٥. برايان فيشمان: اختلال الوظيفة والانحدار -الدروس المستفادة من داخل شبكة القاعدة في العراق-، مركز دراسات الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت، آذار/مارس ٢٠٠٩.
٦. تشارلز ليستر: تحديد معالم الدولة الإسلامية، مركز بروكنجز، الدوحة ٢٠١٤.
٧. توماس هيجهامر، وبيتر نيسر: تقييم التزام الدولة الإسلامية بمهاجمة الغرب، تعريب إيمان سويد، مجموعة التمدن للابحاث، ٢٠١٧.
٨. حسن أبو هنية، ومحمد أبو رمان: تنظيم «الدولة الإسلامية» الأزمة السنيّة والصراع على الجهادية العالمية، فريدرش ايبرت، ٢٠١٥، عمّان.

٩. حسن حسن ومايكل وايس: بحث بعنوان [داعش] من داخل جيش الرعب، نشره مركز كارنيغي للشرق الأوسط، ٢٠١٥.
١٠. حسن سعد عبد الحميد: ثقافة تنظيم [داعش] والتربية على القتل، موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، كلية ٢٧/٦/٢٠١٧.
١١. حسن نيازي الصيفي: بحث بعنوان استخدام [داعش] للإعلام الاجتماعي، منشور على موقع: (Arab media and society).
١٢. حسن نيازي الصيفي: بحث في استخدام [داعش] للإعلام الاجتماعي، بحث قُدِّم لجامعة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية، ومنشور على موقع: (Arab media and society).
١٣. شريف درويش اللبّان: قراءة في استراتيجية [داعش] الإعلامية والثقافية، منشور على موقع: Issue21 Arab Media Society, 2016.
١٤. صهيب القلاحي: دراسة حول المؤسسات الإعلامية عند [داعش]، موقع نون بوست - نشر في ٢٨/فبراير/٢٠١٥.
١٥. عاطف العقلة غضيبات: بحث بعنوان الدين والتغيير الاجتماعي - دراسة سوسيولوجية-، نُشر في كتاب الدين في المجتمع العربي، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.
١٦. عبد الباقي الهرماسي: بحث بعنوان علم الاجتماع الديني -المجال، المكاسب، التساؤلات-، نُشر في كتاب الدين في المجتمع العربي، ط ٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.

١٧. قراءة في التغيرات الفكرية للجماعات المتطرفة خلال ١٠ سنوات، نشر البحث على موقع السكينة بتاريخ ٢١-٠٥-٢٠١٣.
١٨. كوينتان فيكتورونيكس: الحركة السلفية: العنف وتفتت المجتمع، الفصل العاشر، من كتاب الشبهات الإسلامية، العبيكان، ترجمة محمد البجيرمي.
١٩. ماركو لومباري: تحت عنوان (الدعاية والإعلام) - أدوات غوغل في يد داعش - . ورقة نقاش في مؤتمر حول [داعش] في الأردن، عمان ٢٠١٤.
٢٠. مايكل وايس وحسن حسن: مجلة سياسات عربية قراءة في كتاب من داخل جيش الرعب، العدد ١٦ / أيلول ٢٠١٥.
٢١. محمد أبو رمان، الصراع على السلفية، قراءة في الايديولوجيا والخلافات وخرطة الانتشار.
٢٢. محمد باقر الصدر: كراس بعنوان دراسة في الدستور الإسلامي، ١٩٧٩.
٢٣. محمد علوش: ورقة مقدمة حول الإرهاب وداعش في مؤتمر اقامه المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بتاريخ ١١ و١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥ في بيروت، وصدرت أوراق المؤتمر في كتاب حمل عنوان جماعات العنف التكفيري، الجذور، والبنى، والعوامل المؤثرة، صدر في العام ٢٠١٦.
٢٤. مريانا الصبوري: بحث بعنوان دور شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية مشاركة الشباب الجامعي في القضايا المجتمعية، قُدّم لمؤتمر الجنوب الثاني (الإعلام ووسائل التواصل الحديثة) الجامعة اللبنانية: الفرع الخامس، ٢٠١٤.

٢٥. موقع السكينة، رؤية تحليلية لمراجعات الجماعات الجهادية، دراسة منشورة على الموقع بتاريخ ٨/ شباط/ ٢٠١٢.

٢٦. هاني نسيرة: السلفية الجهادية والقاعدة، المنطلقات الفكرية والمرجعيات الفقهية، الحركات الإسلامية في الوطن العربي.

٢٧. يحيى فرحات: بحث بعنوان التكفير عند جماعات العنف التكفيري - قراءة تاريخية وسوسيولوجية- نُشر في كتاب جماعات العنف التكفيري - الجذور والبنى والعوامل المؤثرة-، ط ١، بيروت مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٦.

الرسائل والأطروحات الجامعية

٥٨٧

عالية أحمد صالح ضيف الله: أحكام جهاد المرأة في الشريعة الإسلامية وصوره المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية ٢٠٠٤.

الندوات والمحاضرات والكلمات

١. محمد طي: محاضرة بعنوان الشرعية والمشروعية في القانون، أقيمت في بيروت في معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، بتاريخ ١٧ شباط ٢٠١٦.

٢. علي الضاوي: محاضرة حول الشرعية والمشروعية، القاهرة ٨/ آب/ ٢٠١٢م.

٣. علي الخامنئي: كلمة في المؤتمر العالمي لمواجهة التكفير، نقلاً عن الموقع: www.leader.ir

المقابلات

مقابلة مع الإعلامي المصري عاصم بكري، القاهرة بتاريخ ٢٠١٢/١٢/١١.

المنشورات

١. بيان إلغاء سرية الخنساء الإعلامية، ودمجها مع سرية حفيدات عائشة، مؤسسة البتار

الإعلامية، ٦ سبتمبر ٢٠١٥، على الرابط: <https://justpaste.it/njss>

٢. التشكيلة الوزارية الأولى لدولة العراق الإسلامية، ١٩ إبريل ٢٠٠٧، الكتاب الجامع

لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

٣. تقرير لجنة ١١ سبتمبر، الكونغرس، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٤.

٤. حصاد البيان، بغداد، مركز البيان للدراسات والتخطيط، آب ٢٠١٥.

٥. خطة استراتيجية لتعزيز الموقف السياسي لدولة العراق الإسلامية، على الرابط:

www.hanein.info

٦. ميسرة الغريب: مذكرات من سلسلة من خفايا التاريخ - تجربته مع أبي مصعب

[الزرقاوي] (كما عرفه-)، إصدار شبكة الفلوجة الإسلامية.

٧. داعش، رؤية صهيونية، مركز باحث للدراسات، بيروت، ط ٢، ٢٠١٦.

٨. الدولة الإسلامية في العراق والشام، وثيقة المدينة، ولاية نينوى، ١٤ شعبان

١٤٣٥ هـ، العدد ٣٤ على الرابط: <http://justpaste.it/Nenwa>

٩. سؤال وجواب في السبي والرقاب، الدولة الإسلامية، لا طبعة، لا مكان مكتبة الهمة، محرم ٢٠١٥.
١٠. كتاب الأدب العربي - الأول الشرعي - الفصل الدراسي الأول - طبعة ابتدائية ١٤٣٧ هـ - صادر عن ديوان التعليم.
١١. الكتاب الجامع لكلمات قادة دولة العراق الإسلامية، ط ١، لا مكان، نخبة الإعلام الجهادي - قسم التوثيق، ٢٠١٠ م.
١٢. مذكرات أميركية عن أفغانستان (من برجسكي إلى الرئيس كارتر) ٢٦-١٢-١٩٧٩.

تقارير

١. أبو قتادة الفلسطيني، لقاء غرفة الفجر الإسلامية في برنامج البالتوك، مؤسسة التحايا، ١ / ٦ / ٢٠١٥: <http://doramouba3tara.blogspot.com/2015/6/30html>
٢. أبو محمد المقدسي: مشروع الشرق الاوسط الكبير، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: http://elibrary.media.edu.m.y/books/Mal_11744pdf.2004
٣. أبو محمد المقدسي، مشروع الشرق الاوسط الكبير، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط المذكور سابقاً للمنبر: <http://doramouba3tara.blogspot.com/2015/6/30html>
٤. انتوني كوردسمان: النتائج الحقيقية من الحرب على العراق: المنافسة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران، تقرير صادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأميركي CSI، ترجمة دار بابل للدراسات والإعلام.

٥. انظر: منظمة الشفافية الدولية، مؤشر مدركات الفساد ٢٠١١، على الرابط: www.

cpi.transparency.org

٦. إيرين سالتمان: تجنيد الإرهابيين، موقع سكاي نيوز عربية، ٢٠١٨ / ١٢ / ١٠.

٧. تشارلز ليستر، المقاتلون الأجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟، معهد

بروكنجز، الدوحة، ٢٠١٥، على الرابط: http://www.brookings.edu/

٨. تقرير مجموعة الازمات الدولية العراق: الصفقة الخاسرة في الفلوجة، ٢٨ نيسان

٢٠١٤م، تقرير مجموعة الازمات رقم ١٥٠.

٩. توبي دودج: الدولة والمجتمع في العراق بعد عشر سنوات من تغيير النظام: صعود

السلطوية من جديد، تعريب شادي عبدالوهاب.

١٠. الجاسوسة «إفيرا كارايففا» والمصير المحتوم، عيون الأُمَّة، ٤ / ٦ / ٢٠١٦، على

الرابط: https://justpaste.it/uycx

١١. داعش يعدم جاسوسة روسية في القوقاز، صحيفة الوفد المصرية، ١١ / ٥ / ٢٠١٦.

١٢. داعش.. أي دور للنساء؟ (أم سياف) تفضح التنظيم، موقع راديو سوا،

٦ / ٦ / ٢٠١٥، على الرابط: http://www.radiosawa.com/a/isis-women-

rule-/274663.html

١٣. الدكتور أكرم حجازي، الدورة التاريخية: العراق ما بين [البغدادى] الأول

والبغدادى الثاني (٤)، على الرابط: www.almoraqeb.net

١٤. الرصد، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ملحق رقم ٤، آب ٢٠١٤،

بيروت.

١٥. العراق بعد الحشد العسكري - المشهد السنّي الجديد-، تقرير الشرق الأوسط

رقم ٧٤، الصادر عن مجموعة الأزمات الدولية بتاريخ ٣٠ نيسان ٢٠٠٨.

١٦. المرأة في الدولة الإسلامية: رسالة وتقرير، سرية الخنساء الإعلامية، ١٦ فبراير

٢٠١٦، على الرابط: https://justpaste.it/almarah_resalh

١٧. مواقف شرعية من دولة الخلافة، موقع منبر التوحيد والجهاد www.tawehed.ws

١٨. ميادة داود: أجيال الانتحاريات في العراق: بين رباعية الموت والإخلاص لأمرء

غرباء، تحقيق شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريغ)، ١٥ حزيران ٢٠١٢،

على الرابط: <http://www.nirij.org/?p=625>

١٩. ميلاد الجبوري، أجيال الموت: انتحاريات تحت ظلال قتلة غرباء، شبكة أريج، على

الرابط: <http://arij.net/report>

٢٠. النساء يمثلن نحو ٣٠٪ من المقاتلين الإرهابيين الأجانب، تقرير دولي، مركز أنباء

الأمم المتحدة، ٢٦ فبراير ٢٠١٦، على الرابط: www.un.org/arabic/news/story.

NewsID=25629.WFsSu1N97IU&asp

٢١. النصر الحية للدولة الإسلامية، ورشة جنود الإعلام لنصرة الإسلام، ٢٦ مايو

٢٠١٤، على الرابط: <https://justpaste.it/fm65>

٢٢. هشام الهاشمي، جريدة المدى، العدد (٣٣٠٨)، ٣/٩/٢٠١٥ (تقرير حول

الهيئات الشرعية في داعش).

٢٣. يوسف العييري، هل انتحرت حواء أم استشهدت، منبر التوحيد والجهاد، على

الرابط: <http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS13005.html>

المقالات

١. ابو محمد عاصم المقدسي: الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية، موقع منبر التوحيد والجهاد <http://www.tawhed.ws>
٢. أحلام النصر: سلاح الخلافة الإسلامية الاستراتيجي، مؤسسة البتار الإعلامية، ١٣ أغسطس ٢٠١٥، على الرابط: <https://justpaste.it/mzsm>
٣. أحمد إبراهيم: هاجر وكتيبة الخنساء، موقع الجمهورية، ٧ يوليو ٢٠١٥، على الرابط: <http://aljumhuriya.net/33606>
٤. أحمد عبد المجيد: مقالة بعنوان الأساليب الإقناعية لتنظيم [داعش] في تجنيد الأفراد (مقاربة علمية)، مجلة الباحث الإعلامي، الصادرة عن كلية الإعلام بجامعة بغداد العدد ٣١، السنة ٢٠١٦.
٥. أم سمية المهاجرة: أسبابا أم بغايا، مجلة دابق العدد التاسع، ٢٠١٥.
٦. أم سمية المهاجرة: جهاد لا قتال فيه، مجلة دابق، العدد الحادي عشر، ٢٠١٥.
٧. أم سمية المهاجرة: شقائق المهاجرين، مجلة دابق العدد الثامن، ٢٠١٥.
٨. أم سمية المهاجرة: لاهنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ، مجلة دابق العدد العاشر، ٢٠١٥.
٩. أيمن جواد التميمي، أرشيف قصص المجاهدين: المرأة في الدولة الإسلامية، ١٧ أكتوبر ٢٠١٦، على الرابط: <http://www.aymennjawad.org/19291/the-archivist-stories-of-the-mujahideen-women>
١٠. إرهاب القحطانية: أحيو سنة الرباط، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.

١١. أسد المعارك الأثري: الهجرة وأحكامها، ط ٢، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.
١٢. أم أسيد الغريبة: أيفك الأسير أسيراً، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.
١٣. أم السمح القرشية: يريدون الرقة ونريد روما، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
١٤. أم عمارة الوزيرة: خواطر على طريق النفي والشهادة، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
١٥. أم عمارة الوزيرة: هل أتاك نبأ آل سعود؟، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
١٦. أم مارية العراقية: الحق الماحق لجنود الصليبيين في دابق، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
١٧. أم مارية العراقية: إنذار المتجسسين على دولة الحق والدين، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
١٨. أم مارية العراقية، اقتل الكفار المرتدين واشف صدور المؤمنين، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
١٩. أم نسيبة ندى الخلافة: أسيرات الكنانة: صرخات مصريات في سجون الطواغيت، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.
٢٠. جاسم محمد: الدولة الإسلامية، وسائل وأساليب التجنيد، صحيفة الرأي العام ٢٠١٤/١١/١٧.
٢١. حذيفة عزام، أسرار اكتشفها لأول مرة، أخبارك أون لاين: www.Akhbarakonline.com

٢٢. خدر خلات، مقالة في صحيفة الصباح الجديدة، بغداد، ١٠/٤/٢٠١٦.
٢٣. رنيم حنوش: مقال إلكتروني بعنوان الخلافة الافتراضية، موقع الشرق الأوسط، لندن ٢٤/٨/٢٠١٥.
٢٤. طلال عتريسي: دولة [داعش] وفشل استعادة [الإسلام السني]، مجلة شؤون عربية، عدد ١٥٩، ٢٠١٤.
٢٥. عبيدة الدليمي: تنظيم الدولة يوظف النساء في المؤسسات العامة بالعراق، موقع عربي ٢١، ٢٧ أغسطس، ٢٠١٥، على الرابط: <https://goo.gl/fDmjhR>.
٢٦. عز الدين فودة: فكرة السيادة في الدولة الإسلامية: نظرة على الفقهاء الحنفي والشافعي، مجلة مصر المعاصرة، الجمعية المصرية للإقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، عدد يوليو ١٩٧٠.
٢٧. علوي عبد القادر السقاف: رؤية شرعية وواقعية في الخلافة الإسلامية، موقع طريق الإسلام www.ar.Islamway.net
٢٨. عمر عاشور: القاعدة في العراق: القضاء على القادة لن يقطع بالضرورة سرايين الحياة، على الرابط: www.carnegieendowment.org
٢٩. الفرار من الجحيم: التعذيب والعبودية الجنسية في الأسر لدى الدولة الإسلامية في العراق، منظمة العفو الدولية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
٣٠. الفضل شلق: مقالة بعنوان الجماعة والدولة، جدليات السلطة والأمة في المجال العربي الإسلامي، نُشرت في فصلية الاجتهاد، العدد ٣، ربيع ١٩٨٩.
٣١. لمع الأسنة العدنانية: موالاة الكافرين تنقض أصل الدين، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة أشهاد الإعلامية، ٢٠١٦.

٣٢. ماوية العدنانية: السياحة الحقيقية في تركيا، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٧.
٣٣. محمد صلاح: مقال بعنوان وقائع سنوات الجهاد، صحيفة الحياة، ١٨/١٠/٢٠٠١.
٣٤. محمود عيسى: [داعش] يتحول إلى اللامركزية، مقال في صحيفة الوطن القطرية، بتاريخ ٠٤، ٠٣، ٢٠١٢.
٣٥. نسيبة ندى الخلافة: القول المبين في أسباب بيع الجسر والجزيرتين، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٦.
٣٦. نسيبة ندى الخلافة: المرأة الإسلامية بين جحيم العلمانية ونعيم الدولة الإسلامية، لا طبعة، لا مكان، مؤسسة الوفاء، ٢٠١٥.
٣٧. هادي قبسي: أزمة الهوية السلفية القتالية، نُشرت في صحيفة الأخبار اللبنانية، بتاريخ ٠٧/٠٢/٢٠١٧.
٣٨. هنري كيسنجر: مقالة بعنوان السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، نُشرت في صحيفة الهيرالد تريبيون البريطانية، تاريخ ٠٤/٠٤/٢٠١٢.

الحوارات الإعلامية

١. أبو هنية، حسن: خبير في شؤون الجماعات الإسلامية، من مقابلة له مع موقع (العربي ٢١) منشور على الانترنت، في ٢٧/٩/٢٠١٥.
٢. أسامة حسن، مقابلة أجراها معه تشارلز ليستر بتاريخ ٢٧/٨/٢٠١٤ ووردت في دراسة (تحديد معالم الدولة الإسلامية) عن مركز بروكنجز، الدوحة في كانون الأول ٢٠١٤.

٣. مروان شحادة: السلفية وداعش - دراسة ماجستير حول تحولات الخطاب السلفي -، قناة الميادين، برنامج أل م، تاريخ ١١/٠٩/٢٠١٤.

الدوريات والصحف

١. دورية المرصد: تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد ٩، ٢٠١٤.
٢. مجلة دابق: تصدر عن ديوان الإعلام في دولة الخلافة الإسلامية (الأعداد ٤ و ٩).
٣. صحيفة النبأ: تصدر عن ديوان الإعلام في دولة الخلافة الإسلامية (الأعداد ١ و ٢ و ٤ و ٦ و ٧ و ١٣ و ١٤ و ١٧ و ١٨ و ٣٥ و ٧٧).
٤. صحيفة الاتحاد: صدرت في بيروت، العدد الرابع، بتاريخ ٢٦/١٠/٢٠١٧.
٥. صحيفة الديار: تاريخ ٠٢/١١/٢٠١٥.
٦. جريدة الحياة: بتاريخ ٢٥/١١/٢٠١٥.
٧. صحيفة الإمارات: تاريخ ٠٦/١٢/٢٠١٥.
٨. صحيفة رأي اليوم: تاريخ ٢١/١/٢٠١٦.
٩. صحيفة Liberation الفرنسية: تاريخ ٢٩/١/٢٠١٦.

الكتب الأجنبية

1. Eli Berman: Radical Religious and Violent: The New Economics of Terrorism Cambridge Mass.: MIT Press 2009.
2. E-Rabbath: Mahomet publications of Lebanese University Beyrouth 1981.
3. Francis Fukuyama: The Origins of political order prehuman times to the French Revolution Farrar strans Giroux Newyork 2011.
4. Laux Douglas: Left of the Boom St. Martin's Press 2016.
5. M.Lombard: l' Islam dans sa premiere grandeur Flamarion editeur, Paris 1971.
6. Michael Weiss and Hassan Hassan: ISIS- Inside the Army of Terror- New York Regam Arts 2015.
7. Spekkhard and A.S. Yayla: ISIS defectors: Inside stories of the terrorist Caliphate Mclean VA: Advaces Press LLC 2016.
8. Storm Morton and Agent Storm: My life inside Al Qaeda and the CIA, Atlantic Monthly Press 2014.
9. WeberMax (Gerth and Mills edite): Essays in sinology Oxford university press 1958.

تقارير أجنبية

1. «Islamic State: Al Furqan Media Releases New Audio and Transcript Allegedly of Baghdadi" www.activist1wordpress.com - 2015/05/14.
2. AmitR.Paley.»Shift Tactics Aims to Revive Struggling Insurgency". Washinton post 8/2/2008.
3. Center for Reseaech on Socail Orgnization,workink paper No.256,University of Michigan,1982.
4. Chulov.»ISIs: the Inside story".
5. Combating Terrorism Center at West point: Self-inflicted wounds: Debates and Divisions between Al Qaeda and its Periphery.
6. Combating Terrorism Center at West point: Self-inflicted wounds: Debates and Divisions between Al Qaeda and its Periphery.
7. David Petraeus: Counter insurgency: FM 3 - 24 / Department of the Army / December 2006.
8. High Value targeting operation WikiLeaks in December 18 2014.
9. Hillary Clinton: Hard Choices London 2014.
10. Iraq al- Qaeda leaders «Killed" BBC News,19-April-2010.
11. Khalid Al Ansary"Irajis Say Qaeda Deaths Will Improve their lives" Reuters 20-April-2010.
12. Mark Wilbanks and Efraim Karsh «How the Sons of Iraq" Stabilized Iraq.» Middle East Quarterlyvol.17,no.4(Fall 2010).
13. Medyam Daieieh.»My Journey inside the Islamic state",Vice News,1 July 2015.

14. Mohamad M.Mortada,»The Mysterious link between the us Miliary Prison Camp Bucca and ISIS leaders" Al-Akhbar 13-9-2014.
15. Nafeez Ahmed: The circus: How British intelligence primed both sides of the «terror war",Friday 27 Feb 2015 Middle East Eye.
16. Ron Susskind: The way of the world,Harper Collins,2009.
17. Self-inflicted wounds: Debates and Divisions between Al Qaeda and its Periphery,Combating Terrorism Center at West point.
18. Seymour M. Hersh: The Redirection Annals of National Security,March 5,2007.
19. Steve Coll: Ghost wars - The Secret history of CIA,Afghanistan and Bin Laden,from the Soviet invasion to September 10,2001.
20. Steven Chovance: Please don't attack Al - Qaeda,Foregin Policy,March 4,2016.
21. The New York Times,Many say us planned for terror but failed to take action,30-12-2001.

المواقع الإلكترونية

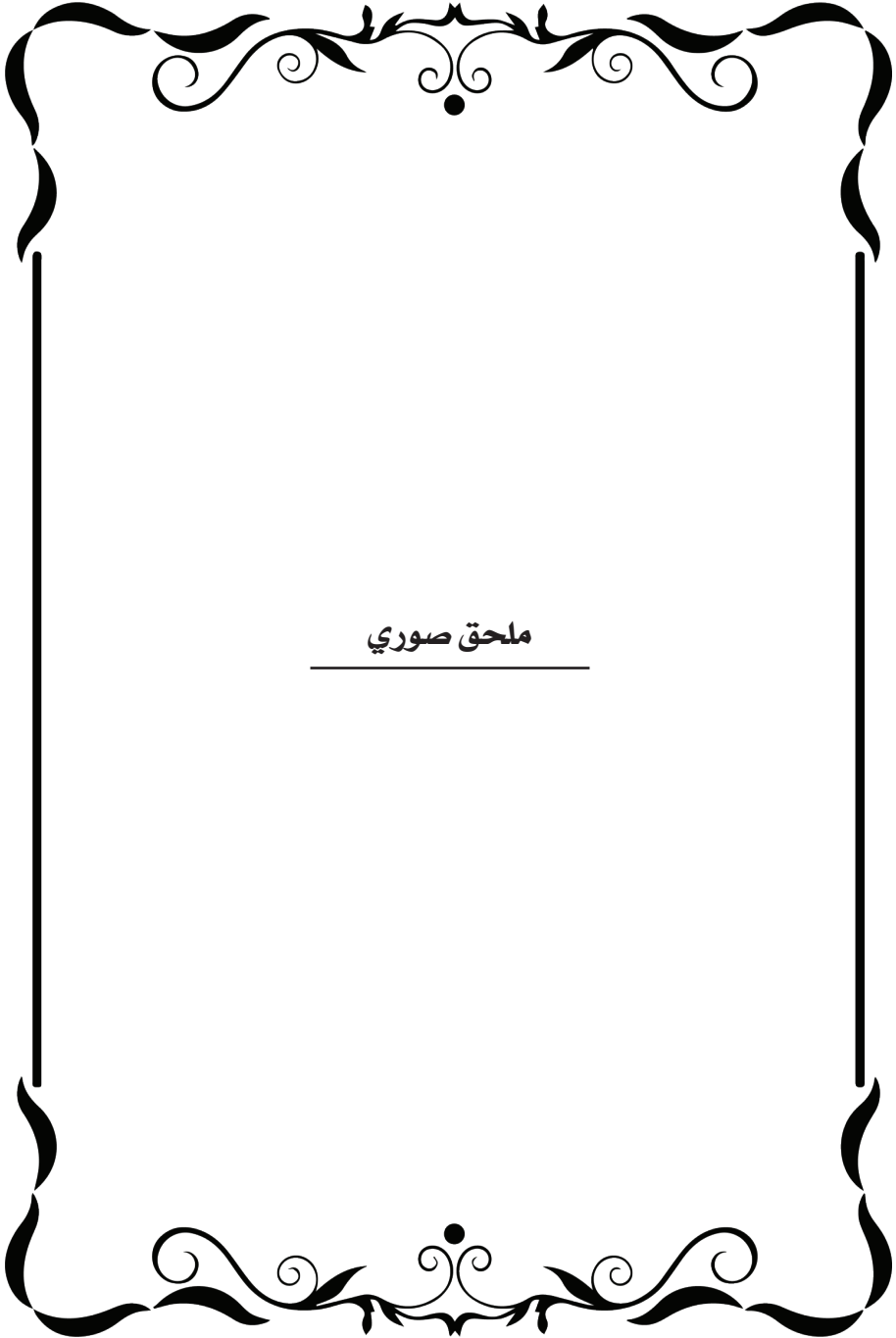
1. www.alarabiya.net
2. www.jazirah.com
3. www.sasapost.com.
4. www. baghdadcenter. net
5. www.akssier.com
6. www.al-aakhbar.com

7. www.alalam.ir.news
8. www.alfurqam-islamiststate.com
9. www.algazeera.net
10. www.aljazeera.com
11. www.almadapaper.net
12. www.al-mashareq.com
13. www.almodawana.com
14. www.almodom.com
15. www.alrassif22.com
16. www.alsumaria.tv
17. www.alwatan.com
18. www.ammonnews.net
19. www.ansarkhelafa.weebly.com
20. www.archive.org
21. www.awsatnews.net
22. www.bab-ul-islam.net
23. www.bbc.co.uk
24. www.bbc.com
25. www.bigstory.ap.org
26. www.carnegieendowment.org
27. www.daawla.tumblr.com
28. www.darbabl.net

29. www.dd-sunnah.net
30. www.english.alarabiya.net
31. www.goo.gl
32. www.goodreads.com
33. www.hanein.info
34. www.hudson.org
35. www.ilmway.com
36. www.iswiraq.blogspot.com
37. www.jihadology.net
38. www.joshualandis.com
39. www.justpaste.it
40. www.kataeb.org
41. www.kitabat.com
42. www.lhurra.com
43. www.m.washingtonpost.com
44. www.mbc.com
45. www.mcclatchydc.com
46. www.mideastafrica.foreignpolicy.com
47. www.muslim.org
48. www.niqash.org
49. www.nokbah.com
50. www.nytimes.com

51. www.raseef22.com
52. www.reseef22.com
53. www.reuters.com:
54. www.sasapost.com
55. www.spieyel.de
56. www.studies.alarabiya.net
57. www.syriadirect.org
58. www.telegraph.co.uk
59. www.telegraph.co.uk
60. www.theatlantic.com
61. www.theguardian.com
62. www.thehipp.com
63. www.washingtoninstitute.org.
64. www.ynewsig.com
65. www.ynewsiq.com
66. www.youtube.com
67. www.youtube.com

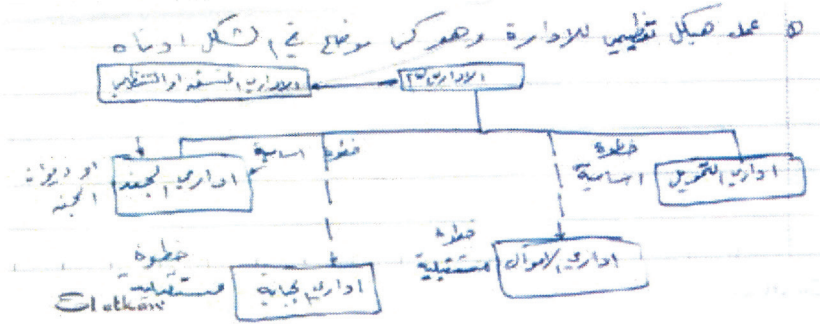
٦٨. شبكة البراق الإسلامية.
٦٩. عنب بلدي (موقع سوري معارض) ١٠/٩/٢٠١٥.
٧٠. موقع القبس الإلكتروني.
٧١. موقع عربي ٢١.
٧٢. وكالة UPA الاخبارية العالمية.



ملحق صوري

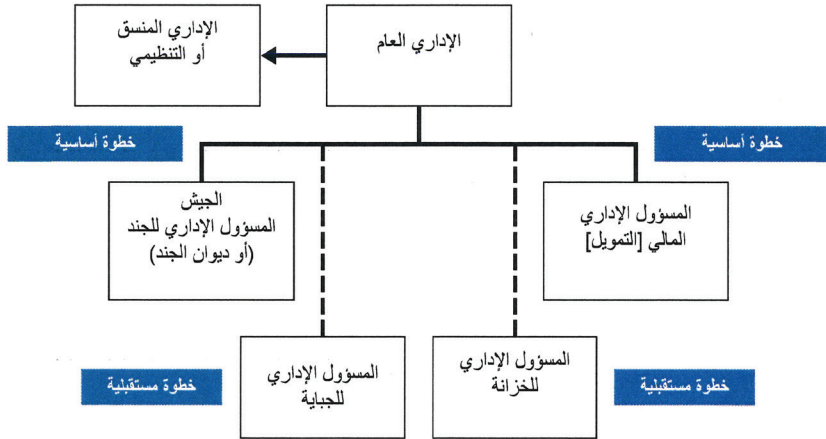
ملحق رقم (١)
هيكليات إدارية وتنظيمية

إعادة التنظيم المقترح للإدارة المالية، خريف 2008



عمل هيكل تنظيمي للإدارة وهو كما موضح في الشكل ادناه

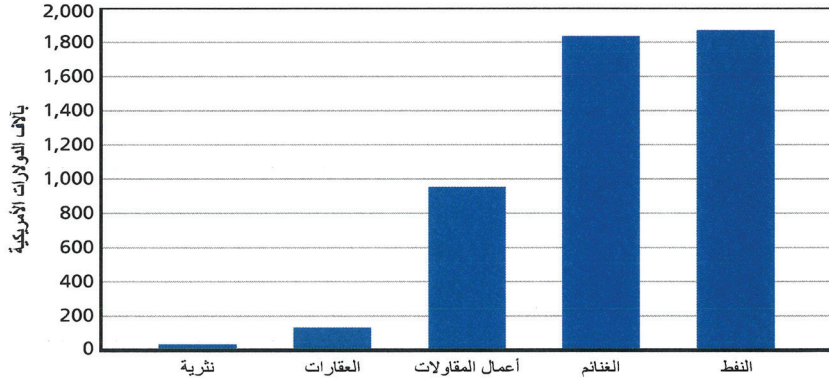
٦٠٥



المصدر: "ISIL, Syria and Iraq: Resources," 2015
Harmony document NMEC-2009-636065; see

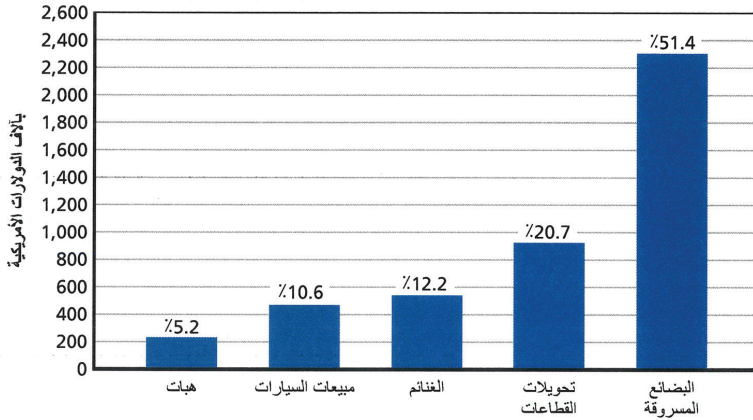
ملحق رقم (٢)
مؤشرات اقتصادية

مصادر الإيرادات في محافظة نينوى، من أواخر آب (أغسطس) 2008 حتى كانون الثاني (يناير) 2009



المصدر: "ISIL, Syria and Iraq Resources," 2015. Harmony document NMEC-2009-634823؛ انظر المرجع "ISIL, Syria and Iraq Resources," 2015.
RAND RR1192-8.5

مصادر الإيرادات في محافظة الأنبار، من حزيران (يونيو) 2005 حتى أيار (مايو) 2006



المصدر: Harmony batch Ala Daham Hanush; see "ISIL, Syria and Iraq Resources," 2015.
ملاحظات: هذه المبالغ جرت حتى أواخر أيار عندما تولّى المحافظة مسؤول إداري جديد. النسب المئوية لا تبلغ المائة بسبب التقريب.
RAND RR1192-8.1

ملحق رقم (٣)

نماذج من الأوراق الثبوتية والرسمية

httpwww.albawabhnews.com759707

دلائل القضاء والظلمة
المحكمة الشرعية في البعلبغ

رقم الدعوى: _____
عدد الصفحات: _____
رقم الصفحة: _____

إفادة: شهادة

في الساعة ٨:٠٠ من يوم، الجمعة الواقع في ١٤ / ١٧ / الموافق ٧ / ٢٠١٧
حضر أمامنا نحن: أ. بوعلي (القاضي / كاتب القاضي / المحقق)
في محكمة البعلبغ الشرعية بالبعلبغ وذلك بموجب مذكرة:
وصفته (الدمي / المدعي) / الشاهد / شاهد الحسنة / المشهود عليه شهادة حسنة.

الكنية/ الاسم الثلاثي	شهما يا عبد مفر	اسم الأم	جمالة ادحام
رقم الهوية	لا تحمل هوية	مصدرها	بعلبغ
العنوان التفصيلي	البيعا - حيا النور	الهاتف	-
العمل	منزل عبد مفر	التبعية	حنود الرواء لاسلامية
عنوان العمل	لعبا	الهاتف	-

نص الإفادة:
صاحب الشهادة كذا أنا أشهد أنه آفر هلته صلوا فيها كما وقع على المؤخر أيضا
مفرح وقال أنا لا أطلق ولا أعطي أي شيء ومفرح كذا فإذ أطلب
ثم مفرح وقال لا يجوز أن يحكم قدا له أنا لا أطلق ولا أعطي شيئا

التبليغ
سجل محكمة تبليغ/ البعا
الكاتب بالعدل

١. لا يلزم إثبات الدوام الإسلامي بأصناف المعلومات المذكورة بلون يافت
٢. كتاب في غدار العنصر الأول: التلقظ القريب أو ما يؤول إليها في لغت الأركان للبيان الحي الشارح (البناء) مع دمج علامات قرينة مثل: إسهاليت، صحت، حرسنا - الخ)
٣. يتم تسجيل الإفادة بعد التمام من صاحب الإفادة، على أن يتم طقوس السؤال الذي تم توجيهه، ويحصل الجواب بعده مباشرة، بشرط سألته عن - فإجابته -
٤. في حال عدم طقوس السؤال يتم تسجيل الإفادة، يلحق بها أوراق يبرهانه يتم توجيهها والتوقيع على التراخيص الميسرة المرفق لها من قبل المحقق ويضمم إليها صانبة الإفادة في التراخيص المرفقة
٥. يمنع تطالب أي طقوس في الإفادة ويكون الاستدراك عليها بكتابة ليل طقوس
٦. تسجيل أسماء المدعي والبرهان وشهود الإفادة في نهاية الإفادة، ويتم نقل أسماء أفراد هيئة علماءهم إلى خلاف الدعوى المرفقة، حيث يقوم كاتب بملء لونه دعوت الحضور اليوم للتطبيق أو التمثال أمام القاضي
٧. تختم الإفادة تامة بمجرد (ويعد تسجيل إفادته ثابت عليه فإذها وأبداها بمحضته)

الدولة الإسلامية

رسالة ترحيب

ولاية حلب

بيان الحدود

الحمد لله معز المؤمنين بلصرة ومذل الكافرين بقره الذي جعل الأمان دول بعده وجعل العقابية للمعتدين بفضله والصلاة والسلام على من أعلو منار الإسلام بسيفه

أما بعد :

قال المولى عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)

وقال سبحانه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

وقال سبحانه (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)

وقال سبحانه (إنكم حكم الله بينكم والله عليم حكيم)

أيها المسلمون ان المتأمل في هذه الآيات يجد فيها معاني عظيمة غابت عن أذهان كثير من الناس في هذا الزمان منها

- 1- نفي الإيمان عن من لم يتحاكم إلى الشريعة الإسلامية
- 2- وجوب التقيد والتسليم لأحكام الشريعة مع عدم وجود الحرج في الإنس
- 3- أن الذي لا يحكم بما أنزل الله كافر والعبودية بالله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم
- 4- أنه لا يوجد هناك حكم أحسن من حكم الله وأن جميع الأحكام الأخرى أحكام جاهلية
- 5- أن الله سبحانه وتعالى عندما حكم بين عباده حكم بينهم وهو العليم الحكيم فلا أعلم منه سبحانه ولا أحكم منه

لذلك فإن الدولة الإسلامية إيماناً بالله سبحانه وتعالى الذي نزل الكتاب ، وغفراً بالأمة المتحدة المحاربة لرب الأرباب ، وكفراً بالأحكام الذي وضعها المخلوقين من التراب ، تعاهد الله سبحانه وتعالى على أن تحكم بشريعته في أرضه بين عباده ولو كره الكافرون ، ونحب أن نبين للناس حدود الله سبحانه وتعالى إذاراً وإنذاراً

سب الله سبحانه وتعالى	سب الرسول صلى الله عليه وسلم
سب الدين	القتل حتى وإن تاب
الزنا	القتل
الزنا	الرجم بالحجارة حتى الموت للمحصن
الزنا	جلد ١٠٠ جلدة لغير المحصن وتعريب عام
الزنا	قتل الفاعل والمفعول به
السرقه	قطع اليد
شرب الخمر	الجلد ٨٠ جلدة
القذف	الجلد ٨٠ جلدة
التجسس لمصالح الكفار	القتل
الردة عن دين الإسلام	القتل
قطع الطريق	١- فمن قتل وأخذ مالا ، قتل وصلب ٢- ومن قتل : تحتم قتله ٣- ومن أخذ مالا قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى ٤- ومن أخاف الناس نفي من الأرض

واننا نخوف الناس بربهم وتدعوهم للخير بالبرحمة بالانزاع او امره واجتناب نواهيه فالخير كل الخير في ذلك ولا خير في المحكوم ان لم يتق الله في ربه ولا خير في الحاكم ان لم يحكم بشرع الله في عباده ، وان الدولة الإسلامية لن تنهار في هذه المقصد العظيم الذي قدمت لأجله مئات الشهداء من أبنائها البررة الأبطال ، بل أقامت شرع الله في جنودها ، ووصلت الأحكام إلى القتل في غير واحد منهم

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون))

الخلافة الإسلامية



جامل هذا الجواز
تفسير له الجيوش لو مسه ضرر

لا إله إلا الله
رسول الله
الدولة الإسلامية
في العراق والشام

ولاية حمص **الوالي**

الدولة الإسلامية في العراق والشام
إِذَارٌ أَخِيرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ
أل عمران

إلى اهالي الريف الشرقي في حمص العديّة:

بعد تمادي إرهابيي الحر والنصرة وجبهة ثوار سوريا وتحديداً عرب
التنعيم وصحوات النظام على مراكز وعناصر مجاهدي الدولة الإسلامية
في العراق والشام في ولاية حمص العديّة نعلن ما يلي:

- 1- إعتبار عرب التنعيم أعداء الله والدين وعملاء للنظام ووجب عليهم
الطاعة للوالي.
- 2- كل من يسانداهم في تعدياتهم المسافرة على دين الله وكتابه العزيز
وسنة نبيه محمد(ص) يعامل معاملة الملحدين والكافرين.
- 3- إعتبار قرى الوازعية وعيدون والغاصبية وعسيلة أهدافاً
لمجاهدي الدولة الإسلامية في العراق والشام لإقامة الدعوة وشرع الله.
- 4- ستبداء عملية تحرير القرى المذكورة من عرب التنعيم والقوى الداعمة
لهم حتى تحرير كامل الريف الشرقي منهم.

الوالي
أبو العاصم

الاحد 13 جمادى الثاني 1435 هـ 13 ابريل 2014

ديوان التعليم


وقل زب زدني علما

التاريخ الهجري: 1435 / /

رقم التعميم: 00001

الدولة الإسلامية

خلافة على منهاج النبوة



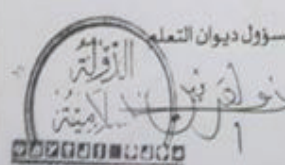
مديرية المناهج في الدولة الإسلامية

تعميم إلى مكافة المؤسسات التربوية والتعليمية

1. تلغى من المناهج الدراسية المواد التالية بشككل نهائي التربية الفنية الموسيقية - التربية الوطنية - دراسات اجتماعية - التاريخ - التربية الفنية التشكيلية - الرياضة - قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية - التربية الدينية الإسلامية - التربية الدينية المسيحية، على أن تضاف مواد تعويضية من مديرية المناهج في الدولة الإسلامية.
2. شطب جملة الجمهورية العربية السورية أينما وجدت واستبدالها بالدولة الإسلامية.
3. شطب جملة وزارة التربية واستبدالها بوزارة التعليم.
4. طمس جميع الصور التي لا توافق الشريعة الإسلامية.
5. حذف النشيد العربي السوري أينما وجد.
6. عدم تدريس مفهوم الوطنية والقومية وإنما الانتماء للإسلام وأمله والبراه من الشرك وأمله إن بلاد المسلم هي البلاد التي يحكمهم فيها شرع الله.
7. يسد المعلم نواح النقص بالنسبة لمادة قواعد اللغة العربية المترتبة على الحذف بأمثلته لا تتعارض مع الشريعة أو سياسة الدولة الإسلامية.
8. تستبدل كلمة الوطن أو وطنه أو سوريا أو وطني أينما وجدت بالدولة الإسلامية أو دولته الإسلامية أو بلاد المسلمين أو الدولة الإسلامية أو ولاية الشام ... الخ.
9. حذف أي مثال في مادة الرياضيات يدل على الريا أو الفوائد الربوية أو الديمقراطية أو الانتخاب.
10. حذف من مادة العلوم مكل شيء يتعلق بنظرية دارون أو رد الخلق للطبيعة أو الخلق من عدم ورد مكل الخلق لله سبحانه وتعالى.
11. يقوم المعلم بتنبيه الطلاب دائما إلى أن قوانين الفيزياء والكيمياء هي قوانين الله في الخلق.
12. يعتبر هذا التعميم ملزم ويستوجب على المخالف المعاسية.

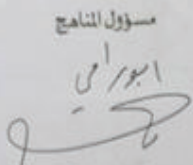
والله الموفق

مسؤول ديوان التعليم



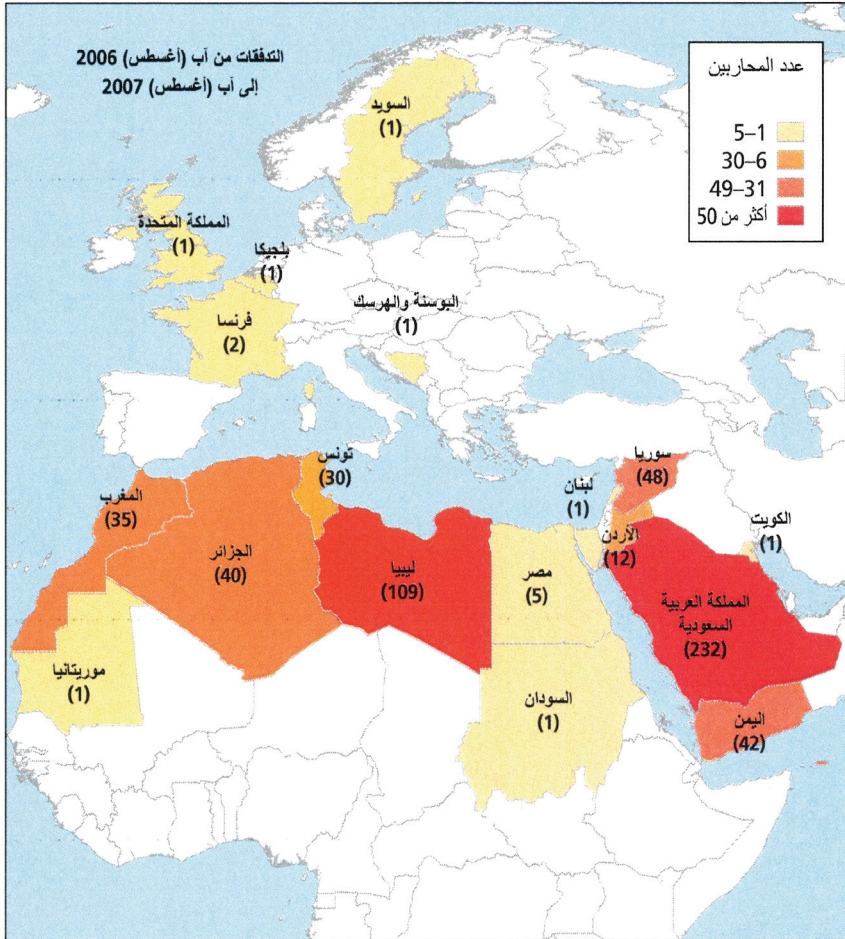
مسؤول ديوان التعليم

مسؤول المناهج



ملحق رقم (٤)
الخرائط الجغرافية

اللوحة ب: المحاربون الوافدون في عامي 2006 و2007 (وثائق سنجار)



المصادر: وثائق NMEC-2007-634059 و NMEC-2007-633795 Harmony (انظر "ISIL, Syria and Iraq Resources," 2015، Sinjar documents، كما أدرج في Felter and Fishman, 2007).

أرض دولة داعش التي بثها على الإنترنت لطموحه



خريطة تظهر المحافظات التي ادعى أنها بايعت [أبا بكر البغدادي] (الجزائر ليبيا اليمن السعودية).



أرض دولة داعش التي بثها على الإنترنت لطموحه

ملحق رقم (٥)

العملات النقدية

sudaneseonline.COM



٦١٥

داعش يعمم عملات معدنية في الرقة youm7.com



ملحق رقم (٦)
العروض والأعمال العسكرية والمجازر





عرض عسكري لـ [داعش] في الرقة assawsana.com



النساء في كتيبة الخنساء التابعة لداعش في الرقة وهن عناصر في شرطة الآداب



عناصر داعش تصفي آلافاً من العراقيين في [سبايكر]



صورة عن شريط الفيديو سيطرت فيه [داعش] على غنائم عسكرية

ملحق رقم (٧)

هدم المقامات الدينية والمتاحف وتدمير التماثيل القديمة في العراق



٦١٩



تدمير قبر النبي يونس في الموصل

ملحق رقم (٨)



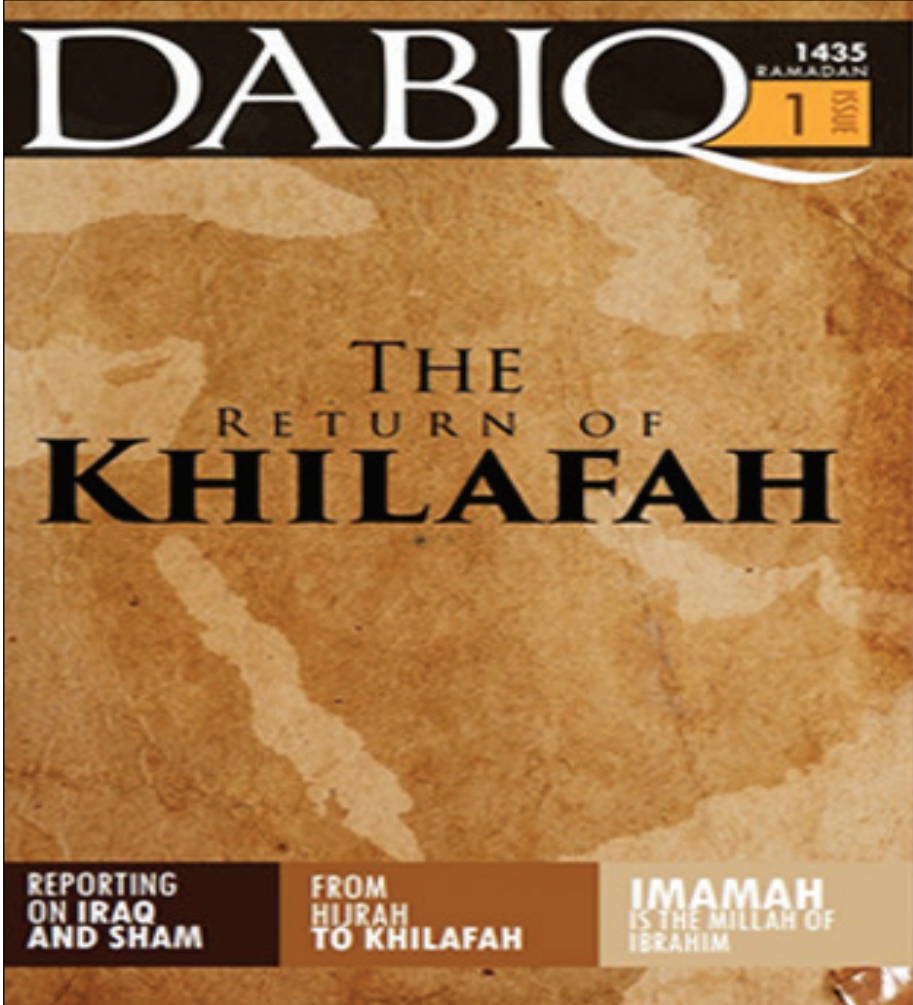
أطفال مدارس في الرقة يلتقطون صورة لهم مع علم داعش



ابن أحد المقاتلين البالغ سبع سنين في الرقة يحمل رأس أحد ضحايا داعش
mehwarmasr.com

ملحق رقم (٩)

الإصدارات الدورية وبعض الفلاشات الدعائية



مجلة دابق العدد الأول

clarionproject.org



مجلة دابق، العدد الثاني

clarionproject.org

جنود الخلافة في ليبيا يُصلّون العيد على الطريق الساحلي بين سرت والنوفلية

٢



**هجمات واسعة لجنود الخلافة جنوب الرقة
و٣٤٨ قتيلًا ومصائبًا من الـ PKK والجيش النصيري
في الرقة وريفها**

٤

استعاد جنود الخلافة الأسبوع الماضي عددا من القرى جنوب شرقي الرقة، في غزوة تمكنوا خلالها من قتل ما يزيد على ١٠٠ عنصر من الجيش النصيري المرتد، في حين بلغت خسائرهم خلال هذين الأسبوعين أكثر من ٢٠٠ قتيل وعشرات الجرحى. وفي أحياء الرقة وعزل جبهة الـ PKK المرتدين، سقط ما يزيد على ١٤٨ منهم بين قتيل وجريح إثر المعارك الدائرة خلال هذين الأسبوعين في أحياء ومناطق الرقة. إذ تمكن جنود الخلافة الاثنين (٦/ أغسطس عن هلاك ٥٨ مرتداً وتدمير عدة أليات...

**التصدي لحمليتي
الجيش المصري
في رفح**

١٤

**مقتل وإصابة ١١٢
رافضياً في شمال
بغداد**

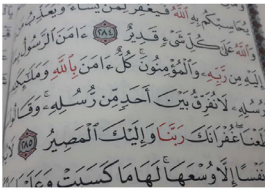
٨

**هجوم انغماسي على
قاعدة أمريكية
في الشدادي**

٧

**مقتل ٩ جنود روس
و٦٥ جندياً نصيرياً
في حماة**

٦



**الإيمان بالمرسلين ركن من
أركان الإيمان برب العالمين**

١١



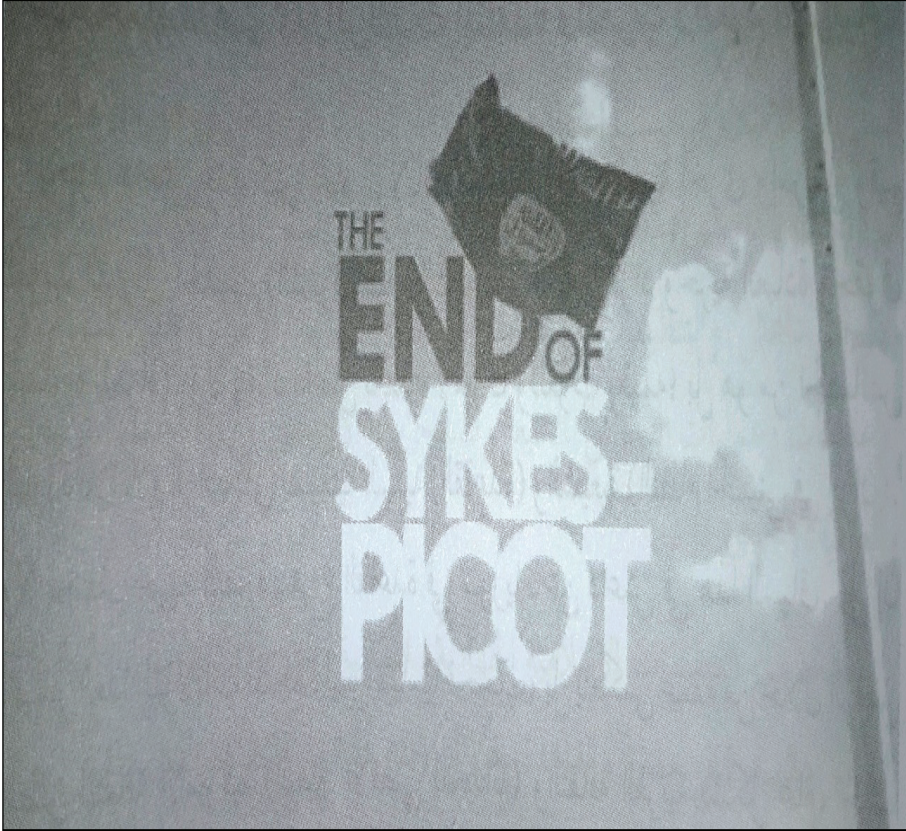
أدوية وعلاجات من مشكاة النبوة

١٠

هذه الصحيفة تحتوي على لفظ الجلالة وآيات قرآنية وأحاديث، فاحذر من تركها في مكان معين. ⚠️

دولة الخلافة (داعش) بين النظرية والتجربة

خلفية الفيديو الذي نُشر على موقع YouTube ومواقع أخرى
(٢٩ حزيران ٢٠١٤) تحت عنوان «نهاية سايكس - بيكو»



قائمة المحتويات

٤	الإهداء
٩	كلمة المركز
١١	المقدمة
٢٠	أسباب اختيار الموضوع
٢٢	الدراسات السابقة ومناقشتها
٢٧	الإشكالية والتساؤلات
٣٠	الفرضية الرئيسة والفرضيات الفرعية
٣١	المناهج المعتمدة
٣٣	التقنيات المستخدمة
٣٤	فصول الكتاب
٣٩	الفصل الأول الدولة والخلافة: التأسيس النظري والتاريخي
٤٣	المبحث الأول الدولة في الفهم الإسلامي
٨٤	المبحث الثاني الخلافة في التاريخ
١١٧	المبحث الأول الفكر السلفي التكفيري عند داعش
١٤٩	المبحث الثاني من السلفية الجهادية إلى تنظيم القاعدة
١٦٦	المبحث الثالث تنظيم القاعدة وفقه الخلافة الإسلامية
١٩٣	الفصل الثالث دولة الخلافة الإسلامية (داعش) التأسيس والهيكلية،

- المبحث الأول إرهاصات ومراحل التأسيس ١٩٩
- المبحث الثاني المؤسسات وآليات الحكم ٢٦٣
- الفصل الرابع سوسيولوجيا مجتمع داعش ٣١١
- المبحث الأول الإعلام وآليات الدعاية والاستقطاب والتجنيد ٣١٤
- المبحث الثاني مناهج التربية والتعليم ٣٥٥
- المبحث الثالث المرأة في مجتمع داعش ٣٧٩
- الفصل الخامس إشكاليات تجربة الحكم وتحدياتها ٤٢١
- المبحث الأول إشكاليات الشرعية والمشروعية ٤٢٤
- المبحث الثاني إشكاليات ممارسة السياسة في تجربة داعش ٤٦٧
- الفصل السادس داعش والآخر: المواقف المتضادة ٤٩٥
- المبحث الأول داعش والنظام الدولي ٥٠٠
- المبحث الثاني داعش والغرب: بين الاستثمار والتصادم ٥١٢
- المبحث الثالث إشكالية العلاقة مع الخارج: محلياً وإقليمياً ودولياً ٥٣٩
- الخاتمة ٥٥٤
- لائحة المصادر والمراجع ٥٦٩
- ملحق صوري ٦٠٣
- قائمة المحتويات ٦٢٥

إن الهدف من دراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية هو تنمية وتطوير الحياة الاجتماعية والسياسية ويتم دراستها انطلاقاً من بناء نظري خاص ومنهجية خاصة وما يمكن الوصول إليه من نتائج وقوانين علمية تساعد في التنمية السياسية والاجتماعية في المجتمع، وهي لا يمكن إدراكها إلا من خلال تأثيرها على تلك المجتمعات.



<https://iraqicenter-fdec.org>
e.c.d.s.center@gmail.com